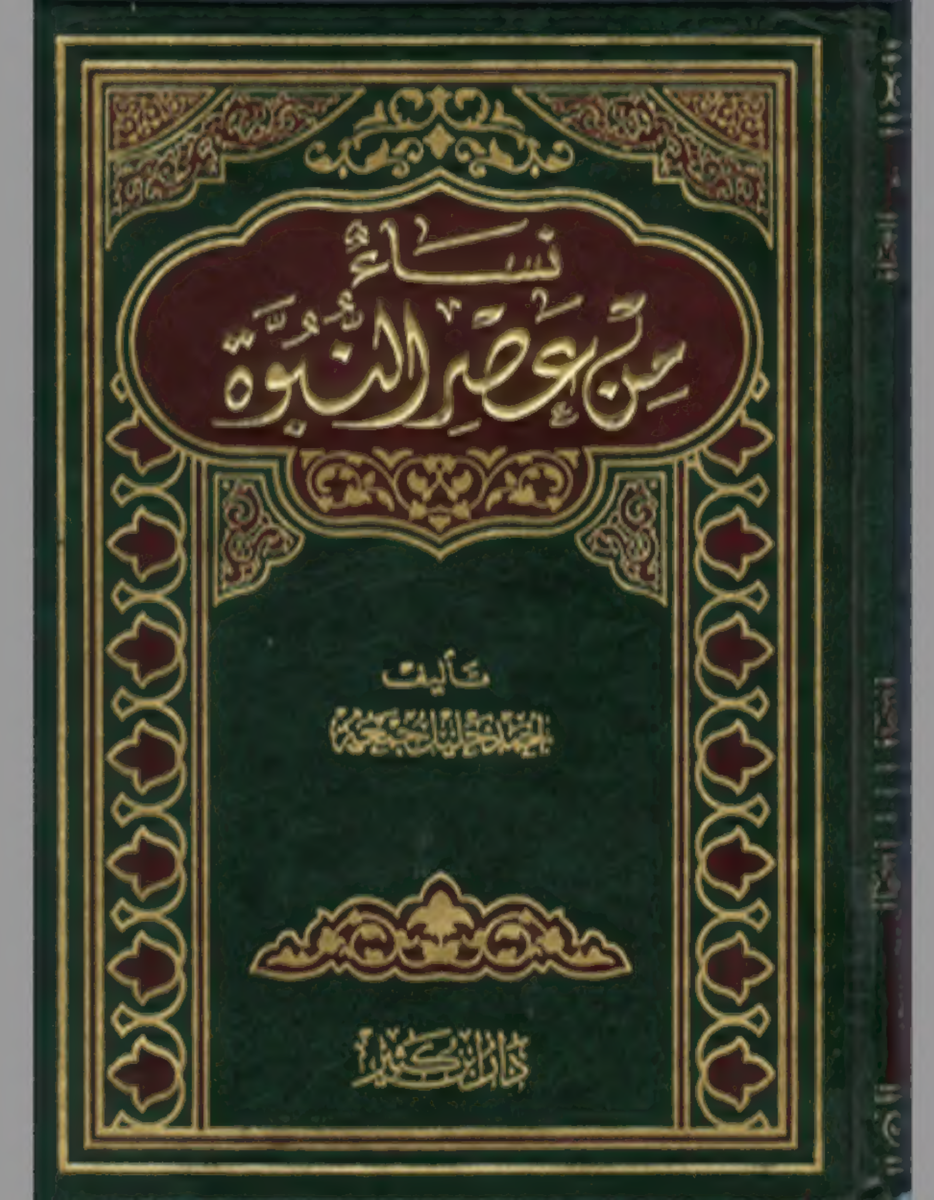

نساء
من عصر النبوة
تأليف
أحمد خليل جمعة
دار ابن كثير







الطبعة الثانية
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص.ب: ٣١١ - تلفون: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٤٣٥٠٢

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي
ص.ب: ١١٣/٦٣١٨ تلفون: ٨١٧٨٥٧ - ٣-٢٠٤٤٥٩

أحمد خليل جمعة

نساء من عصر النبوة

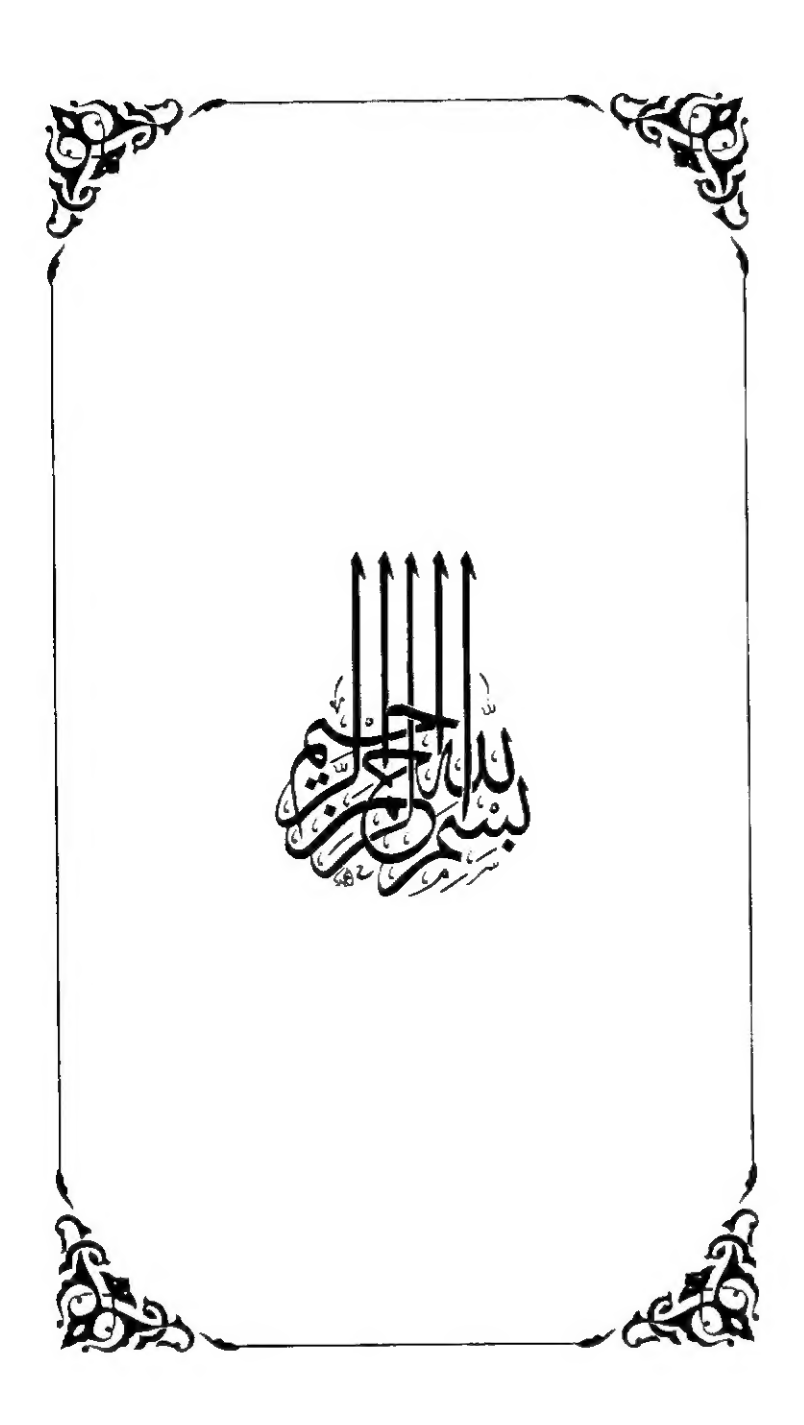
حليمة السعدية
فاطمة بنت أسد
أم أيمن الحبشية
أم سليم بنت ملحان
أم حرام بنت ملحان
حمنة بنت جحش
أم الدحداح الأنصارية
أم معبد الخزاعية
زينب بنت أبي معاوية
أسماء بنت يزيد الأنصارية
أميمة بنت خلف
حواء بنت يزيد بن سنان
أم قيس بنت محصن
حبيبة بنت سهل الأنصارية
أروى بنت كريز
أم عطية الأنصارية
أميمة بنت صبيح
عاتكة بنت زيد

أسماء بنت عمرو الأنصارية
أم خالد بنت خالد
الصعبة بنت الحضرمي
الربيع بنت معوذ الأنصارية
الشفاء بنت عبد الله العدوية
خولة بنت حكيم
أميمة بنت رقيقة
الربيع بنت النضر الأنصارية
عفراء بنت عبيد الأنصارية
درة بنت أبي لهب
النوار بنت مالك الأنصارية
فاطمة بنت قيس
سلمى بنت عميس
سلمى بنت صخر
ليلى بنت أبي حثمة
كبشة بنت رافع الأنصارية
أسماء بنت أبي بكر

نسيبة بنت كعب الأنصارية
أم رومان بنت عامر
أمامة بنت أبي العاص
أم أيوب الأنصارية
أم ورقة الأنصارية
هند بنت عمرو بن حرام
الفريعة بنت مالك
سلمى بنت قيس الأنصارية
أم مبشر الأنصارية
سهلة بنت سهيل
أم هشام بنت حارثة
الشفاء بنت عوف
الشيماء بنت الحارث السعدية
سبيعة بنت خباط
ضباعة بنت الزبير
رملة بنت أبي عوف
جميلة بنت سعد بن الربيع
أم حكيم بنت الحارث

زينب بنت أبي سلمة
أسماء بنت عميس
أم كلثوم بنت عقبة الأموية
فاطمة بنت اليمان
أم هانئ بنت أبي طالب
خولة بنت ثعلبة
أسماء بنت سلامة التميمية
صفية بنت عبد المطلب
جعدة بنت عبيد الأنصارية
سلمى مولاة رسول الله
أم سنان الأسلمية
أم الفضل بنت الحارث
بسرة بنت صفوان
أم عبد الله بن مسعود
فاطمة بنت المجلل العامرية
فاطمة بنت الخطاب
هند بنت عتبة




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وليّ كل خير وهداية، الواحد الجليل الذي ليس له شبيهٌ ولا نظير، أحمده حمداً يوافي نعمه ويبلغ مَدَى نعمائه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى أفضل طريق وغاية، خاتم الرسل والأنبياء، وعلى آله وصحبه، مصابيح الهدى والدّين، وتابعيهم بإحسان على النهج القويم.

أما بعد:

فإنَّ سِيَـرَ الصالحين تربيةٌ عملية للنفوس، وغَرْسٌ للفضائل، وتدريب على التجمل بالآداب الإنسانية في ميادين الخُلُق والرضا والطاعة لربّ العالمين؛ ذلك لأنَّ التربية بالاقتداء من خير الأساليب التربوية؛ لصقل الطباع، وتهذيب المشاعر، والسير قُدُماً على طريق التقوى والاستقامة.

وقد تناول المؤلّفون سير أولئك العظماء بالتدوين، وحاولوا في مُصنَّفاتهم أن يبرزوا أدوارهم الكبيرة في الأحداث والوقائع، وما كان لهم من أثر عظيم في عصرهم والعصور التي تلت.

وقد نال عظماء الرجال شيئاً من الاهتمام، فأفردت لهم الكتب، وانتشرت سيرهم على مدى التاريخ، بَيْدَ أنّ النساء العظيمات لم ينلن الاهتمام الكافي بالمقدار الذي تستحقه كلّ واحدة منهن، على عِظم الدور الذي قامت به في حياتها، والخير العميم الذي خلّفته في القول والفعل والحال.

وكانت لي محاولة سابقة بعنوان «نساء مبشرات بالجنة» حاولت أن أظهر دورهن الرائد عبر الوقائع والأحداث التي جرت في عصر النبوة المعطاء، واليوم أُتابع الاهتمام بسير النساء المسلمات؛ بكل ما أُوتين من خير وعلم، وسلوك خلاّق، وبيان وإخلاص وخوف من الله تعالى. . . .

واستغرق البحث وتجميع مادته مدة طويلة، لكثرة المصادر والمراجع، وصعوبة تتبُّع الأخبار فيها، ومحاولة الاختيار للأسماء التي بلغت السبعين.
وقد شكّلت الشخصيات المغمورة، والتي كان لها أثر قيّم، أكثر من أربعين في المئة من حجم هذا الكتاب، فقد قصّر الباحثون فيما مضى بالاهتمام بهؤلاء المغمورات، فلا تكاد تجد للواحدة منهن سوى أسطر قليلة مبثوثة في ثنايا المصنّفات هنا وهناك.

وكان التركيز على دور النساء في عصر النبوة بالذات، وما جرى لهن من أحداث ترتبط بالدعوة الإسلامية وبالرسول ﷺ.

ولم أتعرّض لذكر زوجات النبي ﷺ، لأنني أفردت لهن مُصنَّفاً مستقلاً أسميته: «نساء النبي ﷺ»، وأسأل الله تعالى أن يوفّقني لطبعه وإخراجه للناس.

كذلك لم أُرِدْ أن أترجم ـ هنا ـ لبنات النبي ﷺ، فقد آثرتُ إفرادهن بكتاب مستقلّ يحتاج إلى اللمسات الأخيرة ليتمّ دفعه إلى عالم النور.

وقد عُنيتُ في هذا الكتاب بضبط الأسماء الواردة بالشكل، وأحياناً بالحرف، لِيُؤْمَنَ اللبسُ أثناء النطق، كما ترجمتُ لكثير من الأعلام التي وردت أثناء الترجمة؛ زيادة في بثّ المعلومات، وليكون القارىء على إلمامٍ بجوانب الموضوع صغيره وكبيره.

أضف إلى ذلك الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية مع تخريجها من مظانّها، وشرح الكلمات الغامضة؛ لتتضح أبعاد الصورة، مُستعيناً في عملي هذا بكتب التراجم والتاريخ والحديث وأسباب النزول

والسيرة النبوية والتفاسير؛ لبيان جوانب الشخصية كلّها بوضوحٍ وجلاء.

* * *

ثمَّ إن من الواجب عليَّ ـ وأنا أقدِّم هذا العمل للطباعة ـ أن أتوجَّه بالثناء العطر والشكر الجزيل إلى الأستاذ علي ديب مستو صاحب دار ابن كثير العامرة، لما له من أيادٍ بيضاء على نشر التراث والكتب القيمة، فجزاه الله خيراً.

ولا يفوتني أن أقدّم خالص شكري لأخي الأستاذ يوسف علي بديوي؛ الذي تجشَّم عناء قراءة الكتاب، ووضع ملاحظاته القيمة عليه، ثم تصحيح تجارب طباعته، كما فعل ذلك في كتابي السابق «نساء مبشرات بالجنة»، فله مني وافر الشكر والعرفان، وجزاه الله كل خير.

* * *

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أُنيب.

اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علماً يا أرحم الراحمين.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ مَن زكّاها، أنت وليُّها ومولاها، والحمد لله ربِّ العالمين.

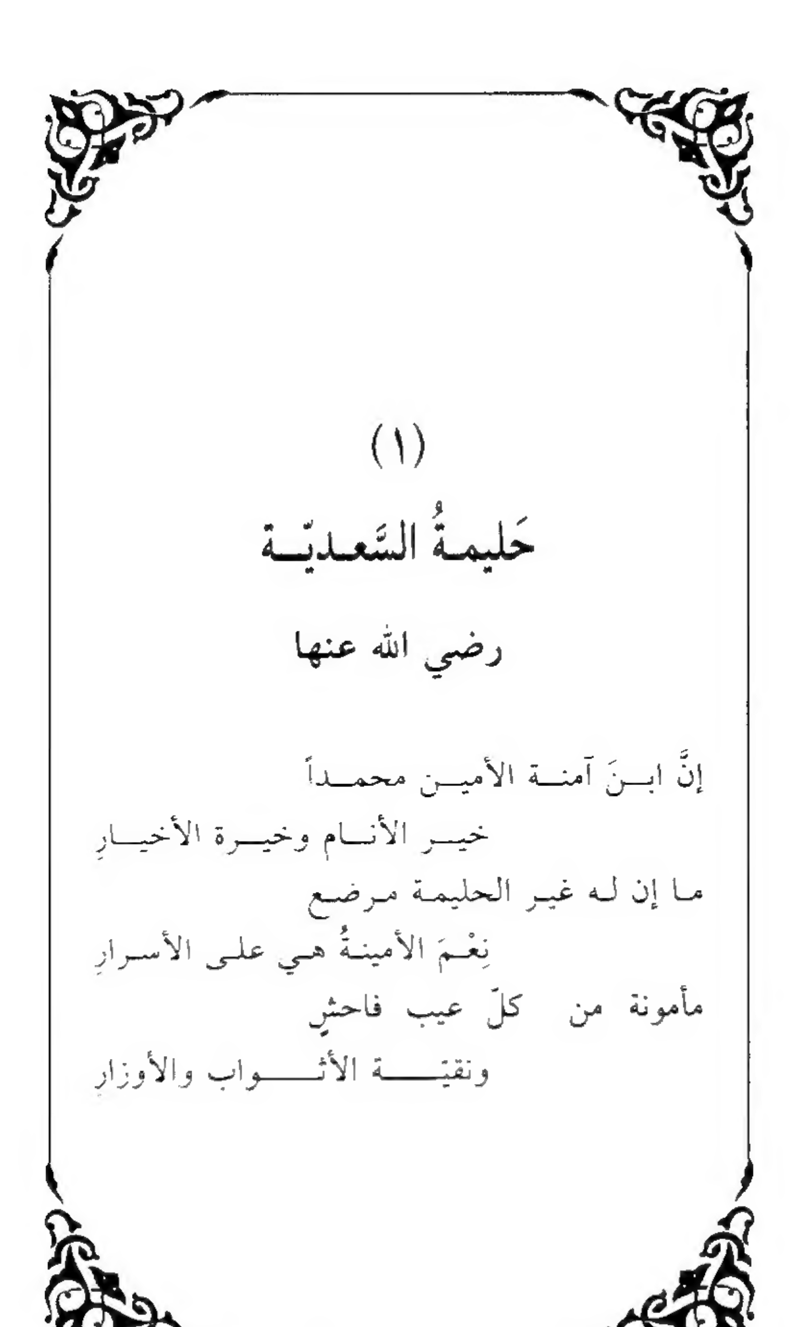
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

دمشق الشام ـ حرستا في ١٣/ ذي الحجة/ ١٤١١هـ

٢٥/ حزيـران / ١٩٩١م.

وكتب

أحمد خليل جمعة



(١)

حَليمةُ السَّعديّة

رضي الله عنها

إنَّ ابنَ آمنة الأمين محمداً

خير الأنام وخيرة الأخيارِ

ما إن له غير الحليمة مرضع

نِعْمَ الأمينةُ هي على الأسرارِ

مأمونة من كلّ عيب فاحشٍ

ونقيّة الأثواب والأوزارِ

«فـي بنـي سَعْـدٍ»:

● كان من شيم العرب وأخلاقهم إذا وُلِد لهم وَلَدٌ، يلتمسون له مرضعة في غير قبيلتهم، ليكون أنْجب لِلولد وأفصح له.

● وكان أشراف مكة يبعثونَ أطفالهم إلى البادية؛ يقضون فيها مدة الرضاع في حضانة المراضع من نساء البدو. وكانوا يختارون المرضع اختياراً يدل على ذكائهم الفطريّ؛ إذ يختارون المرأة المرضع في نفسها وعشيرتها، فأيتهنّ كانت أسمح خُلقاً، وأقوم خَلقاً، وأبين بياناً، وأعزّ نفراً، فهي الظّافرة السّابقة.

● وكان نساء من البادية يأتين المدائنَ والقرى مِنْ آنٍ إلى آن مِلاءَ الأثداء، فيرجعن بولدان الحَضَر يُرضعْنَهم، ويتعهدن منابتهم بين ملاعب البدو ومضارب الخيام، ولهذا فقد كان رسول الله ﷺ يُرجعُ فصاحَته المعجزة إلى منبته في قريش، واسترضاعه في بني سعد، وكان يقول لأصحابه الكرام: «أنا أعْربكم، أنا قرشيّ، واسترضعتُ في بني سَعْدٍ»[(١)].

● وقال له سيّدُنا أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: ما رأيت أفصحَ منك يا رسول الله! فقال له ﷺ: «وما يمنعُني وأنا من قريش وأرضعتُ في بني سعد»؟!.

● ومن بني سعد تبرزُ ضيفتنا لنسعدَ في الحديث عنها في هذه الصَّفحات، فهي مرضعُ رسول الله ﷺ ذات الحظِّ السَّعيدِ، التي قال عنها الشَّيخ يوسف النَّبهاني رحمه الله:

وأرضعَتْــــه ذات حــــظٍّ وافــــرِ
حليمــــة مِــــنْ غُــــرَرِ العَشَــائِـــرِ

---

(١) السيرة الحلبية (١/ ١٤٦) وأعربكم: أي أفصحكم عربية، وأدخلكم في العرب، أي المعنى: أوسطكم في العرب نسباً وأنفسكم فيه فخذاً.

كــانَ لــديهــا القــوتُ غيــر يــاســرِ
فــأصبحــتْ أيســرَ أهــل الحــاضــرِ
سعيدةً قد سَعِدَتْ مِن سَعدِ[1]

● هذه السَّعيدة هي حليمةُ بنت عبد الله بن الحارث السَّعدية؛ أمُّ النبي ﷺ من الرّضاعة[2]، وزوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السّعدي، وأولادها منه: عبد الله ـ وكانت حينئذ ترضعه ـ وأنيسة وخذامة ـ وهي الشَّيماء ـ أولاد الحارث، وهم إخوة النبي ﷺ من الرّضاعة هناك.

● كما كانت حليمة تحضنُ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب[3] ابن عمّ رسول الله ﷺ، وكان كذلك عمّه حمزة بن عبد المطلب[4] مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فأرضعتْ أمّه رسول الله ﷺ يوماً وهو عند أمّه حليمة، فكان حمزة رضيع النبي ﷺ من وجهين: من جهة ثُويبة ـ مولاة أبي لهب ـ ومن جهة السَّعدية.

حَليمــةُ نِـعْـمَ الأمـيـنَـةُ:

● أجمعتِ المصادر أنَّ حليمةَ السَّعدية هي التي أرضعتْ رسول الله ﷺ، وهي أشهر مراضع العرب بسببِ ذلك، روت حليمة خبر الرَّضاعة ببيانها السَّاحر الآسر فقالت:

خرجتُ في نسوة من سعد عشرة يطلُبْنَ الرُّضَعَاءَ، في سنة شهباء ـ جدباء ـ على أتانٍ قمراء ـ بيضاء مهزولة ـ ومعنا شارفٌ لنا ـ ناقةٌ مُسنّة ـ واللهِ ما تبضُّ بقطرة ـ ترشح باللبن ـ، وما كنَّا ننامُ ليلتنا أجمع من صبيِّنا الذي معنا من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكن كنّا نرجو الغيثَ والفرج، حتى قدمنا مكة، فما من امرأة إلا وقد عُرِضَ عليها رسول الله

(١) حجة الله على العالمين للنبهاني (١/ ٢٥٢).
(٢) الاستيعاب (٤/ ٢٦٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٩).
(٣) اقرأ سيرة أبي سفيان بن الحارث في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة» (٢/ ١٨٩).
(٤) اقرأ سيرة حمزة بن عبد المطلب في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة» (١/ ٧).

ﷺ فتأبه إذ قيل لها إنه يتيمٌ، وذلك أنا كنّا نرجو المعروفَ من أبي الصَّبي، فكنا نقول: يتيم، وما عسى أن تصنعَ أمّه وجدّه؟ فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة معي إلا أخذتْ رضيعاً غيري؛ فلما أجمعنا الانطلاق قلتُ لصاحبي - زوجي -: واللهِ إنّي لأكرهُ أنْ أرجعَ من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبنَّ إلى ذلك الرَّضيع اليتيم فلآخذنه.

قال: لا عليك أنْ تفعلي عسى الله أنْ يجعلَ لنا فيه البركة.

قالت: فذهبتُ إليه فأخذتُه.

● وفي حديث آخر قالت: فاستقبلني عبد المطلب، فقال: مَنْ أنت؟.

فقلتُ: امرأة من بني سَعد.

قال: ما اسمك؟

قلتُ: حليمة.

فتبسّم عبد المطلب وقال: بَخٍ بخٍ سَعدٌ وحُلمٌ، خصلتَانِ فيهما خير الدهر، وعزّ الأبد، ثم بعد ذلك أدخلها بيت آمنة والدة النَّبي ﷺ فأخذته منها، ومن الطَّريف أنَ حظَّ حليمة كان وفْراً في هذا، وتشيرُ بعض الروايات أنَّ حليمة لما دخلتْ على النَّبي ﷺ مع عبد المطلب، سمع جده هاتفاً يقول:

إنَّ ابـــنَ آمنـــة الأميـــن محمـــداً
خيـــر الأنـــام وخيـــرة الأخيـــارِ

مـــا إنْ لـــه غيـــر الحليمـــة مـــرضـــع
نِعْـــمَ الأمينـــة، هِـــي علـــى الأبـــرارِ

مـــأمـــونـــة مـــنْ كـــلِّ عيـــبٍ فـــاحـــشٍ
ونقيـــــــة الأثـــــــواب والأَوْزارِ

لا تسلمَنْـــه إلـــى ســـواهـــا إنَّـــه
أَمْـــرٌ وحُكْـــمٌ جـــاءَ مِـــنْ جبَّـــار(١)

---

(١) السِّيرة النبوية (١/ ١٦٢ - ١٦٣)، وتاريخ الطَّبري (١/ ٤٥٤ و٤٥٥)، وأنساب الأشراف (١/ ٩٣ و٩٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٤٥ و٤٦) والسِّيرة النبوية =

النَّسَمَةُ المبارَكَةُ:

● وتحلُّ البركةُ على حليمةَ وزوجها عندما أخذتِ النَّبيَّ ﷺ، فما هوإلا أن وضعته في حجرها وضمتْهُ إلى صدرها حتى حَفَلَ ثدياها، وأقبلا عليه بما شاء من لبن، فرضع حتى شبع، ثم أخذتْ وليدها ـ عبد الله بن الحارث ـ فوضعته على ثديها فرضع كذلك، ثم نام الرَّضيعان.

● أمَّا حليمةُ وزوجها فقد أحسّا بلهبِ الجوع، وإرهاق العطش، ولكنْ أنّى لهما الطَّعام والنّاقة عجفاء لا لبن فيها؟!

إلا أنَّ المفاجأةَ قطعتْ عليهما ذهولهما، فقد تغيَّر الحالُ لحظتئذٍ، وروتْ حليمةُ هذا بنفسها فقالت:

وقام زوجي إلى ناقتنا تلك، فإذا ضرعُها حافلاً ممتلئاً، فحلبَ منه ما شربَ وشربتُ معه حتى انتهينا ريّاً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة، ولما أصبحنا قال لي زوجي: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذتِ نسمةً مباركة!.

فقلت: والله إني لأرجو ذلك.

ثم خرجنا، وركبتُ أتاني وحملتُه عليها معي، فوالله لقد قطعتُ بالركبِ ما لا يقدر عليه شيء من حُمُرهم، حتى إنَّ صواحبي قُلْنَ لي: يا بنة ذؤيب ويحك! أربعي ـ ارفقي ـ علينا، أليستْ هذه أتانك التي كنتِ خرجت عليها؟!

فأقولُ لهنَّ: بلى واللهِ! إنَّها لهي هي.

فيقلن: واللهِ إنَّ لها لشَأْناً[1]....

حَليمةُ والبَرَكَةُ:

● وصل الرّكبُ إلى بادية بني سعدٍ التي تبدو عليها آثار الجفاف في تلك

= لدحلان (١/ ٥٥ و٥٦) وغيرها من كتب السّيرة النبوية والتراجم، وكل هذا بمعان واحدة.

(١) عن دلائل النبوة للأصبهاني (١/ ١٩٨)، وأسد الغابة (٥/ ٤٢٧)، والبداية والنهاية (٣/ ٢٥٥) بتصرف يسير.

السّنة، وترى حليمة بركةَ هذا اليتيم، فالخير يَدرُّ عليها من كلِّ ناحية، والبركت تحلُّ عندها في كل شيء، فكان غنمها يروح إلى المراعي المجدبة مع أغنه غيرها من الحيّ، فيعود غنمها واللبن يملأ الضروع، وتعود أغنام سواها كما خرجت، حتى كان قومها يلومون رعيانهم ويقولون لهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، ولكنَّ النَّتيجةَ كانت هيَ هيَ أو قريبة من هيَ.

● وظلّت حليمة هكذا حولين كاملين، وكلّ يوم ترى الزّيادة والخير من الله سبحانه؛ ثم إنّها أتمّتْ مدة رضاعة المصطفى ﷺ.

وكان يشبُّ شباباً لا يشبه الغلمان، وأصبحتْ حليمةُ ولا بدّ لها أنْ تعودَ به إلى أمِّه آمنة في مكةَ المكرمة، فجاءتْ به إليها وهي أحرصُ ما تكون رغبةً في بقائه عندها، لما كانت ترى من بركتهِ ﷺ.

● وسُرّتْ آمنةُ بابنها الكريم، وخصوصاً حينما رأتْهُ قد زكا ونما حتى لكأنَّه ابنُ أربع وهو لم يجاوز السَّنتَيْن بعد. وتلطفتْ حليمةُ بآمنة ورجتها بأنْ تتركَ ابنها يرجع ثانية إلى البادية حتى أذِنت لها في ذلك، وعادت حليمةُ برضيعها إلى البادية، وقد امتلأتِ نفسُها غبطةً وسروراً، كما كان رضيعها ـ كذلك ـ سعيداً مسروراً بعودته إلى البادية وإلى طبيعتها.

● وهكذا بقي النَّبيُّ ﷺ في بني سعد، حتى إذا كانتِ السَّنةُ الرَّابعة أو الخامسة مِنْ مولده، وقع حادث شقّ صدره.

روى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ أتاهُ جبريل وهو يلعبُ مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشقَّ عن قلبه، فاستخرجَ القلْبَ، فاستخرجَ منه عَلقةً فقال: هذا حظُّ الشَّيطانِ منك، ثم غسَلَه في طَسْتٍ من ذهبٍ بماء زمزم، ثم لأَمَهُ ثمّ أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يَسْعَوْن إلى أمّهِ ـ يعني ظئره ـ فقالوا: إنَّ محمداً قد قُتلَ، فاستقبلوه وهو مُنتقع اللون[1].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٠١ و١٠٢)، والظئر: المرضعة. ويقال في المثل: ظِئر رؤوم=

● وخشيت عليه حليمة بعد هذه الوقعة حتى ردَّتهُ إلى أمّه، فكان عندها إلى أنْ بلغ ست سنين[1].

ذكْرى عَطِرَةٌ:

● عادتْ حليمةُ إلى باديتها، ومكثتْ فيها سنين عدداً، وكان النّبيُّ ﷺ قد أصبح شاباً، وذكرياتُ حليمة ما تزال في نفسه، وكثيراً ما كان يروي لزوجهِ خديجة ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ ما كان يلقاه من ظئره حليمة، وكانت خديجة رضي الله عنها تودُّ لو ترى حليمة لتكرمها، وكان ذلك، فقد روي أنّ حليمة قدمتْ على رسول الله ﷺ فأنزلها وأكرمها، فشكتْ حليمة جدْب البلاد وهلاك الماشية، وهنا أحسنَتْ خديجة وفادتها، وأعطاها أربعين شاةً وبعيراً يحمل الماء، ثم عادت حليمة إلى أهلها بخير وفير[2].

● ولما أرسل اللهُ عزَّ وجلَّ محمّداً ﷺ إلى النّاسِ كافةً، أسلمت[3] حليمة السّعدية. قال ابن حجر رحمه الله في شرح الهمزية: ومن سعادتها ـ يعني حليمة ـ توفيقها للإسلام هي وزوجها وبنوها وهم: عبد الله، والشّيماء، وأنيسة.

● ويقول صاحب السّيرة الحلبية: إسلامها لا شك فيه عند جماهير العلماء، وقد روى ابن حبان حديثاً صحيحاً دلّ على إسلامها، وللحافظ مُغْلَطاي مُؤلَّفٌ في إسلام حليمة سمّاه: «التُّحفة الجسيمة في إسلامِ حليمة».

مَكَانَتُهَا والعَطْفُ عَلَيْهَا:

● كان النَّبيُّ ﷺ عطوفاً يَوَدُّ مَنْ حوله، ويتحفهم بما يملك، وقد اتسعَ عَطْفَه حتى شمل القريب والبعيد، فكيف بمَنْ أرضعته؟

= خيرٌ من أمّ سؤوم. منتقع اللون: أي متغير اللون.

(١) السيرة النبوية (١/ ١٦٨). وانظر القصة بتوسع في دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٣٥) وما بعدها، والسيرة الحلبية (١/ ١٥٠) وما بعدها.

(٢) نساء مبشرات بالجنة (١/ ٣٢).

(٣) الشفا (١/ ٦٤٣)، والسيرة الحلبية (١/ ١٤٥).

● تشيرُ المصادرُ إلى المكانة التي كانت تلقاها حليمة من النَّبي ﷺ، وليس أجمل من ذلك الإكرام والحنان على مرضعته حليمة، فمن حفاوته بها ـ وقد جاوز الأربعين ـ أنَّه كان يلقاها هاتفاً بها: «أمّي، أمّي» ويفرشُ لها رداءه، برّاً وإحساناً إليها، فهو ﷺ يذكرُ تلك الطفولة الجميلة التي عاشها في أحضانها، ويبتسمُ لها ابتسامة الابن البار لأمّه الحنونِ، كأنّما يريدُ أَنْ يشعرها بأنَّه لن ينسى حنانها وبرّها، ثم قضى لها ما أرادتْ.

● ومن الشِّفا ما ذكره القاضي عياض[1] في «الشِّفا» عن مكانة حليمة وذويها، فقال:

قال أبو الطُّفيل: رأيت النَّبيَّ ﷺ بالجعرانةِ[2] وأنا غلام، إذ أقبلتِ امرأةٌ حتى دنتْ منه، فبسطَ لها رداءه فجلستْ عليه، فقلتُ: مَنْ هذه؟

قالوا: أمُّه التي أرضعته.

وعن عمر بن السَّائب أنَّ رسولَ الله ﷺ كان جالساً يوماً، فأقبل أبوه من الرّضاعةِ، فوضعَ له بعض ثوبه، فقعدَ عليه، ثم أقبلتْ أمُّه فوضع لها شِقَّ ثوبهِ من جانبه الآخر، فجلستْ عليه، ثم أقبل أخوه من الرَّضاعة ـ عبد الله ابن الحارث ـ فقام ﷺ فأجلسه بين يديه[3].

---

(١) القاضي عياض بن موسى بن عياض أبو الفضل، اليحصبيّ السَّبتيّ الحافظ، العلاّمة عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، وأعلم النّاس بعلومه، وبالنّحو واللغة وكلام العرب، وأيامهم وأنسابهم. وُلد في سبتة سنة (٤٧٦هـ). وولي قضاء سبتة ثم غرناطة، وصنّف التّصانيف التي سارت بها الركبان منها: الشّفا في تعريف حقوق المصطفى، وطبقات المالكية، والمشارق، وشرح حديث أمّ زرع، والتاريخ، وغير ذلك. مات ليلة الجمعة في مراكش سنة (٥٤٤هـ). (طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٧٠).

(٢) «الجعرانة»: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٥٩)

(٣) الشّفا (١/ ٢٦٠)، وانظر الاستيعاب (٤/ ٢٦٢)، والطّبقات (١/ ١١٤)، وأسد الغابة (٥/ ٤٢٨)، والسيرة الحلبية (١/ ١٤٥)، ودرّ السحابة (ص ٥٤٤).

وَدَاعَـاً وَدَاعـاً:

● لحليمة السَّعديةِ رضي الله عنها منزلةٌ عظمى في تاريخ النِّساء، حيث تحتلُّ سيرتها مساحاتٍ واسعة من كتُب السِّيرة النَّبويّة على اختلاف أنواعها ناهيك بكُتُبِ التَّراجم والطَّبقات، وكلُّها تجمعُ على فَضْلها وحُسْن رعايتها لرسول الله ﷺ.

وقد ورد أنَّها روتْ عن النَّبي ﷺ، وروى عنها عبد الله بن جعفر[1] رضي الله عنهما.

● أمَّا عن وفاتها فيذكر الشَّيخ أحمد زيني دحلان[2] أنَّها أسلمتْ وهاجرتْ وتوفيتْ بالمدينة المنورة ودُفنتْ بالبقيع، وقبرُها معروف هناك رضي الله عنها.

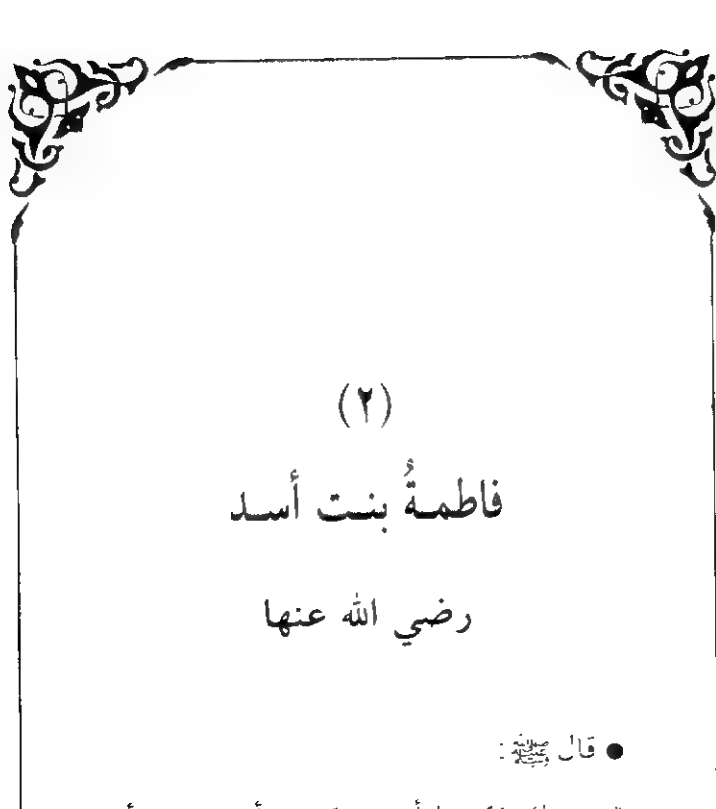
● وبعد، فتلك لمسات طيبةٌ من سيرة الصَّحابية حليمة السَّعدية رضي الله عنها وجعلها مع الذين قال فيهم: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[3] صدق الله العظيم.

* * *

(١) الاستيعاب (٤/ ٢٦٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٣٣).

(٢) السّيرة النبوية لدحلان (١/ ٦٤)، وتشير بعض الروايات أنها توفيت في حياة النبي ﷺ.

(٣) الآية (١٠٨) من سورة هود عليه السلام.



(٢)

فاطمةُ بنت أسد

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيّبها وتطعمينني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة».

الطَّـاهِـرَةُ النَّـجِيبَـةُ:

● فاطمةُ بنتُ أسد بنِ هاشم بن عبد مناف بن قصيّ الهاشميّة والدةُ عليّ بن أبي طالب، وهي حماةُ فاطمة الزَّهراء، وزوج أبي طالب عمّ رسول الله ﷺ[1].

● حظيتْ برعايةِ النَّبيّ ﷺ، حينما كفله أبو طالب، فكانت له منْ بعد أمّه أمّاً، تقومُ على شؤونه وترعى أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

● وفاطمةُ بعد هذا كلّه، مِنْ أعْلَمِ النّاسِ وأخبرهم برسول الله ﷺ؛ فهي زوج عمّه أبي طالب ومربيته، فقد قضى ﷺ قرابة عقْدَيْنِ من حياته في كنفها.

● إنّها تعرفه إنساناً كاملاً، جمع الشَّمائل الحميدة، والخصال الفريدة، كان طاهراً لم تَعْلَقْ به شبهةٌ، أميناً يُضرب المثل بأمانته، صادقاً لم يَعهد عليه كذبٌ قطّ.

● من أجل تلكم الصِّفات الكريمة، دفعتْ إليه بفلذة كبدها ـ ابنها عليّ ـ ليكون في كنَفِهِ ﷺ بعد زواجه من خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها.

● وعندما أَمَرَ الله عزَّ وجلَّ رسوله ﷺ بإظهار دينه، وإنذار عشيرته الأقربين، قال:

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤].

وقال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥].

وقال: ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحجر: ٨٩].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨)، وجمهرة أنساب العرب (١/ ١٤).

●عندما لبّى النبيُّ ﷺ أَمْرَ ربّه، استجابتْ فاطمةُ بنت أسد وأسلمت، فحظيتْ بشرفِ الصُّحبة النبوية، ومنَّ الله عليها بإسلام أولادها جميعهم وهم: عقيلُ، وجعفر، وعليُّ، وأمُّ هانىء، وطالب[1]؛ بينما عَظُمَ على زوجها أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، واعتذر بقول رفيقٍ، وقال للنّبيّ ﷺ: لا تحمِّلْني منَ الأمْر ما لا أطيق.

● غير أنَّ هذا الاعتذار لم يمنْعَ عمَّه مِنْ أَنْ يحدبَ عليه، وأنْ يشيرَ إلى الفضائل التي كانت يحبُها في شَخْصِ ابن أخيه، ولقد ترجَمَ عن عواطفه بقولهِ يمتدحُ ويصفُ النّبي ﷺ:

وأبيــضَ يُستسقــى الغمــام بــوجهــهِ
ثِمــالُ اليتــامــى عِصمــة لــلأرامــلِ
حليــمٌ رشيــدٌ عــادلٌ غيــرُ طــائــشٍ
يُــوالــي إلهــاً ليــسَ عنــه بغَــافِــل[2]

فيْ مَواكِبِ الفَضِيْلَةِ:

● التَّسابق في مَيْدان الفضائل أمْرٌ محمود، فمنذُ البدايات الأولى لإسلام فاطمة رضي الله عنها، كانت مِنَ المسارعات إلى الخيراتِ، وذلك في الإيمان والتَّصديق. فأضحتْ من نساء الصَّفوة ممن أخذْن المكانةَ العليا في ساحة الفضيلة، وممن كنّ في الرَّعيلِ الأولِ، في الموكب الباهر الذي صُنِعَ على عينِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فكُتِبَ له الخلود في سجلِّ الدَّهر.

● وفاطمةُ رضوان الله عليها ممن حُزْنَ الفضيلة في مجالات شتى، فقد كانت من المهاجرات الأُوَل، ثم هي أولُ هاشمية ولدت هاشمياً[3] بل هي

---

(١) جمهرة أنساب العرب (١/ ١٤).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ١٦٣). «ثمال»: عماد وملجأ.

(٣) مما يفيد ذكره هنا: أن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ولدت هاشمياً، وكذلك زبيدة امرأة الرشيد ولدت الأمين.

أول هاشمية تزوجت هاشمياً وولدت خليفة.

صِفَـــاتٌ كَرِيـمَـةٌ:

● من صفات فاطمةَ رضي الله عنها الصَّلاح والدِّين، ولذا كان رسول الله ﷺ يكرمها لبرّها به، ولسابقتها[1] في الإسلام، فكان يزورها ويقيلُ في بيتها بالمدينة[2]، كما كان بيتها بمكةَ مآباً طيباً ومقيلاً كريماً له؛ أضفْ إلى ذلك أنَّ مكانتها ومنزلتها لا يمكن أنْ تصلَ إليها امرأةٌ قرشية، فهي حماة فاطمةَ الزَّهراء ابنته ﷺ، وكانت مثالاً للرأفة والرّحمة في معاملة الزَّهراء رضي الله عنها، إذْ كانت تقوم بمساعدةِ سيِّدة نساء العالمين برّاً بها وبوالدها ﷺ.

● روى سيّدنا عليّ رضي الله عنه هذا فقال: قلتُ لأمّي: اكفي فاطمةَ بنت رسول الله ﷺ سقايةَ الماء والذّهاب في الحاجة، وتكفيك هي الطّحن والعجن[3].

● وشمائل فَاطمة بنت أسد رضي الله عنها كُثُر، تعبقُ بالأريج، وتفوحُ منها نسائم البركة، فقد كانت موصولة القلبِ بالله عزَّ وجلّ، كما أنّ صلتَها بالنَّبيّ ﷺ أضافتْ إلى شخصيتها مكرمةَ حِفْظِ الحديث وروايته. فقد روتْ عن النَّبي ﷺ (٤٦) حديثاً، أخرج لها منها في الصَّحيحين حديث واحدٌ متفق عليه.

«بَيْـنَ الـفَـوَاطِـمِ»:

● لفاطمةَ بنت أسد رضي الله عنها مكانة كُبْرى عند رسول الله ﷺ، إذ كان يساويها بابنته الزَّهراء رضي الله عنها، ويخصّها بالهدية، روى ذلك شاهد عيان، فقد أورد ابن حجر[4] أنَّ علياً رضي الله عنه قال:

---

(١) قيل: كانت حادية عشرة في السابقة إلى الإسلام.
(٢) الطبقات (٨/ ٢٢٢)، والإصابة (٤/ ٣٦٩).
(٣) المصدران السابقان.
(٤) الإصابة (٤/ ٣٧٠).

أُهدي إلى رسول الله ﷺ حلّة إستبرقٍ فقال: «اجعلها خُمراً بين الفواطم»[1].

فشقَقْتُها أربعة أخْمرة:

خمراً لفاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وخماراً لفاطمة بنت أسد.

وخماراً لفاطمة بنت حمزةٍ.

ولم يذكر الرابعة[2].

رِحْلَـةُ الـخُلُود:

● لقد كان حظُّ فاطمةَ حظّاً مباركاً في حياتها وعند وفاتها، وحظيت بالتكريم إذ ماتتْ في حياة النّبي ﷺ وشهدها وتولى دفنها، وذكر فضلها، ودعا لها بالمغفرة، والرحمة من الله، فعن سيدنا أنس بن مالك[3] رضي الله عنه قال:

لما توفيت فاطمة بنت أسد ـ أمّ علي ـ دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس

---

(١) ذكر صاحب القاموس، أنَّ الفواطم من الصّحابيات عشرون صحابية، والواقع أنَّهن أربع وعشرون صحابية رضي الله عنهن جميعاً.

(٢) ذكر ابن حجر رحمه الله، أنَّه من المحتمل أنْ تكون الرابعةُ فاطمة بنت شيبة بن عبد شمس زوج عقيل بن أبي طالب رضي الله عنها (الإصابة ٣/ ٣٧٠).

(٣) أنس بن مالك بن النَّضر الأنصاريّ الخزرجيّ النّجاري ـ أبو حَمْزَةَ ـ خادم رسول الله ﷺ، كان يتسمى بذلك ويفخر به، وحُقَّ له ذلك.
ولد بالمدينة وأسلم صغيراً، وخدم رسول الله ﷺ إلى أَنْ قُبِضَ، كان أكثر الصَّحابة أولاداً لدعاء النّبي ﷺ له. روى (٢٢٨٦) حديثاً، وهو من الصحابة المعمرين، مات في البصرة سنة (٩٣هـ) رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٢٧) و(الأعلام ٢/ ٢٤)

على رأسها فقال: «رحمكِ اللهُ يا أمّي، كنْتِ أُمّي بعد أمّي، تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيّبها وتطعمينني. تريدين بذلك وجْهَ الله والدّار الآخرة».

● ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ صبَّ الماء الذي فيه الكافور عليها بيده، وخلع قميصه فألبسها إياه وكفَّنها بِبُرْدٍ فوقه، ولما حُفِرَ قبرها، وبلغوا اللّحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه. فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال:

«اللهُ الذي يحيي ويميتُ وهو حيٌّ لا يموت، اللهم اغْفر لأمّي فاطمة بنت أسد ولقّنها حجّتَها، ووسّعْ عليها مَدْخَلها بحقِ نبيك والأنبياء الذين مِنْ قبلي فإنَّكَ أرحمُ الرَّاحمين».

ثم كبَّر عليها أربعاً، وأدْخَلها لَحْدَها بمشاركة العبّاس وأبي بكر رضي الله عنهما.

وتعجَّبَ الصَّحابة رضوان الله عليهم من صنيع النَّبي ﷺ وقالوا: ما رأيناكَ يا رسول الله صنعت هذا؟! فقال: «إنَّه لمْ يكن أحدٌ بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنّما ألبستُها قميصي لتُكْسَى من حُللِ الجنّة، واضطجعتُ معها ليهوّنَ عليها»[1].

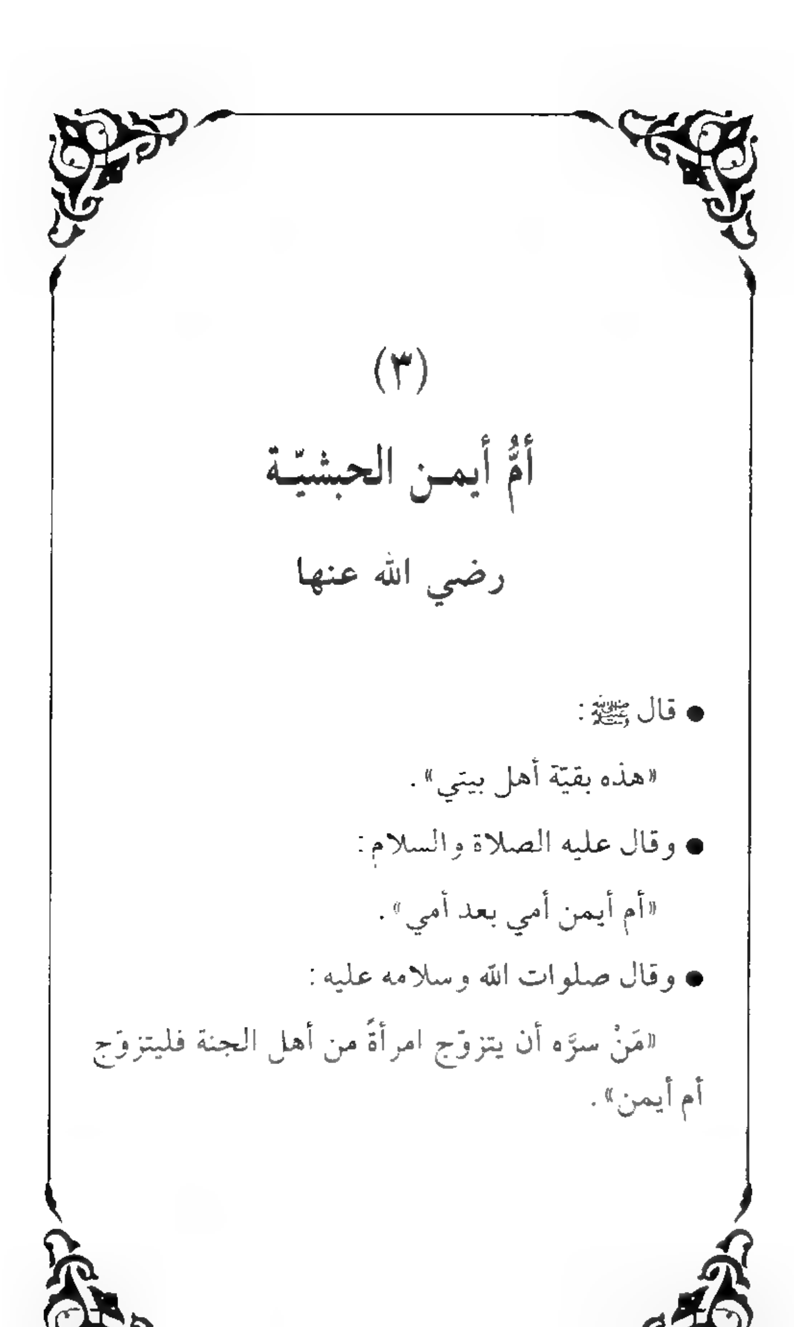
● ومما أكرمَ اللهُ به فاطمةَ رضي الله عنها، أَنْ خفَّفَ اللهُ عنها ضغطةَ القَبْر ببركة رسول الله ﷺ، فقد خصَّ اللهُ عزَّ وجلَّ رسوله بأنَّهُ لا يُضغطُ في قبره،

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٧٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨)، ومنح المدح (ص ١٨٥) ومن الفائدة أَنْ نشيرَ إلى أَنَّ رسول الله ﷺ قد نزل في خمسةِ قبور، واحد بمكة وهو قبر أمِّ المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها؛ وأربعة بالمدينة وهم: قبر ابن خديجة ربيب النّبيّ ﷺ، وقبرُ عبد الله المُزني ـ ذي البجادين ـ وقبر أمّ رومان زوج الصّديق وأمّ عائشة أمّ المؤمنين، وقبر فاطمة بنت أسد رضي الله عنهم جميعاً. (عن وفاء الوفا بتصرف).

وقد أُعفيتْ فاطمة من ضغطة القبر إكراماً لرسول الله ﷺ، فكان حقاً على القبر أنْ يشرف بنور الله، ويفيضَ برحمتِهِ على امرأة كريمةٍ مِعْطاء، وقدوةٍ رائعةٍ لكلّ النِّساء. رضي الله عنها وأرضاها.

* * *



(٣)

أمُّ أيمـن الحبشيّـة

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«هذه بقيّة أهل بيتي».

● وقال عليه الصلاة والسلام:

«أم أيمن أمي بعد أمي».

● وقال صلوات الله وسلامه عليه:

«مَنْ سرَّه أن يتزوّج امرأةً من أهل الجنة فليتزوّج أم أيمن».

العَطُوفُ الوَدُودُ:

● إذا كان الإنسان محباً للنَّاس، آهلاً لحبِّهم إيّاه، فقد تمَّتْ له مسألة الصَّداقة مِنْ طرفيها، وإنَّما تتمُّ له هذه الصَّداقة بمقدار ما رُزق منْ سعة العَاطفةِ الإنسانية، ومنْ سلامة الذَّوق، ومتانة الخلق، وطبيعة الوفاء.

● وسنعيشُ مع امرأة تميَّزتْ بالعاطفة الحيَّةِ، والحنان الصَّادق الذي بلغ الذّروة، فبلغتْ أعلى مراتب الإيمان، وحظيتْ بالتَّكريم من الحبيب المصطفى ﷺ.

● وهذه المرأة العطوف ليستْ نـكِرة بين النِّساء، ولكنَّها ذات مكانة وشهرة في عالمهن الواسع، واقتعدت مكانةً كريمةً عاليةً بفضل الله عليها.

● كنت متاعاً يُورثُ ويُقسم تقسيمَ السّوائم بين الوارثين؛ فأصبحتْ بفضلِ الله تعالى حرةً جليلة القَدْرِ، يُشار إليها بالبنان، وتُغبط على مكانتها المتميِّزة، وكيف لا؟ ورسول الله ﷺ كان يقول لها: «يا أمّه»؟! وهل فوق درجة الأمومة من درجة؟.

● إذاً فمن العطوف الرؤوم هذه؟

إنّها أمُّ أيمن الحبشيّة، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، واسمها بركةَ بنت ثعلبة بن عمرو ورثها النبي ﷺ منْ أبيه مع خمسة جمال وغنم، وأعتقها عندما تزوّجَ بخديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها[1].

«هـذه بقيـةُ أَهْـل بيتـي»:

● منْ أوائلِ المواقفِ الوضيئة لأمّ أيمنَ، موقفها الرّائع يوم أنْ ماتتْ آمنةُ بنتُ وهب أمّ النّبي ﷺ، فقد توفيتْ آمنة بالأَبْوَاء[2]، وهي عائدةٌ مِنْ

(١) الطبقات (٨/ ٢٢٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٩٦)، وسير أعلام النّبلاء (٢/ ٢٢٣ و٢٢٤)، والإصابة (٤/ ٤١٥).

(٢) «الأبواء» قرية بين مكة والمدينة، ذكرها ياقوت الحموي فقال: وبالأبواء قبر آمنة -

زيارةِ أخواله بني النَّجار بالمدينة المنورة؛ وكانت أمُّ أيمن بصحبتها في هذه الزِّيارة.

● وفي تلك اللحظات الحرجة الأليمة، ظهرتْ أمُّ أيمن بعطفها وبرِّها برسول الله ﷺ الذي كان طفلاً في السَّادسة، وعادت بهِ إلى مكةَ وحيداً يتيماً حزيناً على فراق أمِّه آمنة.

● وفي سجلِّ المودة الإنسانية النَّاصع، تبرز أمُّ أيمن لتسجل أروع الأعمال في حضانة النَّبي ﷺ، وعنايتها الفائقة به، ناهيك بأنَّ جدّه عبد المطلب كان يوصيها به، ويرشدها إلى الاهتمام به ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وألاّ تغفل عنه طرفة عين ـ وكان ذلك ـ.

● وقد نشأ رسولُ الله ﷺ وهو يرى أمَّ أيمن تتحفه وتكرمه وتبرّ به، ولهذا كان يقول لها: «يا أمّه» وإذا نظر إليها قال: «هذه بقيةُ أهل بيتي»[1] بل كانَ قد أحلَّها منزلةً كمنزِلة أهل بيته عندما قال لها مرة: «غطِّي قناعَك يا أمَّ أيمن»[2].

السَّابقَةُ أُمّ الكِرَام:

● عندما تزوَّج النَّبيُّ ﷺ خديجة أعتقَ مولاته أمَّ أيمن، فتزوَّجها عُبيد بن زيد الخزرجي فولدت له أيمن بن عبيد[3]، ثم تزوّجها زيد بن حارثة ليالي

= بنت وهب أم النبي ﷺ، وكان السبب في دفنها هناك أن عبد الله والد رسول الله ﷺ كان قد خرج يمتار تمراً فمات بالمدينة، فكانت زوجته آمنة تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبره، فلما أتى على رسول الله ﷺ ست سنين خرجت زائرة لقبره ومعها أم أيمن. فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها (معجم البلدان ١/ ٧٩) بتصرف.

(١) الطبقات (٨/ ٢٢٣)، والإصابة (٤/ ٤١٥).

(٢) الطبقات (٨/ ٢٢٣).

(٣) أيمنُ بن عبيد ابن أمِّ أيمن حاضنة النَّبي ﷺ، وأخو أسامة بن زيد لأمِّه، وأيمن صحابي جليل مشهور، موفور الدّين، له هجرة وجهاد، واستشهد يوم حنين، وكان مِنَ الذين ثبتوا يومذاك. قال ابن إسحاق: كان أيمن على مطْهرة النّبي ﷺ، وله ابن يقال له: الحجَّاج بن أيمن. (الاستيعاب ١/ ٦٦) و(تهذيب الأسماء واللغات =

بُعث النبي ﷺ، فولدتْ له أسامة بن زيد[1] حبّ رسول الله ﷺ وابن حِبّه رضي الله عنهما.

● وفي هذه الأثْناء كان رسول الله ﷺ يزورُها في بيتها، ويذكرُ فَضْلها ويقول: «أمُّ أيمنَ أُمّي بعد أُمّي»[2].

● ولما قام النّبيُّ ﷺ يدعو إلى الله عزّ وجلّ، وإلى الإسلام، كانتْ أمُّ أيمنَ منَ السّابقات إلى التّصديقِ به، ذكر صاحبُ السِّيرة الحلبية نقلاً عن ابن كثير قوله: الظّاهرُ أنّ أهلَ بيته ﷺ آمنوا قَبْل كلِّ أَحَد، خديجة، وزيد وزوجة زيد أمّ أيمن، وعليّ رضي الله تعالى عنهم[3].

● وينبغي أَنْ تكون أمّ أيمنَ سابقة في الإسلام على مَنْ سواها من نساء الصّحابة، لما عهدتْه مِنَ الإشراقات النّبويةِ قبل المبعث. قال عنها ابنُ الأثير: أسلمت قديماً أول الإسلام.

● وكغيرها من أوائل المؤمنين والمؤمنات، لاقتِ العذابَ والأذى من قريش بسبب إسلامها، فهاجرتِ الهجرتين؛ إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وبايعتْ رسولَ الله ﷺ. وأخذت أعمالها تزدادُ في التّألقُ في مختلف المجالات الخيّرة، وخصوصاً في مجال الجهاد والصّبر والجود.

= ١/ ١٣٠).

(١) أسامة بن زيد بن حارثة، الحِبُّ بن الحبِّ. ولد ونشأ بمكة على الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يحبّه حباً جماً، وينظر إليه نظرَه إلى سبطيه الحسن والحسين، وهاجر مع النّبي ﷺ إلى المدينة، أمّرهُ رسول الله ﷺ قبل أنْ يبلغ العشرين من عمره فكان مظفراً موفقاً.
ولما توفي رسول الله ﷺ رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه. ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية رضي الله عنه فسكن المِزّة. وعاد إلى المدينة إلى أن مات في آخر خلافة معاوية. له في كتب الحديث (١٢٨ حديثاً) رضي الله عنه. (الأعلام ١/ ٢٩١).

(٢) الاستيعاب (٤/ ٢٤٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٨).

(٣) المصدران السابقان والسيرة الحلبية (١/ ٤٣٥).

المجَاهَدةُ الصَّابرةُ:

● كان لأمِّ أيمن رضي الله عنها اليد الطُّولى في الجهاد، فقد حضرتْ غزوة أُحد، وقامتْ بسقاية المجاهدين، ومداواة جراحهم، ولما انهزم بعض المسلمين يوم أحد لقيتهم، وجعلتْ تحثو التُّراب في وجوههم، وتقول لبعضهم: هاكَ المغزل فاغزلْ به، وهلمَّ سيفك[1].

● وشهدت أمُّ أيمنَ كذلك غزوةَ خيبر مع ثلَّةٍ منْ نساء الصَّحابة، وقد أعطاهن النَّبي ﷺ عطاء يسيراً من الغنائم

● ويوم حنين؛ كانتْ في رَكْب المجاهدين مع ولديها أيمن وأسامة رضي الله عنهما، وكان وَلَدَاها مِنَ المئة الصَّابرة التي ثبتتْ حول النَّبي ﷺ يومئذ، وسقط أيمن شهيداً[2]، ولم يزدْهَا استشهاده إلا إيماناً وتسليماً.

● وفي مجال الصَّبر والتَّسليم لقضاء الله عزَّ وجلَّ، كانت أمُّ أيمن ممَّنْ ضربن أروعَ الأمثلة في ذلك، ففي سَريَّةَ مؤتة؛ كان زوجها زيدُ بن حارثة أميراً على الجيش الغازي في سبيل الله، وكان أول الشُّهداء، وتلقَّتْ نبأ استشهاده بنفسٍ راضية صابرة، واحتسبته عند الكريم المتعال.

مكانتُها ومزَاح النَّبي ﷺ معها:

● لأمِّ أيمنَ رضي الله عنها مكانةٌ عظيمةٌ وقَدْر كبيرٌ عند النَّبيِّ ﷺ، يكفيها

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٣٢٦).

(٢) كان أيمن ابن أم أيمن أحد عشرة ثبتوا مع رسول الله ﷺ يوم حُنين وهم: أبو بكر وعمر؛ ومن أهل بيته: عليّ والعباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه جعفر، وأسامة بن زيد وأخوه أيمن، وربيعة بن الحارث والفضل بن العباس، فهؤلاء عشرة رجال، وفيهم يقول العباس بن عبد المطلب:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فرَّ مَن قد فرَّ عنه وأقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... بما مسّه في الله لا يتوجع

(تفسير القرطبي ٨/ ٩٧ و٩٨)، و(فتح الباري ٨/ ٣٠)، والعاشر: هو أيمن ابن أم أيمن رضي الله عنهما.

من الفضل أنّه كان يقول فيها: «مَنْ سرّه أنْ يتزوّج امرأة مِنْ أهل الجنّة فليتزوّجْ أمّ أيمن»[١]. وهذا مما عظّمَها في عينِ زيد بن حارثة فتزوّجها رضي الله عنهما.

● وما زال رسولُ الله ﷺ يناديها «يا أمّه، يا أمّه» كلّما رآها أو تحدّث إليه. وكان يصغي إليها، ويعطفُ عليها ويأنسُ بها ويمازحها؛ فقد سمعها في يوم حنين تدعو الله عزّ وجلّ بلكْنَتِها الأعجمية: (سبّتَ الله أقدامكم)، فلم تُنْسِه الغزوةُ القائمة أنْ يُصغي إليها ويداعبها بين صهيل الخيول وصليل السّيوف، وأقبل عليها يقول: «اسكتي يا أمّ أيمن فإنّك عسراء اللسان»[٢].

● ويبدو أنّ اللُّكنة الأعجمية عند أمّ أيمنَ قد تحكّمتْ في لسانها، وأعاقتها عن النُّطق الصّحيح، من ذلك ما رواه أبو جعفر الباقر قال: كانت أمُّ أيمن إذا دخلتْ على النّبي ﷺ قالت: سلام لا عليكم ـ بدلاً من سلام الله عليكم ـ فرخّص لها أنْ تقول: السّلام[٣].

● وزارها مرة وبصحبته أنس خادمه، فقرّبتْ إليه لبناً، فإمّا كان صائماً وإما قال لا أريد، فأقبلتْ تضاحكه[٤] وهو مسرور بها ذاكر فَضْلها ﷺ.

عَيْن جُودي:

● لما توفي رسول الله، وقفتْ أمُّ أيمنَ والحزنُ يملأ قلبها، والدُّموع تفيضُ من عينيها، فجاشت عاطفتها البريئة، ورثته بقصيدة جميلة منها:

عيـــنُ جـــودي فـــإنّ بـــذلـــك للـــدّ
مَـــع شفـــاء فـــأكثـــري م البكـــاءِ
حيـــن قـــالـــوا الـــرّســـول أمســـى فقيـــداً
ميّتـــاً كـــان ذاك كـــلَّ البَـــلاءِ

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٢٤)، وأنساب الأشراف (١/ ٤٧٢).
(٢) الطبقات (٨/ ٢٢٥) ومعنى: سبت ـ بالسين ـ قطع، وكانت تريد ثبّت.
(٣) الطبقات (٨/ ٢٢٤).
(٤) الإصابة (٤/ ٤١٦).

وابكيـا خيـرَ مَـنْ رَزِئنـاه فـي الـدنـ
ـيـا ومـنْ خصّـه بـوحـي السّمـاءِ[1]

● ومنَ المثير والممتع أنْ تنطقَ أمّ أيمنَ بالشِّعر والحكمة وهي عسراء اللِّسان، ولكنَّ هذا لم يؤثر على عقلها وقلبها وحكمتها، وفي هذا دليل على العلم النَّبوي الذي تأثرتْ به من رسول الله ﷺ.

● ومما يدلُّ على علمها وفضْلها وعقلها الوافر ما أخرجه مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمَر: انطلقْ بنا إلى أمّ أيمنَ نزورها كما كان رسولُ الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكتْ.

فقال لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ.

فقال: ما أبكي أَلاَّ أكون أعلم أنَّ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ، ولكنْ أبكي أَنَّ الوحيَ قد انقطع منَ السَّماء.

فهيَّجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[2].

● وظلت أمُّ أيمن تحظى بالمكانةِ الكبيرة في حياتها، وبعد موتها، وكذلك أحفادها الذين يُنسبون إلى ولاء رسول الله ﷺ فكان يقول لهم: بَنُو الحبّ.

وَدَاعـاً أيتُـهَـا الـرَّؤُوم:

● ومع وداع أمِّ أيمنَ رضي الله عنها تعالوا نذكر فضيلة باهرة لها، وهي رِوَايةُ الحديث؛ فقد روتْ عن النَّبي ﷺ خمسة أحاديث[3]، وروى عنها أنس بن مالك، وحنش بن عبد الله الصَّنْعاني، وأبو يزيد المدني.

● ومن مروياتها ما ذكره حنش بن عبد الله عن أمِّ أيمن أنَّها غربَلَتْ دقيقاً

---

(١) انظر الأبيات كاملة في الطبقات (٢/ ٣٣٢ و٣٣٣)، وانظر منح المدح (ص ٣٣٧).
(٢) صحيح مسلم (٧/ ١٤٤ و١٤٥) وانظر الحلية (٢/ ٦٨) وسنن ابن ماجه (١٦٣٥)
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٧).

فصنعتهُ للنَّبيِّ ﷺ رغيفاً فقال: «ما هذا؟».

فقالتْ: طعامٌ يُصنع ها هنا فأحببتُ أَنْ أصنعَ لكَ منه رغيفاً.

فقال: «رُدِّيهِ فيه ثم اعجنيه»[1].

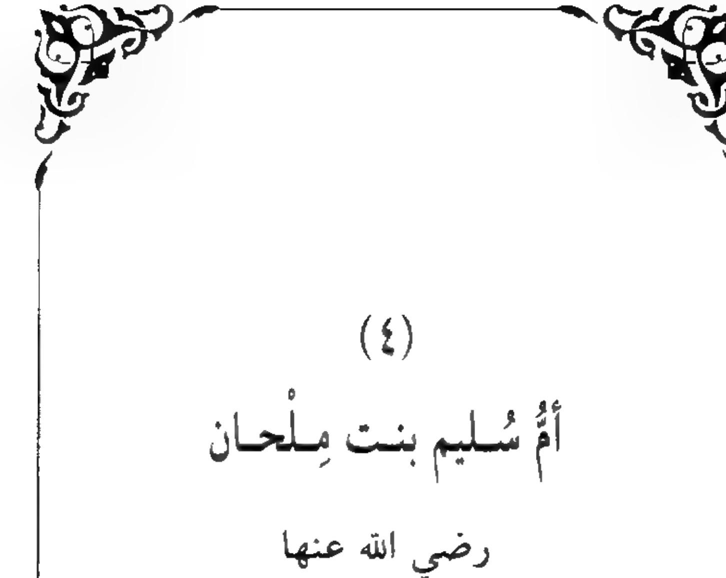
أمَّا عن وفاة أمِّ أيمنَ فقال الذَّهبي وابن حجر رحمهما الله أنَّها تُوفيت بعد النَّبي ﷺ بخمسةِ أشهر[2].

رضِي الله عن أمِّ أيمنَ من أهل الجنَّة، وجعلها في أَصحاب اليمين.

* * *

(١) الحلية (٢/٦٨).

(٢) العبر (١/١١)، والإصابة (٤/٤١٧).



(٤)

أمُّ سُليم بنت مِلْحان

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«دخلت الجنة فسمعتُ خَشْفَةً ـ صوت مشي ـ فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الغُميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك».

● وقال عليه الصلاة والسلام:

«إني أرحمها؛ قُتِل آخوها معي».



مَنْ هَـذه؟ :

● الصّحابيةُ التي نحنُ بصددِ قراءة سيرتها المعطار، واحدة من النِّسوة ممن طرت شهرتُهن في الآفاق، وحلّقْنِ بأعمالهن الجليلة في سماء الكرم والمكرمات.

● اتفق الرُّواة على كنيتها التي اشتهرت بها وهي أمُّ سُليم، واختلفوا في لَقبها فقالوا: الـغُميْصَاء أو الرُّميصاء؛ كما اختلفوا في اسمها فقيل: سَهلة، وقيل رُميلة، وقيل أُنيفة، وقيل رُميثة[1].

● وأمُّ سُليم هذه، هي أمُّ أَنَس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، لا خلاف في هذا مطلقاً بين أهل العلم.

● وصحَّ عن أنس أنّه قال: قدم النّبيُّ ﷺ المدينة، وأنا ابنُ عشْرِ سنين، وأنّ أمّه أمّ سُليم أتتْ به النّبيَّ ﷺ لما قدم فقالتْ له: هذا أنس يخدمك. فقبِله وكنّاه أبو حمزة، ومازَحه ﷺ فقال له: «يا ذا الأذنين»[2]، ودعا له بكثرة المال والولد، وبالبركة في الرِّزق.

● وكانت أُمُّ سُليم وأختُها حَرام خالتَيْن لرسول الله ﷺ من جهة الرَّضاع، وهي منقبةٌ شريفةٌ لهاتين الصَّحابيتين الكريمتين رضي الله عنهما.

مَـهْـرُ أمّ سُـلَيْم :

● أسلمتْ أُمُّ سُليم ورسولُ الله ﷺ بمكةَ، وبايعَتْهُ حين مقدمِهِ المدينة، وكان إسلامُها مراغمة لزوجها مالك بن النَّضر ـ والد أنس ـ الذي كان غائباً وقتذاك فقال لها: أَصَبَوْتِ؟!.

---

(١) الطبقات (٨/ ٤٢٤)، وصفة الصفوة (٢/ ٦٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٤)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧١).

(٢) الإصابة (١/ ٨٤) وحديث «يا ذا الأذنين» أخرجه الترمذي في المناقب (٣٨٣١)، وأبو داود (٥٠٠٢)، وأحمد في المسند (٣/ ١٢٧، ٢٦٠).

فقالت: ما صبوتُ ولكنّي آمنتُ.

وجعلَتْ تلقِّنْ أنَسَاً ـ وكان صغيراً ـ وتقولُ له: قُلْ لا إله إلا الله، قُلْ: أشهدُ أنَّ محمّداً رسولُ الله، فجعلَ أنس ينطقُ بذلك، فكان هذا التّصرف السَّليم من أمِّ سُلَيم يثيرُ الغضبَ في نَفْس مالكِ فيقول لها: لا تفسدي عليَّ ابني، فتقول: إنّي لا أفسده.

ولما أيأسه أمرها، خرج عنها إلى الشَّام فلقيه عدوٌّ له فقتله، فلما بلغها قَتْله قالتْ: لا جرمَ لا أفطم أَنَسَاً حتى يدع الثَّدي، ولا أتزوَّجْ حتى يأمرني أنس.

● ولما شبَّ أنس تقدَّم لخطبتها أبو طلحة الأنصاري[1] ـ وكان مشركاً ـ فأبَتْ، ولما عاوَدَهَا ثانيةً تفرستْ في وجهه وتوسمتْ فيه الخير، فقالتْ له: إنَّه لا ينبغي أَنْ أتزوجَ مشركاً، أَمَا تعلمَ يا أبا طلحة أنَّ آلهتكم ينحتها عبدُ آل فلان، ولو أشعلتم فيها ناراً لاحترقتْ، هل تنفعُك هذه الآلهة؟!.

● وأكثرتْ أُمُّ سُليم من أشباه ذلك الكلام، فانصرف أبو طلحة ووقع في قلبه كلامُها، ثم أتاها ـ وغرةُ الإسلام بين عينيه ـ وقال: لقد وقع في قلبي الذي قلتِ؛ وأعلنَ إسلامه عندها، قالت: إنّي أتزوّجُك ولا أريدُ صَدَاقاً غيرَ الإسلام[2].

● وفي هذه القصَّةِ الطَّريفةِ يقولُ ثابتٌ البُناني[3] رحمه الله: فما سمعنا

---

(١) أبو طَلْحة الأنصاري، زيدُ بنُ سهل بن الأسود النَّجاري المدني، شهد العقبة وبدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، له (٩٢ حديثاً) توفي سنة (٣٢هـ). وكان أبو طلحة رضي الله عنه يَسْرُد الصَّوم بعد وفاة النَّبي ﷺ. وفضائله كثيرة جداً، وفيه يقول رسول الله ﷺ: «صوت أبي طلحة في الجيش خيرٌ من مئة». (تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٤٥ و٢٤٦).

(٢) انظر الطبقات (٨/ ٤٢٥ و٤٢٦ و٤٢٧)، وأسد الغابة (٥/ ٥٩١)، وزاد المعاد (٥/ ١٧٨)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٥ و٣٠٦) بتصرف يسير.

(٣) ثابت بن أسلم البُناني، أبو محمَّد، أحد الأعلام، عابدٌ، ثقةٌ، روى عن ابن عمر =

بمهرٍ كان قطّ أكرمٍ مِنْ مَهْر أمِّ سُليم: الإسلام.

الـذُّرِيَّـةُ الـصَّالِحَـةُ:

● بلغْت أُمُّ سُليم رضي الله عنها مبلغاً عظيماً في حُسْن الصَّبْرِ، وقوة الإيمان، وكمالِ اليَقين، وحُسْن التَّوكل على الله حقَّ التَّوكل، من ذلك ما حدَّث به أنس عن أمِّه قال:

كان أخٌ لي ـ من أبي طلحة ـ يكنى أبو عُمير، فكان النَّبي ﷺ يستقبله فيقول: «يا أبا عُمير ما فعل النَّغير؟»[1] ومرِضَ أبو عمير، وأبو طلحة غائب، فمت الصَّبي، فهيأت أمُّ سُليم أمره وقالت: لا تخبروا أبا طلحة بموتِ ابنه، فجاء أبو طلحة وقد تطَيَّبَتْ له وتصنَّعتْ فقال: ما فعلَ أبو عُمير؟ قالتْ: هو أسْكن مما كان، ثم قدَّمتْ له عشاءه، وأتمَّا ليلتهما على أتمِّ وأوفق ما يكون الزَّوجان، ثم قالتْ: يا أبا طلحة ألمْ ترَ إلى آل فِلان استعاروا عاريةً فتمتّعوا بها فلمّا طُلبتْ إليهم شقَّ عليهم؟.

قال: ما أنْصَفوا.

قالتْ: فإنَّ ابنَك فلاناً كان عاريةً مِنَ الله فقبضه إليه؛ فاسترجع وحمدَ الله وقال: والله لا أدعك تغلبينَني على الصَّبر؛ فلمَّا أصبح غدا على رسول الله ﷺ فلما رآه قال: «بارك الله لكما في ليلتكما»، فحملتْ بعبدِ الله بن أبي طلحة، ولما وضعتْهُ حنكَه رسولُ الله ﷺ وسمّاه عبد الله[2].

= وغيره، وعنه شعبة ومعمر والحمّادان، توفي سنة (١٢٧هـ) رحمه الله، وقد ترجم له أبو نعيم فقال في مطلع ترجمته: المتعبد الناحل، المتهجد الذابل، أبو محمد بن ثابت أسلم البناني، وقد أورد كثيراً من أخباره العطرة في الحلية.
(تذهيب تهذيب الكمال ١/ ١٤٧)، و(الحلية ٢/ ٣١٨ ـ ٣٣٣).

(١) «النُّغير»: طائرٌ صغير. وفي هذه القصة دلالة وإشارة إلى العطف الذي كان يفيض به رسول الله ﷺ على كل الناس، فكان يسأل أم سليم عن حزن أبي عمير، ويواسيه عليه الصلاة والسلام في موت الطائر، ولا يزال يرحم ذكراه كلما رآه.

(٢) عن الطبقات (٨/ ٤٣١ و٤٣٢) بتصرف.

● وعاد ذلك بالخير على الزَّوجين المؤمنين الصَّابِرَيْن، وعاد على الغْلام عبد الله بن أبي طلحة بخيري الدَّارين، فلم يكنْ في الأنصار ناشئ أفضلَ منه، وظهرت آثار البركة في هذا الغلام بتكثير أولاده الصَّالحين الأتقياء الفالحين.

قال عَبَايَةُ بنُ رفاعة: فلقد رأيتُ لذلك الغلام سَبْعَ بنينَ كلّهم قد خَتَمَ القرآن.

● ولله درُّ مَنْ قال:

نِعَمُ الإلهِ على العِبَادِ كثيرةٌ
وأَجلّهنَّ نجابةُ الأولادِ

● أرأَيتَ هذا الموقف النَّبيل الذي يعجز عنه كثير من الرِّجال، فكيف بأمِّ سُلَيم؟.

لقد اجتهدتْ في مرضاةِ الله عزَّ وجلّ، وعملتْ على مراعاة مصالح زوجها، وبالغتْ في الصَّبر والتَّسْليم لأَمْرِ الله تعالى، فلمَّا علمَ الله تعالى صِدْقَ نيّتِها، بلّغَها مُنَاها وأَصْلَح لها ذرِّيتَهَا، وتحققتْ بذلك دعوة النّبي ﷺ «بارك الله لكما في ليلتكما»، وقد تركتْ ابنها أبا عُمير لله، فعوّضها الله خيراً منه.

خَنْجَرُ أُمِّ سُلَيْم:

● في سيرة أمّ سُليم رضي الله عنها مواقفُ وضيئةٌ تستوقفُ القارىء عجباً، وتحرّكه طرباً، لما آتاها الله من قُوة القلب، وثبات الجنَان، وكان رسول الله ﷺ يقدِّرُ أُمَّ سُليم ويصحبها في غزواته؛ فعنْ أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأمِّ سُليم ونسوةٍ معها من الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى[1].

● وشهدتْ أُمُّ سُليم غزوةَ أُحد، وقامتْ بجهد مشكور يومها، فعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يومُ أُحد انهزم النَّاس عن النّبي ﷺ، ولقد رأيتُ

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأبو داود

عائشة بنت أبي بكر، وأمّ سليم ـ رضي الله عنهما ـ وإنّهما لمشمِّرتان أرى خَدَم ـ خلخال ـ سوقهما تنقلان القِرَب على مُتُونهما ـ ظهورهما ـ ثم تُفْرِغَانها في أفواهِ القوم[1].

● ولما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة خيبر خرجتْ معه أم سليم لتفوزَ بأجرِ المجاهدين.

● ويوم حنين[2]، كان لها موقفٌ رائع يدلُّ على شجاعتها وفَضْلها وحسن بلائها، فقد وردَ أنَّها اتخذتْ خنجراً يومَ حنين وحزمته على وسْطِها ـ وهي حامل يومئذ بعبد الله بن طلحة ـ فقال أبو طلحة: يا رسول الله، هذه أُمُّ سُلَيم معها خنْجَر!.

فقالت: يا رسول إنْ دنا مني مشركٌ بقَرْتُ بطنَه[3].

وكانت أُمُّ سُلَيم وزوجها أبو طلحة مِنَ الذين عَنَاهُمُ الشَّاعر بقوله:

نَصَروا نبيَّهُمُ وشدوا أَزْرَه ... بحنينَ يومَ تَواكلَ الأبْطَالُ

بُشْرى وبشَارَةٌ:

● لأمِّ سُلَيم رضي الله عنها فضائل كثيرة وشهيرة، فلا يوجد باب من أبواب الخير إلا ولها فيه نصيبٌ، أَضفْ إلى ذلك روايتها للحديث الشَّريف.

● روتْ عن النَّبي ﷺ (١٤ حديثاً) أربعٌ منها في الصَّحيحين. وقد نالت بشارة عُظْمى مِنْ رسول الله ﷺ تدلُّ على عظيم فَضْلِها ورفيعِ شأْنها إذْ قال:

---

(١) رواه الشيخان في الصحيحين، انظر التاج الجامع للأصول (٤/ ٣٤٤).

(٢) «حنين»: هو اليوم الذي ذكره الله عزّ وجل في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]. وحنين اسم موضع بأوطاس عرف باسم رجل اسمه: حنين بن قانية بن مهلائيل من العماليق (معجم البكري) وهو قريب من مكة المكرمة.

(٣) الحديث رواه مسلم في الجهاد والسير.

«دخلتُ الجنَّة فسمعتُ خَشْفَة ـ صوت مشي ـ فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: هذه الغُمَيصَاء بنتُ ملحان أمّ أنس بن مالك»[1].

مكانَتُها وفَضَائِلُها:

تحتلُّ أُمُّ سُليم رضي الله عنه مكانةً عاليةً بين نساء الصّحابة، يكفيها من الفضل أَنَّ رسول الله ﷺ كان يخصُّها بعطفه، ويعتبرها بمنزلة أهل بيته، لما رواه أنس رضي الله عنه قال: كان النّبي ﷺ لا يدخلُ على أحد من النّساء بعد نسائه إلا على أمِّ سُليم، فإنَّه كان يدخل عليها، فقيلَ له في ذلك فقال: «إنِّي أرحمُها قُتِلَ أخوها معي»[2].

● وأمُّ سُليم رضوان الله عليها منَ اللواتي أكرمهن النّبيُّ ﷺ بزيارته، وربما طَعِمَ في دارها، ويصلّي عندها على بساط من حصير كان ينضحه بالماء ويدعو لها كثيراً حتى قالت: لقد دعا لي رسولُ الله ﷺ حتى ما أريدُ زيادة[3].

● ومما يُضاف إلى المكارمِ السّابقة أنّ رسول الله ﷺ كان إذا مرَّ بجنبات أمِّ سُليم دخل فسَلَّمَ عليها[4]، وربما باتَ عندها ـ وليست هي في البيت ـ وكانت تتبركُ به ﷺ.

● فمن فرائد هذه الأخبار أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ ـ نام وقت الظَّهيرة ـ في بيت أُمِّ سُلَيمٍ على نِطْعٍ ـ بِسَاط من جلْد ـ فعرق، فاستيقظ وهي تمسح العرق فقال: «ما تصْنَعين؟» قَالت: آخذ هذا للبركةِ التي تخرجُ منك. وكانت رضي الله عنها تأخذ عَرَق النَّبي ﷺ وتخلطُ به طِيْبَها، فهو أطيبُ الطِّيْبِ[5].

●وقد أُثِرَ عنها أَنّها احتفظتْ بفمِ قِرْبَةٍ شرب منها رسول الله ﷺ، وصانَتْهُ

---

(١) التاج الجامع للأصول (٣/ ٣٨٦). والحديث رواه الشيخان في صحيحيهما.
(٢) التاج (٣/ ٣٨٦)، والسيرة الحلبية (٣/ ٧٣).
(٣) الاستيعاب (٤/ ٤٣٩)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٢).
(٤) الحديث رواه الشيخان والنسائي.
(٥) الحديث رواه مسلم وأحمد؛ وانظر الطبقات (٨/ ٤٢٩)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٥٨).

عندها؛ وثبت أنَّ النَّبي ﷺ أعطاها شيئاً من شعره[1].

وأخبارها في هذا المجال كثيرةٌ ومنثورةٌ في بطون الكُتُب، والتَّراجم والسِّير وغيرها من الصِّحاح، وقد عقد الدُّكتور محمَّد سعيد رمَضان البُوطي ـ حفظه الله ـ فصْلاً جيِّداً عن هذا الموضوع ـ التَّبرك ـ في كتابه النَّفيس «فقه السِّيرة»[2]، وأتى بدلائلَ لا يمكن ردُّها.

ثَـنَـاءٌ وَوَدَاعٌ:

● حظيتْ أمّ سُليم على ثناء الصَّحابية أُمِّ معاذ الأنصارية، إذْ وصفَتْها بالوفاء، وذلك عندما بايعت النِّساء رسولَ الله ﷺ على ألاّ يَنُحْنَ قالت: فما وَفَتْ منّا امرأة إلا أمّ سُليم وأمّ العلاء وأمّ معاذ وامرأة معاذ[3].

● كما حظيتْ أمُّ سُليم كذلك بثناء رجال العلم، وصفها ابن عبد البر بقوله: كانت من عُقَلاء النِّساء. بينما أثنى عليها النَّووي فقال: كانت من فاضلاتِ الصَّحابيّات رضي الله عنها وأرضاها.

● وبعد، فهذه سيرة أمِّ سُليم العطرة، أرجو الله أَنْ أكون وفقتُ في الحديث عنها؛ فقد كانت بحقّ امرأة نادرة المثال في كل مجال.

● رضي الله عن أمِّ سُليم من أهل الجنَّة، وقبل أَنْ نودع سيرتها تعالوا نعود بُشرى رسول الله ﷺ لها إذ يقول:

«دخلتُ الجنةَ فسمعتُ خَشْفَةً فقلتُ: مَنْ هذا؟

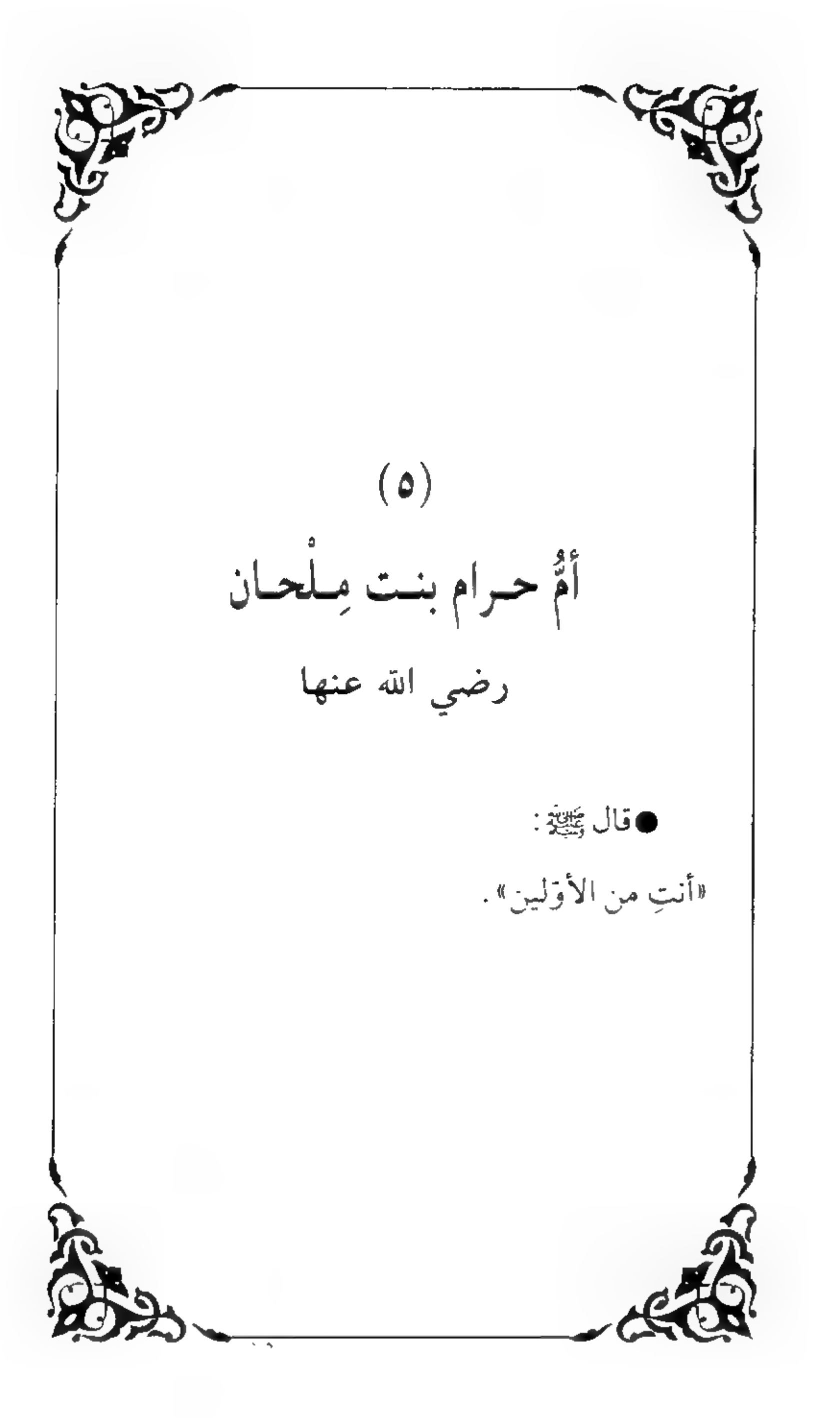
قالوا: هذه الغُميصاء بنت ملحان أمّ أنس بن مالك».

* * *

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٦٩).

(٢) انظر فقه السيرة للبوطي (ص ١٨٨ و١٨٩ و١٩٠).

(٣) الإصابة (٤/ ٤٧٣)، وانظر في هذا تفسير ابن كثير للآية (١٢) من سورة الممتحنة.



(٥)

أمُّ حرام بنت مِلْحان

رضي الله عنها

● قال ﷺ :

«أنتِ من الأوّلين».

«أولـئكَ هُـمُ الـفَـائِـزون»:

● آلُ مِلْحان الأنصار مِنَ الصّحابة الأخيار الذين تذوقوا حلاوةَ الإيمان؛ فسَرتْ في نفوسهم محبّةُ الله ورسوله، وتغذّوا بلبان الإسلام، فعاشوا سعداء في حياتهم ـ وسينالون ـ بإذن الله ـ حسن الثواب في الدار الآخرة، فهم من السّابقين الأولين إلى الإسلام.

هؤلاء الفائزون بالإيمان، ساهموا ـ رجالاً ونساء ـ في مجالات الخير جميعها مِنْ جهادٍ وعلْمٍ وإيثار وكرم وغير ذلك، وجعلوا نصْبَ أعينهم الفوز بمرضاة الله عزَّ وجلَّ ومرضاة رسوله ﷺ.

● ومن هؤلاء الفائزين بالرضوان: حرام[1] وسليم ابنا ملحان، شهدا بدراً وأحداً وبئر معونة، وقُتلا يومئذ شهيدين، ووقع أجرهما على الله عزَّ وجلَّ.

● وأختاهما: أمّ سُلَيم وأمّ حرام بنتا ملحان، صاحبتان جليلتان مِنْ علية النّساء اللاتي زكتْ نفوسهن بصحبةِ النّبي ﷺ، فكنَّ قدوة حسنة لنساء الإسلام.

● وحديثنا اليوم عن أمّ حرام بنتِ ملْحان بن خالد الأنصارية النّجارية[2]، التي تركت أثراً نبيلاً في عصر النّبوة، ما تزال مآثره باقية إلى الآن.

---

(١) في سرية قوامها سبعون رجلاً من خيار المسلمين كان ابنا ملحان فيها، وقد بعثهم رسول الله ﷺ على طلب من عامر بن مالك ليدعوهم إلى الإسلام، فلما نزلوا بئر معونة، غدرتْ بهم قبائلُ بنو سُليم: عُصَيّة ورِعْل وذَكْوان وقتلوهم عدا كعب بن زيد رضي الله عنه، أمّا حرام بن ملحان فقد أسلم قاتله وهو جبار بن سلمى إذْ طعنه برمح خرج من صدره فقال حرام: فُزْتُ وربِّ الكعبة. ولما علم جبار بمعنى الفوز وهو الشهادة أسلم وكانت كلمة حرام رضي الله عنه سبباً لإسلام جبار. (البخاري ملخصاً من باب غزوة الرجيع).

(٢) تاريخ دمشق ـ تراجم النساء ـ (ص ٤٨٦)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٦٢).

● وأمُّ حرام هذه؛ خالة الصَّحابي المشهور أنس بن مالك رضي الله عنه، وهي زوج الصَّحابي الجليل عُبادة بن الصَّامت[1] رضي الله عنه، كما أنَّها إحدى خالات رسول الله ﷺ من جهة الرَّضاع[2].

زيَـارةٌ ودُعَـاءٌ وبـشَارةٌ:

● عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكباً أو ماشياً، فيُصلِّي فيه ركعتين[3].

● وفي قباء[4] بُني المسجدُ الذي أُسس على التقوى الذي نزلت فيه الآية الكريمة: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ [التوبة: ١٠٨][5].

● وفي هذه البقعة المباركة ـ قباء ـ كانت أمُّ حرام تقيمُ فيها وتُعَدُّ مِنْ أهلها، وكان لها منزلةٌ معتبرةٌ عند رسول الله ﷺ، فقد ورد أنَّه كان يكرمها ويزورها في بيتها ويقيل عندها[6]، ويصلِّي أحياناً.

● أخرج مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: دخل النَّبي ﷺ علينا،

---

(١) عبادةُ بن الصامت بن قيس، أبو الوليد، الأنصاري الخزرجي: صحابي جليل، من الموصوفين بالورع والفقه، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وشهد بدراً وأُحداً والخندق وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد. له (١٨١ حديثاً)، وهو ممن جمع القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ، شهد فتح مصر، وأقام بحمص. وهو أول منْ ولي قضاء فلسطين، مات في الرملة سنة (٣٤هـ) رضي الله عنه.
(تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٥٦ و٢٥٧)، و(الأعلام ٣/ ٢٥٨)

(٢) السّيرة الحلبية (٣/ ٧٣).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٢٧).

(٤) «قباء»: قرية على ميلين من المدينة المنورة (معجم البلدان ٤/ ٣٠٢)

(٥) انظر تفسير ابن كثير للآية (١٠٨) من سورة التوبة، وانظر كذلك تفسير الخازن (٣/ ١٤٩).

(٦) الاستيعاب (٤/ ٤٢٤)، وأسد الغابة (٥/ ٥٧٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٣١٧).

وما هو إلا أنا وأمّي وأمُّ حرامٍ خالتي، فقال: «قوموا فلأصلّي بكم» - في غير وقت صلاة - فصلّى بنا، ثم دعا لنا أهل البيت لكلِّ خيرٍ من خير الدُّنيا والآخرة[1].

● وفي واحدة من الزِّيارات النّبوية لأمِّ حرام، صنعتْ له طعاماً، فأطعمته، ثم جلستْ تفلّي[2] رأسه الشَّريف، فنام ثم استيقظ وهو يضحك وبشّرها بالشَّهادة، حتى أضحت تُدعى الشَّهيدة[3].

أُمُّ حَـرام والـهَـدي الـنَّـبويُّ:

● هذه الصَّحابية الجليلةُ منْ فضليات النِّساء ممَنْ لهن اليد الطُّولى في تشييد قصور المحامد، وإيجاد صالحات الأعمال، وكنَّ المثل الأعلى في مضمار الفضائل.

●وأُمُّ حرامٍ رضي الله عنها قد أبدعتْ في مجالاتٍ كريمةٍ لا تُحصى، مِنْ أبرزها حبُّ الشَّهادة في سبيل الله عزّ وجلّ والكرم، والإيثار، أضفْ إلى ذلك أنّها راوية للحديث النّبوي الشَّريف، روتْ عن النَّبي ﷺ خمسة أحاديث، وروى عنها أجلاء الصَّحابة والتَّابعين، ومن مروياتها ما أورده ابنُ عَسَاكر[4]

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٢٨).

(٢) «تفلي» تفتش شعره لتستخرج هوامه، فهي منه ذات محرم من قبل خالاته؛ لأن أم عبد المطلب كانت من بني النجار.

(٣) وهناك صحابية أخرى بشرها رسول الله ﷺ بالشهادة فكانت تدعى الشهيدة وهي أم ورقة الأنصارية.

(٤) ابن عساكر: الإمامُ الكبير، حافظ الشّام، بل حافظ الدنيا، الثّقةُ الثّبتُ، الحجة، أبو القاسم عليُّ بن الحسين بن هبة الله الدّمشقيّ الشّافعي. وُلد سنة (٤٩٩هـ) ورحل إلى بغداد والكوفة ونيسابور، ومرو، وهرَاة وغيرها. وعدد شيوخه (١٣٠٠) شيخ ونيف وثمانون من النّساء، صنّف تاريخ دمشق، وأطراف السُّنن الأربعة، وفضل أصحاب الحديث، وتاريخ المِزَّة وغيرها. قال عنه السُّيوطي: كان من كبار الحفاظ المتقنين، ومن أهل الدِّين والخير، غزير العلم، كثير الفضل، جمع بين معرفة المتن والإسناد. وقال ابن النجار: هو إمام المحدثين في وقته، انتهت إليه =

رحمه الله بسنده عنها أنَّها سمعتْ رسول الله ﷺ يقول:

«أول جيش مِنْ أمَّتي يغزون البحر قد أوجَبُوا» ـ وجبت لهم الجنَة ـ.

قالت أمُّ حرام: يا رسول الله أنا فيهم؟

قال: «أنتِ فِيهم»[1].

● وباتتْ أُمُّ حرام رضي الله عنها تنتظرُ ركبَ الغزاة لتكون معهم، وتوفي رسول الله ﷺ، وهو راضٍ عنها، ولم تزلْ تنتظر البشارة النَّبوية إلى أنْ تحققت في وقت غير بعيد.

«أَنْـتِ مِـنَ الأَوَلـيْـنَ»:

● في خلافةِ عثمان بن عفَّان رضي الله عنه اتسعتِ الفتوحات الإسلامية على اليابسة اتساعاً كبيراً، غير أنَّ الخليفةَ عثمان رأى أَنْ هجمات الرُّوم كانت تنطلقُ مِنْ جزيرة قُبْرص[2] على أساطيلَ بحريةٍ، فقرَّرَ غَزْوَها.

● ويستوقفنا سؤال: كيف سيحارب المسلمونَ الرُّوم، وهم لم يجربوا ركوبَ البحر منْ قبلُ؟!.

● وعقد سيِّدُنا عثمان مجلساً للشُّورى في هذا الأمر، وخرج بقناعة لغزو قبرص، وكان ما أراد، إذ شهدت البحريةُ الإسلامية ميلادها للمرةِ الأولى عقب المجلسِ ذاك.

وأذنَ سيِّدُنا عثمان لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أَنْ يركبَ البحر ويغزو الجزيرة ـ قبرص ـ فأبحر إليها من الشَّام وكتَبَ الله النَّصر للمسلمين، فاستسلمتِ الجزيرة، ووقعتِ الصُّلحَ الذي فرضه المسلمون.

= الرياسة في الحفظ والإتقان والثقة والمعرفة التامة، وبه خُتم هذا الشأن، مات في (١١) رجب سنة (٥٧١هـ). (طبقات الحفاظ ص ٤٧٦ و٤٧٧)

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، وانظر الحلية (٢/ ٦١)، وتاريخ دمشق (ص ٤٨٦) تراجم النساء.

(٢) ورد في معجم البلدان اسم قبرص ـ بالسين ـ قبرس ـ بدلاً من الصاد

● وفي هذه الغزوة كانت أمُّ حرامٍ في عداد المجاهدين. وحظيت بالشّهادة، وبذلك تحققتْ نبوءة رسول الله ﷺ لها، وحديثُ استشهادها رواه السِّتة في كتُبِهم، كما ذكرته كتُبُ السِّيرة والتّراجم والطَّبقات؛ فقد أخرج الترمذي[1] رحمه الله بسنده عن أنس رضي الله عنه قال:

كان رسولُ الله ﷺ يدخل على أمِّ حرام بنت ملحان فتُطْعمه، وكانت أمُّ حرام تحت عبادة بن الصَّامت، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوماً فأطعمته، وجلستْ تفلّي رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك.
قالت: فقلتُ: ما يضحكك يا رسول الله؟.

قال: «ناسٌ مِنْ أمتي عُرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله يركبون ثَبَجَ ـ وسْطَ ـ هذا البحر ملوكٌ على الأسرَّة أو مثل الملوك على الأسِرَّة».

قلتُ: يا رسول الله، ادعُ الله أَنْ يجعلَني منهم، فدعا لها ثم وضعَ رأسه فنام، ثم استيقظَ وهو يضحك.

قالت: فقلتُ: ما يضحكك يا رسول الله؟

قال: «ناس منْ أمتي عُرضوا عليّ غزاة في سبيل الله» نحو ما قال في الأول.

قالت: فقلتُ: يا رسول الله ادعَ الله أَنْ يجعلَني منهم.

قال: «أَنْت مِن الأَولين».

---

(١) الترمذي: محمّد بن عيسى بن سَوْرَة بن الضّحاك السُّلميّ، أبو عيسى، صاحب السُّنن، والعلل، الضّرير الحافظ العلاّمة، طاف البلاد وسمع خلائق، ذكره ابن حبان في الثّقات وقال: كان ممن جمع وصنّف وحفظ وذاكر. وقال أبو سعد الإدريسي: كان أحد الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث؛ وصنَّف كتبه تصنيف رجلٍ عالم متقن وكان يُضرب به المثل في الحفظ. وهو تلميذ البخاري، وشارك في بعض شيوخه. وقيل: إنّه ولد أكمه ـ أعمى ـ، وقد وُلد الترمذي سنة (٢٠٩هـ) وتوفي بترمذ سنة (٢٧٩هـ) وله سبعون سنة رحمه الله تعالى. (شذرات الذهب ٣/ ٣٢٧ و٣٢٨) و(طبقات الحفاظ ص ٢٨٢).

قال: فركبتْ أمُّ حرامِ البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان فصُرعتْ عن دابتها حين خرجتْ منَ البحر فهلكت[1].

● وهكذا كانت أمُّ حرام من الأولين، وتحققتْ أحلامُها بالشَّهادة، وكتِبتْ في سجلّ الأوائل.

● فهي أول مجاهدةٍ في البحر.

● وأولُ مَنْ غزا في البحر الأبيض من النِّساء.

● وأول صحابية تحظى بالشَّهادة في سبيل الله عزّ وجلّ بعد غزوة البحر هذه.

● ولله درّ أبي نعيم عندما وصفها بقوله: حميدة البرّ، شهيدة البحر، التَّوَّاقة إلى مشاهدة الجنان، أمّ حرام بنت ملحان رضي الله عنها.

المَـرأةُ الصَّـالحَــةُ:

● قال الشاعر:

ولا شـــيء يـــدومُ فكـــنْ حـــديثـــاً
جميـــل الـــذِّكـــر فـــالـــدُّنيـــا حـــديـــثْ

● وأمُّ حرام رضي الله عنها ممنْ يطيبُ الحديث بذكرها في حياتها وبعد موتها، حيث حباها الله سبحانه بمكارم جمة بعد أنْ استشهدت؛ منهم من ذكره هشام بن الغاز فقال: قبرُ أُمِّ حرامِ بنت ملحان بقبرس، وهم يقولون: هذا قبرُ المرأةِ الصَّالحة[2].

● وقال أيضاً: رأيتُ قبرها ووقفتُ عليه بالسَّاحل بقاقيس سنة إحدى وتسعين.

● ومما يُضاف إلى مكارم أمِّ ملحان أنَّ قبرها تزوره الفِرَنْجُ، ويقولون:

---

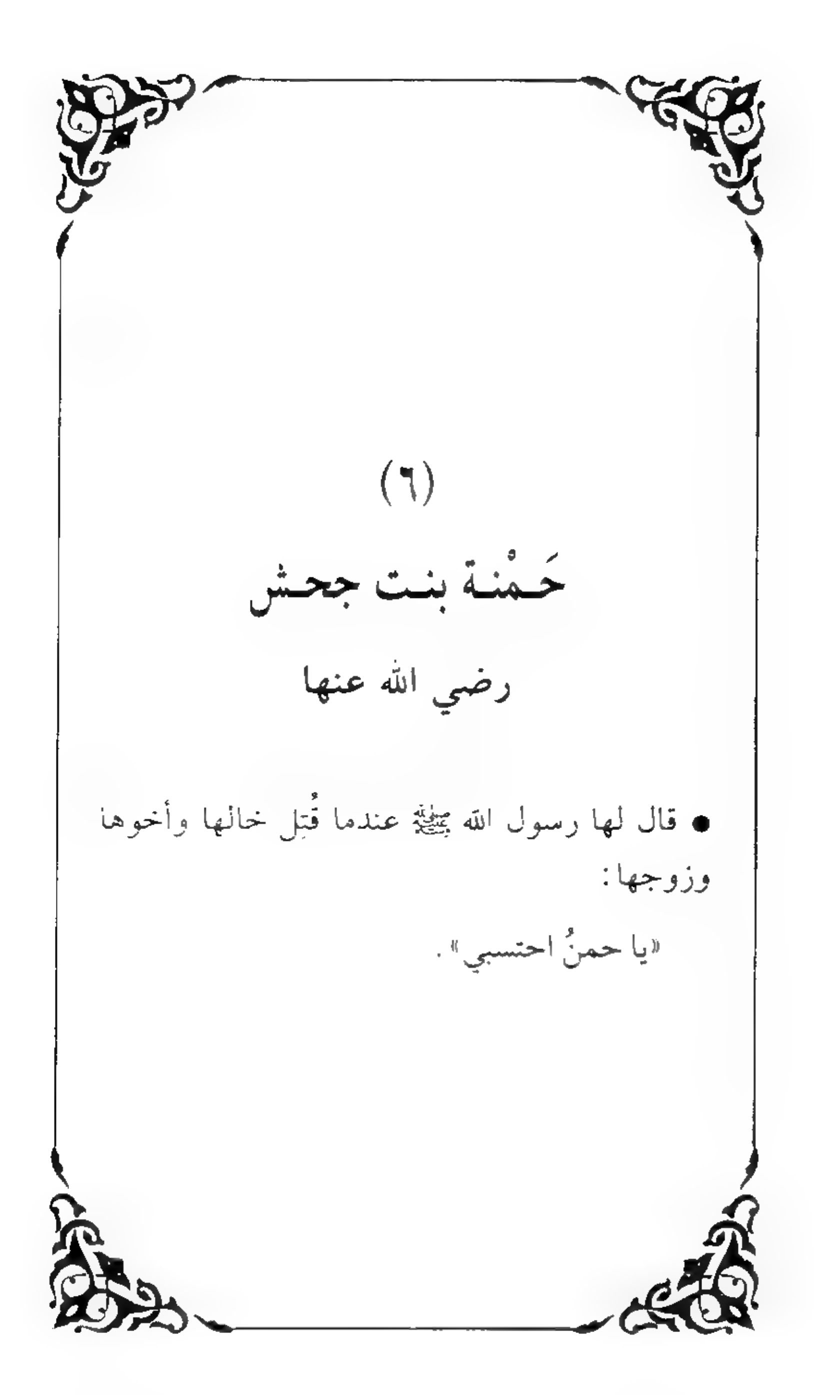
(١) سنن الترمذي (١٦٤٥)، وانظر نسب قريش (ص ١٢٤ و١٢٥)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٧١٢).

(٢) تاريخ دمشق (ص ٤٩٦) تراجم النساء.

هذا قبرُ المرأة الصَّالحة، وورد أيضاً أنَّهم يستسقُون به؛ واستشهدت أمُّ حرام سنة (٢٧ هـ).

● رضي الله عن أم حرام بنت ملحان، وجعلها مع الأولين، في الفِردوسِ الأعلى.

* * *



(٦)

حَمْنة بنت جحش

رضي الله عنها

● قال لها رسول الله ﷺ عندما قُتِل خالها وأخوها وزوجها:

«يا حمنُ احتسبي».

زَوْجُ السَّفير النَّبويّ:

● مصعبُ بنُ عمير رضي الله عنه سفيرُ النّبي ﷺ إلى الأنصار في المدينة، فسجّل أعظم نجاح في تاريخ البشرية؛ وقبل أنْ نتحدث عن زوجه، دعونا نعطر الأجواء ونؤنس القلوب بذكر مصعب الخير عليه سحائب الرضوان.

● كان مصعبُ فتى مكة شباباً وجمالاً، وكان أبواه يحبّانه حباً يفوق كلَّ تصور، فقد كانت أمُّه خُناس بنت مالك كثيرة المال؛ تكسوه أحسن ما يكون من الثّياب، وكان مصعب أعطر أهل مكة، ويلبس الحضرمي ـ نسبة لحضرموت ـ من النّعال، وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: «ما رأيتُ بمكة أحداً أحسنَ لِمَّة، ولا أرقَّ حُلةً، ولا أنعم نعمةً مِنْ مصعب بن عمير».

● هذا هو مصعب، لقد بلغه أنّ رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام في دارِ الأرقم بن أبي الأرقم، فدخل عليه فأسلم وصدّقَ به، وأضحى ممن تربَّوْا في مدرسة النُّبوة، وصُنِعُوا على عيني رسول الله ﷺ، فغدَوْا سادة الدنيا، وغدا مصعب سفير رسول الله ﷺ.

● هذا الصّحابي النَّجيب هو زوج حمنة بنت جحش بنت رياب الأسدية[1] التي نصحب سيرتها في هذا اللقاء، وما أحلاها من سيرةِ صحابيةٍ مجاهدةٍ صابرةٍ كريمة.

● وحمنةُ ذات صلة قرابة برسول الله ﷺ، فهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب، وأخت زوجه زينب[2] أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها.

في طَليعَةِ السَّابقَاتِ:

● كانتْ حمنةُ في الثُّلة الأولى من نساء الصَّحابة ممَنْ أسلمن مع المبكرين، وكان أهلُ حمنةَ مسلمين، وعندما اضطهدتهم قريش وظلمهم

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٤١)، والاستيعاب (٤/ ٢٦٢)، وجمهرة أنساب العرب (١/ ١٩١).
(٢) اقرأ سيرتها في كتابنا «نساء مبشرات بالجنة» (١/ ٢٤٣).

المشركون هاجروا جميعاً إلى المدينة رجالاً ونساءً، فمن رجالهم: عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد، وعكاشة بن محصن[1]؛ ومن نسائهم زينب بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وجذامة بنت جندل، وأمُّ قيس بنت محصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وضيفتنا حمنة رضي الله عنهن جميعاً[2].

● وفي المدينة كانت حمنة كغيرها من المؤمنات تقوم بما يرضي الله عزّ وجل، وتنهل من المعين النَّبوي، وتقتبسُ من أخلاق زوجها ومن شمائله ما يزيدها مكانةً ورفعةً، وقد ولدت له ابنته زينب بنت مصعب[3].

● ولما بدأت مغازي رسول الله ﷺ، كان لحمنة المواقف المحمودة التي تشهد بفضلها وتزيد في رصيدها.

«يا حَـمْـنُ احْتسبــي»:

● في غَزَاة أُحُد، خرجتْ حمنة بصحبةِ المجاهدين مع ثلة النِّساء، لتقومَ بواجبها، ذكرَ شاهدُ عيان دور حمنة في أحد، والشَّاهد هو كعب بن مالك[4] رضي الله عنه قال: رأيتُ أُمَّ سُليمٍ بنت ملحان، وعائشة ـ أم المؤمنين ـ على ظهورهما القرب يحملانها يوم أحد، وكانت حمنةُ بنت جحش تسقي العطشى وتداوي الجرحى، وكانت أمُّ أيمن تسقي الجرحى[5].

---

(١) اقرأ سيرة عكاشة بن محصن في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة» (٢/ ١٥٣) ففيه خير كثير بإذن الله.

(٢) السيرة النبوية (١/ ٤٧٢)، ودر السحابة (ص ٥٥٦)

(٣) الطبقات (٣/ ١١٦)، وأنساب الأشراف (١/ ٤٣٧)

(٤) كعبُ بنُ مالك بن عمرو الأنصاري الخزرجيّ السَّلَمِي ـ أبو عبد الله ـ صحابيّ جليل، شهدَ العقبةَ وأحداً وسائر المشاهد إلا بدراً وتبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية. روي له ثمانون حديثاً عن النبي ﷺ، وهو أحد شعراء رسول الله ﷺ وكانوا ثلاثة: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك. توفي كعب بالمدينة سنة (٥٣هـ) رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٦٩).

(٥) المغازي (١/ ٢٤٩ و٢٥٠)، ودر السحابة (ص ٥٥٦).

● ويوم أحد، اتخذ الله عزّ وجلَ مصعبَ وسبعينَ من المؤمنين شهداء، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا..﴾[1]، وفي هذه اللحظات أقبلت حمنة رضي الله عنها، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا حمن احتسبي».

قالت: مَنْ يا رسول الله؟

قال: «خالكِ حمزة».

قالت: إنّا لله وإنا إليه راجعون، غفرَ الله له ورحمه، هنيئاً له الشَّهادة.

ثم قال لها: «احتسبي».

قالت: من يا رسول الله؟

قال: «أخوك».

قالت: إنّا الله وإنا إليه راجعون، غفرَ الله له ورحمه، هنيئاً له الجَنة.

ثم قال لها النَّبي ﷺ: «احتسبي».

قالت: مَنْ يا رسول الله؟

قال: «بعْلُك مصعب بن عمير».

فصاحتْ وولْولت وقال: واحزناه.

فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ للزوجِ من المرأة مكاناً ما هو لأحد». وذلك لما رأى ﷺ من تثّبتِها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها.

ثم قال لها رسول الله ﷺ: «لمَ قلتِ هذا؟».

قالت حمنة: يا رسول الله ذكرتُ يُتْمَ بنيه فراعني.

فدعا رسول الله ﷺ أنْ يُحسنَ عليهم مِنَ الخَلَف، فتزوجتْ طلحة بن

---

(١) من الآية (٢٥) من سورة الأحزاب.

عبيد الله[1] رضي الله عنه، فولدتْ له محمَّد بن طلحة، وكان أوصل النّاس لولده[2].

● وتابعت حمنة رضي الله عنها رحلة الجهاد، فخرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر؛ ولما فرغ عليه الصَّلاة والسَّلام من فتحها، أطعمها ثلاثين وسقاً[3].

سَمِّهِ يا رسولَ الله:

● ذكرتِ المصادر أَنَّ حمنة رضي الله عنها، لما ولدت ابنها محمّد بن طلحة، جاءت به إلى رسول الله ﷺ فقالت: سَمِّه يا رسول الله.

فمسحَ النَّبي ﷺ برأسه وسمّاه محمّداً وكناه أبا القاسم[4]. ويُقال لمحمد هذا: السَّجّاد لكثرة سجوده، وكان زاهداً عابداً صالحاً، قُتل في وقعة الجمل

---

(١) من التوفيقات المباركة لطلحةَ رضي الله عنه ما ذكره ابن السّكن حيث قال: إنَّ طلحة ابن عبيد الله رضي الله عنه تزوّجَ أربع نسوة، عند النبي ﷺ أخت كلٍّ منهن
أم كلثوم بنت أبي بكر أخت عائشة أم المؤمنين.
وحمنة بنت جحش أخت زينب أم المؤمنين.
والفارعة بنت أبي سفيان أخت أم حبيبة أم المؤمنين.
ورقية بنت أبي أمية أخت أم سلمة أم المؤمنين. رضي الله عنهن جميعاً
(الإصابة ٢/ ٢٢١).

(٢) عن المغازي (١/ ٢٩١ و٢٩٢)، والسيرة النبوية (٢/ ٩٨) بتصرف يسير. وللحديث أصل في سنن ابن ماجه (١٥٩٠).

(٣) السيرة النبوية (٢/ ٣٥٢)، والطبقات (٨/ ٢٤١).

(٤) من الفوائد الهامة في هذا الباب، ما ذكره راشد بن حفص الزُّهري قال: أدركتُ أربعةً من أبناء الصَّحابةِ، كلُّ واحدٍ منهم يُسمى محمّداً ويكنى أبا القاسم وهم:
محمّد بنُ أبي بكر الصِّدِّيق.
ومحمّد بن علي بن أبي طالب.
ومحمَّد بن سعد بن أبي وقاص.
ومحمّد بن طلحة بن عبيد الله. رضي الله عنهم جميعاً. (الإصابة ٣/ ٣٥٧) بشيء من التصرف.

في جمادى الأولى سنة (٣٦هـ) رضي الله عنه وعن أبيه وأمه. وولدت حمنة لطلحة أيضاً ابنه عمران بن طلحة رضي الله عنهم جميعاً[١].

من فضَائِلِها:

● لحمنة فضائل كثيرة، منها رواية الحديث، فقد روت عن النَّبي ﷺ، وروى عنها ابنها عمران بن طلحة بن عبيد الله.

● ولحمنة فضيلة باهرة، خصَّتْها أختها زينب أمُّ المؤمنين بها، فقد وَرَدَ أَنَّ زينبَ لما حضرتها الوفاة قالت: إنِّي أعددتُ كفَني، وإنَّ عمر سيبعثُ إليَّ بكفن، فتصدقوا بأحدهما، فلما توفيتْ أرسلَ عمر رضي الله عنه بخمسة أثواب، فكفنتْ منها، وتصدَّقتْ حمنةُ بكفنها الذي أعدته[٢]، وبذلك نفذَّت وصية أختها رضي الله عنهما.

● وعاشت حمنة رضي الله عنها حميدةً، تتابعُ عبادتها وطاعتها لله عزَّ وجلَّ، وقد توفيَ رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنها وعن زوجها.

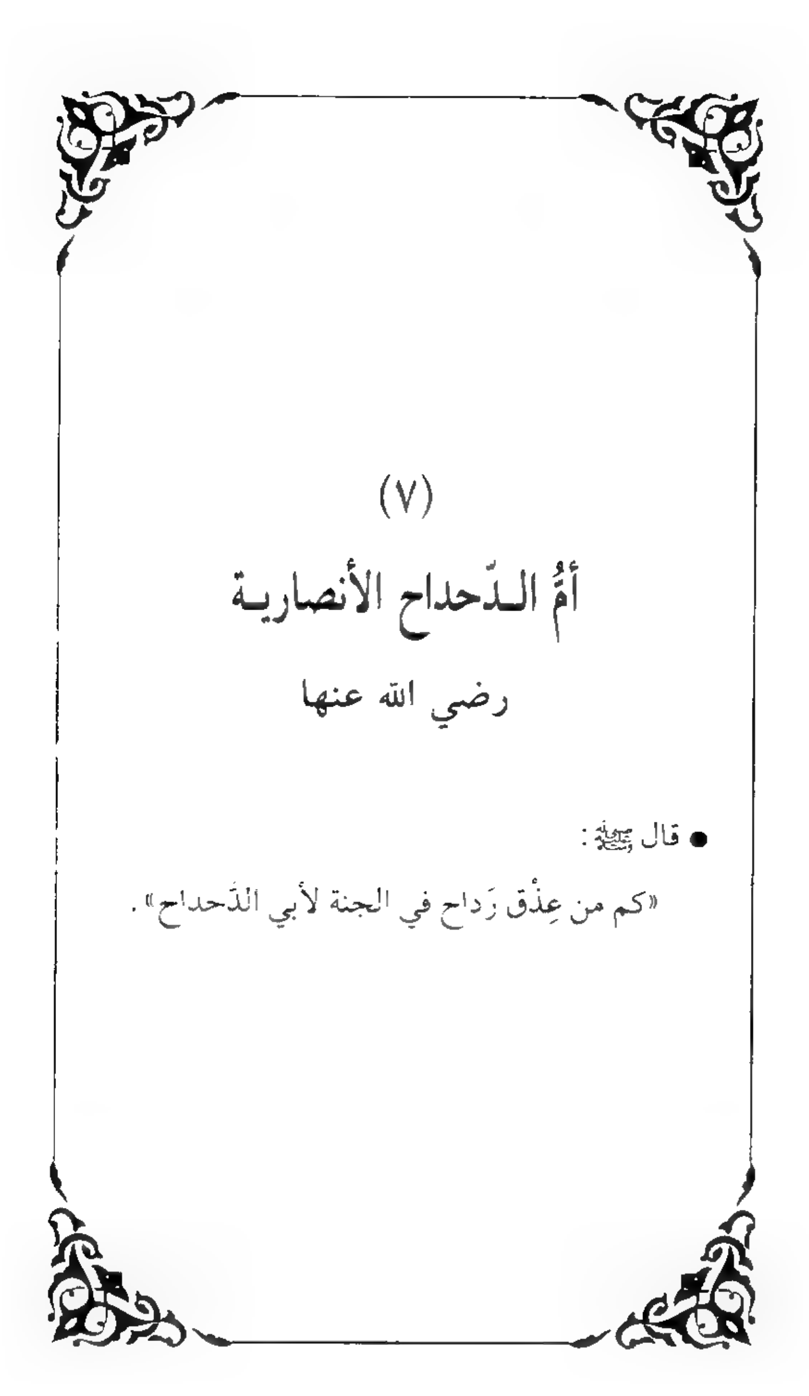
● وتشيرُ أخبار حمنة إلى أَنَّها عاشتْ إلى ما بعد سنة عشرين من الهجرة، لأنَّ وفاة أختها زينب أم المؤمنين كانت في سنة عشرين من الهجرة.

● وبعد، فهذه نفحاتٌ ولمحات من سيرة صحابية مجاهدة صابرة محتسبة كانت ترجو الله واليوم الآخر؛ فحظيتْ بالرِّضوان، وفازت بمرضاة الله سبحانه وتعالى.

● وقبل أن نودِّعَ سيرة حمنة رضي الله عنها، تعالوا نتلو قول الله عزَّ وجل في حسن جزاء الصابرين: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[٣] صدق الله العظيم.

---

(١) الطبقات (٥/١٦٦)، وجمهرة أنساب العرب (١/١٣٨).
(٢) أنساب الأشراف (١/٤٣٥)، والإصابة (٤/٣٠٨).
(٣) الآيتان (١٥٦ و١٥٧) من سورة البقرة



(٧)

أمُّ الدّحداح الأنصاريـة

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«كم من عِذْق رَداح في الجنة لأبي الدَّحداح».

حَـلاوةُ الإيمَـان:

● هذه امرأةٌ من نساءِ الأنصار، سجّلتْ موقفاً رائعاً في الإيثار يتألَّقُ روعةً، ويجعلها في مقدمةِ النِّسوة اللواتي تذوَّقْنَ حلاوة الإيمان من أولِ يوم سطع فيه نورُ الإسلام في المدينة المنورة.

● إنّها الصّحابية الكريمة أمُّ الدَّحداح الأنصارية[1].

أيّن يعرفُ هذه الصَّحابية؟.

وأيّنا سمع بها من قبلُ؟

أعتقد أنّ سيرتَها تخفى على كثير من النَّاس إنْ لم نَقُلْ جميعهم.

● إنّها واحدة من صحابيات رسول الله ﷺ اللاتي لهن دور جليل في تاريخ الإسلام، ولكنّها لم تحظَ بالشُّهرة الكبيرة، ولم تنلْ ما تستحقه من اهتمام الكتّاب والباحثين، فهي واحدة ممن آثرن نعيم الآخرة المقيم على متاع الدُّنيا، ورغبن في مرضاة الله عزّ وجلّ، ومرضاة رسوله ﷺ.

● فتعالَ ـ أخي الكريم ـ نَسْعَ إلى معرفة أخبار هذه الصّحابية التي صاغها الإسلام ونشأت في مدرسة النبوّة الشّريفة.

أُمُّ الـدَّحْـدَاح وَرَكْـبُ الـسُّعَدَاءِ:

● منـذ أنْ قـدمَ مصعـب بـن عميـر رضـي الله عنـه المـدينـة سفيـراً لرسول الله ﷺ، أخذَ يفقِّهُ أهلها ويعرّفهم بالإسلام، فبدؤوا يدخلون في دينِ الله أفواجاً، وأخذ مصعب رضي الله عنه يعدّ المدينة المنورة ليوم الهجرة العظيم، وهبّت رياحُ الإيمان تغمر المدينة بأريجها المعطار.

وكان ممن ناله شرف الدخول في الإسلام ـ ليُسَجَّلَ في قائمة الخالدين ـ أسرة تسكن في إحدى نواحي المدينة المنورة، ولم تكن هذه الأسرة سوى

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٥٨٠)، والإصابة (٤/ ٤٢٩).

آسرةِ أمّ الدَّحْداح الأنصارية، التي أسلم جميع أفرادها، ومشوا في ركب السُّعداء.

● وقبل أنْ نعرض سيرة الصَّحابية أمِّ الدَّحداح، لا بدّ وأنْ نتعرف على بطاقةِ زوجها. فهو الصَّحابي الكريم أبو الدَّحداح ثابتُ بن الدحداح[1] ـ أو الدَّحداحة ـ بن نعيم بن غنم بن إياس حليف الأنصار[2]، وأحد فرسان مدرسة النُّبوة، وأحد التَّلامذة النُّجباء، والأتباع الأبرار الذين اقتدوا بالنَّبيِّ ﷺ، وساروا على نهجه، وبذلوا في سبيل مرضاته نفوسهم وأزواجهم وأموالهم، حتى نالوا رضوان الله عزّ وجلّ.

رَبِـحَ بَـيْـعُـكَ:

● منذ أنْ بايعَ الأنصار رسول الله ﷺ، عكفوا على قراءة آيات القرآن الكريم، يعمرون بها قلوبهم فهماً، ويستجيبون لما تدعو إليه عملاً، وهم في غبطةٍ بما تفيئه آياته الكريمة من سعادة في الدَّارَيْن.

● وكان أبو الدَّحْدَاحِ وزوجه أمُّ الدَّحداح ممن أشرقتْ نفوسهما بنور القرآن الكريم، وكان لأبي الدَّحداح أرض وفيرةٌ في مائِها غنيةٌ في ثمرِها، وكانت أمُّ الدَّحداح رضي الله عنها مِعْوَاناً لزوجها في أعمال الخير. فعندما نزل قول الله عز وجل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[3] بادر أبو الدَّحداح إلى التَّصدقِ بماله ابتغاء ثواب الله عزَّ وجلَّ، ومنْ ورائه زوجه تحضُّهُ على ذلك طمعاً بما وعد الله به عباده المؤمنين.

---

(١) الدحداح: من الرجال، القصير الغليظ البطن. الدحداحة: مؤنث الدحداح. (المعجم الوسيط).

(٢) الاستيعاب (١/١٩٧)، والإصابة (١/١٩٣). كان أصل ثابت بن الدحداح من بليّ ـ إحدى قبائل قضاعة ـ وجاء إلى المدينة، وحالف بني عمرو بن عوف الأنصار ـ من الأوس ـ.

(٣) الآية (٢٤٥) من سورة البقرة و(١١) من سورة الحديد.

● ذكر الإمام القُرطبي رحمه الله في تفسيره الجامع عن زيد بن أسلم[1] رحمه الله قال:

لما نزل ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ قال أبو الدَّحْداح: فداكَ أبي وأمّي يا رسول الله، إنَّ الله يستقرضُنا وهو غنيٌّ عنِ القرضِ؟.

قال: «نعم يريد أنْ يدخلَكم الجنَّة به».

قال: فإنّي إنْ أقرضتُ ربي قرضاً يضمنُ لي به ولصبيتي الدَّحداحة معي الجنَّة؟.

قال ﷺ: «نعم».

قال: فناولني يَدَك.

فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إنَّ لي حديقتين، إحداهما بالسَّافلة، والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى.

فقال رسول الله ﷺ: «اجعلْ إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك».

قال: فأشهدك يا رسول الله إنِّي جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمئة نخلة.

قال: «إذاً يجزيك الله به الجنَّة».

فانطلق أبو الدَّحداح حتى جاء أمَّ الدحداح، وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النَّخْل، فأنشأ يقول:

هداكِ ربّي سُبُلَ الرَّشَادِ
إلى سبيلِ الخيرِ والسَّدَادِ

---

(1) زيدُ بنُ أسلم العدويّ مولاهم الفقيه العابد، لقيَ ابن عمر وجماعة، وكان له حلقة للفتوى والعلم بالمدينة، وله تفسير للقرآن يرويه عنه ابنه عبد الرحمن، توفي سنة (١٣٦هـ) عن العبر (١/ ١٤١) وشذرات الذهب (٢/ ١٥٩).

بِبْنِي من الحائطِ بالوِدادِ
فقد مضَى قرضاً إلى التَّنادِ
أقرضْتُه الله على اعتمادي
بالطَّوْعِ لا مَنٍّ ولا ارتدادِ
إلا رجاء الضِّعْفِ في المعَادِ
فارتحلي بالنَّفْسِ والأولادِ
والبِرَّ لا شَكَّ فخيرُ زادِ
قدَّمه المرءُ إلى المعادِ

قالت أمُّ الدَّحْداح: ربحَ بيْعُك! بارك الله لك فيما اشتريت. ثم أجابته أمُّ الدَّحداح وأنشأت تقول:

بشَّركَ الله بخيرٍ وفَرحْ
مثلُك أَدَّى ما لديه ونصحْ
قد متَّعَ الله عيالي ومنحْ
بالعجوةِ السَّوداء والزَّهو البلحْ
والعبدُ يسعى وله ما قد كَدحْ
طولَ الليالي وعليه ما اجترحْ

ثم أقبلتْ أمُّ الدَّحداح على صبيانها تُخْرجُ ما في أفواههم، وتنفضُ ما في أكمامهم حتى أفضتْ إلى الحائطِ الآخر.

فقال النَّبيُّ الكريم ﷺ:

«كم من عِذْقٍ رَدَاحٍ في الجنَّةِ لأبي الدَّحْداحِ»[1].

● فكانت تُرجى لأبي الدَّحداح الشَّهادة في سبيل الله عزَّ وجل لقوله ﷺ:

---

(1) اقرأ القصة في تفسير القرطبي (٣/ ٢٣٨ و٢٣٩)، وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٩٩ و٤/ ٣٠٧)، وتفسير الخازن (١/ ٢٥٢)، وانظر الاستيعاب (٤/ ٦١)، وصفة الصفوة (١/ ٦١٧ و٦١٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٢٨)، ودر السحابة (ص ٤٢٢)، والحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٦٤١٤).

«كم من عذقٍ رداح في الجنّة لأبي الدّحداح». وكان ذلك، فاستشهد بأُحُد رضي الله عنه.

زَوْجُ الشَّهِيْد:

لما كانت غزاةُ أُحُد[1] ودّعَ أبو الدّحْداحِ زوجَه أُمَّ الدَّحداح، وانطلقَ مع المجاهدين إلى لقاء المشركين، ولما انكشفَ المسلمون، ثبتَ أبو الدَّحداح مع ثُلّة من الأنصار وقاتل حتى نال الشّهادة، وقد ذكر ابنُ عبد البر ـ رحمه الله ـ هذا فقال:

● أقبل ثابتُ بن الدّحداحةِ يومِ أُحد، والمسلمون أَوْزَاعٌ ـ متفرقون ـ قد سُقِطَ في أيديهم، فجعل يصيحُ: يا معشر الأنصار، إليَّ إليَّ، أنا ثابتُ بنُ الدّحداحة، إن كان محمَّد ﷺ قد قُتل، فإنَّ الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم، فإنَّ الله مظهركم وناصركم. فنهض إليه نَفَرٌ من الأنصار، فجعل يحملُ بمَنْ معه منَ المسلمين، وقد وقفتْ له كتيبة خَشْنَاء ـ كثيرة السِّلاح ـ فيها رؤساؤهم، خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعِكْرِمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب[2]، فجعلوا يناوشونهم، وحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فطعنه فأنفذه فوقع شهيداً، وقُتِلَ مَنْ كان معه من الأنصار[3].

---

(1) أُحُد: بضم الهمزة والحاء: جبل بجنب مدينة رسول الله ﷺ على نحو ميلين، وكانت غزوة أحد يوم السبت لإحدى عشرة خلت من شوال، على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وفي الصحيح «أحد جبل يحبنا ونحبه». عن تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٧).

(2) ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشيّ الفِهْريّ، كان أبوه الخطاب رئيس بني فهر في زمانه، كان ضرارُ فارساً من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المجودين: شهد أحداً والخندق مع المشركين، وهو أحد الأربعة الذين وثبوا الخندق. أسلم يوم فتح مكة، وقد اشتهر إسلامه. شهد اليمامة وشهد فتوح الشام مع أبي عبيدة رضي الله عنهما. أسد الغابة (٣/ ٤٠).

(3) الاستيعاب (١/ ١٩٧ و١٩٨)، وأسد الغابة (١/ ٢٢١)، والسيرة الحلبية (٢/ ٥٠٣ و٥٠٤)، والمغازي (١/ ٢٨١).

● ماذا تفعل مَنْ أتاها خبر موت زوجها؟.

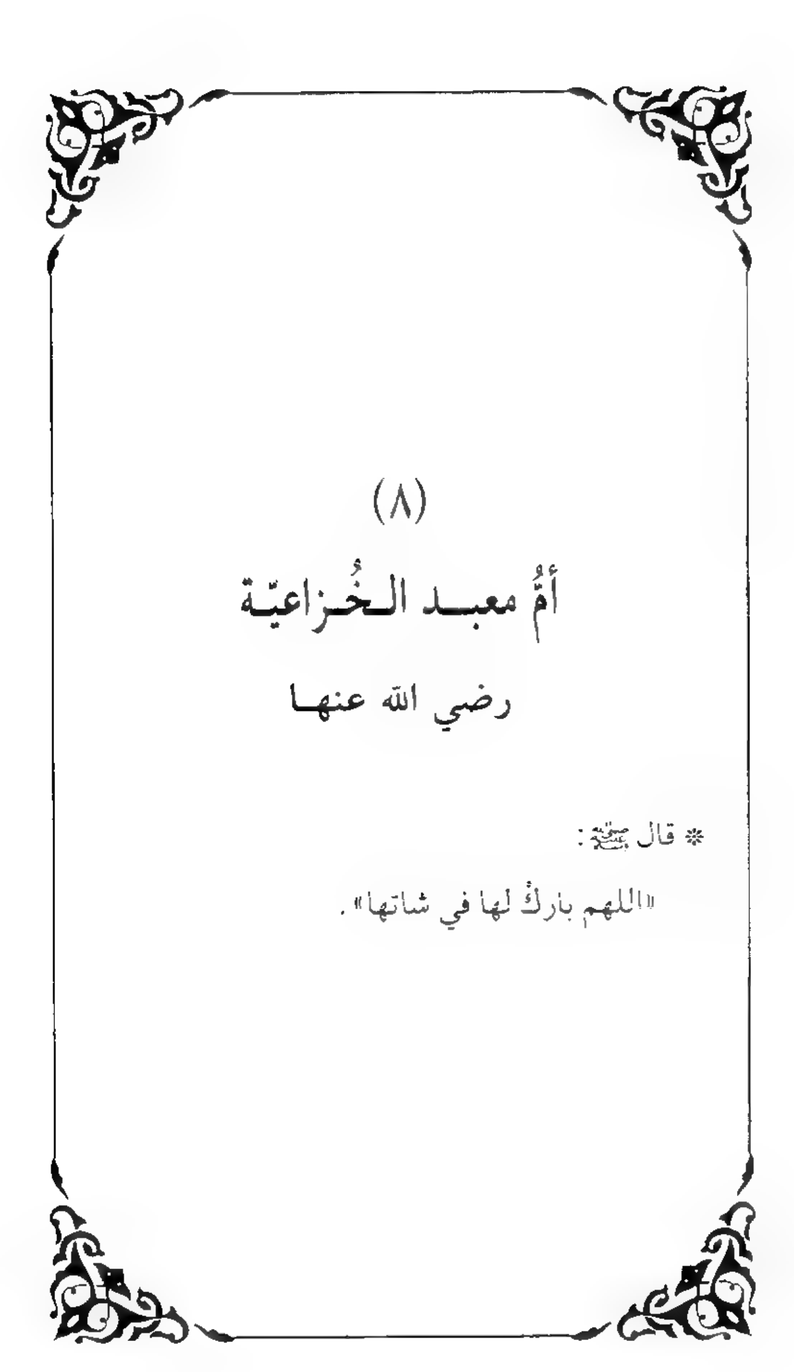
وصل نبأ استشهاد أبي الدَّحداح رضي الله عنه إلى أسماء زوجه أمّ الدَّحداح رضي الله عنها، فلم تلطُم، ولم تشقَّ ثوبها، ولم تعفر رأسها بالتراب، وإنَّما كبَّرتْ واسترجعتْ واحتسبته عند الله عزَّ وجلَّ. لأنَّها تعلم بأنَّه نال شرفاً عظيماً، وحظيَ بمرضاة الله عزَّ وجلَّ، وهو حيٌّ مع الشُّهداء في جنانِ الخُلْد. وغمر أمَّ الدَّحداح السُّرور عندما علمت أنَّ النبيَّ ﷺ قد عاد سالماً من أحد، لأنَّها تعرفُ أنَّ كلّ مصيبةٍ بعد سلامةِ رسول الله ﷺ هيِّنة.

● هذه هي أمُّ الدحداح الأنصارية، التي رضيتْ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، وهي واحدة من نسوة خرجن أبطالاً فتحوا العالم ونشروا الفضائل، فيا حبذا اقتداءَ النِّساء بفعلها في استرخاص الدُّنيا الزَّائلة في سبيل مرضاة الله عزَّ وجلَّ، وتربية أبناء هدفهم التَّأسي برسول الله ﷺ وصحابته الكرام.

● ولله درّ الصَّحابية الجليلة أمُّ الدَّحداح التي تركت أجمل صور الكرم، وأروع آيات الصَّبر؛ وظلت البشارة النّبوية ماثلة أمام عينيها «كم من عِذْق رَدَاحٍ في الجنَّة لأبي الدَّحداح».

● رضي الله عن أمِّ الدَّحداح، ونضَّر قبرها، وجعلها مع الذين أنْعم عليهم.

* * *



(٨)

أمُّ معبد الخُزاعيّة

رضي الله عنها

* قال ﷺ:

«اللهم بارِكْ لها في شاتها».

المَرْأَةُ السَّعِيْدَةُ:

* لم تكنْ هذه المرأة التي نحن بصدد سِيرتها الآن من النّساء ذوات الشُّهرة في الجاهلية، بل كانت امرأة بدويّة لا تتعدى شهرتها خيمتها أو أهلها، ولكنْ لله دَرُّ القائل:

وإذا سخَّر الإلهُ أُناساً
لسعيدٍ فإنّهم سُعَداءُ

* وهذه المرأة هبطتْ عليها البركةُ بنزولِ النّبي الكريم ﷺ ضيفاً عليها، عند هجرته إلى المدينة المنورة، وكُتبت لها أسباب السّعادة، حتى غدتْ إحدى شهيرات النّساء في عالم الصَّحابة، فهل عرفتم هذه المرأة المضياف؟

* إنَّها أمُّ معبد الخزاعية؛ واسمها عاتكةُ بنت خالد بن منقذ[1] أخت حبيش بن خالد الخزاعيّ الكعبيّ الصّحابيّ، وهو صاحب حديث أمّ معبد الخزاعيّة رضي الله عنها.

* وما أَنْ نزل رسول الله ﷺ بأمّ معبد، حتى بدأتْ شهرتها تلمعُ في سماء النِّساء، فقد كانت بالإضافة إلى كرمها وجودها فصيحة اللسان، سجّلتَ أجمل وصْفٍ لرسولِ الله ﷺ لا يزال منْ أهمّ المراجع المحمودة في الشَّمائل المحمديةِ[2].

«اللهمَّ بارِكْ لَها في شَاتِهَا»:

* تهيأ النَّبيُّ ﷺ، وصاحبه الصِّدِّيق للخروج إلى المدينة، وكانا قد استأجرا رجلاً هو عبد الله بن أُرَيْقط الليثيّ، وكان هَادياً ماهراً بالطَّريقِ، وكان الصِّدِّيقُ رضي الله عنه قد جهَّزَ راحلتين، وأتتْهُما أسماء ابنته بطعامهما الذي

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٢٨)، والاستيعاب (٤/ ٤٧١)، والروض الأنف (٢/ ٢٣٥)؛ والإصابة (٤/ ٤٧٤).

(٢) الاستيعاب (١/ ٣٨٨).

ربطته بنطاقها الذي شقته نصفين، ومنذ ذلك الحين سُمِّيت ذات النِّطاقين.

* وارتحل النَّبيُّ ﷺ، وأبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، ومعهما عامر بن فُهيرة مولى الصِّدِّيق ليخدمهما. وانطلق الركبُ المهاجر يسيرُ إلى غايتهِ، والمطايا تسرعُ بهم تارةً وتبطىء تارة أخرى، وهم ممعنون في غمار الصَّحراء المترامية، وكانوا كلَّما أرهقهم السَّيْرُ نزلوا مَنْزِلاً فأخذوا قِسْطاً من الرَّاحةِ، وتلمَّسُوا من الحيِّ المقيمين بقربهم ما عسى أَنْ يكونَ لديهم مِنْ طعامٍ أو شراب، حتى مرّوا في طريقهم بأمِّ معبد الخزاعية.

* وكان منزلُها بقُديد[1]، وهي أعرابيةٌ كريمةٌ، تبدو على ملامحها علائمُ القوّة والصّبر والجَلَدِ. وكانت تجلسُ أمام خيمتها مجلس الكرماء، تُطعمُ وتسقي مَنْ يمرُّ من السَّيَّارة والمُسَافرين، فلمَّا نزلوا عندها سألوها لحماً وتمراً يَشْتَرونه منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً، وقالتْ لهم وهي تبدي عذرها الممزوح بالأسف: والله لوكان عندنا شيء ما أعوزناكم القِرى، وما كنتم إذاً بحاجة إلى أنْ تسألوا شيئاً أو تدفعوا ثمناً، وكانت تلك السَّنة مجدبة، والبادية شهْباء في قحْطٍ شديد، والنَّاس مُرْملون مُسْنِتُون[2] عجاف لشدة المجاعة التي أصابتهم.

فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كِسْر الخيمة، فقال: «ما هذه الشَّاة يا أمّ معبد»؟.

قالت: هذه شاة خلَّفَها الجَهْد ـ الضَّعفُ ـ عن الغنمِ.

فقال: «هل بها مِنْ لبن؟».

قالت: هي أجهد منْ ذلك!.

قال: «أتأذنينَ لي أَنْ أحلبَها؟».

---

(١) «قُدَيْد»: موضع قرب مكة، وهي بضم القاف وفتح الدال وسكون الياء، والنسبة إليها قديدي (معجم البلدان ٤/ ٣١٣).

(٢) «أرمل القوم»: نفذ زادهم؛ و«أسنتوا»: أصابهم القحط.

قالت: نعم ـ بأبي أنت وأمي ـ إنْ رأيت بها حَلباً فاحْلبها.

فمسحَ رسول الله ﷺ بيده ضرعها وذكر اسمَ اللهِ ودعا وقال: «اللهمّ بارك لها في شاتِها».

فتفاجَّت[1] ودرَّتْ واجترتْ، فدعا بإناء يُرْبِض الرَّهط[2]، فحلبَ فيه حتى عَلْتهُ الرَّغوةُ، فسقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رَوُوْا، وشرب ﷺ آخرهم وقال: «ساقي القوم آخرهم شُرْباً».

ثم حلب فيه ثانياً حتى ملأ الإناء، فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها، وقد فازتْ أمّ معبد بدعوة مستجابة بالبركةِ منَ النَّبيّ ﷺ.

* وقد أشار البُوْصيري إلى هذه الحادثة في الهمزية فقال:

درّتِ الشَّاةُ حين مرَّت عليها
فلها ثروةٌ بها ونماءُ

* وأشار السّبْكي أيضاً إلى هذه في تائيته المشهورة فقال:

مسحتَ على شاةٍ لدى أمِّ معبد
بجهدٍ فألْفَتْها أدرَّ حَلْوبَةِ[3]

---

(١) «تفاجَّت»: فتحت ما بين أرجلها ودرت باللبن

(٢) «يربض الرهط»: يشبع الجماعة.

(٣) انظر: الطبقات (١/ ٢٣٠)، والاستيعاب (٤/ ٤٧٢ و٤٧٣)، وأسد الغابة (٥/ ٤٩٧)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٧٨ و٢٧٩)، وزاد المعاد (٣/ ٥٦)، والبداية والنهاية (٣/ ١٨٨)، والسِّيرة الحلبية (٢/ ٢٢٤ و٢٢٥)، وكلها بأساليب متقاربة ومعان متفقة.

وما أجمل ما سجله أحمد محرم شاعر الإسلام في ديوان «مجد الإسلام» هذا الحدث اللطيف من خيمة أم معبد فقال:

ما حديثٌ لأمّ معبدَ تَسْتَسْقيه ظمأى النُّفوس عَذْباً نَميرا
سائلِ الشَّاةَ كيفَ درّتْ وكانتْ كزَّةَ الضَّرعِ لا ترجي الدُّرورا
بركاتُ السَّمح المؤمَّلِ يَقري أممَ الأرضِ زائراً أو مَزُورا
مظهر الحقّ للنّبوةِ سبحانك ربّاً فرد الجلالِ قديرا

مَـوْقـفٌ إيْمَـانيٌّ بَـاهِـرٌ:

* من الطَّريفِ أنَّ أمَّ معبد قد لامستْ نسماتُ الإيمان قلبها، وخالطت نفحات الإسلامِ نفسها منذ اللحظات الأولى التي سمعتْ وشاهدتْ فيها النَّبي الكريم ﷺ، ويدل على هذا ما يقوله الرواة:

إنَّ فتيانَ قريش مرُّوا بأمِّ معبد فسألوها عن رسول الله ﷺ ـ وكانوا يلاحقونه ـ فأشفقتْ عليه منهم فتعاجَمتْ عليهم ـ أي تظاهرت بجهلِ ما يسألونها عنه ـ وقالت له: إنكم تسألونَ عن شيء ما سمعتُ به قَبْلَ عامي هذا.

واستطاعت بذلك أنْ تُبْعدَ هؤلاء عن رسول الله ﷺ، وأنْ تحوِّلَ وجهَ فتيان قريش إلى طريق أخرى، وهذا دليل على ذكائها وحُسْن تصرفها.

فَصَاحَتُـهَــا ووصفُـهَــا رَسُــوْلَ الله ﷺ:

* إذا عُدِّتْ صفاتُ الحُسْنِ ومحاسن الجمال، فحُسْنُ المنطق أبدعها، لأنَّ معانِي الجمال تستمدُّ روعتها منَ البدن وحده، فأمَّا جمالُ الكلام فمُسْتَمدٌّ منَ الرُّوح والنَّفس.

* وقد عُرفت أمُّ معبد بالفصاحة، إذْ كان أسلوبها سَاحراً، وبيانها آسراً، وسجلت بحسن بيانها وصفاً جعلها خالدة الذِّكْرِ على مَرِّ الدَّهر، وذلك عندما وصفتِ النَّبي الكريم ﷺ، وقد وصفه رجال كثُرٌ[1] عُرِفُوا بالفصاحة، فلم يبلغْ واحدٌ منْ وصْفِهِ ما بلغتْ أمُّ معبد، لما وصفته لزوجها أبي معبد[2] وصفاً جعله ملء سمعه وبصره ونفسه ووجدانه، بل جعله يهرع ليعلن إسلامه بين يدي رسول الله ﷺ.

* كان هذا عندما جاء زوجُها أبو معبد يسوقُ أعنزاً عجافاً هِزالاً ضعافاً،

---

(١) منهم مثلاً: هند بن أبي هالة التميمي ربيب رسول الله ﷺ، انظر ترجمته ووصفه في أسد الغابة (٥/ ٧١ و٧٢ و٧٣).

(٢) أبو معبد: هو أكثم بن الجون بن منقذ الخزاعي.

فلما رأى اللبن ـ الحليب ـ عند أُمِّ معبد عجبَ وقال: منْ أين لكم هذا والشَّاة عازب[1]، ولا حلوبة في البيت؟

فقالت: لا والله، إلا أنَّه مرَّ بنا رجلٌ مباركٌ كان من حديثه كيتَ وكيْتَ، ومن حاله كذا وكذا.

قال أبو معبد: إنّي والله أراه صاحبَ قريش الذي يُطلبُ، صفيه لي يا أمَّ معبد: فجعلتْ أمُّ معبد تصفُ له ما بهرها منه، ووصفته بصفاته الرَّائعةِ، بكلماتٍ رائعة آسرةٍ ساحرةٍ كأنَّ السَّامع ينظرُ إليه وهو أمامه. وقالتْ تصفه ﷺ:

ظاهرُ الوضَاءة، أبلجُ الوجْهِ، حسَن الخلقِ، لم تَعِبْه ثُجْلة، ولم تُزْرِ به صُعْلَة، وسيم قَسيم، في عينيه دَعَجٌ، وفي أشفاره وَطَفٌ، وفي صوته صَحْلٌ، وفي عُنُقهِ سَطَع، أَحْور، أَكحَل، أزجّ، أقْرن، شديدُ سواد الشَّعر، إذ صمتَ علاهُ الوقارُ، وإنْ تكلَّمَ علاه البَهاءُ، أجملُ النَّاس وأبهاهم منْ بعيد، وأحسنه وأحلاهم من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هذْر، كأنَّ منطقه خرزاتُ نَظْمٍ يتحدَّرن، ربعةٌ، لا تقحمه عين من قصر، ولا تشنؤُه من طول، غُصْنٌ بين غُصنين، فهو أَنْضر الثَّلاثة منظراً، وأحسنُهم قَدْراً، له رفقاء يحفّون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أَمَرَ تبادروا إلى أمره، مَحْفُود مَحْشُود، لا عابس ولا مُفْنِد[2] ﷺ.

---

(١) «عازب»: غائبة عن البيت بعيدة المرعى.

(٢) «الثجلة»: ضخامة في البطن. «الصعلة»: صغر الرأس. «وسيم قسيم»: حسن جميل. «الدعج»: شدة سواد العين من شدة بياضها. «في أشفاره وطف». غزارة شعر أجفان العين وطولها.
«صحل»: شبه البحة في الصوت وألا يكون حاداً. «سطع»: طول العنق في حمال.
«أزج»: الحاجب الرقيق في الطول. «لا نزر ولا هذر»: أي وسط لا قليل ولا كثير.
«محفود»: مخدوم ـ أي الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته وتلبيته. «محشود»: الذي يجتمع إليه الناس. «مفند»: لا يستقل عقل أحد، بل جميل المعاشرة حسن الصحبة، صاحبه كريم عليه.

فقال أبو معبد: والله هذا صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا، لقد هممتُ أنْ أصحَبه، ولأفعلنَ إنْ وجدتُ إلى ذلك سبيلاً؛ وأصبح صوت بمكة عالياً يسمعونه ولا يرون القائل:

جــزى الله ربُّ النَّـــاس خيـــر جــزائــه
رفيقيـــنِ حـــلاً خيمتَـــيْ أمِّ مَعْبـــد
همـــا نَـــزلا بـــالبِـــرِّ وارتحـــلا بـــهِ
وأفلـــح مَـــنْ أمســـى رفيـــق محمّـــد[١]

● ومن الجدير بالذكر أنَّ أمَّ معبد، قد أسلمت على يَدي رسول الله ﷺ قبل أن ترتحلَ عنها؛ وتقول بعض الرِّوايات: إنَّ أمَّ معبد هاجرت وأسلمتْ، وكذلك زوجها هاجر وأسلم.

● ومن الطَّريف أنَّه قيل لأمِّ معبد: ما بال صفتك لرسول الله ﷺ أشبه به من سائر صفات مَنْ وصفه ـ أي من الرجال ـ؟ فقالت: أمَا علمتم أنَّ نظرَ المرأةِ منَ الرّجل، أشفى من نظر الرَّجل إلى الرَّجل.

● وقيل لعليِّ بن أبي طالب عليه سحائب الرضوان: كيف لم يصفْ أحدٌ النَّبيَّ ﷺ كما وصفته أمُّ معبد؟

فقال: لأنَّ النِّساء يصفن بأهوائهن فيُجِدْن في صفاتهن.

أمُّ معبـد ونسَـاء النَّبـيِّ الطَّـاهـرات:

● لنساء النَبي لقاءٌ طيِّبٌ مع أمِّ معبد، حيثُ أكرمْنها، وأغدقْنَ عليها، وعرفْنَ مكانتها وقدرها، روتْ أمُّ معبد رضي الله عنها هذا اللقاء فقالت:

رأيتُ عثمانَ بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، في آخر خلافة عمر رضي

---

(١) نظر الاستيعاب (٤/ ٤٧٣)، ودلائل النبوة للأصبهاني (٢/ ٤٣٧ و٤٣٨)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٩١)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٧٩)، وعيون الأثر (١/ ٢٤٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٤٣٨ و٤٣٩)، والسيرة النبوية لدحلان (١/ ٣١٦)، ومجمع الزوائد (٦/ ٦٠).

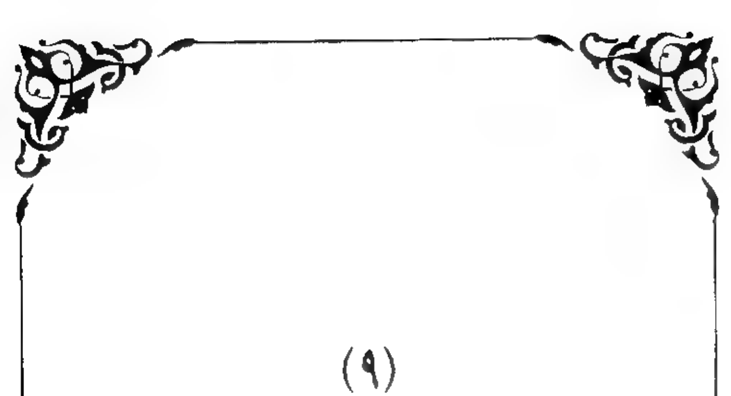
الله عنه، ونساء النَّبي ﷺ قد حججن، وعثمان يسيرُ أمامهن على راحلته، فإذا دنا منهن إنسانٌ قال: إليك، إليك، وعبد الرحمن وراءهن يفعل مثل ذلك. ولما نزلْنَ ستَرَ عليهن بالشَّجر من كل ناحية، فلمّا رأيتهن بكيتُ وقلت لهنّ: ذكرتُ رسول الله ﷺ حين نزل بهذا الموضع، فبكينَ معي، وعرفْنَني فأكرمْنَني، ورحّبنَ بي، ووصلتني كلّ امرأة منهن بصِلة وقلنَ: إذا أخرج أميرُ المؤمنين العطاء فاقدمي علينا، فقدمتُ عليهن فأعطتني كلّ امرأة منهن خمسين ديناراً وكنَّ سبعاً رضي الله عنهن[1].

ويبدو من أخبار من أمّ معبد، أنَّها قد عاشت إلى نهاية خلافة سيِّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويسكتُ التَّاريخ بعد إذْ فلا يحدِّدُ زمنَ وفاتها، رضي الله عنها، ولكنَّ ذكرَها يبقى معطاراً كلّما تحدثنا عن الهجرة أو عن وصْفِ رسول الله ﷺ.

● رضي الله عن أمّ معبد، وأحسن مثواها، وجعلها في عليين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



(١) أنساب الأشراف (١/ ٤٦٥ و٦٦٦).



(٩)

زينب بنت أبي معاوية

رضي الله عنها

- قال رسول الله ﷺ:

«إذا خرجتِ إلى العشاء الآخرة فلا تمسّي طيباً».

- وقال عليه الصلاة والسلام:

«صَدَقَ ابنُ مسعود، زوجكِ وولدكِ أحقُّ مَن تصدَّقتِ به عليهم».

الـصَّالِحَـةُ والـعَمَلُ الـصَّالِـحُ:

● قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل: ٩٧].

● وقال مسلمة بن عبد الملك: المرأةُ الصَّالحة خيرٌ للمرءِ من عينيه ويديه.

● والصَّحابية اليوم واحدة ممن جمعتْ صفات الخير والبرِّ و لصّلاح، والعلم والزُّهد والعبادة، وصفها أبو نعيم الأصبهاني ـ رحمه الله ـ في مطلع ترجمته لها فقال:

المتصدقةُ المُصليّة، زينبُ الثقفية، المتخليةُ من حليّها، المتقرّبة به إلى وليّها رضي الله عنها.

● وزينبُ هذه إحدى الزّيانب ـ جمع زينب ـ اللواتي بلغْنَ شأواً عظيماً بين نساء الصَّحابة في مجال الفضائل. إنَّها زينب بنت أبي معاوية[١] الثَّقفيّة امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعنها[٢].

● كانت زينب امرأةً صَنَاعاً[٣]، تعمل بيدها، وتبيع من صناعتها، وتنفق على ذويها، وقد أسلمت مع مَنْ أسلمَ، وبايعتْ مع من بايع، وروتْ عن رسول الله ﷺ، وشهدت خيبر[٤].

---

(١) وقيل في نسبها: زينب بنت عبد الله بن معاوية الثقفية.

(٢) الطبقات (٨/ ٢٩٠)، والاستيعاب (٤/ ٣١٠)، وأسد الغابة (٥/ ٤٧٠)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٤٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٢)، والإصابة (٤/ ٣١٣).

(٣) «الصَّناع»: الماهر في الصّناعة، يقال: رجل أو امرأة صناع اليد أو اليدين: ماهر أو ماهرة العمل باليدين (المعجم الوسيط).

(٤) مجمع الزوائد (٦/ ١٠).

«لا تَمسِّي طِيْبَـاً»:

● زينب الثّقفيةُ رضي الله عنها إحدى فُضْلياتِ نساء الصَّحابة اللاتي وعين الحـديث النّبـويّ، حيث بلـغتْ مرويـاتهـا ثمانيـة أحـاديـث، وروتْ عـن رسول لله ﷺ وعن زوجها عبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وروى عنها الحديث ابنها أبو عبيدة وابن أخيها وبِسْر بن سعيد وغيرهم.

● ومن مروياتها ما ذكرته عن نهي رسول الله ﷺ المرأةَ عن مسِّ الطِّيبِ عند خروجها من بيتها؛ فقد أخرج ابنُ سعد ـ رحمه الله ـ بسنده عن بسْرِ بن سعيد قال: أخبرتني زينب الثّقفية امرأة عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال لها: «إذا خرجتِ إلى العشاء الآخرة فلا تمسّي طيباً»[1].

زَيْنَـبُ وزَوْجُـهُـا والطِّـبُّ النَّـبويُّ:

* في حياة الصّحابية الكريمة زينب الثّقفية وِقْفاتٌ رائعةٌ، ولمسات مباركة، وأعمال رائعة، إذ اقتبست من زوجها كثيراً من الفضائل والصِّفات الحميدة، فقد كان زوجها إماماً حبراً فقيهاً سابقاً للإيمان، نجيباً عالماً خيّراً ديّناً، أحد أذكياء علماء الصّحابة وفضلائهم، فقد اقتدتْ زينب بزوجها المؤتسي برسول الله ﷺ، وربّما سابقَتْه في مجال الفضائل. وكان زوجها يرشدها لتقْتفي الهدْيَ النّبويّ في جميع أمورها، وتنقلُ زينب رضي الله عنها صورة طيّبة عن ذلك، فقد أخرج الإمام أحمد[2] ـ رحمه الله ـ بسنده عنها قالت:

كان عبد الله إذا جاء من حاجة، فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهة أن

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٩٠)، والاستيعاب (٤/ ٣١٠)، والإصابة (٤/ ٣١٣).

(٢) أحمد بنُ محمّد بن حَنبل، أبو عبد الله: إمام المذهب الحنبليّ وأحد الأئمة الأربعة، سار في طلب العلم. له «المسند» و«الزُّهد» وغير ذلك. سُجن وعُذّب بسبب محنة خلق القرآن. توفي رضي الله عنه في عهد المتوكل سنة (٢٤١هـ) وأخباره ومناقبه مشهورة جداً منثورة في كتب التراجم والتاريخ (الأعلام ١/ ٢٠٣).

يهجمَ منّا على أمْرٍ يكرهه. وإنّه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوزٌ ترقيني[1] من الحمرة[2]، فأدخلتُها تحت السّرير. فدخل فجلس على جانبي فرأى في عنقي خيطاً فقال: ما هذا الخيط؟.

قلت: خيط رُقي لي فيه، فأخذه فقطعه ثم قال: إنَّ آلَ عبد الله لأغنياء عن الشِّرك، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقى والتّمائم والتِّوَلَة[3] شرك».

قلتُ له: لِمَ تقولُ هذا وقد كانت عيني تقذفُ، فكنتُ أختلفُ إلى فلان اليهوديّ يرقيها، فكان إذا رقاها سكنتْ؟.

فقال: إنما ذاك من الشّيطان كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كفَّ عنها، إنّما كان يكفيك أنْ تقولي كما قال النّبيُّ ﷺ:

«أذْهِبِ البأس، ربّ الناس، اشفِ وأنت الشّافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً»[4] ـ أي لا يترك ـ.

* وكلامُ ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الحديث يتوافق مع ما ورد في

---

(١) أي تستعمل الرقية، وهي العوذة التي يُرقى بها صاحب الآفة والمرض، كالحمى وغير ذلك.

(٢) «الحمرة»: مرض وبائي يسبب حمى وبقعاً حمراء في الجلد.

(٣) «التولة»: بكسر التاء وفتح الواو، ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره.

(٤) عن تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٤). والحديث رواه البخاري في الطب، باب: رقية النبي ﷺ. ومسلم في السلام، باب: استحباب رقية المريض. وأبو داود (٣٨٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٠)؛ ولابن حجر ـ رحمه الله ـ كلام لطيف في هذا المجال حيث يقول:
وقد استشكل الدعاء للمريض بالشّفاء مع ماضي المرض، من كفارة الذنوب والثّواب كما تضافرت الأحاديث بذلك.
والجواب: أنَّ الدعاءَ عبادةٌ، ولا ينافي الثّواب والكفّارة لأنّهما يَحْصُلان بأوّل مرض، وبالصَّبر عليه، والدّاعي بين حسنَتَيْن: إما أنْ يحصلَ له مقصوده؛ أو يعوض عنه بجلب نفعٍ أو دفع ضرّ، وكلٌّ من فضل الله تعالى. (انظر فتح الباري ١٠/ ١٣٢).

السُّنة الثَّابتة من أنَّه ينبغي للمريض أنْ يقرأ على نفسه الفاتحة، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، وينفثُ في يديه ويمسح بها وجهه، كما ثبتَ ذلك عنه ﷺ في الصَّحيحين[1].

«أيّ الزَّيـانِب»:

* يقولُ الفقهاء: إذا كان للزَّوجة مالٌ تَجِبُ فيه الزَّكاة، فلها أنْ تعطي زوجَها من زكاتها ـ إذا كان من أهل الاستحقاق ـ لأنَّه لا يجبُ عليها الإنفاق عليه، وثوابها في إعطائه أفضل من ثوابها إذا أعطتِ الأجنبيَّ.

* وقد توفرت هذه الشُّروط في زينب الثَّقفية رضي الله عنها، خصوصاً وأنّها قد سمعتِ النَّبيَّ ﷺ يحضُّ النِّساء على الصَّدقة والتَّقرُّب إلى الله عزَّ وجلَّ، فأخذتْ حلياً لها لتتصدّق به، فقال لها زوجها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أين تذهبين بهذا الحليّ؟.

فقالت: أتقرَّبُ به إلى الله ورسولِه.

فقال: هلمّي تصدَّقي به عليَّ وعلى ولدي فأنا له مَوْضِعٌ[2].

* وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه: أنّ زينبَ امرأةَ ابن مسعود قالت:

يا نبيّ الله، إنَّك أمرتَ اليوم بالصَّدقةِ وكان عندي حليّ، فأردت أنْ أتصدقَ به، فزعم ابن مسعود أنَّه وولده أحقّ مَنْ تصدقت به عليهم، فقال النَّبيُّ ﷺ: «صدق ابنُ مسعود، زوجك وولدك أحقّ منْ تصدَّقْتِ به عليهم».

* وفي رواية أخرى عن عمرو بن الحارث عن زينب امرأة عبد الله رضي الله عنهما قالت:

---

(١) انظر صحيح البخاري في فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات.
وصحيح مسلم في السلام، باب: رقية المريض بالمعوذات والنفث. واقرأ التعليق السابق من كلام ابن حجر رحمه الله.

(٢) الحلية (٢/ ٦٩).

قال رسول الله ﷺ: «تصدقن يا معشر النّساء ولو من حليكنّ».

قالت: فرجعت إلى عبد الله فقلت: إنّك رجلٌ خفيف ذات اليد ـ قليل المال ـ وإنَّ رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصَّدقة فائته فاسأله، فإنْ كان ذلك يُجزي عني، وإلا صرفتها إلى غيركم.

فقال لي عبد الله: بل ائتِه أنتِ.

فانطلقتُ فإذا امرأة من الأنصار[1] بباب رسول الله ﷺ حاجتُها حاجتي ـ وكان رسول الله ﷺ قد أُلْقِيَتْ عليه المهابة ـ فخرج علينا بلال[2] رضي الله عنه فقلنا له: ائتِ رسول الله ﷺ، فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزي الصَّدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتامٍ في حجورهما، ولا تخبره من نحنُ؟ فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله فقال له رسول الله ﷺ: «مَنْ هُم»؟.

فقال: امرأة من الأنصار وزينبَ.

فقال رسول الله ﷺ: «أيّ الزَّيانِب؟»[3].

قال: امرأةُ عبد الله بن مسعود.

فقال رسول الله ﷺ: «لهما أجران، أَجْر القرابة، وأَجْر الصدقة»[4]؟

* ورجعتْ زينبُ وقد قرّتْ عينُها بما أخبرها به النّبيُّ الكريم ﷺ عن

---

(١) قال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: المرأة الأنصارية هي زينبُ امرأة أبي مسعود الأنصاريّ، أتتْ وزينب الثّقفية رسول الله ﷺ تسألانه النّفقة على أزواجهما (الاستيعاب ٤/ ٣١١).

(٢) اقرأ سيرة الصحابي الجليل سيدنا بلال بن رباح في كتابنا رجال مبشرون بالجنة (١/ ٢٨١).

(٣) «الزيانب»: جمع زينب، وتجمع زينبات وزنب.
والزَّينب: شجر حسن المنظر طيِّب الرَّائحة وبه سُميت المرأة (القاموس المحيط).

(٤) رواه البخاري في الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب، ومسلم في الزكاة، باب: فضل النفقة على الأقربين والزوج والأولاد، وانظر الاستيعاب (٤/ ٣١٠ و٣١١)، والحلية (٢/ ٦٩ و٧٠)، وأسد الغابة (٥/ ٤٧٠ و٤٧١)، والإصابة (٤/ ٣١٣).

مضاعفةِ الله عزّ وجلّ لها الأجرَ في الإنفاق على زوجها وذويها.

الأَيّـامُ الأَخِـيْرَةُ:

* تشيرُ أخبار الصَّحابية زينب الثَّقفية إلى أنَّها عاشتْ إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، يدلُّ على ذلك وصية زوجها عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، ولنقرأ سوياً هذه الوصية:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أوصى عبد الله بن مسعود، إنْ حدثَ به حَدَثٌ في مرضه، إنَّ مرجعَ وصيته إلى الزُّبير بن العوام وإلى ابنه عبد الله ابن الزبير، وإنّهما في حلٍّ وبِلٍّ فيما وَلِيا من ذلك وقَضَيا من ذلك لا حرج عليهما في شيء منه، وإنه لا تُزوّجُ امرأة من بناته إلا بعلمهما، ولا يُحْجَزُ ذلك عن امرأته زينب بنت عبد الله الثقفية[1].

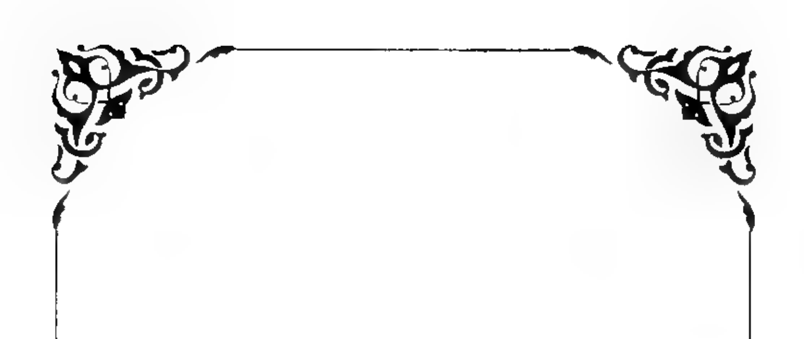
* وقد توفي ابن مسعود سنة (٣٢هـ)، وربما عاشت امرأته زينب بعده مدة من الزّمن رضي الله عنهما.

* هذه نفحاتٌ نديّةٌ من سيرة صحابية كريمة كانت مثال الزَّوجة المؤمنة، التي تستحقُّ أَنْ تكون قدوة صالحة للنِّساء، ومثلاً رائعاً بين نساء الصَّحابة ممن آثرن الآخرة، ففُزْنَ بمرضاة الله عزّ وجلّ في الدَّارين.

* * *

---

(١) الطبقات (٣/١٥٩).



(١٠)

أسماء بنت يزيد الأنصارية

رضي الله عنها

* قال ﷺ:

«انصرفي يا أسماء، وأَعْلمي مَن وراءك مِن النساء أنَّ حُسْنَ تبعّل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته، يعدل كلَّ ما ذكرت للرجال».

رسُـولُ الـنِّسَـاءِ:

* اشتهرتْ أسماءُ بنتُ يزيد بن السَّكَن الأنْصارية الأشْهلية[1] بالفصَاحة وفَصل الخطاب، وأُوتيتْ منَ الشَّجاعة نصيباً وافراً حتى عُدَّتْ في جملة المجاهدات، واقتعدتْ مكاناً كريماً في مجال العبادة والرِّواية.

* وهذه الصَّحابية أنصارية منَ الأوس ـ من بني عبد الأشهل ـ قوم سعد بن معاذ، وتكنى أمّ سلمة، وقيل أمّ عامر من المبايعات المجاهدات.

* وأسماء هذه هي رسولُ النِّساء إلى النَّبي ﷺ، وكانت من ذوات العقل والدِّين، وكان يُقال لها خطيبة النِّساء، رويَ عنها أنَّها أتتِ النَّبي ﷺ فقالت:

إنّي رسولُ مَنْ ورائي مِنْ جماعة نساء المسلمين، كلُّهن يقُلْنَ بقولي، وعلى مثل رأيّي: إنَّ الله تعالى بعثك إلى الرِّجال والنِّساء، فآمنا بك واتَّبعناك، ونحنُ ـ معشر النِّساء ـ مقصورات مخدرات قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرِّجال، وحاملات أولادهم، وإنَّ الرِّجال فُضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهادِ حفظْنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟.

فالتفتَ رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: «هل سمعتم مقالةَ امرأةٍ أحسن سؤالاً عن دينها مِنْ هذه؟».

فقالوا: يا رسول الله ما ظنَنَّا أنَّ امرأةً تهتدي إلى مثل هذا.

فالتفتَ رسول الله ﷺ إليها وقال: «انصرفي يا أسماء وأَعْلمي مَنْ وراءك مِنَ النِّساء أنَّ حسن تبعّل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدلُ كلَّ ما ذكرت منَ الرِّجال».

---

(1) الاستيعاب (٤/ ٢٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٦)، والإصابة (٤/ ٢٢٩).

* فانصرفتْ أسماء وهي تهللُ وتكبّرُ استبشاراً بما قال رسول الله ﷺ[1].

* ومن الجدير بالذكر أنَّ زوجَ أسماء بنت يزيد هو أبو سعيد الأنصاري، واسمه سعيد بن عمارة[2]. وأمُّها أم سعد بن حزيم بن مسعود الأشهلية.

في سَـاحَـات الـجهَـاد:

* تركتْ أسماء أعمالاً وضيئةً في صحيفة المجاهدات الخالدات، وكيف لا وهي مِنْ أسرةٍ وهبتْ نفسها للدِّفاع عن رسول الله ﷺ؟.

* ففي غزاة أُحد، وفي ساعة مِنْ ساعات العُسْرة، كان العراكُ محتدماً حول رسول الله ﷺ، انتدبَ نَفَرٌ من الأنصار وفيهم آل السَّكن، فستماتوا في الدِّفاع عن النَّبي الحبيب ﷺ استماتةً لا يُقْهَرُ صاحبها أبداً، وظهرت في تلك اللحظات نوادرُ الحبّ والتَّفاني والبَسالة والبطولة بما يثير الإعجاب.

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ أُفْرِدَ يوم أحدٍ في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلمّا رَهِقُوه قال: «منْ يردُّهم عنَّا وله الجنَّة؟ أو هو رفيقي في الجنَّةِ؟».

فتقدَّمَ رجلٌ من الأنصار فقاتل حتى قُتِلَ.

ثم رَهِقُوه فقال: «مَنْ يرُدهم عنَّا وله الجنَّة أو هو رفيقي في الجنَّة؟».

فتقدَّم رجلٌ مِنَ الأنصار فقاتل حتى قُتِلَ.

فلم يزلْ كذلك حتى قُتِلَ السَّبْعة فقال رسول الله ﷺ: «ما أَنْصَفْنا أصحابنا»[3].

* وكان آخر هؤلاء السَّبعة عمارة بن يزيد بن السَّكن ـ أخو أسماء ـ قاتل حتى أَثْبَتَتْهُ الجراحة فسقط، وبعد لحظة فاءتْ إلى رسول الله ﷺ فئةٌ من

---

(١) عن الاستيعاب (٤/٢٣٣)، وأسد الغابة (٥/٣٩٨ و٣٩٩)، والسيرة الحلبية (١/١٤٩).

(٢) الإصابة (٤/٨٩).

(٣) صحيح مسلم (٥/١٨٧) باب: غزوة أُحد.

المسلمين فأبعدوا المشركين عن عمارة، فقال رسول الله ﷺ: «أَدْنُوه مِنّي» فوسَّدَه قَدَمَهُ، فمات وخدّه على قَدَمِ رسول الله ﷺ.

* وفي هذه المعركة استشهد يزيدُ بن السَّكن ـ أبو أسماء ـ وابنه عامر، وعمّها زياد بن السَّكن رضي الله عنهم جميعاً.

* ولكنَّ استشهاد أفراد أسرتها زَادَ مِنْ حبِّها للجهاد، فقد شهدت بعض المشاهد مع رسول الله ﷺ، فحضرت بيعة الرِّضوان وبايعتْ يومئذ تحتَ الشَّجرة، وشهدتْ فَتْحَ مكةَ، وشهدت خيبر، واتفق الرُّواة على أنَّها شهدت اليرموكَ، وقتلتْ يومئذ تسعةً مِنَ الرُّوم بعمود فسطاطها[1].

* ويكفيها فخراً بين نساء الأنصار أنَّها أول مَنْ بايع رسول الله ﷺ منهن ومعها كَبْشة بنت رافع ـ أُمُّ سعد بن معاذ[2] ـ وأخريات رضي الله عنهن.

الـرَّاويـةُ الـمحدِّثـةُ الـفقيهـةُ:

* كانتْ أسماء بنت يزيد رضي الله عنها واعيةً للحديثِ النَّبوي، فقد لازمتْ بيتَ النُّبوة وقتاً طويلاً، وكانت تلتقطُ كلّ ما تعيهِ أُذناها مِنْ حديث رسول الله ﷺ، زدْ على ذلك حبّها للعلْمِ والسُّؤَالِ، إذْ كانت تمتلك الجرأة في الاستفسار والسُّؤال للنَّبي ﷺ؛ لذلك كانت من أكثر نساء الأنصار روايةً للحديث النَّبوي ـ إن لم تكن أكثرهن ـ فقد روتْ عن النَّبي الكريم ﷺ (٨١ حديثاً)[3].

* روى عن أسماء ثلَّةٌ منْ أجلاء التَّابعين، كما روى أصحاب السُّنن الأربعة: أبو داود، والنَّسائي، والترمذي، وابن ماجه[4].

---

(١) انظر مثلاً: مجمع الزوائد (٩/ ٢٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٧)، ودر السحابة (ص ٥٤٦)، والإصابة (٤/ ٢٢٩).

(٢) الطبقات (٨/ ١٢).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤/ ٢٧).

(٤) ابن ماجه: أبو عبد الله محمّد بن يزيد بن ماجه الرّبعي القزويني الحافظ، صاحب كتاب السُّنن، والتَّفسير، ولد سنة (٢٠٩هـ)، وارتحل إلى العراق والبصرة والرّي ـ

* وخرَّجَ لها البُخاري[1] في الأدب المفرد.

* وشهد لأسماء بحُسنِ الرِّواية ابنُ عساكر فقال: روتْ عن النَّبي ﷺ أحاديث صَالحة.

وقال الذَّهبي: روتْ عن النَّبي ﷺ جملة أحاديث.

وكانت مع هذا كلِّه فقيهة عالمة زاهدة في الدُّنيا، وصفها أبو نعيم الأصبهاني بقوله: أسماء بنت يزيد بن السَّكن، النَّابذة لما يُورِثُ الغرور والفِتَن.

مِنْ مَـرْويَّـاتِ أَسْماء:

* تجمعُ مروياتُ أسماء رضي الله عنها بين التَّفسير وأسباب النُّزول والأحكام والشَّمائل والمغازي والسِّيرة والفضائل وما شابه ذلك.

= والكوفة وبغداد والشَّام ومصر في طلب الحديث. قال الخليلي: ثقةٌ كبير متفق عليه، محتج به، له معرفة بالحديث. وقال ابن طاهر: منْ نظر في سننه علم منزلة الرَّجل من حسن التَّرتيب، وغزارةِ الأبواب، وقلة الأحاديث، وترك التكرار. وقال أبو الحسن القطان: جملة كتاب السُّنن، وهو اثنان وثلاثون كتاباً، فيها ألف وخمسمئة باب، في جملة الأبواب أربعة آلاف حديث. مات ابن ماجه بقزوين في رمضان سنة (٢٧٣هـ) وعمره (٦٤ سنة) رحمه الله تعالى. (طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٨٣)، و(طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٢٧٣ و٢٧٤).

(١) البخاري: أبو عبد الله بن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعْفي مولاهم. الحافظ العَلَم صاحب الصّحيح وإمام هذا الشَّأن والمعول على صحيحه في أقطار البلدان. له الأدب المفرد والتاريخ، وأخرج صحيحه من زهاء (٦٠٠،٠٠٠ ألف حديث).
وقال عن نفسه: ما وضعتُ في كتابي الصَّحيح حديثاً إلا اغتسلتُ قبل ذلك وصليتُ ركعتين. وُلد البخاري يوم الجمعة بعد الصَّلاة ١٣ شوال سنة (١٩٤هـ). ورحل في طلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر والشَّام وسمع من نحو ألف شيخ، وهو أحد حفاظ الدُّنيا. ومن تلامذته الإمام مسلم صاحب الصحيح. توفي البخاري سنة (٢٥٦هـ). (طبقات الحفاظ ص ٢٥٢ و٢٥٣)، و(الأعلام ٦/ ٣٤).

* روت عن نزولِ سورة «المائدة» فقالت: إنِّي لآخذةٌ بزمام العَضْبَاء ناقة رسول الله ﷺ، إذْ نزلت عليه سورة المائدة كلّها، وكادت مِنْ ثِقلِهَا تدقُّ عضد النَّاقة[1].

* ووصفت القميص ـ وكان أحبَّ الثِّياب إلى رسول الله ﷺ فقالت: كان كُمُّ قميص رسول الله ﷺ إلى الرُّسُغ[2].

* ولها مرويات تنضوي تحت السِّيرة النَّبوية وتحت الفِقْه، منها ما أخرجه ابنُ ماجه بسنده عنها أنَّ النَّبي ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بطعام[3].

وأخرج أبو نعيم عنها في الحلية أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ ترك دينارين ترك كيّتين»[4].

* ومن المفيد ذكره، أنَّ أسماء هذه هي أول مَنْ نزل فيها العدة للمطلَّقات.

الكريمَةُ المضْيَافَةُ:

* نقلتِ المصادرُ أخباراً رائعة في كرم الأنْصار وإيثارهم، كما روتْ أخبار الكريمة أسماء وطَرْح البركةِ في طعامها، أخرج هذا ابن عساكر في تاريخه بسنده عن أسماء قالت:

رأيتُ رسول الله ﷺ صَلّىٰ في مسجدنا المغرب فجئتُ منزلي، فجئتُه بعَرْقٍ ـ عظم عليه لحم ـ وأرغفةٍ فقلتُ: بأبي وأمّي تَعشَّ.

فقال لأصحابه: «كُلُوا بسم الله».

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢)، والبداية والنهاية (٣/ ٢٢).

(٢) الرسغ، والرصغ ـ: بالصاد والسين ـ وهو المفصل بين الكف والساعد. وحكمة اقتصار القميص إلى الرسغ، أنه متى جاوز اليّد شقّ على لابسه ومنعه سرعة الحركة والبطش، ومن قصر عنه تأذى الساعد بالحر والبرد، فكان جعله إلى الرسغ أمراً وسطاً، وخير الأمور أوساطها.

(٣) سنن ابن ماجه (٢٤٣٨)، وأخرجه الترمذي (١٧٦٥).

(٤) الحلية (٢/ ٧٧).

فأكلَ هو وأصحابه الذين جاؤوا معه، ومَنْ كان حاضراً من أهل الدَّار. والذي نفسي بيده، لرأيتُ بعض العَرْق لم يتعرَّقهُ وعامة الخبز. وإنّ القوم أربعون رجلاً، ثم شرب من ماء عندي في شَجْب - قِرْبَة - ثمَّ انصرف فأخذتْ ذلك الشَّجْب، فذهبتُ فطويته يُسقى فيه المريض، ويُشرب منه في الحين رجاء البركة[1].

الـرِّحْلَـةُ الـخَالِـدةُ:

* يمَّمتْ أسماء وجهها نحو الشّام بعد وفاةِ رسول الله ﷺ، حيثُ شاركت في معركة اليَرموكِ وأبلتْ فيها بلاءً حسناً ظلَّ التّاريخ يذكرهُ لها حيثما ذُكرت، ومن ثمَّ ألقتْ رحالها في دمشقَ الشَّام، وأخذتْ تحدِّثْ فيها، ذكر هذا ابن عساكر في تاريخه نقلاً عن أبي زُرعة قال: حدّثَ بالشَّام من النّساء أسماء بنت يزيد بن السَّكن يعني أمّ سَلمة رضي الله عنها.

* وأورد الذَّهبيُّ رحمه الله أنَّ أمّ سلمة أسماء بنت يزيد قد عاشت إلى دولةِ يزيد بن معاوية[2].

* وقال في موضع[3] آخر: سكنتْ دمشق، وقبرُ أمِّ سلمة الذي بمقبرة باب الصَّغير هو قبرها إنْ شاء الله، ويتوافق هذا مع الذي ذكره ابن كثير في وفيات سنة تسع وستين إنّه ممن توفي في هذه السَّنة أسماء بنت يزيد بن السَّكن الأنصارية، بايعت النَّبي ﷺ وقتلتْ بعمودِ خيمتها يوم اليرموك تسعةً منَ الرُّوم ليلةَ عرسها، وسكنتْ دمشق، ودُفنتْ بباب الصَّغير.

* وبهذا تكون وفاةُ أسماء في خلافة عبد الملك بن مروان الأموي[4].

---

(١) تاريخ دمشق (ص ٣٩) تراجم النساء.

(٢) مات يزيد بن معاوية في (١٤) ربيع الأول سنة (٦٤هـ).

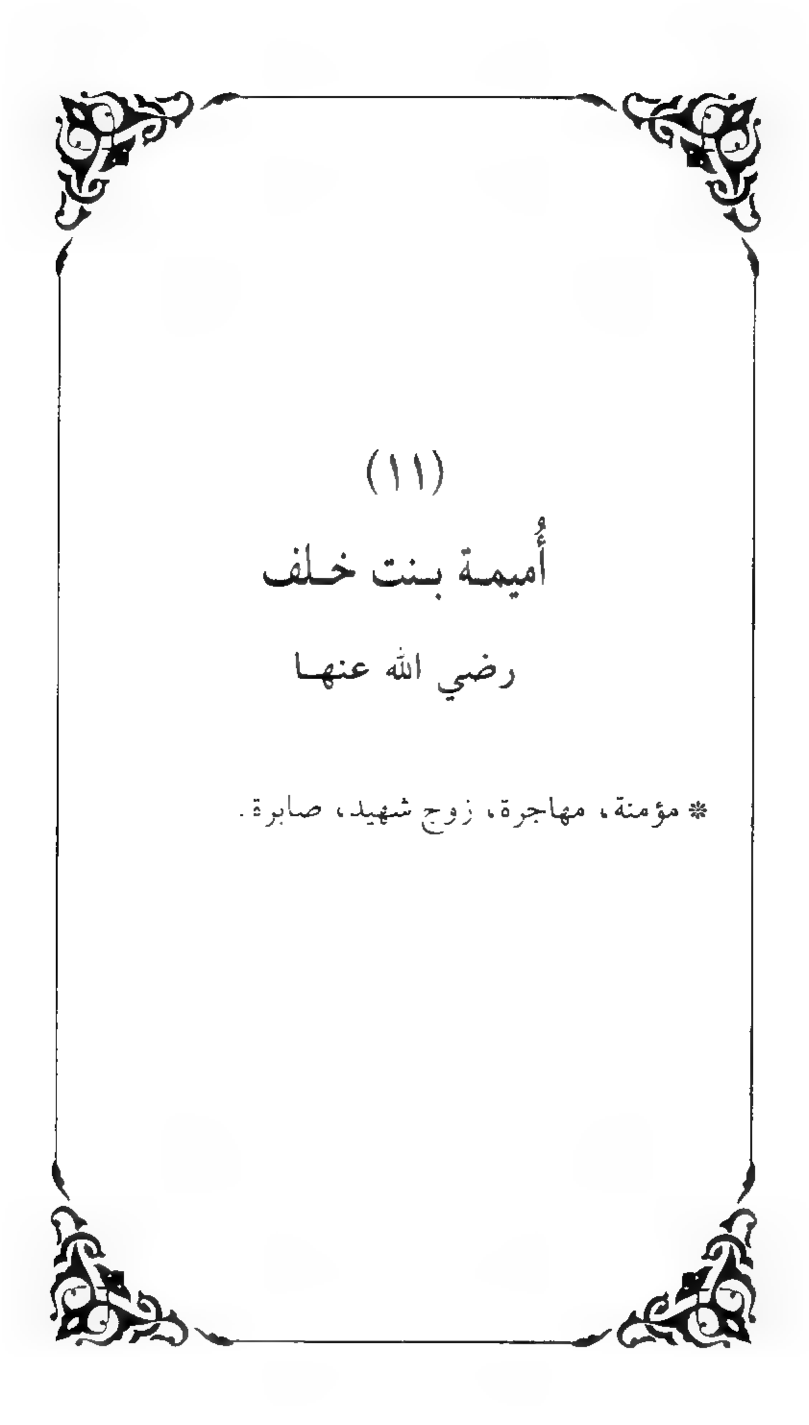
(٣) ذكره الذهبي هذا في مواضع متعددة من كتبه، وخصوصاً سير أعلام النبلاء، انظر مثلاً السير: (٢/ ٢٢٠ و٢٩٦).

(٤) عبدُ الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي، أبو الوليد، منْ أعاظم الخلفاء ودهاتهم، فقيهٌ، عابدٌ، ناسك، قويُّ الهيبة، له أعمال جليلة كنقل الدَّواوين إلى =

* وبعد، فهذه رحلةٌ شائقة قضيناها في رحاب أجواء الصَّحابية الجليلة أسماء بنت يزيد خطيبة النِّساء ورسولهن إلى النبيِّ ﷺ. فرضيَ الله عنها، وأسكنها فسيح الجنانَ، والحمد لله رب العالمين.

* * *

= العربية، وضَبْطِ الحروفِ بالنُّقط والحركات، ونَقْشِ الدَّراهم والدَّنانير بالعربية. توفي بدمشق سنة (٨٦هـ) وله ٦٢ سنة. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٠٩)، و(الأعلام ٤/ ١٦٥).



(١١)

أُميمة بنت خلف

رضي الله عنها

* مؤمنة، مهاجرة، زوج شهيد، صابرة.

رُؤْيَا مُبَارَكَة:

* ويومَ بدأتْ نسماتُ الإسلامِ تسري في مكةَ هامسةً بأنَّ محمداً ﷺ يدعو إلى خيريّ الدُّنيا والآخرة، كانت أميمةُ بنت خلف بن أسعد الخزاعية[1]، ممن صدفت همساتُ الإيمان قلبها خالياً نقياً فتمكنتْ منه، إذْ حدثها زوجُها خالد بن سعيد بن العاص عن إيمانه واتّباعهِ لرسولِ الله ﷺ فأسلمتْ وصدّقتْ.

* ولإسلام أميمة وزوجها قصة شائقة، تلذُّ بها الأسماع، وتشتهيها الأنفسُ الصَّافية، تقول القصة:

رأى خالدُ بن سعيد في النَّوم أنَّه وُقف به على شفيرِ نارٍ عظيمةٍ، وأبوه مِنْ خلفه يدفعه يريدُ أنْ يرميَه فيها، فإذا بخالد يرى رسولَ الله ﷺ يمسكه مِنْ ثوبه ويجذبُه بعيداً عن النَّار.

فلما أصبح قال: أَحْلفُ بالله إنّها لرؤيا، وأسرعَ إلى سيِّدنا أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه ـ وكان أعبر النَّاس ـ وقصَّ عليه رؤياه فقال له الصِّديق: أُريدَ بك الخير، هذا رسولُ الله ﷺ فاتَّبِعْه، وإنك ستتبعه في الإسلام الذي يحجزك منْ أَنْ تقع في النَّار، وأبوكَ واقعٌ فيها؛ فجاء خالدُ رسول الله ﷺ فأسلم[2].

* وزفَّ خالدٌ نبأَ إسلامه لزوجهِ أميمة، فسارعتْ هي الأخرى لتفوزَ بقصب السَّبْقِ إلى السَّاحة الإيمانية المباركة.

* ومنذ أَنْ أسلم هذان الزَّوجان بدأتِ المحنُ تنصبُّ عليهما، فقد سبَقَ

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٢٣٤)، والإصابة (٤/ ٢٣٤)، وأوردت بعض المصادر اسمها أُمَيْنَة وبعضها هُمينة.

(٢) عن الطبقات (٤/ ٩٤)، والاستيعاب (١/ ٤٠١)، والإصابة (١/ ٤٠٦) بتصرف يسير.

خالد إخوته إلى الإسلام[1]، مما أثار غضب والده سعيد بن العاص[2]، ولجأ إلى عقاب ابنه خالد عقاباً أليماً، فأنَّبه وشتمه وضربه، وحذَّر إخوته أَنْ يكلِّموه، ولم يكتفِ بهذا، بل طرده وحرمَهُ الطَّعام مع زوجهِ أميمة، وقال له: اذهبْ يا لُكَع حيث شئتَ، والله لأمنعنَّكَ القوت.

فقال خالد: إنْ منعتني فإنَّ الله يرزقني ما أعيش به[3].

فأخرجه وقال لبنيه ـ ولم يكونوا أسلموا ـ: لا يكلِّمْهُ أحدٌ فيكم إلا صنعتُ به كذا وكذا.

ولكنَّ الله غالبٌ على أَمْره، فلم تمضِ فترةٌ وجيزةٌ حتى آمنَ إخوة خالد: أبان، وعمرو، والحكم، وأعلنوا إسلامهم، وشاركوا في نصرةِ دينِ الله عزّ وجل.

المهَاجِرةُ الوَلُود:

* شاركتْ أميمةُ زوجَها رضي الله عنهما في تحمُّلِ الشّدائد من جانبين، من قريش، ومن حَمَاهَا ـ والد زوجها ـ، وراحت تقهر العذابَ بالتضحية، وتتفوّقُ على الحرمان بزادِ الإيمان الذي لا ينفدُ، وكان زوجها خالد قد تغيبَ عن أبيه في نواحي مكة؛ وحين أَمَر النَّبيُّ الكريم ﷺ أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبَشَةِ، كان خالد وزوجه أميمة أول مَنْ هاجرَ إليها.

---

(١) الاستيعاب (١/ ٤٠١).

(٢) من الجدير معرفته أنَّ والدَ خالد: سعيد بن العاص واسمه أبوأُحَيْحَةَ، كان من كبار رجال قريش، وكان إذا اعتمَّ لم يعتمّ قرشيٌّ إعظاماً له، وهو الذي يقول فيه القائل:

أبو أحيحة مَنْ يعتمَّ عمته ... يُضربْ وإن كان ذا مالٍ وذا عددِ

وقد قيل في عِمّته أيضاً:

وكان أبو أحيحة قد علمتم ... بمكةَ غير مهتضم ذميمِ

إذا شدّ العصابة ذات يوم ... وقام إلى المجالس والخصومِ

لقد حرمتْ على مَنْ كان يمشي ... بمكةَ غير محتقر لئيمِ

هذا وقد مات أبو أحيحة ـ سعيد بن العاص ـ كافراً، ونجا بنوه بالإسلام.

(٣) الاستيعاب (١/ ٤٠٢)، وأسد الغابة (٢/ ٨٣)، والسيرة الحلبية (١/ ٤٥٤).

* وهنالك ولدتْ أميمةُ لخالد ابنه سعيد بن خالد[1]، ثم ولدت له أَمَة بنت خالد، التي اشتهرت بكنيتها أمّ خالد بنت خالد[2]. وكان لهذين المولودين شأن في تاريخ عَصْر النُّبوة.

اللـقَـاء الـسَّعيْـدُ:

* لَبثتْ أميمةُ في أرض الحبشة بِضْع سنوات مع زوجها وولديهما، حتى بعث رسول الله ﷺ إلى النَّجاشي عمرو بن أمية الضَّمْري فحملهم في سفينتين، فقدم بهم عليه، ووجدوا أنَّ رسول الله ﷺ قد فَرَغَ مِنْ فَتْح خيبر، وكان اللقاء سعيداً بين النَّبي الكريم ﷺ وبين المؤمنين الذين طالتْ غيبتهم وغربتهم، وطال اشتياقهم لرؤية نبيِّهم محمّد عليه الصَّلاة والسَّلام.

* وأقامتْ أميمةُ رضي الله عنها في المدينة تتابعُ الأحداث الإسلامية، وتوفي رسولُ الله ﷺ وهو راضٍ عنها وعن زوجها الذي كان قد ولاَّهُ على اليَمن.

زَوْجُ الـشَّهيـدِ الـتَّقيِّ:

* لما انطلق المسلمونَ لقتالِ الرُّوم في الشَّام، ودَّعَ خالد زوجَه أميمةَ وانخرط في صفوفهم، وكان له موقفٌ ينمُّ على عظمة نفسه وعلى تقواه، فقد سأله سيِّدُنا أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه: مع مَنْ مِنَ القُوَّادِ يُحِبُّ أَنْ يكون: مع عمرو بن العاص - ابن عمه - أَمْ مع شُرَحْبيل بن حسنة[3].

---

(١) سعيد بن خالد بن العاص القرشي الأموي، ولد بأرض الحبشة في هجرة أبيه إليها، وهو ممن أقام بأرض الحبشة حتى قدم مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في السفينتين. (أسد الغابة ٢/ ٣٠٥). ومن الجدير بالمعرفة أنه ممن ولد بأرض الحبشة من الذكور من أبناء المهاجرين عبد الله بن جعفر، ومحمد بن أبي حذيفة، وسعيد بن خالد، وعبد الله بن المطلب، وموسى بن الحارث رضي الله عنهم.

(٢) اقرأ سيرة الصحابية أم خالد بنت خالد الأموية في هذا الكتاب ففيها أخبار ممتعة.

(٣) شرحبيل بن حسنة - وهي أمُّه - واسم أبيه: عبد الله بن المطاع الكندي، أسلم قديماً مع أخويه لأمه: جنادة وجابر، وهاجروا الهجرتين، وكان ممن سَيَّرَهُ أبو بكر في =

فقال خالد: ابن عمي أحبّ إليّ في قرابته؛ وهذا أحبّ إليّ في ديني. واستحبّ أنْ يكون مع شُرحبيل بن حسنة[1] رضي الله عنه.

* وفي موقعةِ مَرْجِ الصّفر بالشّام استشهد خالد وفاز بمرضاة الله عزّ وجلّ، ووصل خبرُ استشهادهِ إلى زوجه المؤمنة الصّابرة أميمة، فاحتسبته عند الله، وخصوصاً لمّا سمعت عن كرامته عقِب استشهاده، فقد ورَدَ أنَّ خالداً لما استشهد قال الذي قتله ـ بعد أنْ أسلم ـ: مَنْ هذا الرَّجل؟ فإنّني رأيتُ له نوراً ساطعاً إلى السَّماء[2].

* ويتوقَّفُ التَّاريخُ، فلا يحدثنا بعد ذلك عنْ آخرِ حياة الصّحابية أميمة بنت خلف، ولكنَّه خلَّفَ لنا سيرة مؤمنة سابقة صابرة، عملتْ على إعلاءِ كلمةِ الله، وكانت لزوجها خير معوان، فحبذا اقتداء النّساء بمثل هؤلاء النِّسوة.

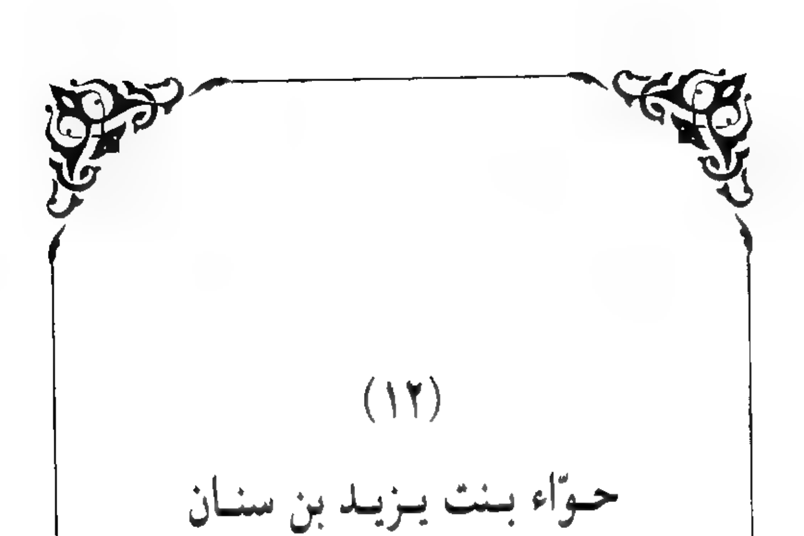
* رضي الله عن أميمة وأرضاها، وأسكنها الجنّة مع منْ فاز.

* * *

= فتوح الشَّام، وولاّه عمر بعض نواحي الشَّام؛ مات في عَمْواس سنة (١٨هـ) وله ٦٧ سنة مات هووأبو عبيدة بن الجراح في يوم واحد رضي الله عنهما.
(الاستيعاب ٢/ ١٣٧ و١٣٨)، و(تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٤٢).

(١) انظر الطبقات (٤/ ٩٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٩٢)



(١٢)

حوّاء بنت يزيد بن سنان

رضي الله عنها

* قال ﷺ لزوجها قيس:

«يا أبا يزيد: إنَّ صاحبتك ـ زوجتك ـ حواء قد بلغني أنَّكَ تُسيءُ صحبتها مذ فارقتْ دينكَ، فاتَّقِ الله، واحفظني فيها، ولا تَعَرَّضْ لها».

أَوَّلُ مَـنْ بَــايَــعَ :

* حدثتْ أمُّ عامر الأشهلية رضي الله عنها فقالت :

جئتُ أنا، وليلى بنتُ الخطيم، وحوّاء بنت يزيد، فدخلنا على النّبيّ ﷺ، ونحنُ متلفّفاتٍ بمروطنا بين المغرب والعشاء، فسلمتُ ونسبني فانتسبتُ، ونسب صاحبتيَّ فانتسبتا، فرحَّب بنا ثم قال: «ما حاجتكنَّ؟».

فقلنا: يا رسول الله جئنا نبايعك على الإسلام، فإنا قد صدَّقْنا بك، وشهدنا أنَّ ما جئتَ به حقٌّ.

فقال رسول الله ﷺ: «الحمدُ الله الذي هداكُنَّ للإسلام»، ثم قال: «قد بايعتُكُنَّ».

قال أمُّ عامر: فدنوتُ منه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أصافح النِّساء، قولي لألْفِ امرأة كقولي لامرأة واحدة».

وكانت أمُّ عامر تقول: إنّا أول مَنْ بايعَ رسول الله ﷺ[1].

* ومع امرأة من أُولى المبايعات نلتقي حوّاءَ بنتَ يزيد بن سنان الأشهلية الأنصارية[2]. وأمها عقرب بنت معاذ أخت الصَّحابي الجليل سعد بن معاذ، فَسَعْدٌ إذاً هو خال حواء.

وأخوها رافع بن يزيد صحابي جليل من أهلِ بدر رضي الله عنه.

* أسلمت حواء قديماً في المدينة وحسن إسلامها، وهي ممن حظين باحترام رسول الله ﷺ وتقديره.

صَبْـرُهَـا وَوَفَـاؤُهَـا :

* حواءُ بنت يزيد ممن تحملنَ الأذى في سبيل إسلامهن؛ فقد كانت حواء

---

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ١٢).

(٢) الطبقات (٨/ ٣٢٣)، والإصابة (٤/ ٢٦٨).

زوجٌ لقيس بن الخطيم الأوسي الشاعر الجاهلي المعروف، وكانت قد أسلمتْ بينما بقي زوجها على شِرْكِه.

* وقد خلَّف قيس ـ هذا ـ ولدين هما: يزيد وثابت، ولكليهما صحبة. ويزيد هو الذي شهد أُحداً مع رسول الله ﷺ وجُرِحَ يومئذ اثنتي عشرة جراحة، وسمَّاه النَّبيُّ ﷺ يومئذ جاسراً فكان يقول: «يا جاسر أقبلْ، يا جاسر أَدْبِرْ»، وهو يضرب بسيفٍ بين يديه، ثم شهد المشاهد كلها، واستشهد يوم جسر أبي عبيد رضي الله عنهما[1].

* وأمَّا ثابت فكما قال ابن عبد البر في الاستيعاب: إنَّه مذكور في الصَّحابة، ومات في خلافة معاوية رضي الله عنهما.

* وكان قيس يؤذي زوجه ويسيءُ إليها كل الإساءة، وكان لا يخفى على رسول الله ﷺ بمكة أَمْرٌ يكون بالمدينة إلا بُلِّغَهُ وأُخْبِرَ به.

* وبلغهُ ﷺ أذيةُ قيسٍ لزوجه حوَّاء، وكان قيس ـ قبل موته ـ قد لقيَ رسول الله ﷺ في سوق ذي المجاز[2] بمكة المكرمة، فدعاه إلى الإسلام وحرص عليه، فقال قيس: ما أحسن ما تدعو إليه، وإنَّ الذي تدعو إليه لحَسَنٌ، ولكنَّ الحربَ[3] شغلتني عن هذا الحديث، وجعل رسولُ الله ﷺ

---

(١) عن أسد الغابة (٥/ ١١٩) بتصرف يسير.

(٢) «ذو المجاز»: من أسواق العرب المعروفة في الجاهلية.

(٣) كان قيس يقصد بالحرب؛ تلك الحروب الداخلية بين الأوس والخزرج التي كادت تقضي عليهم وكان آخرها يوم بُعاث؛ وهو آخر الحروب المشهورة بينهما، وبُعَاث موضعٌ في نواحي المدينة، وكانت هذه الحرب من إيعاز اليهود المقيمين في المدينة؛ ودخل مع القبيلتين قبائل من اليهود والعرب، ومكثوا أربعين يوماً يتجهزون للحرب والتقَوْا في بعاث، واقتتلوا قتالاً شديداً، وصبروا جميعاً، وانهزمت الأوس في أول النَّهار ثم دارتِ الدائرة على الخزرج، ووضعتِ الأوسُ فيهم السِّلاح، ثم انتهوا عنهم، وأحرقت الأوس دُورَ الخزرج وأكثر الأنصار من قول الشِّعر في يوم بعاث، وكان قبل الهجرة بخمس سنين في أصح الروايات. من الجدير بالذكر أن أول حروب الأوس والخزرج كانت حرب سمير (عن الكامل لابن =

يلحُّ عليه ويكنيه ويقول: «يا أبا يزيد أدعوكَ إلى الله» ويردُّ عليه قيس كلامه الأول[1].

* ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ نهاه عن إيذاء زوجِهِ حوّاء، وقال له: «يا أبا يزيد إنّ صاحبتك ـ زوجتك ـ حواء قد بلغني أنَّك تسيءُ صحبتها مُذْ فارقتْ دينَكَ؛ فاتقِ الله، واحفظْني فيها، ولا تَعرّضْ لها»[2].

* ومع بقاء قيس على شركه، وفى بوعده فلم يعمد إلى إيذاء زوجه.

وصيّـةٌ ووَفَـاءٌ:

* روى ابن سَلاّم رحمه الله في كتابه «طبقات فحول الشُّعراء» أخبر أذيّة قيس لزوجِهِ، ووصية رسول الله ﷺ بها وشهادته بإيمانها، ومن ثَمَّ وفاء زوجها فقال:

كان قيسُ ـ بن الخطيم ـ مقيماً على شركه، وأسلمتْ امرأته، وكان يقال لها حَوّاء، وكان يصدُّها عن الإسلامِ ويعبثُ بها، يأتيها وهي ساجدة فيقلبها على رأسها.

وكان رسول الله ﷺ ـ وهو بمكةَ قبل الهجرة ـ يسألُ عنْ أمورِ الأنصار وعن حالهم، فأُخْبِر بإسلامها، وبما تلقى من قيس، فلمّا كان الموسم، أتاه النّبي ﷺ في مضربه، فلما رأى النّبي ﷺ رحّبَ به وأعْظمه، فقال له النّبي ﷺ: «إنَّ امرأتك قد أسلمتْ، وإنّك تؤذيها فأحبُّ ألاّ تعرَّضْ لها».

قال: نعم وكرامة يا أبا القاسم، لستُ بعائد في شيء تكرهه.

فلما قدم المدينة قال لها: إنّ صاحبك قد لقيني فطلب إليّ ألاّ أعرض لكِ، فشأنُك وأَمْرُكِ[3].

= الأثير، وأيام العرب في الجاهلية، وفتح الباري لابن حجر).

(١) الطبقات (٨/ ٣٢٣ و٣٢٤).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) طبقات فحول الشعراء (١/ ١٩٢ و١٩٣).

وفي الدَلائل[1] للبيهقي[2] أنَّه قال لها: فشأنُك بدينكِ فواللهِ ما رأيتهُ إلا حَسَنَ الوجْهِ حَسَنَ الهيئةِ.

فأظهرتُ حواء عندئذ ما كانت تخفي من الإسلام، فلا يعرض لها قيس، فكان يقال له: يا أبا يزيد امرأتك تتبعُ دينَ محمَّد ﷺ؛ فيقول: قد جعلتُ لمحمَّد ألاَّ أسوءها وأحفظه فيها.

* وبلغ رسولُ الله ﷺ وفاء قيس بوعده، وعدم تعرضه لامرأته حواء بسوء، بعد ما أعطاه من وعده، فقال النَّبي ﷺ «وَفَى الأُدَيْعِجُ»[3].

* وأضحتْ حواء بعد ذلك تعبد الله عزَّ وجلَّ دون أذيّة من زوجها، إلى أَنْ قدمَ رسولُ الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة، فانطلقتْ وبايعته في أولِ نساء الأنصار رضي الله عنهن.

---

(١) دلائل النبوة (٢/ ٤٥٦).

(٢) البيهقي: الإمامُ الحافظ العلامةُ شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. ولد في خُسْرِ وْجرد من أعمال بيهق بنيسابور في شعبان سنة (٣٨٤هـ)، ولزم الحاكم وتخرج به. ورحل إلى بغداد والكوفة ومكة وغيرها. عمل كتباً لم يُسبق إليها كالسنن الكبرى والصغرى، وشعب الإيمان، ودلائل النبوة، والآداب، والدعوات، والزُّهد وغير ذلك مما يقارب ألف جزء. وبورك له في علمه لحسن قصده وقوة فهمه وحفظه. قال إمام الحرمين في شأنه: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي فإن له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه. وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً ويجتهد فيه كان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف. توفي في عاشر جمادى سنة (٤٥٨هـ)، بنيسابور ونقل إلى بيهق في تابوت مسيرة يومين. (طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٣٣).

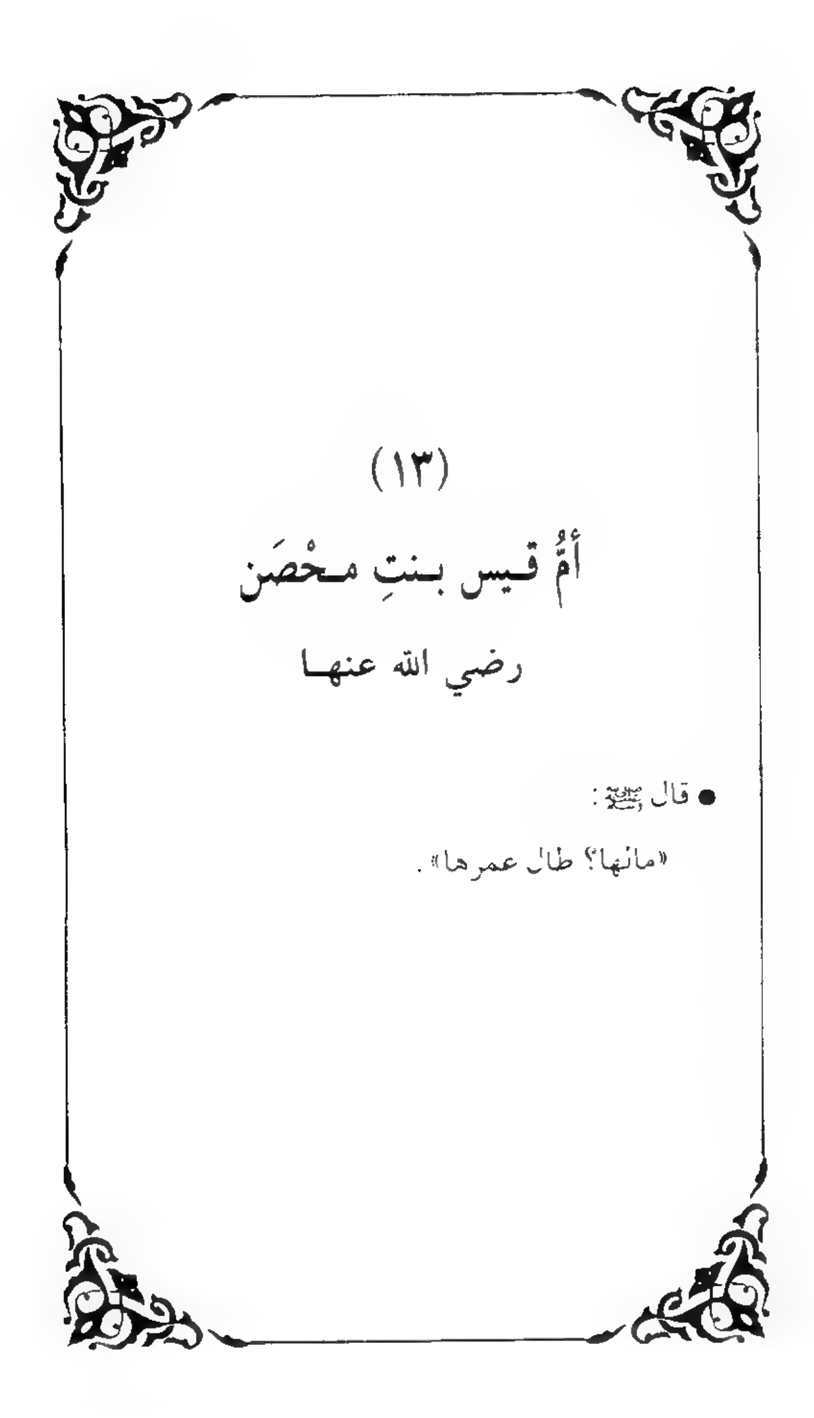
(٣) أسد الغابة (٥/ ٤٣١). و«الأُدَيْعج»: مُصغَّر تصغير تمليح، وكان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعجهما؛ ويقال: دعجتِ العين دعجاً ودعجة: أي اشتد سوادها وبياضها واتسعت.
ومن الجدير بالذكر أنه كان لقيس أختان قد أسلمتا وبايعتا رسول الله ﷺ وهما: ليلى ولبنى رضي الله عنهما (الطبقات ٨/ ٣٣٧).

* ووفتْ حواء في بيعتها، وصدقتِ الله ما عاهدته عليه، وأخذت تتابعُ مجالات الخير مع نساء الصَّحابة في المدينة، وقد أكرمها الله بولديها يزيد وثابت اللَّذَيْن كانا من فرسان مدرسة النّبوة.

* وتسكت المصادر عن بقية حياة حواءَ بنت يزيد، فلا تحدثنا عن أواخر أيامها، ولا تحدد زمان وفاتها.

* رضي الله عن حواء، وجعلها في السَّابقين، فقد كانت بحقٍّ مثال المؤمنة الصَّابرة، ومثلُها فلتكُنِ النِّساء.

* * *



(١٣)

أُمُّ قيس بنتِ محْصَن

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«مالَها؟ طال عمرها».

رَكْبُ السَّابقينَ:

● صَحابةُ رسول الله ﷺ همُ الصَّفْوة الذين اختارهم الله عزّ وجلّ لحمْل رسالة الإسلام، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، وهؤلاء الصَّحْب الكرام رجالاً ونساء، كانوا يأْتَسون برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وما تزال فضائلهم تنضح بالخير، وصفاتهم تشعُّ بالنُّور على الدُّنيا بأسرها، إذْ كانت أعمالهم المجيدة ـ في شتى المجالات ـ مثالاً يحتذى، وأثراً لا تمحوه الأيام.

● ونحن الآن مع سيرة واحدة مِنْ نساء ذلك الرَّكب المعطاء، أُمّ قيس بنت محصن بن حرثان الأسدية[1]، أخت الصَّحابي المشهور عُكَّاشة بن محْصَن رضي الله عنه.

● وأمُّ قيس ممَنْ أسرعن إلى ساحةِ الإسلام، وبايعن الرّسول ﷺ، إذ كان إسلامُها قديماً مع قومها بني أسد، وطفقتْ قريش تَشُنُّ حملات التَّعذيب والمضايقات لهؤلاء الذين عمرت قلوبهم بمحبةِ الله ورسوله.

ولما أوغل المشركون في الإيذاء، أَذِنَ الله عزَّ وجلَّ للمؤمنين بالهجرة، فأمر النَّبيُّ ﷺ أصحابة بالهجرة إلى المدينة وقال: «إنَّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها».

فخرجوا أرسالاً ـ جماعة في إِثْرِ جماعة ـ وانطلقتْ أُمُّ قَيس مع قومها مهاجرة إلى الله ورسولِهِ.

* وفي السِّيرة، ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله هجرة أمّ قَيْس وقومها فقال:

وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام، قد أوعبوا ـ هاجروا بأجمعهم ـ إلى المدينة مع رسول الله ﷺ هجرةً: نساؤهم ورجالُهم، وغلَّقوا دُوْرهم؛ فممن

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٤٢)، والاستيعاب (٤/ ٤٦٢)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٦)، وذكر السهيلي أن أم قيس اسمها آمنة بنت محصن.

هاجر مِنْ رجالهم عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد، وعكَّاشة بن محصن، وممن هاجر من نسائهم: زينب وحمنة وأم حبيب بنات جحش، وأمُّ قيس بنت محصن رضي الله عنهم جميعاً[1].

وقد سجّل أبو أحمد بن جحش ـ وكان شاعراً ـ هجرة قومه بقصيدة رائعة قال فيها:

دعوتُ بني غَنْمٍ لحقْنِ دمائهم
وللحقِّ لما لاح للنَّاس ملحب[2]
أجابوا بحمدِ الله لمّا دعاهمُ
إلى الحقّ داعٍ والنَّجاح فأوعبوا
وَرِعنا إلى قولِ النَّبي محمَّدٍ
فطاب ولاةُ الحقّ مِنّا وطُيِّبوا[3]

رعَايَةٌ واهتِمَامٌ:

كان لآلِ محصن عنايةٌ خاصةٌ من رسول الله ﷺ، فقد كان لعُكَّاشة رضي الله عنه رعايةٌ نبويةٌ لم يُسبقْ إليها، إذ سأل النَّبي ﷺ أَنْ يدخله الله الجنَّة بغير حساب قائلاً: ادعُ الله أنْ يجعلني منهم ـ أي من السَّبعين ألفاً الذين يدخلون الجنّة بغير حساب.

فقال النّبيُّ ﷺ: «أنْتَ منهم».

ثم قال رجل آخر فقال: ادعُ الله أنْ يجعلَني منهم.

فقال: «سبقك بها عُكَّاشة»[4].

ولا تقلُّ أمُّ محصن مكانةً عن أخيها، بل إنَّ رسول الله ﷺ تلطَّفَ بابنها الصَّغير الذي بال على ثوب رسول الله ﷺ، روتْ أمُّ قيس هذا فقالت:

---

(١) السيرة النبوية (١/ ٤٧٢) بتصرف يسير.

(٢) «ملحب»: طريق واضح.

(٣) «ورعنا»: رجعنا.

(٤) للمزيد من أخبار هذا الصحابي راجع كتابنا «رجال مبشرون بالجنة» (٢/ ١٥٣).

أتيت رسول الله ﷺ بابنٍ لي لم يأكلِ الطّعام، فجعلهُ في حجره، فبال على ثوبِ رسول الله ﷺ، فدعا بماء فنضح عليه، ولم يغْسِلْه[(١)].

وهذا التَّصرف الحكيم من النَّبيِّ ﷺ يشيرُ إلى هَدْيه وتعليمه للنِّساء أَنْ يرفقن بالأطفال، ويتعلمن الطَّهارة.

أُمُّ قَـيْـس والـطِّـبُّ الـنَّـبَويُّ:

* اهتمَّ الإسلام بصحةِ المسلم اهتماماً بالغاً، باعتبار أنَّ الصّحة أعظم نعمة أنعمها الله على خلقه بعد نعمتي الإيمان واليقين؛ من هذا المنطلق كان رسول الله ﷺ يرشد أصحابه إلى الابتعاد عن المهالك، واللجوء إلى العلاج بالأدوية الإلهية، والأدوية الطبيعية.

فقد كان ﷺ يدعو إلى علاج الأرواح والأبدان ليكونَ الجسمُ صالحاً في عموم أعضائه. والمراد بالطِّبِّ النَّبويِّ؛ الطِّبُّ الذي فعله رسول الله ﷺ، وأمر به، وما اعتاد عليه النَّاس في زمنه.

* لذا فقد أرشد رسول الله ﷺ أُمَّ قيس إلى سلوك الطَّريق الصّحيح في المحافظة على صحة ولدها، كما أشار إلى العلاج بالعود الهندي لما فيه من فوائد كثيرة، حدَّثتْ أم قيس رضي الله عنها عن تلك الوصفة الطِّبيّة النَّبوية فقالت:

دخلتُ على النَّبي ﷺ بابن لي قد أَعْلَقْتُ عليه من العذرة ـ وجع الحلق ـ فقال: «عَلام تَدْغَرْنَ أولادكن بهذا العِلاق، عليكن بهذا العود الهندي فإنَّ فيه سبعة أشفية يُسْقطُ من العذرة، ويُلَدُّ من ذات الجنب»[(٢)].

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٤٢ و٢٤٣)، وأسد الغابة (٥/ ٦٠٩).

(٢) التاج الجامع للأصول (٣/ ٢٠٥). «واندغر»: الدفع وغمز الحلق ورفع المرأة لهاة الصبي بأصبعها. و«ذات الجنب»: اسم يقع على السل وغيره، وعلى كل مرض يضجع المريض على جنبه. وأراد النبي ﷺ أن يعلم النساء إلى أن العود الهندي شفاء للعذرة بدلاً من التعذيب بالدغر.

راويـةُ الـحَديـث:

ليس غريباً أنْ تُقْبلَ النِّساء على العلم ورواية الحديث، فالله عزَّ وجلَّ قد صدرَ وحيه إلى المسلمين والمسلمات بطلب القراءة والعلم، وما عُبدَ الله تعالى بشيء أحبّ إليه من العلم، وكان النَّبيُّ ﷺ يرغِّبُ أصحابه في العلم؛ وأقبلتْ أمُّ قيس رضي الله عنها وأرضاها على العلم فوعتِ الحديثَ الشَّريف، ورَوتْ عن النَّبي ﷺ (٢٤) حديثاً، اتفق البُخاري ومسلم على حديثين، وروى لها الجماعة.

روى عنها من الصَّحابة وابصةُ بن مَعْبد[١]. وروى عنها عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، ومولاها أبو الحسن، وعَمْرة أخت نافع مولى حمنة بنت شجاع وغيرهم.

ومما روته قولها: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «عليكم بهذا العود الهندي فإنَّ فيه سبعة أشفية ـ أمراض ـ يُسْعَطُ به منَ العذرة ويُلَدُّ به من ذات الجنب»[٢].

ولأم قيس رضي الله عنها مرويات في تاريخ السِّيرة والتَّراجم على جانب كبير من الأهمية منها قولها: توفيَ رسول الله ﷺ وعكّاشة ـ أخوها ـ ابن أربع وأربعين سنة[٣].

«طـالَ عُـمـرُهَـا»:

طولُ العمر مع حُسْنِ العمل مفتاحُ الخير كلِّه، وسبيلٌ للوصولِ إلى مرضاة

---

(١) وابصة بن معبد بن مالك الأسدي، أبو سالم، صحابي كريم، أسلم سنة تسع، سكن الكوفة، ثم تحول فأقام بالرقة إلى أن توفي بها، روى عن النبي ﷺ أحاديث. كان وابصة كثير البكاء لا يملك دمعته رضي الله عنه. (أسد الغابة ٥/ ٧٦)، و(تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٤٢).

(٢) التاج الجامع للأصول (٣/ ٢٠٤)، وانظر سنن ابن ماجه (٣٤٦٨) ولفظ الحديث عنده «عليكم بالعود الهندي فإنه فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب».

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٥٠).

الله سبحانه وتعالى، والصَّحابيةُ الكريمة أُمُّ قيس من المعمَّرات من نساء الصَّحابة، وهي ممن شملتْهَا دعوة مستجابة مِنْ رسول الله ﷺ بأن يطول عمرها.

ففي سُنَن النَّسَائي[1] رحمه الله عن مولى أُمِّ قيس عنها أنَّها قالت:

توفي ابني فجزعتُ، فقلتُ للذي يُغسلُهُ: لا تغسِّل ابني بالماء البارد فتقتُلْهُ؛ فانطلقَ عكَّاشةُ إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقولها، فتبسَّم ثم قال: «مالها؟ طال عمرها». قال: فلا نعلم امرأة عُمِّرت ما عمرت[2].

* وعاشت أُمُّ قيس رضي الله عنها حياة سعيدة طويلة تحوطها عنايةُ الله تعالى ببركةِ دعاء رسول الله ﷺ لها. وخلال حياتها المديدة، كانت تبذل كلّ ما بوسعها في سبيل مرضاة الله عزَّ وجلَّ لتفوز بالرِّضوان.

* ومع الخالداتِ، تبقى أُمُّ قيس من اللواتي يعبق تاريخُ نساء الإسلام بذكرهن، ويسطِّرُ الصَّفحات بفضائل أعمالهن، ويبقين الأسوة الحسنة لغيرهن على مرِّ الزمان.

* * *

---

(١) أحمد بن شُعيب بن عليِّ الخرسانيّ النسائيّ أبو عبد الرحمن، القاضي الإمام الحافظ، شيخ الإسلام أحد الأئمة المبرزين، والحفاظ المتقين، والأعلام المشهورين، طاف البلاد، وسمع من خلائق واستوطن مصر. وُلد في نسا سنة (٢٥١هـ) له كتب كثيرة منها: السُّنن الكبرى، والصُّغرى، وخصائص عليّ، ومسند علي، ومسند مالك. قال عنه الحاكم: كان النَّسائي من أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصَّحيح والسَّقيم من الآثار وأعرفهم بالرِّجال
وقال الذَّهبي: هو أحفظ من مسلم بن الحجاج. مات على الأشهر ببيت المقدس شهيداً سنة (٣٠٣هـ) ودفن فيه رحمه الله (طبقات الحفاظ ص ٣٠٦ و٣٠٧). ومصادر أخرى متنوعة.

(٢) رواه النسائي في أبواب غسل الميت. وانظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣٦/١)، والإصابة (٤/٤٦٣)، وتهذيب التهذيب (١٢/٤٧٦ و٤٧٧)



(١٤)

حبيبة بنت سهل الأنصارية

رضي الله عنها

● قال لها رسول الله ﷺ حين أرادت فراق زوجها:

«أتردّين عليه حديقته؟».

قالت: نعم.

فردّت الحديقة، وفرّق بينهما، فكان أوّل خُلْع في الإسلام.



فَجْرٌ جَدِيْدٌ:

* أسفر نورُ الإسلام، فأضاء للنِّساء عن جوٍ جديد مشرق، وأسلوب من الحياة يختلفُ عن ذي قبل، فيعتبر مكانة المرأة، ويضعها في المكان اللائق.

* صحيح أنَّه كان للمرأةِ في عهد الجاهلية بعض فضائلها المكسوبة، ومواهبها الموروثة، وحقوقها التي تمَّ لها بعضها، بَيْد أنَّ الظُّلم، وسوء نظام الحياة الاجتماعية قد سلبا بقية حقوق المرأة، وجعلاها من فصيلة المتاع ليس غير، ولكنَّه عندما رسخت أصولُ الإسلام، نَعِمَتْ هي تحت ظلِّهِ بوثوق الإيمان. فشرعَ لها من الحقوق ما جعلها تعيش الحياة الكريمة التي ينبغي أنْ تكونَ.

ونحن الآن مع صحابية ممَّنْ ناصَرهُنَّ الإسلام، وأظهر لهنَّ حقوقهُنَّ، وكرَّمهُنَّ؛ ترجم لها الإمام النَّووي[1] فقال: حبيبةُ بنتُ سهل بن ثعلبة الأنصارية[2]، وأمُّها عمرةُ بنتُ مسعود بن قيس النَّجارية الأنْصارية. وأسلمتْ حبيبةُ منذ بزوغِ فجر الإسلام بالمدينة، وبايعت رسول الله ﷺ، وكان لحبيبة

---

(١) النَّوويُّ: الإمامُ الفقيهُ، الحافظُ الأوحدُ، القدوةُ شيخ الإسلام، علمُ الأولياءِ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مِرَي الحِزامي الحوراني النَّوويّ الشافعيّ. ولد في المحرم في نوى سنة (٦٣١هـ)، وتعلَّم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً، صنَّف التَّصانيف النَّافعة في الفقه والحديث وغيرها ومن كتبه: شرح صحيح مسلم، والرّوضة، وشرح المهذب، والأذكار، ورياض الصَّالحين، وتهذيب الأسماء واللغات، ومنهاج الطالبين، وبستان العارفين، وغير ذلك كثير، قال عنه السُّيوطي: كان إماماً بارعاً، حافظاً متقناً، أتقن علوماً شتى، وبارك الله في علمه وتصانيفه، وكان شديد الورع والزهد، ولم يتزوج، توفي في رجب بنوى سنة (٦٧٦هـ). (طبقات الحفاظ ص ٥١٣)، و(الأعلام للزركلي).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٧)، وانظر أسد الغابة (٥/ ٤٢٣)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٠٨).

أختٌ اسمها زُغينة بنت سهل[1] قد أسلمتْ أيضاً وبايعت رسول الله ﷺ.

زَوَاجُهَـا:

* أخرجَ ابن سعد بسنده عن يحيى بن سعيد قال: كان النَّبي ﷺ قد همَّ أنْ يتزوَّجَ حبيبةَ بنتَ سهل ـ وهي إحدى عماتي ـ ثم كَرِهَ غَيْرَةَ الأنصار، فكره أنْ يسوءهم في نسائهم[2].

* وتشير هذه الواقعة إلى مدى احترام رسول الله ﷺ مشاعر الأنصار، وإلى المحافظة على حُسْنِ الرَّوابط بين المهاجرين والأنصار.

* هذا وقد تزوَّجَ حبيبةُ سيِّدُنا ثابت بن قيس[3]، خطيبُ رسول الله ﷺ، وأحد نجباء الصَّحابة رضوان الله عليهم.

* ويبدو أَنَّ أمورَ حياة هذين الزَّوجين لم تكن صافيةً ذلك الصَّفاء الذي يمكِّنهم من الاستمرار في حياتهما، فجاء القرآن الكريم والحديث الشَّريف وحَسمَ الخلاف، وجعلَ الحياة الكريمة سبيل كلٍّ واحدٍ منهما.

فإلى الفقْراتِ التَّالية نتعرَّف خبر حبيبة وزوجها ونستمع إلى القول الفَصل في ذلك:

«أتَـرُدِّينَ عَليـه حَـدِيْقَتَـهُ؟»:

هذه هي قاعدةُ الحياة الزَّوجية في الإسلام الحنيف ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فإنْ تلاشى المعروف، ودبتِ النّفْرة، وساءت العِشْرة، وامتنع التَّوفيق بين الزَّوجين، سواء أكان سبيل ذلك الزّوج أو الزَّوجة أو هما معاً فما خير تلك الحياة؟.

فالحياةُ الزَّوجية لا تقوم إلا على السَّكن، والرَّحمة، والمودة، وحُسْن

---

(١) الإصابة (٤/ ٢٩٥).

(٢) الطبقات (٨/ ٤٤٥)، وانظر أيضاً تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٧).

(٣) اقرأ سيرة سيدنا ثابت بن قيس في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة» (١/ ٢٣٥).

المعاشرة، وأداء كلٍّ منَ الزَّوجين ما عليه من حقوق.

وقد يحدث أَنْ يكره الرّجل زوجته، أو تكره هي زوجها؛ ففي هذه الحال يوصي الإسلام بالصَّبر والاحتمال. وينصح بعلاج ما عسى أَنْ يكون من أسباب الكراهية. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. وفي الحديث الصَّحيح: «لا يَفْرك[١] مؤمن مؤمنة إن كره منها خُلُقاً رضي منها خلقاً آخر».

* إلا أنَّ البُغْضَ قد ينمو، ويشتد الشّقاق، ويصبح العلاجُ عسيراً، وينفدُ الصَّبر، وتصبحُ الحياة الزَّوجية جحيماً، حينئذ يرخص الإسلام بالعلاج الوحيد الذي لا بدّ منه.

فإذا كانتِ الكراهية من جهة الرجل، فبيده الطَّلاق، وإن كانت الكراهية من جهة المرأة، فقد أباحَ لها الإسلام أَنْ تتخلص من أساها بطريقة الخُلع[٢]؛ بأَنْ تعطي الزَّوج ما كانت أخذت منه من مهْر لينهي علاقته بها.

وهذا ما حدث مع حبيبة وزوجها ثابت، حيث وقع بينهما الشّقاق إلى الحدّ الذين لم تَعُدْ فيه حبيبة تطيقُ العيش مع زوجها، فقد ورد أنّها أتتِ النَّبيّ ﷺ تشكو زوجها ثابتاً فقالت: يا رسول الله: ما أعيبُ على ثابت في خلق ولا دِيْنٍ[٣] ولكنْ أكرهُ الكُفْرَ في الإسلام، ولا أطيقه بغضاً. فقال له

---

(١) «لا يفرك»: لا يبغض.

(٢) الخُلْعُ الذي أباحَهُ الإسلام مأخوذٌ من خلْع الثّوب إذا أزاله، لأنَّ المرأة لبسُ الرَّجل، والرجل لباس لها. كما يُسمى الفِداءَ، لأنَّ المرأة تفتدي نفسها بما تبذله لزوجها. وقد عرفه العلماء والفقهاء بأنّه فراق الزّجل زوجته ببدل يحصل له.

(٣) هذا المعنى دقيق، وتريد حبيبة منه أنّها لا تريد مفارقة زوجها لسوء خلقه، ولا لنقصان دينه، فثابت من فضلاء الصَّحابة، ولكنّها كانت تكرهه لدمامته، فقد ذكرت المصادر أنَّه كان قصيراً دميماً يميل إلى اللون الأسود. وهي تكره أَنْ تحملها الكراهية له على التَّقصير فيما يجب له من حقوق الزوجية، والمقصود بالكفر: كفران العشير.

رسولُ الله ﷺ: «أترُدِّين عليه حديقته؟».

قالت: نعم.

فردّتِ الحديقة، وفرّق بينهما[1]؛ فكان أول خُلْع في الإسلام[2].

وهكذا حصلتْ حبيبةُ على الحرية التي تريدها ضمن حدود الإسلام؛ الذي يعتبر أنَّ المرأةَ المسلمةَ هي عماد البيت ودعامة الحياة العامة. ولهذا فقد قضى لها النّبي ﷺ بأنْ تتركَ له الحديقة التي أعطاها منْ قَبْلُ، وفي هذا نزل قولُه تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٢٩][3].

ثم إنّ حبيبة رضي الله عنها تزوّجتْ ـ بعد انقضاء عدتها ـ الصَّحابي الكريم أبي بن كعب[4] رضي الله عنه.

---

(١) الحديث رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه والنسائي. جميعهم في «الطلاق»، وانظر الطبقات (٨/ ٤٤٥).

(٢) مما تحدر الإشارة إليه ما ورد بأنه قد قيل: إنَّ الخلع وقع في الجاهلية، وذلك أن عامر بن الظرب زوج ابنته ابن أخيه عامر بن الحارث، فلما دخلت عليه، نفرت منه واستوحشت، فشكا إلى أبيها فقال: لا أجمع عليكِ فراق أهلك ومالك. وقد خلعتها منك بما أعطيتها.

(٣) تفسير الخازن والبغوي بالهامش (١/ ٢٢٨)، وانظر: تفسيري القرطبي وابن كثير للآية (٢٢٩) من سورة البقرة، وانظر الطّبقات (٨/ ٤٤٥)، وأسد الغابة (٥/ ٤٢٣)، والإصابة (٤/ ٢٦٢)، وزاد المعاد (٥/ ١٨٩) وغيرها من كتب المصادر وكتب الحديث.

(٤) أُبيّ بنْ كعب بن قيس الأنصاري الخزرجيّ النَّجاريّ، أبو المنذر، الصَّحابي الجليل سيِّد القراء شهد العقبة وبدراً، وجمع القرآن في حياة النَّبي ﷺ، وكان رأساً في العِلْم والعمل، قال له النّبي ﷺ: «إن الله أمرني أنْ أقرأ عليك القرآن» قال: والله سمّاني لك؟ قال: «نعم» فذرفت عيناه. روى (١٦٤ حديثاً) وتوفي سنة (٣٠هـ) وفضائله كثيرة مشهورة رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٠٨ و١٠٩)، و(سير أعلام النبلاء ١/ ٣٨٩ ـ ٤٠٢)

حَبيبَــةُ وروَايَــةُ الـحَديــثُ:

كانت حبيبةُ ترددُ على بيت النَّبيِّ ﷺ، وتزور زوجاته الطَّاهرات رضي الله عنهن، وفي هذا كانت ذات فَضْل في رواية الحديث الشريف؛ فقد روى حديثها أهل المدينة، وروى حديثها يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمرة بنت عبد الرحمن(١).

ومن مروياتها ما ذكره التَّابعي الجليل محمَّد بن سِيرين رحمه الله قال:

حدَّثتْني حبيبةُ بنت سَهل ـ رضي الله عنها ـ أنَّها كانت في بيت النَّبي ﷺ، فجاءَ النَّبيُّ ﷺ حتى دخل فجلس فقال: «ما مِنْ مُسْلِمَيْن يموتُ لهما ثلاثة أطفال لم يبلغوا الحنثَ(٢) إلا جيء بهم يوم القيامة حتى يوقفوا على باب الجنَّةِ فيقال لهم: ادخلوا الجنَّة، فيقولون: حتى يدخلَ أبَوَانا».

قال ابنُ سيرين(٣): فلا أدري في الثَّانية أو في الثَّالثة: «فيقال ادخلوا أنتم وآباؤكم».

فقالت عائشة ـ أُمُّ المؤمنين ـ للمرأة ـ: أسمعتِ؟

فقالت: نعم(٤).

هذه هي حبيبةُ بنتُ سهل، التي عشْنا في رحاب سيرتها لحظات طيِّبة، ويبدو من أخبارها أنَّ حياتها امتدت خلال الخلافة الراشدة أو ما بعدها

---

(١) الاستيعاب (٤/٢٢٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/٤٠٨).

(٢) «الحنث»: الإثم: أي لم يبلغوا حدّاً يُكتب عليهم فيه الحنث.

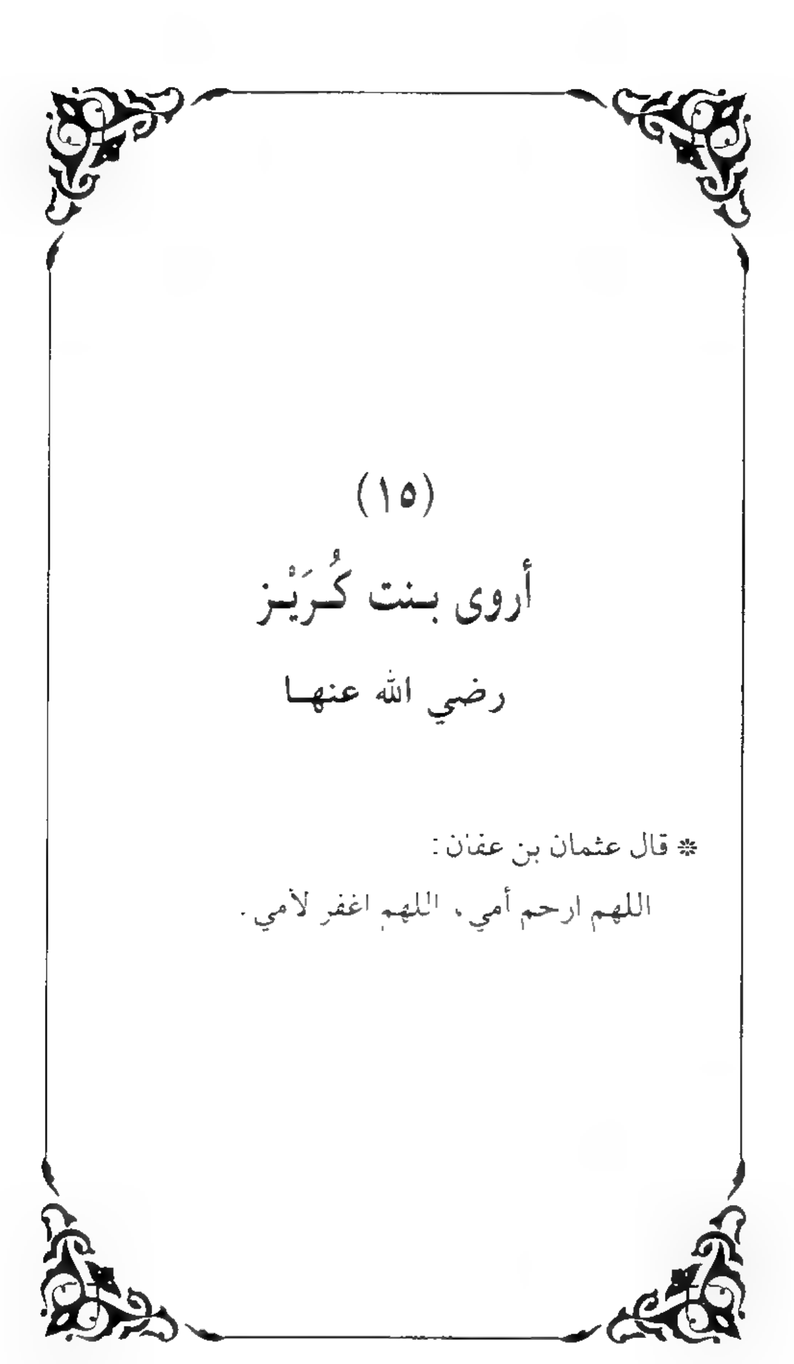
(٣) محمد بن سيرين البصري، أبو بكر، شيخ البصرة، وإمام وقته في علوم الدين، تابعي جليل، مشهود له بالفضل والورع، قال عنه ابن سعد في الطبقات: كان جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً حجة مأموناً، عابداً ناسكاً كثير العلم، فصيحاً جميلاً وسيماً رحمه الله. اشتهر ابن سيرين بتعبير الرؤيا وله بذلك أخبار مشهورة، وأراد منها صاحب الحلية. توفي سنة (١١٠هـ) رحمه الله تعالى: (الطبقات ٧/١٩٣ ـ ٢٠٦) و(العبر ١/١٠٣ و١٠٤).

(٤) الطبقات (٨/٤٤٦)، والإصابة (٤/٢٦٢).

بقليل، غير أننا لا نملك تاريخاً دقيقاً عن وفاتِها.

رضي الله عن حبيبةَ بنتِ سهلٍ، وجعلها في الجنَّة؛ مع الذين يحبّهم ويحبّونه.

* * *



(١٥)

أروى بنت كُرَيْز

رضي الله عنها

* قال عثمان بن عفان:

اللهم ارحم أمي، اللهم اغفر لأمي.

«مُسْلِمَاتٌ مُؤْمِنَاتٌ»:

● قال ابن عباس رضي الله عنهما:

أسلمتْ أمُّ عثمان، وأمُّ طلحة، وأمُّ عمار، وأمُّ أبي بكر، وأمُّ الزُّبير، وأمُّ عبد الرحمن بن عوف[١].

● وحديثنا عن واحدة من هؤلاء الأمهات المؤمنات الفاضلات، ألا وهي أروى بنتُ كُرَيز بن ربيعة العبشمية أمُّ عثمان بن عفان رضي الله عنهما[٢].

● وأمُّها ـ أمُّ حكيم ـ البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ؛ ويُقال: إنَّها توأمةُ عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ، ولا خلاف في أنّها شقيقة عبد الله وأبي طالب والزُّبير أولاد عبد المطلب[٣].

● وكلُّنا يعرف الخليفة الرَّاشد عثمان بن عفّان منبع الكرم والسَّخاء، ولكننا لا نعلم شيئاً عن الحضْنِ الذي نشأ فيه، والمدرسة التي تخرج فيها واقتبس منها الفضائل والشَّمائل الحميدة ـ أمّه أروى[٤] ـ، غير أنا سنحاول ـ بإذن الله ـ أنْ نتعرَّف أخبارها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

المَوْلُودَةُ المُبَارَكَةُ:

● كانتِ البيضاء ـ أمّ حكيم ـ بنت عبد المطلب زوجاً لكُرَيز بن ربيعة، فولدتْ له عامراً، وأروى، وطلحة، وأمَّ طلحة.

● وذكرت أمّ حكيم أنّها لما ولدت ابنتها أروى سمعتْ قائلاً يقول في

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٣٩١). واقرأ سيرهنَّ كلهن في هذا الكتاب.

(٢) الإصابة (٤/ ٢٢٢) و«الأروى»: أنثى الوعل وبه سُميت المرأة، وذكر ابن الأثير أن هناك خمس صحابيات اسم كل واحدة منهن أروى.

(٣) الاستيعاب (٤/ ٢٢٢).

(٤) من الجدير بالذكر أنَّ أروى أمّ عثمان هي ابنة عمة رسول الله ﷺ.

المنام: ربَّ قَلَمَّسٍ[1] صميم لمسود حليم، ومقسم كريم، وشاعر عذوم[2] في بطن أمِّ حكيم.

● فولدت أروى عثمان بن عفان فهو القَلَمّس الحليم. والمقسم: هو المطرف: عبد الله بن عمرو بن عثمان، وكان أجمل أهل زمانه، وكان يقال له المطرّف؛ لحسنه وجماله الفائق. والشاعر العذوم: هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط[3].

● ولما شبّت أروى عن الطَّوق تزوجها عفّان بن أبي العاص، فولدت له عثمان وآمنة. ثم تزوجها عقبة بن أبي معيط، فولدت له الوليد[4] وعمارة وخالداً وأمّ كلثوم وأمّ حكيم وهنداً[5].

● وتدل الأخبار التي وصلتنا عن أروى أنَّها كانت مشهورة بالجود والكرم، وإكرام نُزُل الضُّيوف.

● فقد أورد ابنُ حجر في الإصابة نقلاً عن المرزباني في معجم الشُّعراء، أنْ عَفْعال بن قيس بن عاصم التميمي المنقري قَدِمَ مكةَ في الجاهلية، فنزل على أروى بنت كريز ـ وهي أمُّ عثمان رضي الله عنه ـ فلما أراد الرَّحيل مدحها فقال:

---

(١) «القلمّس»: الرجل الخير المعطاء والسّيد العظيم (القاموس المحيط)

(٢) «العذوم»: من عذَم: دفع عن نفسه، والمعنى: المدافع عن نفسه.

(٣) انظر الخبر في كتاب: «المنمّق في أخبار قريش» لمحمد بن حبيب البغدادي (ص ٣٣٥).

(٤) الوليد بن عقبة بن أبي معيط ـ أخو عثمان لأمّه ـ أسلم يوم الفتح، استعمله رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، فعاد وأخبر أنهم ارتدوا، فأرسل إليهم النبي ﷺ خالد بن الوليد فوجدهم متمسكين بالإسلام، فنزلت الآية. انظر (أسباب النزول للسيوطي سورة الحجرات)، و(تهذيب التهذيب ١١/ ١٤٢)

(٥) الإصابة (٤/ ٢٢٢).

خـــف علـــى أروى ســـلامـــاً فـــإنّمـــا
جـــزاءُ الثَّـــويّ[١] أنْ يعـــفَّ ويحمـــدا

ســلامٌ أتـى مـنْ وامقٍ[٢] غيـر عـاشـقٍ
أرادَ رحيـــــلاً مـــــا أعـــفَّ وأمجـــدا

مَطْلَعُ الـنُّـور وإسْــلام أروى:

● منذ أن تنفّسَ صبحُ الإسلام، وفي بدء الدَّعوة أسلم عثمان، وعلمتْ أمُّه بإسلامه فلمْ تنكرْ عليه هذا، بل كانت تميلُ إلى نصرة النَّبي الكريم ﷺ والدِّين الحنيف، وقد وقفتْ وَقْفَةً مباركة جريئةً حفظتها ذاكرة التَّاريخ، حيث يروى كما جاء في ابن الأثير ـ رحمه الله ـ أنَّ عقبة بن أبي معيط[٣] قد شكا عثمان إلى أمّه فقال لها: إنَّ ابنَك قد صار ينصرُ محمّداً! فلم تنكر ذلك من ابنها وقالت: ومَنْ أولى به منّا؟ أموالُنا وأنفسُنا دون محمّدٍ ﷺ.

● بهذه المحبّة العظيمةِ، وبهذا الإيثار الجميل حرصتْ أروى على الإسلام، كحرص ابنها عثمان على إسلامها، فأعلنتْ إسلامها، وهاجرت إلى المدينة المنورة بعد ابنتها أم كلثوم[٤] بنت عقبة رضي الله عنها، وبايعتْ رسول الله ﷺ، فسُرّ عثمان بإسلامها سروراً عظيماً.

مَكَـانَـةٌ فـريْدَةٌ في عَـالَم الـنِّسَاء:

● احتلّتْ أروى رضي الله عنها مكانا عليّاً بين صحابياتِ رسول الله ﷺ، واكتنفتْها البركاتُ منْ كلِّ جانب، وأضحت يُشار إليها بالبنان لما نالته من الإعظام والتكريم، ويكفيها من الفضل، أنَّها والدة ذي النُّورين وذي الهجرتين، والمصلّي إلى القبلتين، وزوج الابنتين الطّاهرتين؛ فقد تزوّج

---

(١) «ثوى»: أقام. والثويّ: الضيف والمقيم.
(٢) «وامق»: متودد.
(٣) كان عقبة بن أبي معيط من أشدّ النّاس عداوة للنبي ﷺ وللمسلمين، ولما كانت غزوة بدر أوقعه الله في أيدي المسلمين فقُتل بأيديهم صبراً.
(٤) اقرأ سيرة أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها في هذا الكتاب.

عثمان من رقيّة وأمِّ كلثوم بنتي رسول الله ﷺ، ولم يُعلم أحدٌ تزوج بنتي نبيٍّ غيرَه.

وبذلك تفرّدتْ أروى في هذا المضمار الكَريم، إذا كانت جدة أكرم وأعرق أختين في الدُّنيا. فأكرمْ بهذا الشَّرف! وأعْظِمْ به! وذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء.

اللـهُـمَّ اغْـفِـرْ لأُمِّــي:

● عاشت أروى بنت كريز رضوان الله عليها أحداثَ العهدين: المكّي والمدنيّ، وامتدتْ بها الحياة حتى اشتعلَ رأسُها شيباً، ووهن العظمُ منها، وماتتْ في حياة ابنها عثمان رضي الله عنهما وهو خليفة.

● فقد أخرج ابن سعد رحمه الله عن عبد الله بن حنظلةَ بنِ الرَّاهب قال

شهدنا أمَّ عثمان بن عفان رضي الله عنهما يوم ماتتْ، فدفنّاها بالبقيع[1]، فرجعَ وقد صلّى النَّاس في المسجدِ، فصلى عثمانُ وحده في المسجد، وصلّيتُ إلى جانبه، فسمعتُه وهو ساجد يقول: اللهم ارحمْ أمّي، اللهمَّ اغْفر لأمّي. وذلك في خلافته[2].

● وذكر ابنُ حجر رحمه الله أنَّ أروى تُوفيت ولها تسعون سنة، وكان ابنها عثمان يقفُ على قبرها ويدعو لها.

وهكذا انتقلت الصَّحابية الكريمة أروى بنت كُريز إلى جوار ربِّها قريرةَ

---

(١) «البقيع»: هو بقيع الغرقد مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة. قال عمر بن النعمان البياضي يرثي قومه، وكانوا قد دخلوا حديقة من حدائقهم في بعض حروبهم، وأغلقوا بابها عليهم، ثم اقتتلوا فلم يفتح الباب حتى قتل بعضهم بعضاً، فقال في ذلك:

خَلتِ الديارُ فَسُدْتُ غير مسوَّد ... ومن العناء تفرُّدي بالسُّؤدد
أين الذين عهدتهم في غبطة ... بين العقيق إلى بقيع الغرقد

(معجم البلدان ١/ ٤٧٣).

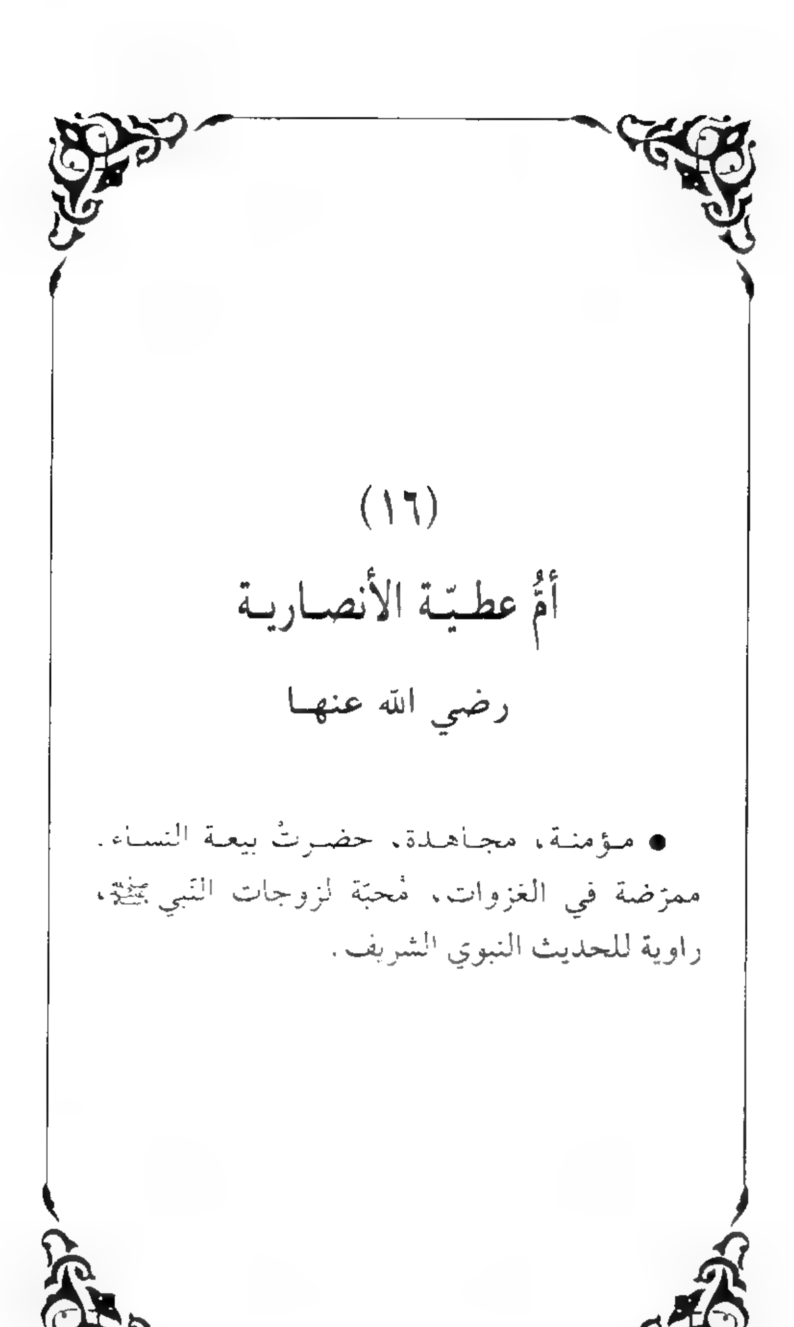
(٢) الطبقات (٨/ ٢٢٩).

العين، إذ أنَّ عملها لم ينقطعْ بسببِ دعاء ابنها عثمان لها، وسيظلُّ عبير ذكراها يفوحُ إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها؛ ولله درّ مَن قال:

وإذا الكـــريـــمُ مضـــى وولَّـــى عمـــره

كفـــل الثَّنـــاءُ لـــه بعُمْـــرٍ ثَـــان

* * *



(١٦)

أمُّ عطيّة الأنصارية

رضي الله عنها

● مؤمنة، مجاهدة، حضرتْ بيعة النساء. ممرّضة في الغزوات، مُحبّة لزوجات النّبي ﷺ، راوية للحديث النبوي الشريف.

في رحَاب الـفَضْلِ:

● ضيفتنا واحدةٌ مِنْ فاضلاتِ نساء الصَّحابة والغازيات منهن مع رسول الله ﷺ.

● وهي واحدةٌ ممن أَثْرين تاريخ النّساء بأعمالٍ وضيئةٍ في مجالات خيِّرةٍ من جهاد ورواية وفقهٍ وعلْمٍ.

● أمُّ عطية الأنصارية، اشتهرت بكنيتها هذه، واسمها نُسَيْبَةُ بنتُ الحارث الأنْصارية[1] من كبار نساء الصَّحابة.

● وقد وردَ في القاموس المحيطِ أَنَّ هناك أربع صحابيات اسم كل واحدة منهن نسيبة.

اثنتان بفتح النُّون وهما:

نسيبة بنتُ كعب ـ أمُّ عمارة ـ ونسيبَة بنتُ سِماكٍ.

واثنتان بضم النُّون وهما:

نُسَيبة بنت نيار، ونُسَيْبة بنت الحارث أمُّ عطية[2]، بطلة ترجمتنا.

والنَّسيبة في اللغة: الشَّريفة المعروف حَسَبُها وأصولها.

ومن المفيد ذكره أنَّه لا يوجد في صحابيات رسول الله ﷺ من اسمها نسيبة وكنيتها أم عطية غير هذه.

● أسلمتْ أمُّ عطية مع السَّابقات من نساء الأنصار، وبايعتِ النَّبيَّ ﷺ مع نسوة الأنصار بيعتها المشهورة، فلنشهدْ سوياً أحداثَ هذه البيعة المباركة.

أمُّ عَطيَّـةَ في بَيْعَةِ النِّسَـاء:

● لما قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ بايعه الرِّجالُ على الإسلام، فقدم عليه

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٦٠٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٦٤) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٥)، وقيل: نسيبة بنت كعب.

(٢) القاموس المحيط: مادة نسب.

النِّساء فقُلْنَ: يا رسول الله إنَّ رجالنا قد بايعوك، وإنا نحبُّ أَنْ نبايعكَ، فبايعنه، وكان مما أخذ عليهن في بيعتهن: ألَّا ينحن ولا يخمشن وجهاً، ولا يشققن جيباً، ولا يدعين ويلاً، ولا ينشرن شعراً، ولا يقلْن هجر؛ وبذلك كان رسول الله ﷺ يبايع كلَّ مَنْ بايَعَته.

● وأمُّ عطية رضي الله عنها ممَنْ حضر بيعة النِّساء، وقد تحدثتْ عن البيعة فقالت:

● لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيتٍ، ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام على الباب فسلّم عليهن فرددن السَّلام، فقال: «أنا رسولُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ إليكن».

فقلنا: مرحباً برسول الله ﷺ؛ وبرسولِ رسولِ الله ﷺ.

فقال: تبايعن على أَنْ لا تشركْنَ بالله شيئاً.

ولا تسرقْنَ.

ولا تَزْنينَ.

ولا تَقْتُلْنَ أولادكن.

ولا تأتين ببهتان تفترينَه بين أيديكن وأرجلكن.

ولا تعصين في معروف.

قُلْنَ: نعم.

فمد عمر يده مِنْ خارجِ الباب، ومددن أَيديَهُنَّ مِنْ داخل، ثم قال: اللهمَّ اشهد.

قالتْ أمُّ عطية: فسألتُه عن البُهتان وعن قوله: ولا يعصينك في معروف: قال: هي النِّياحة[1].

● تلك بيعة النِّساء التي طُوِّقت بها أعناقُ المؤمنات جميعاً. فأصبحتْ منْ

---

(١) عن حياة الصحابة (١/ ٣٧١ و٣٧٢) بتصرف يسير جداً

أركانِ دينهن وعُمُدِ إيمانهن، فأحْسَنَّ الوفاء، فكان ذلك مَسْلاة نفوسهن، وراحة قلوبهن، وبرد أكبادهن وخصوصاً حينما علمْنَ أنَّ جزاءَ الوفاء والصَّبر جنّة عرضها السَّموات والأرض، فهل بعد هذا من شيء؟.

صُورٌ منْ جهَادِها:

● في ساحات الوغى، وتحتَ ظلالِ السُّيوف، كانت أمُّ عطية تسيرُ في ركب الجيش الغازي، تروي ظمأ المجاهدين، وتأسو جراحهم[1]، وترقأَ دمهم، وتعدُّ طعامهم.

● وقد ورد في الصَّحيح أنَّ النَّبي ﷺ كان يغزو بأمِّ سُلَيم ونسوةٍ منَ الأنصار معه فيَسْقِيْنَ الماء ويداوِيْنَ الجرحى[2].

● وقد أباح رسولُ الله ﷺ استخدامَ المرأة في التَّمريض ومداواة المرضى، وإيصال الطَّعام والماء إلى المجاهدين، حتى إنَّ بعض زوجات النَّبي الطَّاهرات رضوان الله عليهن جميعاً كنَّ في شرفِ معيّتهِ في بعضِ الغزوات حيث قُمْنَ بخدمته، منهن: عائشة في غزوتَيْ أُحُد وبني المُصْطَلق، وأمُّ سلمة في غزوة خيبر وفتح مكة.

● وكانتْ أمُّ عطية الأنصارية رضي الله عنها تكثر الغزو مع رسول الله ﷺ، فقد أخرج مسلم رحمه الله عن أمِّ عطية نفسها أنَّها قالت: غزوتُ مع النَّبي ﷺ سَبْعَ غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنعُ لهم الطَّعام، وأداوي الجرحى، وأقومُ على المرضى[3].

---

(١) «تأسو جراحهم»: تداويها وتعالجها.
(٢) الحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي
(٣) التاج الجامع للأصول (٤/ ٣٤٤)، وانظر الطبقات (٨/ ٤٥٥)، والإصابة (٤/ ٤٥٥).

● وفي غزوة خيبر[1] كانت أُمُّ عطية من بين عشرين امرأة خرجنَ مع النَّبي ﷺ يبتغينَ أَجْر الجهاد.

قَدْ بَلَغَتْ محَلَّهَا:

● لأمِّ عطية صِلاتٌ طيِّبةٌ بزوجاتِ النَّبي ﷺ وخصوصاً أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إذ كانتْ أمُّ عطية تتقرَّبُ إلى النَّبي ﷺ فتُتحفُ عائشة بهداياها، فقد دخل ﷺ على عائشة رضي الله عنها فقال: «هَلْ عندكم مِنْ شيء»؟

قالت: لا، إلا شيء بعثتْ به إلينا نُسيبة ـ أمُّ عطية ـ من الشَّاة التي بعثت إليها من الصَّدقة.

قال ﷺ: «إنَّها قد بلغتْ محلَّها»[2].

● وهذا يدلُّ على ذكاء ونباهة أمِّ عطية، كما يدلُّ على فقهها وعلمها بمكانةِ عائشة رضي الله عنها عند النَّبي ﷺ لأن حبَّه لعائشة كان أمراً مستفيضاً، وقد عرف الصَّحابة الكرام هذا فكانوا يتحفونه بهداياهم في يوم عائشة رضي الله عنها.

مـعَ بَنـاتِ الـنَّبـي ﷺ:

● وماذا عن صلةِ أمِّ عطية ببناتِ رسول الله ﷺ؟

أمُّ عطية رضي الله عنها هي التي غسَلتْ زينب بنتَ النَّبي ﷺ، في أول سنة ثمان من الهجرة، روت أمُّ عطية ذلك فقالت:

لما ماتتْ زينبُ بنت رسول الله ﷺ قال: «اغسلْنَها وتراً، ثلاثاً، أو خمساً، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور، فإذا غَسَلْتُنَّها فأعلمنني».

---

(١) المغازي (٢/ ٦٨٥)، والطبقات (٨/ ٤٥٦)، والسيرة النبوية (٢/ ٣٤٢)، والسيرة الحلبية (٢/ ٧٧٠).

(٢) الإصابة (٤/ ٤٥٥).

فلما غسلناها أعطانا حقوه ـ إزاره ـ فقال: «أشعرنها إياه»[1].

● كما ورد أنّ أمّ عطية قد غسّلت من قبلُ أمّ كلثوم[2] ابنة النّبي ﷺ. وكانت أمُّ عطية تغسل الميتات في عهدِ رسول الله ﷺ طلباً للمثوبة والأجر من الله عزّ وجل.

الفقيهةُ الحَافظَةُ:

● إذا ذُكر نساءُ الأنصار بالحفظِ، فأمُّ عطية ممن أكثرن فأطَبْن، ذكر الإمام النَّوويُّ رحمه الله أنَّه رُوي لأمِّ عطية الأنصارية عن رسول الله ﷺ أربعونَ حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ستةٍ، وانفرد البخاريُّ بحديثٍ، ومسلم بحديث[3].

● وخرّج أحاديثها أصحاب السُّنن الأربعة أيضاً، وروى عنها أنس بن مالك رضي الله عنه، كما روى عنها الحديث أجلاء التّابعين منهم: حفصة بنت سيرين[4]، وأخوها محمّد بن سيرين، وعبد الملك بن عمير، وعلي بن الأقمر، وأمّ شراحيل وآخرون[5].

---

(١) الحديث صحيح رواه الستة، وأخرجه الإمام مالك أيضاً في الموطأ: في الجنائز، وانظر الطبقات (٨/ ٣٤ و٣٥)، وأسد الغابة (٥/ ٦٠٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٥٢٠).

(٢) سنن ابن ماجه (١٤٥٨)، وتاريخ الطبري (٢/ ١٩٢)، والطبقات (٨/ ٣٨)، والإصابة (٤/ ٤٦٦).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٦٤).

(٤) حفصةُ بنتُ سيرين: أمُّ الهذيل الأنصارية البصرية، روتْ عن بعض أصحاب النَّبي ﷺ منهم أنس بن مالك وأمُّ عطية الأنصارية، وكانت ثقةً حجةً من ثقاتِ التَّابعين، قال إياس بن معاوية: ما أدركتُ أحداً أفضِّلهُ على حفصةَ. قرأتِ القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة وماتت وهي ابنة سبعين سنة (١٠١هـ) وذكرها ابن حبّان في الثقات، وذكرها البخاري في فصل: مَن مات من سنة مئة إلى عشرة ومئة. (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤١٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٨)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٥)، ودليل الفالحين (٥/ ٢٢٥).

● وكانت أمُّ عطية ـ كما قال الذهبي ـ من فقهاء الصحابة وهي القائلة: نُهينا عن اتباعِ الجنازة ولم يُعْزَمْ علينا[1].

● ومروياتُ أمِّ عطية منثورة في الكُتُب السِّتة، ومن مروياتها ما ورد في الصَّحيحين عنها، أَنَّ رسول الله ﷺ قال:

«لا تحدُّ المرأةُ على ميّتٍ فوقَ ثلاثة إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً، ولا تلبس مصبوغاً إلا ثوب عَصْب، ولا تكتحل، ولا تمسّ طيباً إلا إذا طَهُرت نبذة من قسط أو أظفار»[2].

وداعـاً أمَّ عـطيـة:

● ذكرَ ابنُ عبد البَرِ رحمه الله أنَّ أُمَّ عطيةَ تُعدّ في أهلِ البصرة؛ كما روت التَّابعيةُ الجليلةُ حفصةُ بنتُ سِيرين أنَّ أمَّ عطية قَدِمتِ البصرة فنزلَتْ قصْر بني خَلَف.

● ويبدو أنَّ أمَّ عطية رضي الله عنها قد تركت المدينةَ المنورة وغادرتها، وعاشت أواخر عمرها في البصرة، وهناك حظيتْ بالتَّكريم والاحترام والتَّقدير من جمهور الصَّحابة والتَّابعين بالبصرة، فقد كان سيِّدُنا عليُّ بن أبي طالب يقيلُ عندها[3].

● وفي البصرة اشتهرت أمُّ عطية في فقهها وحُسْنِ روايتها وفهمها للحديث النَّبوي وأحكامه، إذ شهدت غسل ابنة النَّبي ﷺ، وروت ذلك فأتقنتْ،

---

(١) أي لم يؤكد علينا في المنع كما أكد علينا في غيره من المنهيات، فكأنها قالت: كره لنا اتباع الجنائز من غير تحريم.

(٢) الصَّحيحان ـ في الطلاق ـ، وانظر تفسير الخازن (١/ ٢٣٩)
«والعصب»: نوع من البرود يعصب غَزْلُهُ، ثم يُصبغ، ثم ينسج.
«والنبذة»: القطعة والشيء اليسير. «والقسط»: عود طيب الريح يحمل من الهند تتبخر به النفساء. و«الأظفار»: جنس من الطيب لا واحد له من لفظه

(٣) الطبقات (٨/ ٤٥٦)، والإصابة (٤/ ٤٥٥).

وحديثها أصلٌ في غسْلِ الميت ـ رُوي في الصِّحاح ـ كما تقدم؛ ولذلك كان جماعة من الصَّحابة الكرام، والتَّابعين الأخيار في البصرة يأتونها فيأخذون عنها غسل الميت[1].

● كما أنَّ حديثها في غسل آنية رسول الله ﷺ؛ مشهور في الصَّحيح، وكان محمَّد بن سيرين التَّابعي المشهور وثلة من علماء وفقهاء التَّابعين يأخذون عنها ذلك الحكم أيضاً[2].

● أمّا عن حياة الصَّحابية أمّ عطيّة رضي الله عنها، فقد امتدت إلى حدود سنة سبعين من الهجرة[3]، قضتها في الجهاد والعلم والرِّواية والفقه وأعمال البر والإحسان.

● رضي الله عن أمّ عطية الأنصارية، وأعطاها سُؤْلها، وجعلها في جنَّات النعيم.

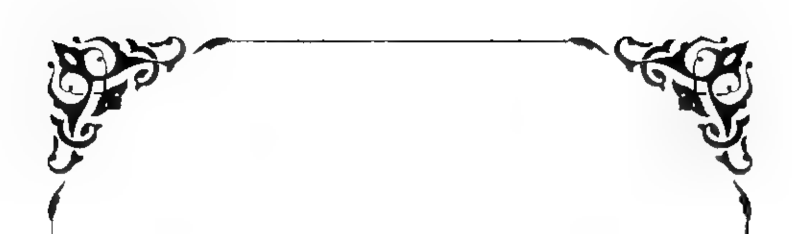
* * *

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٤٥٢).

(٢) الإصابة (٤/ ٤٥٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٨).



(١٧)

أُميمة بنت صُبيح

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«اللهم اهْدِ أمّ أبي هريرة».

● وقال عليه الصلاة والسلام:

«اللهم حبّب عُبيدك هذا ـ يعني أبا هريرة ـ وأمّه إلى عبادك المؤمنين، وحبّب إليهم المؤمنين».

أُمُّ سَيِّد الحُفَّاظ:

● في رِحَاب صحابيّة كريمة، نعيشُ أَرْغدَ اللحظات، هذه الصَّحابية أنجبتْ أَعْجَبَ رجالِ الدُّنيا في الحفْظ، بل كان حفظُه الخارق من معجزات النُّبوةِ.

● أتدرون من هذا الصَّحابي النَّبيه، والحافظُ العجيب؟.

إنّه الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو هريرة[١] الدوسيُّ اليمانيُّ، سيِّدُ الحفَّاظ الأثبات، كان حافظ الصَّحابة، وأكثرهم روايةً عن النَّبي ﷺ، بلغَتْ مروياته (٥٣٧٤) حديثاً[٢]. قال عنه الشَّافعي رحمه الله: أبو هريرة أحفظ مَنْ روى الحديث في دهره[٣].

● نشأَ أبو هريرة يتيماً، فقد توفي أبوهُ وهو ما يزال صغيراً، وعاش في كنَفِ أمِّه التي نحنُ بصددِ سيرتها الآن؛ وهي: أميمةُ بنتُ صُبَيح بن الحارث[٤]؛ واشتهرتْ بكنيتها أم أبي هُرَيرة.

● هذه المرأةْ أصبحتْ إحدى شهيرات نساء الإسلام، من ذلك اليوم الذي أسلمتْ فيه ببركةِ دُعاء النَّبي ﷺ.

«اللهمَّ اهدِ أمّ أبي هُرَيرَةَ»:

● تشيرُ المصادر الوثيقة إلى أنّ سيِّدَنا أبا هريرة قدمَ على النَّبي ﷺ في المحرمِ سنة سَبْع وهو بخيبر، فأسلمَ راغباً مشتاقاً، وحمد الله الذي أخرجه من الظُّلماتِ إلى النُّور، ومن عبادة الحجارة والأصنام، إلى الإيمان بالله الواحدِ القهَّار، وحدَّث أبو هريرة عن شعوره هذا فقال:

---

(١) قال الإمام النَّووي رحمه الله: اسم أبي هريرة: عبد الرحمن بن صخر.

(٢) انظر أسماء الصحابة السَّبعة المكثرين لرواية الحديث الشَّريف في كتابنا «نساء مبشَّرات بالجنة» (٢/ ٣٦، ٣٧، ٣٨) ففيه تفصيلات هامة ومفيدة بإذن الله.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٧٠)، والبداية والنهاية (٨/ ١١٠).

(٤) الإصابة (٤/ ٢٣٥)، وقيل: أميمة بنت صفيح ـ بالفاء ـ بدلاً من صبيح ـ بالياء.

لما قدمتُ على النَّبي ﷺ قلتُ في الطَّريق:

يــا ليلــةً مــنْ طــولهــا وعنــائِهــا
علــى أنَّهــا مــنْ دارةِ الكُفْــر نجَّــت

قال: وأبق لي غلامٌ، فلما قدمتُ وبايعتُ، إذْ طلعَ الغُلام، فقال النَّبي ﷺ: «هذا غلامك يا أبا هُريرة».

قلت: هو حرٌّ لوجهِ الله، فأعتقتُه[1].

● ومنذ أنْ بايعَ أبو هريرة رسولَ الله ﷺ لزِمَه، فلمْ يفارقْهُ في حضَر ولا سَفَرٍ، وكانَ أَحْرص شيءٍ على سماع الحديث منه، والتفقُّه عنه.

● وعندما أسلم أبو هريرة رضي الله عنه، ظهرتْ أمامه مشكلةٌ طردت النَّومَ من عينيه، وهذه المشكلة كانت نقطة الفَصْلِ في حياته، إنَّها أمُّه أميمةُ بنتُ صُبيح، فقد رفضتْ أنْ تُسْلِم وأَنْ تنضوي تحت لواء المؤمنات وقتذاك، وظلَّتْ على شركها مدة، وكان أبو هريرة حريصاً على إسلامها حِرصاً شديداً، ولكنَّه كلَّما دعاها إلى الإسلام، أسمعتْهُ ما يغيظه وما يزعجه وتأبى عليه.

ولم تتوقفْ عند هذا فحسب، بل كانت تُسمعه في رسول الله ﷺ ما يكره، ولكنَّه لمْ يركنْ إلى القُنوط من إسلامها، بل انطلقَ إلى حبيبهِ ومصطفاه رسول الله ﷺ، يشكو إليه بثَّه وحزنه، وما يؤلمه منْ عدمِ إسلامِ أمِّه. فحظي بدعوةٍ مستجابة كانت برداً وسلاماً عليه، ولنصغِ الآن إلى أبي هريرة وهو يروي قصة إسلام أمِّه.

● فقد أخرج الإمام مسلم[2] رحمه الله في صحيحه بسنده عن أبي كثير

---

(١) الحديث رواه البخاري في العتق، وأحمد (٢/ ٢٨٦)، وانظر الحلية (١/ ٣٧٩)، والطبقات (٤/ ٣٢٦)، والبداية والنهاية (٨/ ١٠٧ و١٠٨)، وصفة الصفوة (١/ ٦٨٦).

(٢) مسلمُ بن الحجّاج بن مسلم القُشيري النيسابوريّ، إمامُ أهل الحديث ومِنْ مشاهيرهم، وُلِدَ بنيْسَابور سنة (٢٠٤هـ) ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق في طلب الحديث. قال عنه النَّووي رحمه الله: مُسلم أحدُ أعلام أئمة هذا الشَّأن -

يزيد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال:

كنت أدعو أمّي إلى الإسلام ـ وهي مشركة ـ فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكرهُ، فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلتُ: يا رسول الله ﷺ إنِّي كنتُ أدعو أمّي إلى الإسلام، فتأبى عليَّ، فدعوتُها اليوم فأسمعتني فيكَ ما أكرهُ، فادعُ الله أنْ يهديَ أمَّ أبي هُريرة.

فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ اهْدِ أمَّ أبي هُريرة».

فخرجتُ مستبشراً بدعوةِ نبيِّ الله ﷺ، فلمّا جئتُ فصرتُ إلى الباب فإذا هو مجافٌ ـ مغلقٌ ـ، فسمعت أمي خَشْف ـ صوت ـ قدميَّ، فقالتْ: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خَضْخَضَةَ الماءِ.

● قال: فاغتسلتْ ولبستْ دِرْعَها وعجِلَتْ عن خمارها، ففتحتِ الباب ثم قالت: يا أبا هريرة: أشهدُ أَنْ لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبده ورسوله.

قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ، فأتيتُه وأنا أبكي مِنَ الفرح، قلتُ: يا رسول الله ﷺ أَبْشِرْ قد استجاب الله دعوتك، وهدى أمَّ أبي هُريرة.

فحمدَ الله وأثنى عليه خيراً[1].

الحَبيبَان إلى المؤمنين:

● قرَّتْ عينا أبي هريرة بإسلام أمِّهِ، وذهبَ عنه ما كان يجد منَ الهمِّ

= ـ الحديث ـ وكبار المبرزين فيه وأهل الحفظ والإتقان والرحالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان، والمعترف له بالتَّقدم فيه بلا خلاف عند أهل الحذق والعرفان. أشهر كتبه: الجامع الصحيح. المسند الكبير، الأسماء والكنى، العلل، المخضرمون، أولاد الصحابة، والطبقات وغيرها، توفي في ٥ رجب سنة (٢٦١هـ) وعمره (٥٥ سنة) رضي الله عنه (تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٨٩ ـ ٩٢)، و(طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٦٤ و٢٦٥).

(١) صحيح مسلم (٧/ ١٦٥ و١٦٦)، ومختصر مسلم (١٧٠٨)، وانظر البداية والنهاية (٨/ ١٠٨)، وأسد الغابة (٥/ ٦٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٩٣)، والإصابة (٤/ ٢٠٤).

والحزن. وسُرّ بهدايتها إلى الإيمان، وأحبَّ أَنْ يستزيدَ مِنْ دعاء النّبي ﷺ له ولأمّه، فطلبَ منه أَنْ يدعوَ الله عزَّ وجلَّ بأَنْ يُلقيَ محبتهما في قلوبِ المؤمنين. فكان ذلك، وَردَ هذا في الصّحيح أنّه قال للنّبي ﷺ: يا رسول الله ﷺ ادْعُ اللهَ أَنْ يحببنَي أنا وأمّي إلى عبادِه المؤمنين، ويحبّبهم إلينا.

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حبّبْ عُبيدَك هذا ـ يعني أبا هريرة ـ وأمّه إلى عبادك المؤمنين وحبّب إليهم المؤمنين».

قال أبو هريرة رضي الله عنه: فما خَلَق اللهُ مِنْ مؤمن يسمع بي ولا يراني، أو يرى أمّي إلا وهو يحبني[1].

● وهذا الحديث النَّبوي الشَّريف من دلائل النُّبوة، فإنَّ أبا هريرة رضي الله عنه محبَّب إلى النَّاس جميعهم، وقد شَهَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذِكرَهُ في الدُّنيا بما قدَّرهُ أَنْ يكون مِنْ روايتِهِ مِنْ إيرادِ هذا الخبر عنه، على رؤوس النَّاس في الجوامع المتعددة في سائر الأقاليم في الإنصات يوم الجمعة بين يدي الخطبة والإمام على المنبر، وهذا من تقدير العزيز العليم؛ ومحبة النَّاس لأبي هريرة رضي الله عنه فَضْلٌ مِنَ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ولله درّ مَنْ قال:

وإذا أحـــبَّ الله يـــومـــاً عبـــده ... ألقـــى عليـــه محبـــة للنـــاس

ابـنُ أُمَـيْـمَـة:

● لأميمة رضي الله عنها أثرٌ كبيرٌ في نفس ابنها، فقد كان يفخر بانتسابه إليها في جميع أحوالِهِ وأفعالِهِ، وكان شديد البِرِّ بها، والرِّعاية لها، ومن أقواله في ذلك: أَمَا واللهِ لولا الحجُّ والجهادُ وبرُّ أمي لتمنيتُ أَن أموت وأنا عبدٌ مملوك.

● ومن وجوه فخره بأمِّه، ما رواه محمَّد بن سِيرين رحمه الله عن أبي هريرة أَنَّ عمرَ بن الخطاب دعاه ليستعمله فأبى أن يعملَ له، فقال عمر:

---

(١) رواه مسلم، وهو تتمة الحديث السابق وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٠٤)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٣٥١).

أتكرهُ العملَ وقد طلبه مَنْ هو خير منك؟

قال: منْ؟

ق ن: يوسف عليه السَّلام.

فقال أبو هريرة: يوسُف نبيٌّ ابن نبيٍّ ابن نبيٍّ، وأنا أبو هريرة ابنُ أميمة وأخشى ثلاثاً واثنتين.

فقال عمر: أفلا قلت خمساً؟

قال: أخشى أنْ أقولَ بغيرِ علْمٍ، وأقضي بغير حلْمٍ، وأَنْ يُضرب ظهري، وينتزع مالي، ويُشْتَم عرضي[1].

كَرَمُهَا وجُودُهَا:

● في مجالِ الكرمِ، كانتْ أميمةُ رضي الله عنها مِنَ المشهورات، حيث كان أبو هريرة يكرمُ ضيوفَه مِن طعامها، روى هذا حُميد بن مالك بن خثيم[2] قال:

كنتْ جالساً عند أبي هريرة بالعقيق[3]، فأتاه قومٌ فنزلوا عنده. قال حُميد: فقال ـ أي أبو هريرة ـ: اذهبْ إلى أُمِّي فقلْ: إنَّ ابنك يقرئك السَّلام، ويقول: أطعمينا شيئاً.

قال: فوضعتْ ثلاثة أقرصٍ في الصَّحفة، وشيئاً منْ زيتٍ وملحٍ،

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٤٠٥)، والبداية والنهاية (٨/ ١١٤ و١١٥)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٦١٢)، والإصابة (٤/ ٢٠٧).

(٢) أحد الرجال الثقات الذين رووا عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه.

(٣) «العقيق»: اسم لكل مسيل ماء شقَّه السَّيل في الأرض فأنهره ووسعه، ولهذا قالوا: إنَّ ببلاد العرب أربعة أودية تُسمى بالعقيق، فكلُّ ما انطبق عليه السيل سُمي عقيقاً. وعقيق المدينة سمي بذلك: لأنَّه عقَّ الحرة، أي شقَّ وقطع، وقيل سُمّي بذلك: لأن حمرة الوادي كحمرة العقيق. ووادي العقيق له أثر كبير بنفوس أهل المدينة وورد كثيراً في الشعر العربي وهو من الحضارات التي سادت ثم بادت. عن معجم البلدان (٤/ ١٣٨ ـ ١٤١) بتصرف.

ووضعتها على رأسي فحملتها إليهم، فلما وضعته بين أيديهم كبّر أبو هريرة وقال: الحمد لله الذي أشبعنا من الخبز، بعد أَنْ لم يكنْ طعامنا إلا الأسودين: التَّمرُ والماء[1].

● وهكذا كانت أمُّ أبي هريرة سبّاقة في فضيلةِ الكرم والْجُود، وسجَّلتْ هذا الأثر الطَّيب في قاموسِ الخالدات.

● وتدلُّنا الأخبارُ التي وصلتْنَا عن أمّ أبي هريرة، أنَّها قد عاشتْ زمناً طويلاً، ربما عصر الخلافة الراشدة كاملة، رضي الله عنها. ولكننا لا نملك تحديدَ زمن وفاتها، والذي يبدو أنَّها توفيت في المدينة المنورة، والله أعلم.

● وقبل أَنْ نقول وَدَاعاً أمَّ سَيِّدِ الحفّاظ، ادعُ معي بدعاء رسول الله ﷺ:

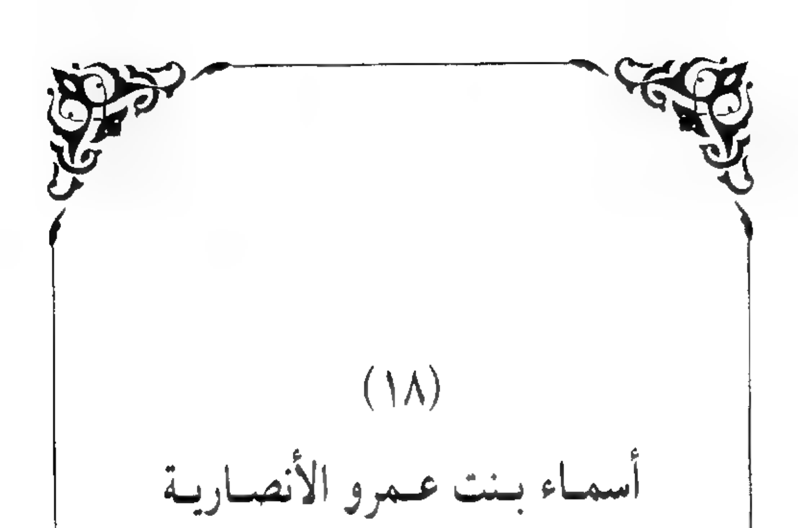
«اللهم حبّب عبيدك هذا وأمَّه إلى عبادك المؤمنين، وحببْ إليهم المؤمنين».

● اللهم نشهدك أنَّا نحبُّهما. ونحبُّ مَنْ يُحبُّهما، رضي الله عنهما وأرضاهما، وعن صحابة رسول الله أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١٠).



(١٨)

أسماء بنت عمرو الأنصارية

رضي الله عنها

● قال رسول الله ﷺ في حقِّ أسماء وامرأة أخرى: «قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه، غير أني لا أصافح النساء».

امرأتــان مِنَ الـتَّاريـخ:

● ما إنْ تُذكر بيعة العقبة، حتى يتبادر إلى الذّهن صور أولئك الأنصار الذينَ بايعوا رسول الله ﷺ على حَرْبِ الأحمر والأسود، وعلى النُّصرة.

● كان هؤلاء ـ كما يقول المؤرخون ـ ثلاثةٌ وسبعون رجلاً، وامرأتان. وهاتان المرأتان وعتْ أُذُنُ التَّاريخِ الواعية اسمَ كلٍّ واحدةٍ منهما وكنْيَتَها.

● فالأولى: نسيبةُ بنت كعب بن عوف، أمُّ عمارة الأنصارية.

● والأخرى: أسماءُ بنتُ عمرو بن عدي، أمُّ منيع الأنصارية[1].

● وحديثنا الآن، عن أسماءَ أمِّ منيع السُّلمية إحدى ذوات المكانة والرأي من نسوة الأنصار؛ علماً بأنَّ كثيراً من النَّاس يجهل سيرتها. ولكنّنا سنحاولُ أَنْ نلقيَ بعضَ الأضواء على سيرتها ـ إنْ شاء الله ـ لنعرف جوانب حياتها.

● أسلمتْ أمُّ منيع مع زوجها خديج بن سلامة حينما تنفَّس صبحُ الإسلام في المدينة، عند قدوم مصعب بن عمير رضي الله عنه إليها سفيراً لرسول الله ﷺ.

● وفي موسم الحج، خرجتْ أمُّ منيع بصحبةِ زوجها نحو مكة، وكانت حاملاً بابنها شَباب بن خديج، ولكنَّ شوقها إلى أمِّ القرى وإلى رؤية النَّبي ﷺ، كان أكبر منْ آلامِ الحَمْلِ التي تعانيها؛ ولما كانت ليلة العقبة ولدت ابنها شباب بن خديج[2].

في لَـيْـلَـة الـعَـقَـبَـة:

● لمْ تكنْ أمُّ منيع ذات شهرة عريضة في المدينة، وإنَّما لمعَ اسمُها مع ميلاد تلكَ الليلة، وأصبحَ يُقرن بالأوائل من النِّساء.

---

(١) الاستيعاب (٤/٢٣٣)، وأسد الغابة (٥/٦٢٢)، ولا يوجد في الصحابيات من كنيتها أم منيع غيرها.

(٢) أنساب الأشراف (١/٢٤٩ و٢٥٠).

● ففي هاتيك الليلة المباركة ـ وبعد أداء الحج ـ اتَّعَدَ رسولُ الله ﷺ مع الأنصار خفية في العقبة[1]، فتوافدوا تحت جنح الليل، وكان وفدهم كما قال كعب بن مالك رضي الله عنه:

ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نسائنا، نسيبة بنت كعب ـ أم عمار ـ من بني مازن بن النَّجار، وأسماء بنت عمرو ـ أم منيع ـ من بني سَلِمَة. فاجتمعنا في الشِّعب ننتظر رسول الله ﷺ.

● وكان رسول الله ﷺ قد وافى الأنصار في العقبة، وبصحبتِهِ عمُّه العبَّاس بن عبد المطلب ـ وهو يومئذ على دين قومه لم يُسْلِم ـ وبعد أَنْ تكامل المجلس وساد الصَّمتُ، كان أول المتكلمين العبَّاس الذي شرح للأنصار المهمة التي ستلقى على عاتقِهم فقال:

إن محمداً منَّا حيثْ قد علمتم، وقد منعناه منْ قومنا ممَّنْ هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزٍّ ومنعةٍ في بلده، وإنَّه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإنْ كنتم تَرَوْنَ أنَّكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحمَّلْتُم مِنْ ذلك، وإنْ كنتم تَرَونَ أنَّكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمنَ الآن فدعوه، فإنَّه في عزٍّ ومنعة منْ قومه وبلده.

فقال الأنصار: قد سمعنا ما قلتَ، فتكلَّمْ يا رسول الله ﷺ فخذْ لنفسك ولربِّك ما أحببتَ[2].

«قَد بايعتُهُمَا»:

● بعد أَنْ استوثقَ العبَّاس للنَّبي ﷺ من الأنصار، عندئذ أخذَ ﷺ العهد عليهم، فتكلَّم وتلا القرآن، ودعا إلى الله عزَّ وجلَّ، ورغَّبَ في الإسلام ثم قال: «أبايعكم على أَنْ تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم».

---

(١) «العقبة»: موضع على الطريق من مكة إلى منى. (معجم البلدان ٤/ ١٣٤).
(٢) السيرة النبوية (١/ ٤٢١ و٤٢٢).

● وكان للبراء بن معرور[١] ـ ليلة ذاك ـ المقام المحمود في التّوثق لرسول الله ﷺ، فأخذه بيده الشّريفة ثم قال: نعم نبايعك يا رسول الله، والذي بعثك بالحق نبيّاً، لنمنعنّك ممّا نمنعُ منه أُزُرَنا ـ نساءنا ـ فبايِعْنا يا رسول الله فنحنُ والله أهلِ الحروبِ وأهلِ الحَلْقةِ ـ السّلاح ـ ورثناها كابراً عن كابر. ثم بايعوه واستوثَقُوا منه ألاّ يدعهم ويرجعَ إلى قومه، فوعد بذلك ﷺ ـ ووفّى وهو خيرُ المُوفي ـ وقال:

«أنا منكم وأنتم مني، أحاربُ مَنْ حاربتم وأسالم مَنْ سالمتم»[٢].

● وبعد أَنْ بايعه الرجال، بايعَتْهُ المرأتان، ولكنْ كيف كانت بيعة هاتين الصّحابيتين؟.

● نسيبةُ ـ أم عمارة ـ تجيبُ عن هذا السُّؤال، وتحدثنا عن البيعة فتقول:

كانتِ الرِّجالُ تصفِّقُ على يَدِ رسول الله ﷺ ليلة بيعة العقبة، والعبّاس بن عبد المطلب آخذٌ بيدِ رسول الله ﷺ. فلما بقيتُ أنا وأمُّ مَنيع نادى زوجي غزية بن عمرو: يا رسول الله ﷺ هاتانِ امرأتانِ حضرتا معنا تبايعانِك.

فقال رسول الله ﷺ: «قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه إني لا أصافحُ النِّساء»[٣].

---

(١) البراء بن معرور بن صخر الأنصاري الخزرجي ـ أبو بشْر ـ صحابيٌّ كريمٌ، وهو أولُ مَن استقبل الكعبة للصَّلاة إليها، وأولُ مَنْ أوصى بثلثِ ماله. مات في حياة النَّبي ﷺ، وزعم بنو سَلمَة أنَّه أول مَنْ بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وهو أحد النُّقباء رضي الله عنه وعنهم جميعاً. (الاستيعاب ١/ ١٤٠)، و(الإصابة ١/ ١٤٨ و١٤٩).

(٢) السيرة النبوية (١/ ٤٤٢)، والسيرة الحلبية (٢/ ١٧٦) بشيء من الاختصار.

(٣) الطبقات (٨/ ١١)، والإصابة (٤/ ٤٧٧)، وللحديث أصل في صحيح مسلم، قالت عائشة رضي الله عنها: والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمره الله تعالى، وما مسّت كفّ رسول الله ﷺ كفّ امرأة قطّ، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: «قد بايعتكن» كلاماً. صحيح مسلم (٦/ ٢٩).

أُمُّ مَنيع وغزوةُ خَيْبر:

● أعطى الأنصار رسول الله ﷺ ذمَّتهم أَنْ يذودوا عنه كما يذودونَ عن أعراضهم، وأعطاهم ذمّته ألا يعود فيقيم مع قومه إذا دانتْ له أرضهم، وقرَّتْ نواصيهم لحكمِ الله عزَّ وجلَّ، فكان ذلك، ووفّى الأنصار رجالهم ونساءهم بالميثاق، وكانت أمُّ منيع رضي الله عنها ممن وفّى أحسن وفاء، وصحبت رسول الله ﷺ أحسن صحبة مع زوجها وقومها، ولما خرج النَّبي ﷺ إلى الحُديبية كانت معه[1]، ولما كانت غزوة خيبر[2] خرجتْ معه أيضاً، وكان معه ﷺ في هذه الغزوة عشرون امرأة فيهن صفيَّةُ بنت عبد المطلب، وأمُّ شبيم، وأمُّ عطية الأنصارية[3]، رضي الله عنهن، وقد أعطاهن النبي ﷺ من غنائم خيبر، ونالت أمُّ منيع نصيبها من ذلك[4].

● وبقيتْ أمُّ منيع تحافظ على البيعةِ وعلى العهد الذي عاهدت الله عزّ وجلّ عليه، ورسوله ﷺ.

● ويتوقفُ التاريخ بعد غزوة خيبر، فلا يحدثنا عن الأيامِ الأخيرة لأمِّ منيع رضي الله عنها، ولكنَّه يذكرنا دائماً بتلك الليلة الخالدة التي منحتْهَا أعظم وثيقةٍ في حياتها ألا وهي شهادة الإيمان التي تخولها دخول الجنَّة مع المبايعين ليلة العقبة.

* * *

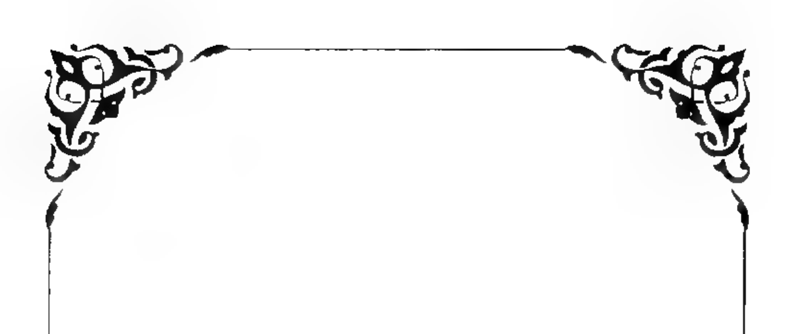
---

(١) المغازي (٢/ ٥٧٤).

(٢) «خيبر»: بلدة معروفة على نحو أربع مراحل من المدينة المنورة إلى جهة الشام، ذات نخيل ومزارع، فتحها رسول الله ﷺ في أوائل سنة سبع من الهجرة النبوية المباركة (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٠٣)، ومن الجدير بالذكر أن خيبر كانت مستعمرة يهودية ـ وقتذاك ـ تتضمن قلاعاً حصينة وقاعدة حربية لليهود الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، فأراح الله المسلمين منهم.

(٣) السيرة الحلبية (٢/ ٧٧٠).

(٤) الطبقات (٨/ ٤٠٨).



(١٩)

أُمّ خالد بنت خالد

رضي الله عنها

● أتي رسولُ الله ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: «مَن ترون أكسو هذه الخميصة». فسكت القوم، فقال: «ائتوني بأم خالد». فأُتي بها، فألبسها بيده، وقال: «أبلي وأخلقي».

المَولُودةُ الكَرِيْمَةُ:

● صحابيةُ اليومِ قرشيَّةٌ أمويَّةٌ مكيَّةٌ اسمها أَمَةٌ، فهل تعرفون صحابية بهذا الاسم؟!.

● إنَّها أمُّ خالد بنتُ خالد بن سعيد بن العاص[1]، اسمها أمَة، وغلبتْ عليها كنيتها ـ أمُّ خالد ـ.

● قال ابن حجر[2] في الإصابة: أَمَةُ بنت خالد، تُكنى أم خالد وهي مشهورة بكنيتها. فتعالوا نتعرف أخبارها المُشرقة المشرِّفة.

● فأبوها صحابي جليلٌ سبَّاق إلى ساحةِ الإسلام، خالد بن سعيد بن العاص، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وهو أحد الأتقياء الشُّهداء.

● وأمُّها صحابية جليلة أيضاً، أميمةُ بنتُ خلف الخزاعية، إحدى فضليات نساء الصَّحابة، والسَّابقات منهن للإسلام.

● وعمها: عمرو بن سعيد بن العاص، ذو الهجرتين إلى الحبشة ثم المدينة من السَّابقين إلى الإسلام، ومن شهداء اليرموك.

---

(١) أسد الغابة (٥/٤٠١)، وسير أعلام النبلاء (٣/٤٧٠)، وتهذيب التهذيب (١٢/٤٠٠).

(٢) ابن حجر: شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني. ولد سنة (٧٧٣هـ)، ورحل في طلب الحديث ولازم الحافظ العراقي حتى برع في هذا الفن، وصنف التصانيف التي عم نفعها في الدنيا «كشرح البخاري» الذي لم يصنف أحد مثله، وتهذيب التهذيب، والإصابة، ولسان الميزان، وغيرها من الكتب النافعة التي تزيد على المئة. توفي في ذي الحجة سنة (٨٥٢هـ). وذكر الشهاب المنصوري أنه شهد جنازته، فلما وصل إلى المصلى أمطرت السماء على نعشه فقال في ذلك الوقت:

قد بكتِ السُّحبُ على ... قاضي القضاة بالمَطرْ
وانهدمِ الركنُ الذي ... كان مشيداً من حجرْ

(طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٥٢).

● وأخوها: سعيد بن خالد صحابي كريم أيضاً.

● أمّا زوجها فهو من أسياد الصّحابة، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وفارس النّبيّ ﷺ وحواريه، الزُّبير بن العوّام.

● وحماتُها: صفيّةُ عمّةُ رسول الله ﷺ.

● ولدت أمُّ خالد في أرضِ الحبشة، وفتَحتْ عينيها على الإسلام، إذ صُنعتْ على عينَي والدين مؤمنَيْن مهاجرَيْن.

● ونشأتْ أمُّ خالد[1] منذ نعومة أظفارها على حبِّ الله عزّ وجل، وعلى محبةِ رسوله ﷺ، وطالما حدَّثَها أبواها عن قَدْرِ النّبيِّ الكريم عليه الصّلاة والسّلام الذي وصفه الله عزَّ وجلّ بأنّه: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَدَاعٌ ولـقَاءٌ:

● روتْ أمُّ خالد أنّها أقامتْ في الحبشة بضع عشرة سنة. ثم قدمتْ مع المهاجرين في سفينتين إلى المدينة المنورة، وعند وداعهم في أرض الحبشة، وقف النّجاشي ـ يُحمِّلُ المسلمين سلامه إلى النبي ﷺ، وذكرت أمُّ خالد هذا الموقف فقالت:

سمعتُ النّجاشي يقول يوم خرجنا لأصحاب السّفينتين: أقرئو جميعاً رسول الله ﷺ مني السّلام؛ قالت أمُّ خالد: فكنتُ فيمن أقرأ رسول الله ﷺ من النّجاشي السّلام[2].

● وكان قدومُ المهاجرين ولقاؤهم بالنّبيِّ ﷺ في خيبر سنة سَبْعٍ من

---

(١) من الجدير والمفيد ذكره هنا أنَّ بنات الصّحابة اللاتي وُلدن في الحبشة: هن أمُّ خالد ضيفة حلقتنا اليوم، وزينب بنت أبي سلمة، والأخوات: عائشةُ وزينبُ وفاطمةُ بنات الحارث بن خالد بن صخر رضي الله عنهن جميعاً.

(٢) الطبقات (٨/ ٢٣٤)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧١)، والإصابة (٤/ ٢٣٢).

الهجرة، فأسهم لهم من الغنائم، ثم رجعوا جميعاً بمعيَّةِ رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة.

● ومنذ أنْ استقرت أمُّ خالد بالمدينة أخذتْ مكانتها بين الصَّحابيات، وشركت في المجالات التي سمح بها الإسلام للمرأة إذ ذاك.

«ائتوني بأمّ خالد»:

● حظيتْ أمُّ خالد بالمكانةِ المرموقة عندَ رسول الله ﷺ، فكان يكرمُها ويعطفُ عليها، ويقدِّرُ مكانة أبويها وسبْقِهما، لذا فكان يخصُّهما بهديتهِ، روتْ أمُّ خالد هذا فقالت:

أُتيَ رسول الله ﷺ بثيابٍ فيها خميصةٌ سوداءُ صغيرة.

فقال: «مَنْ ترون أكسو هذه الخميصة؟».

قالت: فأسْكتَ القوم.

قال: «ائتوني بأمّ خالد».

فأُتيَ بي رسول الله ﷺ أُحْمَلُ، فأَلْبَسْنِيها بيده وقال: «أَبْلي وأخْلفي» يقولها مرتين أو ثلاثاً، وجعل ينظر إلى علمٍ في الخميصة أصفر أو أحمر فقال: «هذا سنا يا أم خالد، هذا سنا يا أم خالد» ويشير بأصبعه إلى العلم[1]. والسَّنا بلسان الحبش: ـ الحسن ـ.

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه. في اللباس (١٠/ ٢٣٦ و١٠/ ٢٥٦)، وفي الجهاد: (٦/ ١٢٨)، وفي الأدب (١٠/ ٣٥٦)، وفي فضائل أصحاب النبي (٧/ ١٤٥)، وأخرجه كذلك أبو داود (٤٠٢٤)، وأحمد في المسند (٦/ ٣٦٤ و٣٦٥)، وانظر الطبقات (٨/ ٢٣٤)، و«أبلي»: أمْر بالإبلاء. و«أخلفي»: إذا أبلته؛ أخلفت غيره، ويؤيد هذا ما أخرجه أبو داود (٤٠٢٠) بسند صحيح عن أبي نضرة قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا لبس أحدهم ثوباً جديداً قال: تُبلي ويُخلف الله.

وذكر السُّهيلي[1] رحمه الله أنَّ أمَ خالد كانت قد تعلمتْ لسانَ الحبشة لأنَّها ولدت بأرضِهم.

● أمَّا أمُّ خالد، فقد ظلَّت تحتفظُ بالهدية النَّبوية طيلةَ حياتها، وتفخر بها، وتريها للنِّساء اللاتي يزرْنَها.

منْ مكـارِمهـا:

● تدلُّ أخبارُ أمِّ خالد رضي الله عنها على أنَّ المكارمَ قد صاحبَتْها منذُ ولادتها إلى أنْ لقيتْ ربَّها، ومنْ هذه المكارمِ أنَّ الزُّبيرَ بنَ العوَّامِ رضي الله عنه قد تزوَّجها[2]، وولدتْ له عَمْراً وخالداً.

● ومن مكارمها رواية الحديث، فقد حدَّثَتْ عن النَّبي ﷺ وحفظت عنه سبعة أحاديث روتها عنه، روى لها البُخاري حديثين، كما روى لها من أصحاب السُّنن: أبو داود والنَّسَائي.

● وحدَّث عنها سعيد بن عمرو، وموسى وإبراهيم ابنا عقبة، وغيرهم.

ومن مروياتها، ما رواه البخاري في صحيحه ـ في الجنائز ـ عن موسى بن عقبة قال: سمعتُ أمَّ خَالد بنت خالد قالت: سمعتُ النَّبي ﷺ يتعوذُ من عذابِ القَبْرِ.

---

(١) السُّهَيْلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السُّهيلي نسبة إلى سُهيل، وهي قرية قريبة من مالقة بالأندلس، الإمام المشهور صاحب كتاب: الروض الأنف في شرح السِّيرة النَّبوية. كان عالماً بالعربية واللغة والقراءات، بارعاً في ذلك، تصدَّر للإفتاء والتَّدريس والحديث، وبَعُدَ صِيتُه، جمع بين الرواية والدِّراية، وله شعر جميل، توفي بمراكش سنة (٥٨١هـ) رحمه الله. (وفيات الأعيان ١/ ٢٨٠) و(معجم المؤلفين ٥/ ١٤٧).

(٢) أورد الذَّهبي زوجات الزبير فقال: أسماءُ بنت أبي بكر، وعاتكةُ أخت سعيد بن زيد، وأمُّ خالد بنت خالد بن سعيد، وأمُّ مصعب الكلبية (سير أعلام النبلاء ١/ ٦٤).

أُمُّ خَالد وأَخبارٌ ذَهبيَّةٌ:

● لأمِّ خالد رضي الله عنها جهْدٌ مشكور في نَقْل كثيرٍ منَ الأخبارِ والمعلومات المفيدة في تاريخ السِّيرة النَّبوية، كما أدلتْ دَلْوَها في نَقْل بعض المغازي والأحداث التَّاريخية الهامة في مطلع فَجْر الإسلام.

● وقد رفدت أمُّ خالد المصادرَ بمعلوماتٍ قيمة عن مهاجري الحبشة، وخصوصاً أهلها؛ قالت عن والدها: كان أبي خامساً في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، وأقام بها بضع عشرة سنة، ووُلدتُ أنا بها[1].

● ومن الحسنَاتِ التي سجَّلتها لوالدها قالت: أبي أول مَنْ كتبَ: بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم.

● ومنَ الأرصدة الإيمانية الرائعة لخالد بن سعيد، ما في جعبةِ ابنتهِ أمّ خالد التي حدّثتْ فقالت:

كان خالد بن سعيد ـ أبي ـ ذات ليلة نائماً، قُبيل مَبْعثِ رسول الله ﷺ فقال: رأيتُ كأنَهُ غَشِيتْ مكة ظلمةٌ حتى لا يبصرُ امرءٌ كفَّهُ، فبينما هو كذلك إذ خرج نورٌ مِنْ زمزم، ثم علا في السَّماء فأضاءَ في البيت، ثم أصاب مكةَ كلّها، ثم تحوّلَ إلى يثرب ـ المدينةِ ـ فأصابها حتى إنّي لأنظرُ إلى البُسْرِ في النَّخْلِ. فستيقظتْ فقصصتُها على أخي عمرو بن سعيد ـ وكان جزل الرأي ـ فقال: يا أخي إنّ هذا الأمر يكون في بني عبد المطلب ألا ترى أنَّه خرجَ من حَفْرِ أبيهم؟

ثم إنه ذكرَ ذلك لرسول الله ﷺ بعد مَبْعثِهِ، فقال: «يا خالد أنَا والله ذلك النُّور، وأن رسولُ الله» وقصَّ عليه ما بعثه الله به فأسلمَ خالد[2] رضي الله عنه.

● وأوردتْ أمُّ خالد أخباراً ذهبيةً من سيرة عمِّها عمرو بن سعيد رضي الله عنه، فقالت:

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٠٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٠)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٩١) والإصابة (١/ ٤٠٦).

قدمَ علينا عمّي عمرو بن سعيد أرض الحبشة بعد مقدم أبي بسنتين، فلم يزل هناك حتى حُمِلَ في السَّفينتين مع أصحاب رسول الله ﷺ، فقدموا على النَّبي ﷺ وهو بخيبر سنة سَبْع من الهجرة، فشهد عمرو مع النَّبي ﷺ الفتح، وحُنين، والطَّائف، وتبوك[1]، فلما خرج المسلمون إلى الشَّام كان فيمن خرج، فقُتِلَ يوم أَجْنَادِينَ شهيداً[2].

دَعْـوَةٌ مُـستَجـابـةٌ:

● كان لدعاءِ رسول الله ﷺ أثرٌ مبارك في حياة أم خالد، حينما قال لها: «أَبْلي وأَخْلفي» والمعنى: أَنْ تطولَ حياتُها حتى يَبلى الثّوب ويخلق. وقد استجيبت دعوة النَّبي ﷺ؛ قال البُخاري رحمه الله: لم تعش امرأةٌ ما عاشتْ هذه[3].

● وقال الذَّهبي[4] رحمه الله: وأظنُّها آخر الصَّحابيات وفاة، بقيتْ إلى أيام سَهْل بنِ سعد[5] رضي الله عنه.

---

(١) «تبوك»: موضعٌ بين المدينة المنورة، ودمشق، على نصف الطريق، كانت غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة، ومنها راسل عظماء الرُّوم، وهي آخر غزواته بنفسه. قال عنها ياقوت في معجم البلدان: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر، ويقال: إنَّ أصحاب الأيكة الذين بُعث إليهم شعيب كانوا هناك. وتبوك في الوقت الحالي: بلد تابع لإمارة المدينة في السعودية على بعد (٧٥٠) كيلو متر تقريباً من المدينة المنورة. (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٤٣) ومصادر حديثة أخرى.

(٢) الطبقات (٤/ ١٠١).

(٣) عن تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٠٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧١). وهذا يتوافق مع رواية البخاري

(٥) سهل بن سعد بن مالك الصحابي الخزرجي الأنصاري الساعدي المدني، كان اسمه حزناً فسماه النبي ﷺ سهلاً. قال ابن سعد: هو آخر من مات من أصحاب النبي ﷺ ليس فيه خلاف. روي له عن النبي ﷺ (١٨٨ حديثاً)، وعاش مئة سنة. وتوفي سنة (٩١هـ) رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٣٨)، و(الأعلام ٣/ ٢١٠).

وفي موضع آخر يقول الذَّهبي عنها: عُمِّرت إلى قريب عام تسعين[1] - من الهجرة النَّبوية -.

● وهكذا عاشت أمُّ خالد دهراً طويلاً لا تفارِقُهاالخميصةُ المباركة التي تذكِّرُه دائماً برسول الله ﷺ حتى لقيتْ ربها.

● رضي الله عن أمِّ خالد بنت خالد، وألبسها ثياباً خضراً من سندس وإستبرق؛ في جنَّات النَّعيم.

* * *

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٠).



(٢٠)

الصَّعبةُ بنت الحضرميّ

رضي الله عنها

● زوجة أبي سفيان، وأمّ طلحة بن عبيد الله.

● قالت لابنها طلحة عندما حُصِر الخليفة عثمان ابن عفان: إنَّ عثمان قد اشتدَّ حصره، فلو كلَّمتَهْ حتى تردعه.

من حَضْـرَمُـوتَ إلـى مَـكَّـةَ:

● هل تعرفونَ هذا الفتى القرشيَّ التَّميميَّ أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة؟ إنّه مَنْ قال في حقِّهِ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أراد أَنْ ينظرَ إلى شهيدٍ يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحةَ بن عبيد الله».

● ونحن الآن في رحاب سيرة أمّ طلحة، الصَّعْبة بنت الحضرميّ[1]. وقبل أنْ نتعرَّف حياتها، دعونا نلقي بعض الأضواء على أسرتها واسم والدها.

● الحَضْرميُّ: نسبة إلى حضرموتَ، وحضرموت بلدٌ باليمن. والحضرميُّ هو عبد الله بن عِماد[2]، جاء من حضرموتَ إلى مكةَ المكرمة وسكنها.

● وفي مكة لجأ إلى بني أمية. وحالف حَرْبَ بنَ أمية والد أبي سفيان، وكان لعبد الله الحضرميّ ثلاثة أولاد: العَلاء بن الحضرمي[3] الصَّحابيّ المشْهُور، وعامر بن الحضرميّ وقد قُتِلَ يَوم بَدْرٍ كافراً، وعمرو بن الحضرميّ، وهو أول قَتيلٍ من المشركين[4]، وماله أول مالٍ خُمْسٍ في

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٤٨٩)، الإصابة (٤/ ٣٣٧).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٥٢)

(٣) العلاءُ بنُ عبد الله الحضرميّ، صحابيٌّ جليلٌ من رجال الفتوح في صدر الإسلام، يُقال إنّه أولُ مسلم ركبَ البحر للغزو. ولاّهُ رسول الله ﷺ البحرين سنة (٨هـ) وجباية الصَّدقة، وتوفي النَّبي ﷺ فأقرّهُ أبو بكر الصِّدِّيق ثم عمر رضي الله عنهما.
قيل: كان مجاب الدَّعوة وأنّه خاض البحر بكلمات قالهن، وكان يقول في دعائه: يا عليم، يا حليم، يا عليّ يا عظيم فيستجاب له.
توفي سنة (٢١هـ) رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٤٢)، و(شذرات الذهب ١/ ١٧٥). قال ابن كثير في البداية والنهاية: إنَّ العلاء كان يدعو: يا أرحم الراحمين. يا حكيم يا كريم، يا أحد يا صمد، يا حي يا محيي، يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت يا ربنا

(٤) قُتل في سرية نَخْلةَ بقيادة الصَّحابي عبد الله بن جحش. وللمزيد من أخبار هذه السَّرية اقرأ سيرة الصَّحابي الجليل عبد الله بن جحش في كتابنا «رجال مبشرون =

المسلمين، وبسببه كانت غزوة بَدْرٍ الكبرى. وضيفتُنا أختهم؛ وهي الصَّعبة بنت الحضرمي أمّ طلحة رضي الله عنهما.

الصَّعْبَةُ وأَبُو سُفْيَانَ:

● كانت الصَّعْبةُ متزوجةً من أبي سفيان بن حرب، وكانت هندُ بنت عتبة ضرّتها، ويبدو أنَّ الصَّعبة أوتيتْ قسطاً من البهاء، جعل هنداً تلحُّ على أبي سفيان أَنْ يطلقها، ولم تزل به حتى طلَّقها وفارقها؛ وتشير أخبار الصَّعبة إلى أنَّ أبا سفيان قد ندِمَ ندماً شديداً على فراقها، وتبعتهانفسه فأنشأ يقول:

إنّي وصعبة فيما يُرى
بعيدانِ والوُدُّ وُدٌّ قريبْ

فإنْ لمْ يكنْ نَسَبٌ ثاقبٌ
فعندَ الفتاة جَمالٌ وطيبْ

فيا لقصيّ ألا فاعجبُوا
فللوَبْرِ صَارَ الغَزَالُ الرَّبيبْ[1]

وبعد طلاق الصَّعبة تزوَّجها عبيد الله بن عثمان التَّيميَّ، فولدتْ له طلحة وإخوته[2]، وبسبب طلحة طارتْ شهرتها وحلَّقت في سماء الصَّحابيات رضي الله عنهن.

مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّوْرِ:

● كان طلحةُ سبّاقاً إلى ساحة الإسلام، وأَحَد جنوده الأوائل. أمّا والدته

= بالجنة» (١/ ٣٣).

(١) «الوبر»: حيوان يشبه السِّنَّور وهو أصغر منه. وللبيت رواية أخرى في بعض المصادر على النحو التالي:

فيا لقصيٍّ ألا تعجبون ... هِزبرٌ يصيدُ الغزال الربيب!

(٢) اقرأ هذا الخبر في المعارف (ص ٢٢٩)، وعيون الأخبار (٤/ ١٠١)، والروض الأنف (٣/ ٢٩)، والاستيعاب (٣/ ١٤٧)، وأسد الغابة (٤/ ٧)، ومنح المدح لابن سيد الناس (ص ٣١٧).

فلمْ تكنْ في عداد الرَّعيل الأول، وقضتْ سنواتٍ عجافاً مع الأوثن ومع ظلمات الشِّرك، وكانت تعترضُ سبيل ابنها بكل الوسائل الممكنة حتى تردَّهُ عن النُّور الذي اتَّبعَه، ولكنْ أنّى يكون لها ذلك؟!.

● إنَّ طلحة والثُّلة المؤمنة كانوا طلاّب حقٍّ وهدى، وإيمان مطلق بالله عزَّ وجلَّ، وفي سبيلِ هذه الغاية النَّبيلة ثبتوا ثباتَ الرَّواسي.

● وراع الصَّعبة ما رأته من ثبات ابنها رغم العذاب والهوان. ولعلَّ عاطفة الأمومة لم تتحركْ في قلبها بادىء ذي بدء، حيث كانت تزجره، وتكلّمه بغضبٍ وقَسْوةٍ وشِدّةٍ، فقد أخرج البخاري رحمه الله في التَّاريخ عن مسعود بن حراش قال:

بينا نحن نطوف بين الصَّفا والمروة، إذا أناس كثير يتبعون فتى شاباً موثقاً بيده في عنقه.

قلتُ: ما شأنه؟

قالوا: هذا طلحة بن عبيد الله صَبَأَ. وامرأةٌ وراءه تدمدمُ ـ تغضب ـ وتسبّه:

قلتُ: مَنْ هذه؟

قالوا: الصَّعبةُ بنت الحضرميّ أمُّه[1].

● ولم تطل حياة الصَّعبة بنت الحضرميّ على هذه الشَّاكلة، إذ بدأتْ بذورُ الإيمان تنبتُ في قلبها، والهداية تحلُّ في أعضائها، فركنتْ للحقِّ واستجابتْ للخير، وانضمتْ إلى صفوفِ المؤمنات، وأعلنتْ إسلامها. وعندما بدأت الهجرةُ إلى المدينة، آثرتِ الخروجَ مهاجرة في سبيل الله عزَّ وجلَّ، وكُتبتْ في قائمة المهاجرات.

---

(١) عن الإصابة (٣/ ٣٩٠).

نِـعْمَـةُ الإيْـمَـانِ:

● ذكرَ عددٌ من كتَّاب التَّراجمِ أَنَّ الصَّعبةَ أمَّ طلحة أسلمت[1]. وأورد النَّووي رحمه الله تعالى أنَّه أسلمتْ وهاجرت رضي الله عنها[2].

● وفي هجرة الصَّعبة إلى المدينة نعمتْ بظلالِ الإيمان، وسرَّ المؤمنون بإسلامها وفي مقدمتهم ابنها الخيِّر طلحة رضي الله عنهم جميعاً.

● وشهدتِ الصَّعبةُ الأحداثَ الإسلامية في المدينة، وسعدت ببطولات ابنها وخصوصاً يوم أُحد إذ كان «طلحة الخير» ويومِ غزوة ذات العُشيرة[3] «طلحة الفيّاض» ويوم حنين كان «طلحة الجود» وهذه الأوسمة الطّيبة منحه النَّبيُّ ﷺ طلحة لحسن بلائه وصدقه رضي الله عنه. وتوفيَ رسول الله ﷺ وهو راضٍ عن طلحة وأمّ طلحة.

فِيْ ظِـلِّ الـخُـلَفَـاءِ الـرَّاشِـدِيْـنَ:

● قضتِ الصَّعبةُ رضي الله عنها حياتَها في العهْد الرَّاشدي، تعبدُ الله عزّ وجلَّ وتقومُ بواجباتها على أكمَلِ وَجْهٍ، وكان لها أثرٌ كريم في خلافة عثمان رضي الله عنه ـ لما اشتدَّ عليه الحصار ـ فقد أخرج البخاري رحمه الله في «التَّاريخ الصغير» عن عبد الله بن رافع عن أمِّه قالت:

خرجتِ الصَّعبة بنت الحضرمي فسمعتها تقول لابنها طلحة: إنّ عثمان قد اشتدَّ حصره، فلو كلَّمته حتى تَردَعَه[4].

---

(١) الرياض النضرة للمحب الطبري (٤/ ٢٤٥)، وصفة الصفوة (١/ ٣٣٦).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٥٢).
(٣) «العُشَيْرَة»: بلفظ تصغير العَشْرة، يُضاف إليه (ذو) فيقال: ذو العشيرة، وهي من ناحية يَنْبُع بين مكةَ والمدينة، وفي صحيح البخاري أنها العُشيرة أو العُشيراء وقيل: العُسَيرة والعسَيراء؛ بالسين؛ والصحيح أنه العُشيرة. قال ابن إسحاق: هو من أرض بني مدلج. (معجم البلدان ٤/ ١٢٧).
(٤) عن الإصابة (٤/ ٣٧٧).

وفي رواية ابن الأثير: فلو كلَّمت فيه حتى يُردَّ عنه[1].

● وكان طلحة شديد البرّ بأمّه، حتى إنَّه سمّى إحدى بناته الصَّعبة بنت طلحة[2] إحياء وبرّاً بوالدتِه رضي الله عنهما. وممّا يدل على برّه لها ما رواه علي بن زيد قال:

جاء أعرابيٌّ إلى طلحة يسأله، ويتقرّبُ إليه برحِمٍ، فقال طلحة: إنَّ هذه لرحم ما سألني بها أحدٌ قبلك؟ إنَّ لي أرضاً أعطاني بها عثمان ثلاثمئة ألف، فإن شئت فاقبضها وإن شئت بعتُها من عثمان، ودفعتُ إليك.

فقال الأعرابي: الثَّمن.

فباعها من عثمان ودفع إليه الثَّمن[3].

ولله درّ من قال في طلحة:

عليك رضا الرّحمن يا طلحةَ النّدى
ولا زلتَ بين الأكرمينَ إمامـ

● وأخيراً، تسكتُ المراجع فلا تحدثنا عن تحديد وفاة الصَّعبة بنت الحضرمي، ولكننا نستنتج أنَّها عاشت بعد خلافة عثمان رضي الله عنه من خلال الخبر السَّابق.

● وقيل أن نُودّع سيرة الصَّعبة أمّ طلحة تعالوا نقرأ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[4] صدق الله العظيم.

* * *

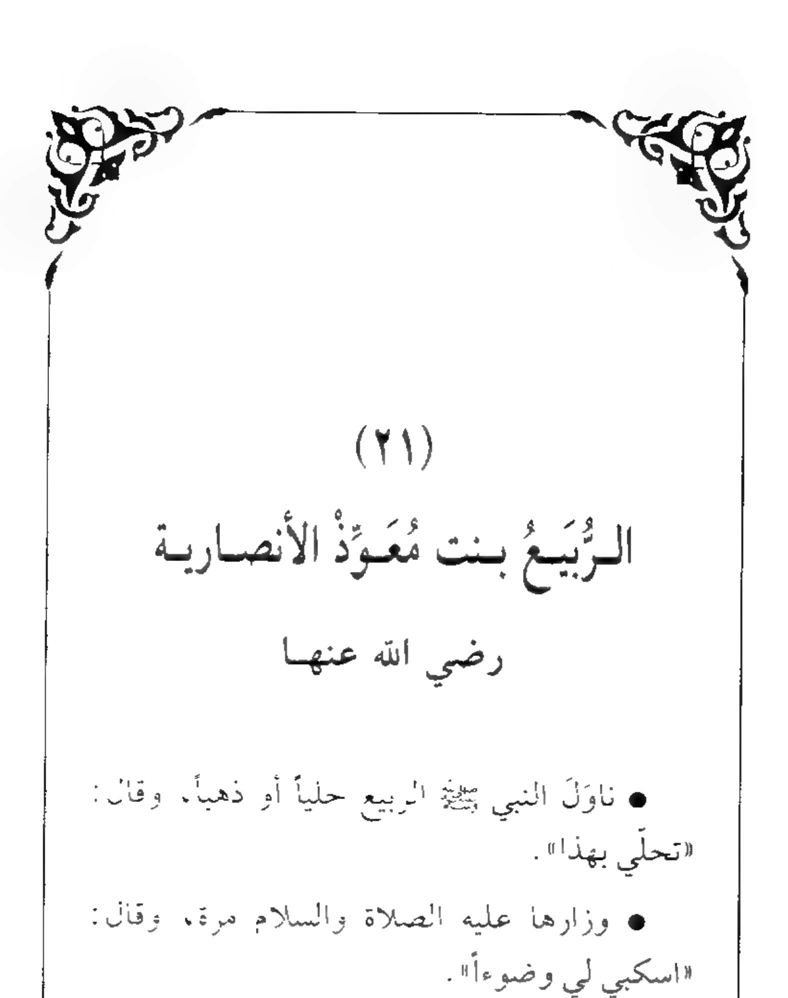
---

(١) أسد الغابة (٥/ ٤٨٩).

(٢) كان لطلحة عشر بنين وأربع بنات. وبناته هن: أم إسحاق، عائشة، مريم، والصعبة.

(٣) الرياض النضرة (٤/ ٢٦٢).

(٤) [سورة المطففين: ٢٢ ـ ٢٦]



(٢١)

الـرُّبَيِـعُ بـنت مُعَـوِّذْ الأنصـاريـة

رضي الله عنهـا

● ناوَلَ النبي ﷺ الربيع حلياً أو ذهباً، وقال: «تحلّي بهذا».

● وزارها عليه الصلاة والسلام مرة، وقال: «اسكبي لي وضوءاً».

الزَّكيَّةُ ابنةُ الزَّكيِّ:

● الرُّبيِّعُ بنتُ معوِّذ بنِ عفراءَ الأنصارية النَّجارية من بني عدي بن النَّجار[1]، لها صحبةٌ وروايةٌ عن رسول الله ﷺ.

● وهي منْ أسرةٍ زكيَّةٍ طيِّبةِ الأعراقِ، عُرفتْ بالمكارمِ من أولِ يوم عَرفتْ فيه الإسلام.

● فأبوها ممن شهد العقبةَ وبدراً واشترك مع عمِّها في قتل أبي جهل ـ فرعون الأمة ـ فحظيَا بدعوةٍ طيِّبةٍ من رسول الله ﷺ حيث قال: «رحم اللهُ ابنَيْ عفراء اشتركا في قتْلِ فرعون هذه الأمّة»[2].

● وجدّتُها لأبيها عفراء بنت عبيد[3] صحابية كريمة لها أثر رائع في تاريخ نساء الإسلام.

● وأختُها فريعة بنت معوذ صحابية جليلة كانت مجابة الدَّعوة[4].

● أسلمتِ الرُّبيِّعُ في المدينة قبل مقدمِ النَّبيِّ ﷺ المدينة مهاجراً، وكانت في مُقْتبلِ عمرها، ولما نزل ﷺ في بيت أبي أيوب الأنصاريّ بالمدينة، خرجتْ ولائدُ من بني النّجارِ فرحاتٍ بمقْدَمِهِ وهن ينشدن:

نحـنُ جـوارٍ مـنْ بنـي النَّجـار
يـا حبـذا محمَّـدٌ مِـنْ جَـارِ

فقال النَّبيُّ ﷺ لهنّ: «أتحببْنَني؟».

---

(1) أسد الغابة (٥/ ٤٥١)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٨). تصغير الرَّبيع، والرُّبيع صحابيتان من الأنصار وهما: الرّبيع بنت النضر الأنصارية أمُّ حارثة، والرُّبيع بنت معوِّذ.

(2) أنساب الأشراف (١/ ٢٩٩)، والسيرة النبوية لأحمد زيني دحلان (١/ ٣٨٩).

(3) اقرأ سيرة عفراء بنت عبيد في هذا الكتاب ففيها ما يدخل السرور إلى النفس إن شاء الله.

(4) الاستيعاب (٤/ ٣٧٥) وفي ترجمتها.

فقلن: نعم.

فقال: «والله يعلم أنْ قلبي يحبّكنّ».

ومَنْ يدري، فلعل الرُّبيّع كانت إحدى أولئك الجواري اللاتي رحبّن بمقدم النَّبي ﷺ.

زيـارةٌ مُبـاركـةٌ وإرْشَـادٌ نبـويٌّ:

● كان النَّبيُّ ﷺ عطوفاً، يكرم مَن حوله ويودّهم، ويدوم لهم على المودة طول حياته وإنْ تفاوتَ ما بينه وبينهم من سنٍّ أو مقامٍ.

● ومما لا شك فيه أنّه كانت للأنصار وأبناء الأنصار منزلة كريمة لدى النَّبي ﷺ، فكان يوليهم كلَّ رعايةٍ واهتمامٍ، وضيفتُنا الرُّبيّع رضي الله عنها إحدى الصَّحابيات ممَنْ كنَّ يلقَيْنَ الرّعاية النَّبوية، فقد زارها النَّبيُّ الكريم صبيحةَ عُرسِهَا صلةً لرحمها، وذلك بعد غزوة بدْرٍ، وأثناء زيارته لها كان يرشد النّسوة إلى ما فيه خيري الدُّنيا والآخرة.

● فقد أخرج التّرمذي بسنده عن خالد بن ذكوان عن الرُّبيّع بنت معوِّذ رضي الله عنه قالت: جاء رسولُ الله ﷺ فدخل عليَّ غداة بُني بي ـ صبيحة العرس ـ فجلسَ على فراشي كمجلسِكَ مني، وجويريات لنا يضربن بدفوفهن ويندبْن منْ قُتِلَ من آبائي يوم بَدْرٍ، إلى أنْ قالت إحداهن: (وفينا نبيٌّ يَعْلَمُ ما في غَدِ) فقال لها رسول الله ﷺ: «اسكتي عن هذه، وقولي الذي كنت تقولين قَبْلَها»[1].

● وأودُّ أَنْ أشيرَ إلى ناحيةٍ هامّةٍ وهي أَنَّ الجويريات كنّ يندبن مَن استشهد يوم بدر مِنْ آل عَفْراءَ، وذلك بِذكرِ محاسنهم كالكرم والشّجاعة؛ وكان مُعَوِّذُ والد الرُّبيِّع وعوفٌ عمُّها قد استشهد ببدر، ولما وصفتِ الجاريةُ النّبي ﷺ بعلم الغيب أنكر عليها ذلك، وأرشدها لجادة الصَّواب؛ لأنَّ الغيبَ مردُّهُ إلى

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٩٠)، وانظر أسد الغابة (٥/ ٤٥٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٣).

الله عزّ وجلّ، وأمرَ الجارية أنْ تعود إلى ذِكرِ محاسن الشُّهداء ونَشْرِ فضائلهم.

● وما دمنا في ذكر الشُّهداء، فلا يفوتنا هنا أنْ نذكرَ منقبةً رائعةً للرُّبيِّع التي كانت شديدةَ الفخرِ بأبيها الذي شارك في قتْلِ أبي جهل إذ تحدّتْ أمَّه تحدياً سافراً؛ رُوي أنَّ الرُّبيِّعَ أخذتْ طِيباً من أسماءَ بنتِ مخربة ـ أُمِّ أبي جهل ـ فسألته عن نسبها فانتسبتُ الرُّبيِّعُ، فقالت لها أسماء: أنتِ ابنةُ قاتل سيّده ـ تعني أبا جهل ـ؟.

فقالت الرُّبيِّعُ بتحدٍ: بل أنا ابنةُ قاتل عبدِه.

قالت: والله لا أبيعُك شيئاً أبداً.

وأحبّتِ الرُّبيِّعُ أنْ تغيظَها فقالت: وحرامٌ عليَّ أَنْ أشتريَ مِنْ عطْرِكِ شيئاً، فما وجدت لعطرٍ نتناً غير عطرك[1].

مَكَانَتُهَا وقَدْرُهَا:

● قال موسى بن هارون الحمّال: الرُّبيِّعُ بنتُ معوِّذ قد صحبتِ النَّبيَّ ﷺ ولها قَدْرٌ عظيم[2].

وذكر الذهبيُّ[3] أنَّ النَّبيَّ ﷺ أتاها يوم عرسها فقعدَ على موضع

---

(١) عن المغازي (١/ ٨٩)، والاستيعاب (٤/ ٣٠٢)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٩) بتصرف.

(٢) الاستيعاب (٤/ ٣٠٢).

(٣) الذهبي: الإمامُ الحافظُ، محدّثُ العصرِ، وخاتمةُ الحفّاظُ، ومؤرخُ الإسلام، وفرد الدهر، شمسُ الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمانَ بن قايماز التركماني ثم الدِّمشقيّ المقرئ، ولد سنة (٦٧٣هـ)، وطلبَ الحديث، ورحل في طلب العلم، وتلا بالسَّبْع وأذعن له النَّاس، له من التآليف المفيدة والمصنفات ما يدل على علوّ كعبه في العلم ومنها: تاريخ الإسلام، التاريخ الأوسط والصَّغير، وسير أعلام النبلاء، وطبقات القراء، والكاشف، والميزان، وغير ذلك. توفي يوم الإثنين ٣ ذي القعدة سنة (٧٤٨) بدمشق. ورثاه التاج ابن السبكي بقصيدة أولها:

من للحديث وللسّارين في الطّلب … مِنْ بعدِ موت الإمام الحافظِ الذّهبي

(طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٢١)

فراشها، وهذا من تمامِ سعادتها.

● وكان عليه الصَّلاة والسَّلام يأكلُ عندها ويَقْبَلُ هديتها ويكرمها، ولها في هذا المجال قصة رائعة، فقد رُوي عنها أنَّها أتتِ النَّبي ﷺ بقناعٍ من رُطب، وآخر من عنب، فناولها النَّبيُّ ﷺ حليّاً أو ذهباً وقال: «تحلّي بهذ»[1]. وهكذا شملَ رسول الله ﷺ الرُّبيِّعَ بالكرمِ الممزوج بالعطفِ والجود.

● وفي الصَّفحات المُشرقةِ من حياة الرُّبيِّع نقرأ زيارة نبوية أخرى، وفي هذه الزيّارة يتوضأ رسول الله ﷺ في بيتها ويقولَ لها: «اسكُبي لي وضوءا».

والرُّبيِّعُ رضي الله عنها هي الصَّحابيةُ الرَّاويةُ لصفة وضوء النَّبيّ ﷺ، وأخرج هذا ابنُ ماجه بسنده عنها، أنَّ رسولَ الله ﷺ تَوضَّأ ثلاثاً ثلاثاً[2].

● وليس في سِجلّ المودة الإنسانية أكرم من النَّبي ﷺ الذي كان يكرمُ الشُّهداء وأبناءهم، ويشملهم بعطفه، ويتعاهدهم بالزِّيارة والتَّوجيه من الحين والحين.

المُجاهِدَةُ الغَازِيَةُ:

● أحبَّتِ الرُّبيِّعُ أَنْ تتابعَ رحلةَ الجهادِ التي بدأها والدها في بدْرٍ، فكانت تخرجُ مع النَّبيّ ﷺ في المغازي[3] لتفوز بالأجر والمثوبة التي أعدها الله عزَّ

---

(١) «قناع»: أي طبق.

(٢) سنن ابن ماجه (٤١٨) واقرأ تفسير ابن كثير للآية السَّادسة من سورة المائدة ففيه توجيهات لطيفة ومفيدة في هذا المضمار الطيب.

(٣) «المغازي»: في اللغة: جمع مغزى، مصدر غزا يغزوغزواً ومغزى، وتُطلَقُ على مَوْضع الغزو.
والغزوَ في اللغة: القَصْد؛ يقال: مغزى الكلام: أي مقصده.
والمراد بالمغازي هنا: ما وقع من النَّبي ﷺ من قَصْدِ الكفَّارِ بنفسه، أوبجيش مرسل من قبله، وسواء كان قصدهم في بلادهم، أو في أماكنَ حلُّوا فيها
والمغازي في اصطلاح الرَّواة وعلماء السِّيرة والتَّراجم والطَّبقات ما يلي
فالغزوة: هي الجيش الذي خرج فيه النبي ﷺ بنفسه، كغزوة بدر وأحد وغيرهما.

وجلّ للمجاهدين، قال عنها ابنُ كثير رحمه الله: كانت تخرجُ مع رسول الله ﷺ إلى الغزواتِ فتداوي الجرحى، وتسقي الماء للكَلْمَى.

● وقد أخرج البُخاريُّ رحمه الله بسنده عنها أنَّها قالت: كنَّا نغزو مع النَّبيِّ ﷺ فنسقي القوم ـ المجاهدين ونخدمهم ونردُّ الجرحى والقتلى إلى المدينة[1].

● وفي ساعة مباركة من ساعات الجهاد، انضمت الرُّبيِّعُ رضي الله عنها إلى المجموعة السّعيدة التي بايعتْ بيعةَ الرِّضوان تحت الشَّجرةِ بالحديبية، فعَلِمَ اللهُ ما في قلوبهم من الصِّدق والإيمان فأنزلَ السَّكينةَ عليهم، ورضي عنهم وعن بيعتهم، ونالوا البشارة بالنَّجاةِ من النَّار لقول النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام: «لا يدخلُ النَّار أَحَدٌ ممَنْ بايعَ تحتَ الشَّجرةِ»[2].

مِنَ الجهَاد إلى الرِّوايةِ والحِفْظِ:

● لم تكنِ الرُّبيِّعُ ممَنْ ساهمن في الجهاد فحسب، بل عُرفت رضي الله عنها بحبِّها الشَّديد للعلم، وكانت كثيرة التَّردد على عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها، وتمثَّل علمُها في روايةِ وحفْظِ حديث رسول الله ﷺ، حيثُ روت عنه (٢١ حديثاً).

● روى لها البُخاري ومسلم، واتفقا على حديث، كما روى لها الجماعة، وكان عدد من الصَّحابة والتَّابعين يأتونها ليأخذوا عنها الحديث، فقد أتاها عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما فسألها عن وضوءِ رسول الله ﷺ، وأتاها

= والسَّرية: هي الجيش الذي أرسله النبي ﷺ ولم يخرج فيه، كسرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر
والسرية في اللغة: هي القطعة من الجيش تبعث إلى العدو، ويبلغ أقصاها أربعمئة. وهي مأخوذة من السَّري وهو الشيء النفيس، وسموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم

(١) التاج الجامع للأصول (٤/ ٣٤٤)، وانظر صفة الصفوة (٢/ ٧١).
(٢) رواه مسلم (٢٤٩٦)، وانظر الطبقات (٢/ ١٠٠ و١٠١).

عبد الله بن عمر[1] فسألها عن قضاء عثمان بن عفّان رضي الله عنه حين اختلعتْ من زوجها[2].

● وروى عنها كذلك عدد من كبار التَّابعين من مثل: خالد بن ذكوان، وسليمان بن يسار، وأبو عبيدة بن عمار بن ياسر وآخرون.

● ومن مروياتها ما أخرجه الإمام مسلم بسنده عنها قالت: أرسل رسولُ الله ﷺ غداةَ عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: «منْ كانَ أصبحَ صائماً فليتمَّ صومه، ومن كان أصبحَ مفطراً فليتمَّ بقية يومه». فكنّا بعد ذلك نصومه ونُصوِّمُ صبياننا الصِّغار منهم إنْ شاءَ الله، ونذهبُ إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العِهْنِ ـ الصُّوف ـ فإذا بكى أحدهم على الطَّعام أعطيناها إياه عند الإفطار[3].

---

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشيّ ـ أبو عبد الرحمن ـ أخو حفصة أمّ المؤمنين، أحد العبادلة الأربعة، صحابيٌّ زاهد في القول والفعل، أسلم مع أبيه قبل بلوغه، شهد الخندق وما بعدها، وشهد اليرموك وفتح مصر وإفريقية. كان جريئاً جهيراً، أفتى النَّاس في الإسلام ستينَ سنة كان شديد الاتباع لآثار النبي ﷺ. له (١٦٣٠ حديثاً) ومناقبُ مشهورةٌ كثيرةٌ، قال رسول الله ﷺ عنه: «إنّ عبد الله رجلٌ صالحٌ» وكان صواماً قواماً كثير الصدقة توفي سنة (٧٣هـ) رضي الله عنه: (تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٧٨ ـ ٢٨١)، و(الأعلام ٤/ ١٠٨).

(٢) الطبقات (٨/ ٤٤٧ و٤٤٨)، وزاد المعاد (٥/ ١٩٧).

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٥٢) «عند الإفطار»: فيه محذوف، والتقدير: حتى يكون عند الإفطار، وبهذا يتمّ الكلام. ومما روته أمّ المؤمنين عائشة في هذا المجال قالت: كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومُه، فلمّا قدم المدينة صامه، وأمر النَّاس بصيامه، فلما فرض رمضان قال: «مَنْ شاء صامه ومن شاء تركه» (متفق عليه).
ومن الفائدة أنْ نشيرَ إلى أنَّ العلماء ذكروا أنَّ صيام يوم عاشوراء على ثلاث مراتب:
ـ الأولى ـ صومُ ثلاثة أيام: التّاسع، والعاشر، والحادي عشر.
ـ والثانية: صومُ التّاسع والعاشر.
ـ الثالثة: صومُ العاشر وحدَه.

وصْفُها لِرَسُولِ الله ﷺ:

● كان الصَحابة الكِرامُ عليهم سحاباتُ الرضوان، يتسابقون في رواية المكارم، وذكرِ شمائل رسول الله ﷺ، وبيان خَلْقه الطَّاهر، فهذا سيِّدُنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، يقول عن النبي ﷺ: كان وَجْهُ رسول الله ﷺ كدارةِ القمر؛ وإذا رأى النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام كان يقول:

أمينٌ مصطفى بالخير يدعو
كضَوءِ البَدْرِ زايَلَهُ الظَّلامُ

● وكان سيِّدُنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلما رأى النَّبيَّ ﷺ يتمثَّلُ بهذا البيتِ:

لو كنتَ مِنْ شيءٍ سوى بَشَرٍ
كنتَ المُنوِّرَ ليلةَ البدرِ[1]

● والصَحابيةُ الكريمة الرُّبيِّعُ ممَنْ أبْدَعَ وصْفَ المصطفى ﷺ، روى أبو عبيدة بن محمَد بن عمار بن ياسر قال: قلتُ للربيّع بنت معوِّذ بن عفراء: صفي لي رسول الله ﷺ، فقالت: يا بنيّ لو رأيتَه لرأيتَ الشَّمسَ طالعة[2].

● وكانتِ الرُّبيّعُ أيضاً إحدى المراجع الهامة لأحداث السِّيرة النَّبوية، والأحداث الإسلامية في فَجْر الإسلام، كما كانت مرجعاً في بعض الأحكام التي حفظتها عن النَّبيِّ ﷺ.

● أمّا عن وفاتها فقد أوردت المصادر أنَّها توفيتْ سنة (٣٧هـ)[3]، بعد أَنْ تركتْ في دنيا النِّساء آثاراً وضيئةً ما تزال مشرقة المحاسن، باقية إلى ما شاء الله.

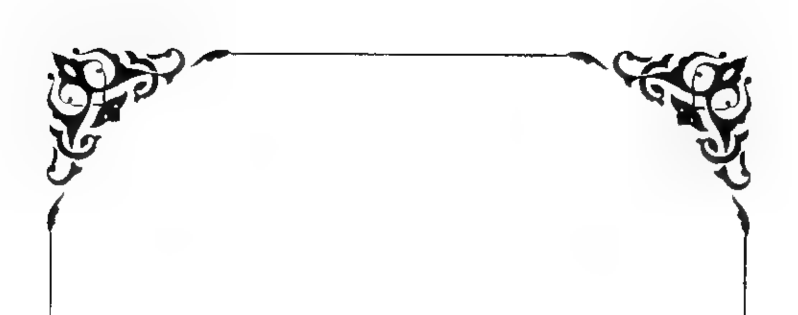
* * *

---

(١) السِّيرة النبوية لدحلان (٣/ ١٩٧) وما بعدها.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٠٠)، وأسد الغابة (٥/ ٤٥٢).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣٢٤)، وأشارت بعض كتب التراجم أنها توفيت سنة (٤٥ هـ) رضي الله عنها.



(٢٢)

الشّفاء بنت عبد الله العدوية

رضي الله عنها

● قال الشفاء: دخل عليّ رسولُ الله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي:

«ألا تعلّمين هذه ـ يعني حفصة ـ رقية النملة؛ كما علّمتيها الكتابة».

الشِّفَاءُ والطِّبُّ:

● أوحى الله سبحانه وتعالى إلى النَّبيِّ ﷺ بتعاليمَ جاءت في آيات قرآنية كريمة، تضمن صلاح النَّاس وإصلاحهم في أجسامهم وعقولهم وأنفسهم؛ كما أنَّ رسول الله ﷺ حدَّث بأقوال تُفَسِّرُ ما جاء في الآيات القرآنية الكريمة وتبيِّنها، وقام بأعمالٍ متصلة بالصِّحة.

● ولقد أظهر النَّبيُّ ﷺ في أقوالهِ فَضْلَ الصحَّة والعافية بقوله: «سلوا الله العافية؛ فإنَّه ما أوتي أحدٌ بعد يقينٍ خيراً من معافاة»[1].

● وعنه ﷺ: «ما سُئِلَ اللهُ شيئاً أحبَّ إليه من العافية»[2].

● وسأل أعرابي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما أسألُ الله تعالى بعد الصَّلاة؟ قال: «سلِ الله العافية»[3].

● هذا وقد اشتهر عدد من الأطباء والطَّبيبات ممن عاصروا الإسلام منهم: الحارث بن كلدة الثَّقفيّ وابنه النَّضر بن الحارث، وابن أبي رمثة التَّميمي، والشَّمردل بن قباب، وضماد بن ثعلبة، ومن النِّساء الشِّفاء بنتُ عبد الله القرشيَّة، ورفيدة الأسلمية، وأمُّ عطيّة الأنصارية وغيرهن.

● وستكون رحلتنا مع واحدة من الصَّحابيات ممن برعن في مجال الطِّبِّ ـ وخصوصاً الطبّ النَّفسي ـ وهذه الصَّحابية اشتهرت بالاسترقاء[4]. وهي

---

(١) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٨٧٩)، والترمذي (٣٥٥٨)، وأحمد (١/٨)، وروواه الحاكم (١/٥٢٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٨) في الدعوات، باب: في دعاء النبي ﷺ.

(٣) رواه الترمذي (٣٥٢٧)، وقال: هذا حديث حسن.

(٤) «الاسترقاء»: نوعٌ من المعالجة بالإيحاء والإيمان، يتفاءل النَّاس به، وقد أجازه الإسلام ضمن شروط منها: ١ ـ أن يكون من كلام الله عزَّ وجل.
٢ ـ أن يكون من الدُّعاء إلى الله عزَّ وجلَّ.

الشّفاء بنتُ عبد الله بن عبد شمس القرشيّة العدوية[1]، تكنى أمّ سُليمان، وهي زوج أبي حُثْمة[2] بن حذيفة بن غانم القرشيّ العدوّي فولدت له سليمان بن أبي حثمة، وكان سليمان فاضلاً ديِّناً خيِّراً له مكانة بين رجال الإسلام[3].

رخْصَـةٌ طِبيَّـةٌ نَـبَويَّـةٌ:

● الشّفاءَ صحابية جليلةُ القَدْر، عُرفتْ بالفَضْل، وجودة العقل والرأيّ، أسلمت قديماً مع السَّابقات الأول، فكتبتْ لها أسباب السّعادة، وفازت بفضيلة السَّبْق إلى الإيمان، كما فازت بالسَّبق إلى الهجرة فكانت من المهاجرات الأول أيضاً، وبايعت النَّبيَّ ﷺ مع مَنْ بايع من نساء الصَّحابة رضي الله عنهم جميعاً.

● وكانت الشَّفاء رضي الله عنها إحدى النِّساء والقرشيّات ممن يعرفن الكتابة والقراءة ـ وكن قليلات ـ ولهذا السَّبب فقد تربعت في عالم الشُّهرة بين قومها. وقادها هذا إلى معرفتها لبعض الأسرار في علم الطِّبّ والرُّقية وما يتعلق بهما من المعارف عصر ذاك.

● ولما أسفر الإسلامُ بنوره، رخَّص رسول الله ﷺ في الرُّقية من الحمة والعين والنَّمْلَةِ[4]، وكانت الشَّفاء ترقي في الجاهلية، فلما أسلمت أضحت

= ٣ ـ وأن يكون معروفَ المعنى؛ ولذلك يكره إذ كان بغير لسان العرب. وهذا من فضل الله على العرب والعربية.

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٣٢)، وأسد الغابة (٥/ ٤٨٦)، والإصابة (٤/ ٣٣٣)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٨). والشفاء: بتشديد الشين وكسرها. وقيل: إن اسم الشفاء ليلى وغلب عليها لقب الشفاء.

(٢) «الحَثْمة»: الربوة، والطريق العالية، وأرنبة الأنف.

(٣) الطبقات (٨/ ٢٦٨).

(٤) «النَّملة»: وصفها الأطباء الآن بأنّها مرض جلدي من نوع الأكزيما.
وقال ابنُ قتيبة رحمه الله: النملة. قروح تخرج في الجنب.
وفي اللغة: النملة: داء معروف، وسمي نملة لأن صاحبه يحس في مكانه كأنه نملة =

تهتدي بنور الإسلام، وأتت رسولَ الله ﷺ تستأذنه في متابعةِ عملها. فقد أورد ابنُ القيم رحمه الله أنَّ الشِّفاءَ بنتَ عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النَّمْلَة، فلما هاجرت إلى النَّبيِّ ﷺ، وكانت قد بايعته بمكة قالت: يا رسول الله! إني كنتُ أرقي في الجاهلية من النَّمْلة، وإنّي أريدُ أنْ أعرضها عليك. فعرضتْ عليه فقالت: بسم الله ضلَّت حتى تعود من أفواهها ولا تضرّ أحداً، اللهم اكشفِ البأس ربَّ النَّاس.

قال: فكانت ترقي بها على عود سبع مرات، وتقصد مكاناً نظيفاً، وتدلكه على حجر بخلِّ خمرٍ حاذق، وتطليه على النَّمْلة[1].

وبهذه الرُّخصة النَّبوية تابعتِ الشِّفاء مهنتها وكانت تعلِّمُها للنِّساء.

مَكَانَتُهَا وفَضْلُهَا:

● للشِّفاء مكانةٌ سامية في عالَمِ الصَّحابيات، حيث كان لها مكانة خاصة عند رسول الله ﷺ، وذلك لمؤهلاتٍ إيمانية كانت تتمتّعُ بها، ذكر هذا كتّاب التّراجم[2] فقالوا:

● أسلمتِ الشّفاء قبل الهجرة، فهي من المهاجرات الأول، وبايعتِ النّبيّ ﷺ، وكانت من عُقَلاء النِّساء وفضلائهن، وكان رسولُ الله ﷺ يأتيها ويقيلُ عندها، وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه، فلم يزل ذلك عند ولدها حتى أخذه منهم مروان بن الحكم[3].

= تذب عليه وتعضه، وأصنافها ثلاثة

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٣٢)، والإصابة (٤/ ٣٣٣).

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٨٤ و١٨٥)، وانظر الاستيعاب (٤/ ٣٣٣ و٣٣٤).

(٣) مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشيّ الأمويّ، أبو عبد الملك. وهو ابن عمّ عثمان بن عفّان وكاتبه في خلافته، وُلد مروان على عهد النبيّ ﷺ سنة ٢ للهجرة.
وتوفي النبي ﷺ وله ثماني سنوات
ولي إمرة المدينة لمعاوية ثم مكة والطائف.
بايعه بعض أهل الشّام بالخلافة. وكان ولايته عشرة أشهر وتوفي بالشّام سنة (٦٥هـ)، وله ٦٣ سنة. (العبر ١/ ٥٣)، و(تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٨٧ و٨٨).

● كما كانت للشّفاء منزلة عظمى عند أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فكانت تدخل على أمّ المؤمنين حفصة، وتزورها في الأحايين والأوقات، وتعلّمها الكتابة، وقد أمرها النّبيُّ ﷺ أنْ تعلِّمَ حفصةَ زوجه رقية النَّملة والكتابة، أخرج هذا أبو داود رحمه الله بسنده عن الشّفاء أنّها قالت:

دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: «ألا تعلمين هذه ـ أي حفصة ـ رقيةَ النَّملة كما علمتيها الكتابة»[1].

● وكان رسول الله ﷺ يكرم الشّفاء ويصِلُها، فقد أقطعها عليه الصَّلاة والسَّلام داراً بالمدينة، فنزلتها مع ابنها سليمان بن أبي حثمة.

مَعَ الفَارُوقِ رضي الله عنه:

● للشّفاء مكانةٌ كريمةٌ عند الفاروق عمر الذي كان يقتفي بذلك أَثَر الرَّسول ﷺ، فكان يقدمها في الرأْي ويرضاها ويفضلها. وربّما ولّاها شيئاً منْ أَمْر السُّوقِ[2].

● وكان للشّفاء مع عمر رضي الله عنهما أخبار رائعة تشيرُ إلى مكانتها، وإلى إكرامها إياها، كما تشير كذلك إلى تعظيم عمر لرسول الله ﷺ وإجلاله واحترامه، فقد أوردتِ المصادرُ الموثوقة شيئاً من هذا فقالت:

أرسلَ عمر بن الخطاب إلى الشّفاء بنت عبد الله العدوية أن اغدي عليَّ.

قالت: فغدوتُ عليه، فوجدتُ عاتكةَ بنتَ أَسِيد بن أبي العيص ـ رضي الله عنها ـ ببابه، فدخلنا فتحدثْنا ساعة. فدعا بنَمطٍ ـ ثوب ـ فأعطاها إيّاه، ودعا بنمطٍ دونه فأعطانيه.

قالت: فقلتُ: يا عمر! أنا قبلها إسلاماً، وأنا بنت عمك دونها، وأرسلت إليَّ وأتتك من قِبَلِ نفسها.

---

(١) سنن أبي داود (٣٨٨٧).
(٢) جمهرة أنساب العرب (١/ ١٥٠).

قال عمر: ما كنتُ رفعتُ ذلك إلا لكِ، فلما اجتمعتما تذكرتُ أنَّها أقرب إلى رسول الله ﷺ[١].

وهذا التَّصرف الحكيم من عمر، لم يمنع الشَّفاء من أنْ تثنيَ عليه حقَّ الثَّناء وتشهد بفضله وفضائله، فقد رأتْ فتياناً يقصدون في المشي، ويتكلمون رويداً فقالت: ما هذا؟

قالوا: نُسَّاكٌ.

فقالت: كان ـ والله ـ عمر إذا تكلّم أسمعَ، وإذا مشى أسرعَ، وإذا ضرب أوجَع، هو والله النَّاسِكُ حقاً[٢].

وكان عمر ـ عليه سحائب الرضوان ـ يزور الشّفاء ويتفقَّدُ أحوالها، ويسألُ عن زوجها وابنها سليمان، ويرشدهم جميعاً إلى ما فيه الخير ـ إن اقتضتِ الحاجةُ بذلك، تحدثت الشّفاءُ نفسها عن هذا فقالت:

دخل عليَّ بيتي عمر بن الخطاب فوجد عندي رجلين نائمين[٣].

فقال: وما شأن هذين ما شهدا معنا الصّلاة؟.

قلتُ: يا أمير المؤمنين صليا مع النَّاس ـ وكان ذلك في رمضان ـ فلم يزالا يصليان حتى أصبحا وصليا الصُّبح وناما.

فقال عمر: لأن أصليَ الصُّبح في جماعةٍ أحبّ إلي من أنْ أصليَ ليلة حتى أُصْبح[٤].

وهذا يدل على فِقْه سيّدنا عمر رضي الله عنه، وعلى توجيهه اللطيف الذي يعتمد على أصول السُّنة النَّبوية الشَّريفة، والحضّ على حضور صلاة الجماعة.

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٥٨)، وأسد الغابة (٥/ ٤٩٧)، والإصابة (٤/ ٣٤٦).
(٢) الطبقات (٣/ ٢٩٠). وتريخ الطبري (٢/ ٥٧١ و٥٧٢).
(٣) الرجلان هما: زوجها وابنها سليمان، وكان سليمان من أصحاب عمر.
(٤) حياة الصحابة (٣/ ٥٨٤)

الشِّفَاءُ والحَدِيثُ النَّبويُّ:

من الحسناتِ التي تضاف إلى سجل الصَّحابية الجليلة الشِّفاء، أنها روتْ عن النَّبيِّ ﷺ وعن عمر بن الخطاب.

وروى عنها ابنها سليمان، وحفيداها أبو بكر وعثمان ابنا سليمان، وكذلك مولاها أبو إسحاق وحفصة أمُّ المؤمنين[1].

ومن مروياتها، أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن أفضل الأعمال فقال: «إيمان بالله وجهاد في سبيله وحج مبرور»[2].

وظلتِ الشِّفاءُ رضي الله عنها تتابعُ حياة العِلْم والعمل، والزُّهد والعبادة إلى أنْ لقيت ربها في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ نحو سنة (٢٠هـ) رضي الله عنها.

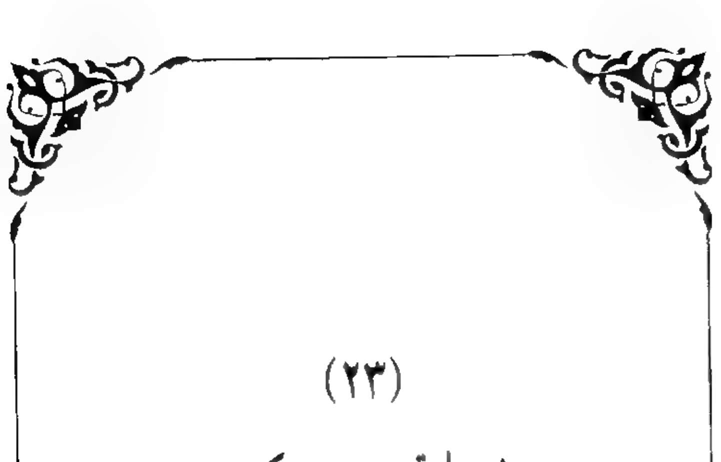
رضي الله عن الشِّفاء التي شفتنا بسيرتها الطَّيِّبة، ونحن في وداع سيرتها العطرة نقول: اللهم اكشفِ البأْس ربّ الناس. والحمد لله أولاً وآخراً[3].

* * *

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٣٣)، والإصابة (٤/ ٣٣٣)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٨).

(٢) أسد الغابة (٥/ ٤٨٧)، والإصابة (٤/ ٣٣٣).

(٣) الأعلام للزركلي.



(٢٣)

خولة بنت حكيم

رضي الله عنها

* وهبتْ نفسها للنبي ﷺ. خطبتْ له عائشة. راوية للحديث الشريف. مؤمنة بنص القرآن لقوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً﴾.

المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ:

● خولةُ بنتُ حكيم بن أمية السُّلَميّة، امرأة عثمان بن مظعون، تكنى أمّ شريك[1].

● وزوجها ابن مظعون من سادة المهاجرين، ومن أولياء الله المتّقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيِّهم فصلّى عليهم، وهو أول مَنْ دُفِنَ بالبقيع رضي الله عنه.

● أسلمتْ خولةُ مع المجموعة المبكرة منَ المسلمين ممن صافحت نسمات الإسلام أسماعهم منذ أنْ هبَّتْ في الأيام الأولى، فكتبتْ في قائمة السَّابقات وفازت بالرّضوان.

● ومنذ أنْ عرفتْ خولةُ الإسلام، وذاقتْ حلاوةَ الإيمان استنارتْ بصيرتُها بنورِ الحقّ، وسَعِدَتْ بالصُّحبة النّبويّةِ، فقد كانت تخدم النّبيّ ﷺ، وترى بعض شؤونه فحازت بذلك الفَضْلَ والفلاح، وهذا ما جعل ابن عبد البر رحمه الله يقول فيها: كانت امرأة صالحة فاضلة؛ كما أخرج الحميديّ رحمه الله في مسنده عن عمر بن عبد العزيز قوله: زعمتِ المرأةُ الصَّالحةُ خولةُ بنتُ حكيم امرأة عثمان بن مظعون[2].

● وشهادة الصَّلاح شهادة عظيمة تضاف إلى رصيد خولة رضي الله عنها.

اهْتِمَامُهَا بالنَّبي ﷺ:

● منَ الأخبار التي تثيرُ الإعجاب بسيرة خولةَ، اهتمامها ببعض أمور النَّبي ﷺ، والعملِ على إدخال السُّرور إلى قلبه الشّريف، من خلال اهتمامها

---

(١) الطبقات (٨/١٥٨)، والاستيعاب (٤/ ٢٨١)، وأسد الغابة (٥/ ٤٤٤)، والإصابة (٤/ ٢٨٣)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٥).
(٢) الإصابة (٤/ ٢٨٣).

بزوجه الطّاهرة خديجة رضي الله عنها، فقد كانت خولةُ ترى في خديجة رضي الله عنها كلَّ معاني البرّ وكلَّ الفضائلِ.

● ولما توفيتْ خديجةُ عليها رضوان الله، لاحظتْ خولةُ حُزْنَ النَّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وتأثّره الشَّديد لفقدها، عند ذلك سألتْهُ وقالت له: يا رسول الله كأني أراكَ قد دخلتك خلَّةٌ ـ حزن وحاجة ـ لفَقْد خديجة؟.

● فقال ﷺ: «أجلْ كانت أم العيال وربّةَ البيت»[1].

● وكانت خولة رضي الله عنها ذات بصيرة بالنّساء، ورأتِ النّبيَّ ﷺ وحيداً بعد موت زوجه الرَّؤوم خديجة رضي الله عنها، فجاءته، وقالت له بكل توقير: يا رسول الله، ألا أخطب عليك؟.

قال ﷺ: «بلى فإنكنَّ معشر النّساء أرفق بذلك»[2].

فخطبت سوْدة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

● ولكن، كيف تمَّتْ تلك الخطبة؟.

هذا ما سنشهده في السُّطور التّاليةِ:

الخطْبَةُ المُبَارَكَةُ:

● ذكرت المصادرُ بسندٍ وثيق دَوْرَ خولة رضي الله عنها في عرض فكرة الزّواج من سودة وعائشة رضي الله عنهما، تقول الرّوايات مع الجمع بينها:

● لما توفيتْ خديجةُ أمّ المؤمنين ـ عليها سحائب الرّضوان ـ جاءت خولةُ بنتُ حكيم رسول الله ﷺ فقالت:

يا رسول الله ألا تزوَّج؟

قال: «مَنْ»؟.

قالت: إنْ شئت بِكْراً، وإنْ شئت ثيِّباً.

---

(١) نساء مبشرات بالجنة (١/ ٣٩).

(٢) عن الطبقات (٨/ ٥٧) بتصرف يسير جداً.

قال: «فمنِ البِكْرُ ومنِ الثَّيِّبُ؟».

فقالت: أمّا البِكْرُ فعائشة بنت أحبِّ خلقِ اللهِ إليكَ أبي بكر. وأما الثَّيِّبُ فسَوْدة بنت زمعة، قد آمنتْ بك واتَّبعتْكَ.

قال: «فاذهبي فاذكريهما عليَّ».

قالت خولةُ رضي الله عنها: فدخلتُ بيتَ أبي بكر. وأتيتُ زوجه أمَّ رومان[1] رضي الله عنها فقلتُ لها: يا أمّ رومان ماذا أدخلَ الله عليكم من الخير والبركةِ؟

قالت: ماذا؟.

فقلت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليك عائشة.

قالت: انتظري فإنَّ أبا بكر آتٍ.

ولما جاء أبو بكر رضي الله عنه ذكرتُ له ذلك فقال: قولي لرسول الله ﷺ فليأتِ، فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه.

وتتابع خولة حديثها عن مهمّتِها فتقول:

ثم انطلقتُ فدخلتُ على سَوْدة بنت زمعة فقلتُ لها: ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟

قالت: وما ذاك؟.

قلت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه.

قالت: وددتُ، ادخلي إلى أبي فاذكري ذلك له ـ وكان أبوها شيخاً كبيراً ـ فوافقَ على الخطبةِ وقال: قولي لرسول الله ﷺ فليأتِ.

قالت خولة: فجاء رسول الله ﷺ فزوَّجها إيّاه[2].

---

(١) اقرأ سيرة أم رومان بتوسع في كتابنا «نساء مبشرات بالجنة» (١/ ١٢٧).

(٢) انظر في هذا: تاريخ الطبري (٢/ ٢١١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢١١)، وأنساب الأشراف (١/ ٤٠٨)، والبداية والنهاية (٢/ ١٣٠)، وتاريخ الإسلام

مَـعَ أمَّهَـاتِ الـمؤْمِنيـنَ رضي الله عنهـن :

● كانت خولةُ كثيرة الدُّخول على نساء النَّبيِّ ﷺ، وكُنَّ ـ رضي الله عنهن ـ يكْرِمْنَها، ويسألنها عن أحوالها ويتفقدنَ شؤونها، من ذلك ما ورد أنَّها دخلتْ عليهن فرأينها سيِّئة الهيئة، فقُلْنَ لها: مالَكِ، فما في قريش أغنى منْ بَعْلِكِ؟.

قالت: ما لنا منه شيء، أمَّا ليلُهُ فقائمٌ، وأمَّا نهاره فصائم.

فدخل النَّبيُّ ﷺ فذكرن ذلك له، فلقيه فقال: «يا عثمان بن مظعون، أمَا لك بي أسوة؟».

فقال: بأبي وأمّي وما ذاكَ؟.

قال: «تصوم النَّهار وتقومِ الليل».

قال: إنّي لأفعل.

قال: «لا تفعلْ، إنّ لعينيك عليك حقاً، وإنَّ لجسدك حقاً، وإن لأهلك حقاً، فصلّ، ونمْ، وصُمْ، وأفطر».

قال: فأتتهُنّ بعد ذلك عطرة ـ حسنةَ الهيئة ـ كأنَّها عروس[1].

= (١/ ٢٨٠ و٢٨١)، والإصابة (٤/ ٣٤٩). والحديث أخرجه أحمد (٦/ ٢١٠ و٢١١).

(١) الطبقات (٣/ ٣٩٥)، وسير أعلام النُّبلاء (١/ ١٥٧ و١٥٨).
ومما يحضرني في هذا المجال ـ وفيه فائدة إنْ شاءَ الله ـ ما حدثَ في عهدِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فعن محمّد بن معن الغفاري قال:
أتت امرأةٌ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين، إنَّ زوجي يصومُ النَّهار، ويقومُ الليل. وأنا أكرهُ أنْ أشكوه ـ وهويعمل بطاعة الله عزَّ وجل ـ فقال لها: نعمَ الزّوج زوجك. فجعلتْ تكررُ هذا القول، ويكرر عليها الجواب.
فقال له كعب الأسديّ: يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها في مبعدته إياها عن فراشه.
فقال عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما.
فقال كعبٌ: عليَّ بزوجها، فأُتي به، فقال له: إنَّ امرأتك هذه تشكوكَ. =

فصاحتها:

مما يثيرُ الإعجاب بهذه الصَّحابية: فصاحة لسانها، وكمال أدبها، ورقة مشاعرها، فلمّا توفي زوجها رثته بأبياتٍ فيها من ذوب القلوب ما يجعلها من أروع ما قيلَ في الرّثاء قالت:

يـا عيـنُ جـودي بـدمـعٍ غيـر ممنـون[1]
علـــى رزيـــة عثمـــان بـــن مظعـــون

علـى امـرئٍ بـات فـي رضـوان خـالقـه
طـوبـى لـه مـن فقيـد الشّخـص مـدفـونِ

طـاب البقيـع لـه سكنـى وغـرقـده[2]
وأشــرقــتْ أرضّــه مــن بعــد تفتيــن

- فقال: أفي طعام أو شراب؟ قال كعب: لا؛ فقالت المرأة:

يـا أيّهـا القـاضـي الحكيـمُ رشـدُه — ألهـى خليلـي عـن فـراشـي مسجـده
زهّــدهُ فــي مضجعــي تعبّــده — فـاقـض القضـا كعـب ولا تـردده
نهــارهُ وليلُــه مــا يــرقُــده — فلســتُ فـي أمـر النسـاء أحمـده

فقال زوجها:

زهـدنـي فـي النّسـاء وفـي الحَجـلْ — أنّـي امـرؤ أذهلنـي مـا قـد نـزلْ
في سورة النّحل وفي السّبع الطول — وفــي كتــاب الله تخــويــفٌ جلــلْ

فقال كعب:

إنّ لهــا عليــك حقــاً يــا رجــل — نصيبهــا فــي أربــعٍ لمــن عَقــل
فأَعْطِها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال: إنَّ الله عزَّ وجل قد أحل لك من النِّساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن الله. فقال عمر: والله ما أدري من أي أمْرَيك أعجب؟ من فهمك أمرهما، أم من حكمك بينهما؛ اذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

(١) «ممنون»: مقطوع.

(٢) «الغرقد»: نوع من شجر العِضاه، ومنه قيل لمقبرة أهل المدينة بقيع الغرقد لأنه كان فيه غرقد.

وأورث القلب حزناً لا انقطاع له
حتى الممات فما ترقا له شوني[1]

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ خولة ولدتْ لعثمان: السَّائب وعبد الرحمن. وكان لهم دور عظيم في بناء صرح الإسلام.

مِنْ فَضَائِلِها:

● جمعتْ خولةُ منَ الفضائل ما جعلها تتبوأ مكانةً سامية بين النِّسوة، فقد جمعتْ خدمة النَّبي ﷺ، ورواية حديثه الشَّريف، حيث روت عنه (١٥) حديثاً، وروى لها مسلم والتِّرمذي والنَّسائي وابن ماجه، وروى عنها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب[2] رحمه الله وغيرهما.

● وفي مجال الجهاد كان لها نصيبٌ مشكورٌ، فقد خرجتْ إلى الطَّائف، وقالت للنَّبيِّ ﷺ: يا رسول الله أعطِني إنْ فتحَ الله عليك الطَّائف حليّ بادية بنت غيلان أو حلي الفارعة بنت عقيل ـ وكانتا من أحلى نساء ثقيف ـ.

فقال لها: «لم يؤذنْ لنا حتى الآن فيهم وما أظنُّ أنْ نفتحها الآن»، فخرجت خولةُ فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخل على النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله ما حديث حدَّثَتْنِيهِ خولةُ زعمتْ أنَّك قُلْتَهُ؟.

قال ﷺ: «قد قلتُه».

قال عمر: أفلا أؤذن بالرَّحيل؟.

قال: «بلى».

---

(١) «شوني»: جمع شأن، وهو العرق الذي تجري منه الدموع.

(٢) سعيدُ بن المسيَّب بن حَزْن بن أبي وهب المخزوميّ القرشيّ، أبو محمّد، سيّد التَّابعين، وأحد الفقهاء السَّبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزُّهد والورع، وكان يعيش من التِّجارة بالزيت، لا يأخذ عطاء. وكان أحفظ النَّاس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته؛ حتى سُمِّي راوية عمر. توفي سنة (٩٤هـ) رحمه الله. (الأعلام ٣/١٠٢)

فأذن عمر بالرَّحيل[1].

المؤمنَـةُ:

● خولةُ رضي الله عنها من اللاتي وهَبْنَ أنفسهن للنَّبيِّ ﷺ فأرجأها؛ ويؤكد هذه المقولة ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: التي وهبت نفسها للنَّبيِّ ﷺ خولةُ بنتُ حكيم.

● ويزيد هذه الرِّواية وثوقاً ما ورد عن عروةَ بن الزُّبير رضي الله عنها قال: كنّا نتحدثُ أَنَّ خولةَ بنت حكيم كانت وهبتْ نفسها لرسول الله ﷺ، وكانتِ امرأة صالحة.

● ومما يلفتُ النَّظر في هذا المجال م قاله ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لم يكنْ عند رسول الله ﷺ امرأة وهبتْ نفسها له[2]. أي أنَّه لم يقبلْ واحدةً ممن وهبت نفسها له، وإنْ كان ذلك مباحاً له ومخصوصاً به، لأنَّه مردودٌ إلى مشيئته ﷺ كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ [الأحزاب: ٥٠] أي إن اختار ذلك.

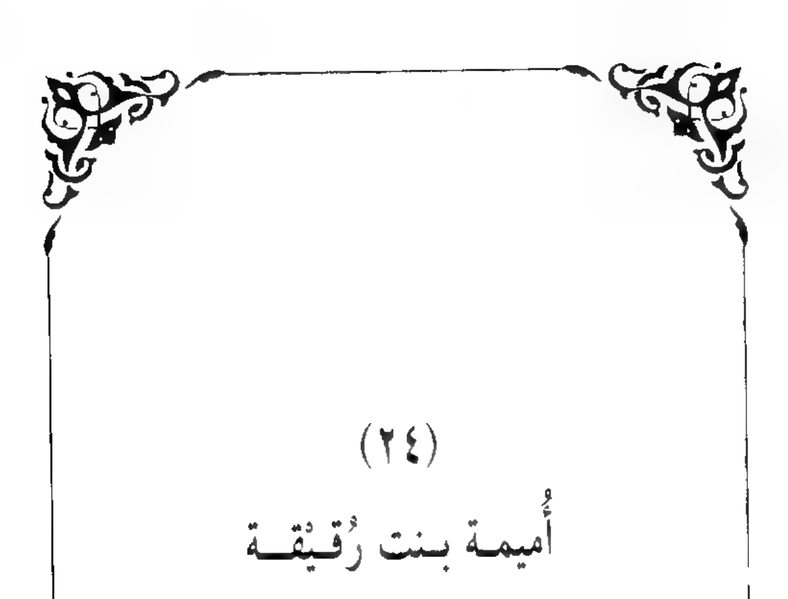
● وهنا يكفي خولةَ فخراً أنَّ الله سمّاها في كتابه العزيز «مؤمنة» فقال: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ [الأحزاب: ٥٠] فأعْظمْ بهذه التسمية وأكرِمْ بها!.

● وبعد، فهذه خولةُ بنت حكيم ـ أمّ شريك ـ صحابية كريمة، ازدادتْ عن الدنيا بعداً، فازدادتْ منَ الآخرة قُرباً فحظيتْ برضوان الله عزَّ وجلَّ، وكانت في مقدمة الخالدات، ومن نساء الإسلام اللاتي كنَّ قدوة في التصدّي إلى أن يرِثَ الله الأرضَ ومَنْ عليها.

---

(١) عن السيرة النبوية (٢/ ٤٨٤)، والمغازي (٣/ ٩٣٥)، ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٦٨ و١٧٠)، وأسد الغابة (٥/ ٤٤٤ و٤٤٥)، والإصابة (٤/ ٢٨٤)، والسيرة الحلبية (٣/ ٨١ و٨٢) بأساليب متقاربة.

(٢) انظر تفسيرَيْ القرطبي وابن كثير للآيتين (٥٠ و٥١) من سورة الأحزاب. وانظر تفسيري الخازن والبغوي (٥/ ٢٧٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٨٨)، والطبقات (٨/ ١٥٨)، والاستيعاب (٤/ ٢٨٢)، والبداية والنهاية (٥/ ٢٥٩).



(٢٤)

أُميمة بنت رُقيْقة

رضي الله عنها

● ابنة أخت خديجة زوج النبي ﷺ، وابنة خالة فاطمة الزهراء، مؤمنة، صابرة، حضرت بيعة النساء، راوية للحديث الشريف.

إلى أمِّـهَـا:

● من الطَّريفِ في أخبار هذهِ الصَّحابية القُرشيّة، أنّها تنسب عند جمهور المحدّثين، وكتّاب التّراجمِ والطّبقات إلى أمها رُقيقة، إذ اشتهرتْ بذلك؛ فتعالوا نقفْ على نسبها الصَّحيح.

● أميمةُ بنتُ رُقيقة، ورُقيقة ـ بالتّصغير ـ اسم أمِّها، وهي: رُقيقة بنتُ خُويلد أخت خديجة زوج النّبي ﷺ[1].

● أمّا نسبها من جهة أبيها فيقال: أميمةُ بنت عبد الله بن بجاد من بني تميم بن مرة[2]. هي إذاً تيمية من قومِ أبي بكر الصِّدّيق عليه رضوان الله

● قال ابنُ أبي خيثمة رحمه الله: أميمةُ التي يُقال لها بنتُ رُقيقة، هكذا ينسبها أصحاب الحديث إلى أمِّها.

● وبهذا تكون أميمة ابنةَ خالة فاطمة الزَّهراء بنت رسول الله ﷺ

الصَّـابِـرَةُ:

● أسلمتْ أميمةُ منذ مطْلع النُّور بمكة، وانضمتْ إلى الثُّلّةِ الأولى، ومع بَدْء إيمانها بدأتْ أذيةُ المشركين تلاحقها، وأخَذَ قُساة القلوب يرهقون مَنْ أسلم إرهاقاً شديداً، حتى كان منهم من لا يقوى على احتمال العذاب فيموتُ في أيديهم، ومنهم مَنْ يصبِرُ على ما يصيبه طلباً للثَّواب والأجر، ومنهم أميمة، ذكر ابن سعد رحمه الله أنَّها كانت ممَّنْ يعذب في الله.

● وصبرتْ أميمةُ حتى أتى الله بالفتحِ من عنده، وأضحى المؤمنون هم الأعزَّة، وبايعتْ أميمةُ بيعتها الشَّهيرة التي تعتبرُ غرّة أخبارها رضي الله عنها.

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٢٣٤).

(٢) السمط الثمين (ص ٢٠٩).

البَيْعَةُ المُبَارَكَةُ.

● روى البُخاريُّ رحمه الله عن عروة أنَّ عائشة زوج النَّبيِّ ﷺ أخبرته أنّ رسولَ الله ﷺ كان يمتحنُ مَنْ هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢] فمن أقرَّ بهذا الشرط مِنَ المؤمناتِ قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتُك» كلاماً، ولا والله ما مسَّتْ يده يدَ امرأةٍ في المبايعة قطّ ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتُك على ذلك»(١).

● وقد وعَتْ آذنُ التَّاريخ الواعية ما روته أميمةُ رضي الله عنه عن بيعتها فقالت:

أتيتُ رسولَ الله ﷺ في نِسوةٍ نبايعه، فقلنا: نبايعك يا رسول الله على ألا نشْرِكَ بالله شيئاً، ولا نسرقَ، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف.

فقال رسولُ الله ﷺ: «فيما استطعتنَّ وأطقتنَّ».

فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلمَّ نبايعك يا رسول الله.

فقال: «إنّي لا أصافح النِّساء، إنّما قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة»(٢).

● ومن البيعة ننتقل إلى أخبار الجهادِ، فقد كان لها نصيب فيه حسب ما ذكره ابنُ عساكر رحمه الله في تاريخه من أنَّ أميمةَ شهدت مؤتة؛ وتابعتْ حياتها في المدينة حتى توفيَ رسول الله وشهدت وفاته ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، وأخرجه ابن ماجه (٢٨٧٥).

(٢) انظر: الموطأ، كتاب البيعة، وابن ماجه (٢٨٧٤)، والترمذي (١٥٩٧)، وانظر تفسيري الخازن والبغوي (٧/ ٨٣)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٥٢)، ونسب قريش (ص ٢٢٩)، وتاريخ دمشق ـ تراجم النساء ـ ص (٥٢)، والإصابة (٤/ ٢٣٤)، وغيرها من المصادر.

أُمَيْـمَـةُ وأحـاديثُ الـمُصْطَفـى:

قال ابنُ أبي شيبة رحمه الله: سمعتُ أبي يقول: وممَّن يروي عن النَّبي ﷺ من بني تَيْم أميمةُ بنتُ رُقيقة رضي الله عنها.

● وقال خليفةُ بن خياط في طبقاته: أميمةُ بنتُ رقيقة روى عنها محمَّدُ بنُ المُنْكَدِر في بيعةِ النِّساء[1].

● روت أميمة عن النَّبيِّ ﷺ وعن زوجاته الطاهرات، ثمانية أحاديث أشهرها حديث البَيعة السَّابق.

● روى عنها الحديث محمَّد بنُ المنكدر[2] رحمه الله، وابنتها حُكيمة بنت أميمة، ومن الجدير بالذِّكر أنَّ زوجَ أميمة هو: حبيبُ بن كعب بن عمر الثَّقفيّ، قال ابن سعد رحمه الله: اغتربتْ أميمةُ بزوجها فولدتْ له.

أُمَيْمَةُ ومُعَاوِيَـةُ رضي الله عنهما:

● عاشت أميمةُ رضي الله عنها الخلافةَ الرَّاشدةَ، وشهدتْ الفتوحاتِ في مشارقِ الأرض ومغاربها؛ ولما انتقلتْ دار الخلافة إلى الشَّام، لحقتْ أميمةُ بدمشقَ، حيث كان معاويةُ بن أبي سفيان رضي الله عنهما قد حوَّلها إليه، وبنى لها داراً، وأَحْسَنَ مَثْواها، وشهدتْ وفاته بدمشقَ، فقد أورد ابنُ عساكر رحمه الله أنَّها دخلتْ على معاوية في مرضه الذي مات فيه، فقال: اندُبيني يا بنت رُقيقة، فتسجَّتْ بثوبها ثم قالت:

ألا ابْكيـــــهِ ألا ابْكيـــــهِ ألا كُـــــلُّ الفتـــــى فيـــــهِ

ثم قال لابنتيه: اقْلِبْنَنِي. فقلبْتُه هندُ ورمْلَةُ، فقال: إنكُم لتُقَلِّبُن حُوَّلاً قُلَّباً[3]، إنْ وُقِيَ كبَّةَ النَّار غداً، ثم قال:

---

(١) طبقات خليفة (٢/ ٨٦٧) ترجمة رقم (٣٢٥٤).

(٢) محمَّد بن المنكدر القرشيّ التَّيميّ المدني، زاهدٌ من رجال الحديث، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم قال ابن عيينة: ابنُ المنكدر من معادن الصِّدق توفي سنة (١٣٠هـ) رحمه الله (الأعلام ٧/ ١١٢).

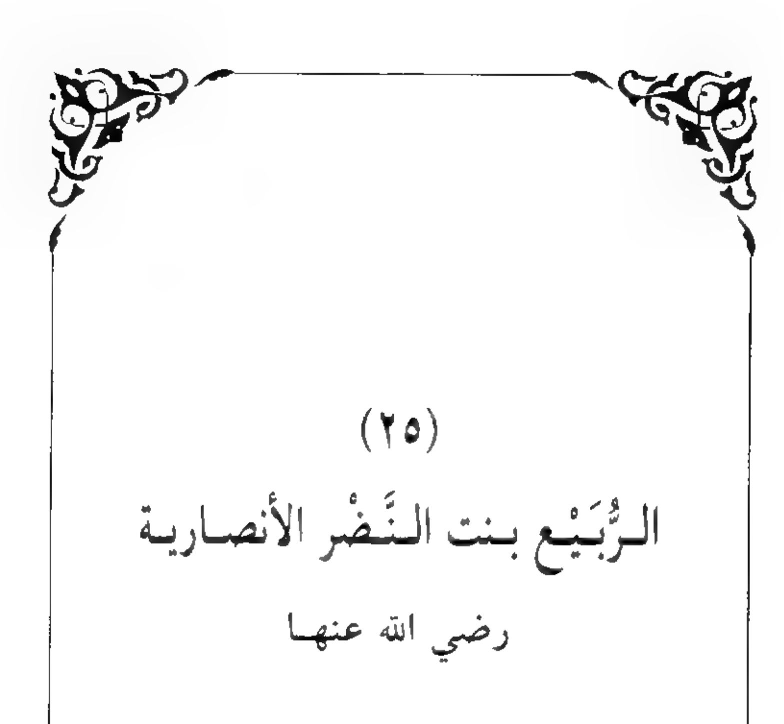
(٣) أي رجلاً عارفاً بالأمور.

لا يبعدنّ ربيعة بن مكدم ... وسقى الغوادي قبره بذَنوبِ[1]

ويبدو أنَّ رقيقة قد عاشت بعد معاوية زمناً مستقرةً في دمشقَ إلى أنْ لحقت بربِّها. رضي الله عن أميمة وأرضاها وجعلها في جنَّات النَّعيمِ.

* * *

(١) «الذَّنُوب»: الدلو بما فيه من الماء.



(٢٥)

الـرُّبَـيِّـع بـنت الـنَّـضْر الأنصـاريـة

رضي الله عنهـا

● قال ﷺ:

«يا أم حارثة: إنها جنان في الجنة، وإنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى».

مـعَ المـؤمنيـنَ:

● امرأةٌ أنصارية من كرائمِ الأنصار، تتعلّمُ النِّساء من سيرتها صِدْق الإيمان وجلالَ الصَّبر، والإخلاص لله الواحد القهَّار، فقد كان ولاؤُها للإيمان يفوقُ حدَّ الإعجاب.

● الرُّبيعُ بنتُ النضرِ بن ضمضم الأنصاريّة الخزرجيّة النّجاريّة أخت أنس بن النّضر الصّحابي المشهور، وعمّةُ أنس بن مالك بن النّضر خادم النَّبيِّ ﷺ.

● كانتْ الرُّبيعُ متزوجةً من سُراقةَ بن الحارث النَّجاريّ، فولدتْ له حارثة ـ وبه تكنى ـ وأمَّ عمير. وكان للرُّبيع أختٌ صحابية تُدعى: أمّ حكيم بنت النَّضر، ثم أسلمتْ أمُّ حكيم وبايعت رسولَ الله ﷺ[1].

● ولما أسفر نورُ الإسلام عن ضيائه، نَعِمَتْ أمُّ حارثةَ بربيعه، وانضمتْ إلى مواكب السّابقات، ففاحتْ فضائلها وتألّقَتْ بمواهبها الرّائعة في المواقف الإيمانية، ودوّن التّاريخُ أعمالَها لتبقى زاداً وضِياء لِمَنْ يُرِدْنَ السَّير على نهجها، والتّأسي بصدقها وإيمانها.

تَـربيَــةٌ فَـريْــدَةٌ:

● الرُّبيعُ رضي الله عنها ممّنْ أكرمهنّ الله سبحانه، وأحْسَن مثوبتهنَّ، فقد أحسنتْ تربية ابنها وابنتها، وأعدّتْ حارثةَ ليكون من جُنْدِ الحقِّ، فغرستْ فيه الفضيلة، وفي مقدمتها حبّ النَّبيِّ ﷺ، وحبّ الاستشهاد في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ.

● وكان حارثةُ بنُ سراقة ـ ابنها ـ من الفتيان الذين عَمَرَ الإيمانُ قلوبَهم،

---

(١) الطّبقات لابن سعد (٨/ ٤٢٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٤٤)، والإصابة (٤/ ٢٩٤)، و«الرُّبيع» بالتصغير، وهناك صحابيتان بهذا الاسم: الربيع بنت النضر، والربيع بنت معوذ.

وشغلتهم محبَّةُ الشَّهادة في سبيل الله عمّن سواها، فقد أُثِر أنّ رسول الله ﷺ قال له يوماً وقد استقبله:

«كيف أصبحتَ يا حارثة»؟.

قال: أصبحتُ مؤمناً باللهِ حقاً.

قال: «انظرْ ما تقول فإنّ لكلّ قولٍ حقيقةً».

قال: يا رسول الله عَزَفَتْ نفسي عن الدُّنيا فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، فكأنِّي بعرشِ ربّي بارزاً، وكأنّي أنظرُ إلى أهل الجنّة يتزاورون فيها، وكأنِّي أنظرُ إلى أهل النَّار يتعاوَوْنَ فيها.

قال: «أبصرتَ فالزمْ عَبْد» ـ أي أنتَ عبدٌ بذَرَ الله الإيمان في قلبه ـ فقال حارثةُ: ادعُ الله لي بالشَّهادة.

فدعا له رسول الله ﷺ بذلك[1].

● وجاءت غَزْوَةُ بدر، وخرج حارثة مصحوباً بدعواتِ أمّه، ولما بدأت المعركة، فاز بالشَّهادة، وتحققتْ نبوءةُ رسول الله ﷺ واستجيبتْ دعوتُه لحارثةَ. قال ابن إسحاق رحمه الله:

كان أول قتيل من المسلمين في المعركة مِهْجَع[2] مولى عمر بن الخطاب، رُمي بسهم فقتله، ثم رميَ بعده حارثة بن سراقة بسهم غَرْب[3] فأصابَ نحره فقتله.

---

(١) عن السيرة الحلبية (٢/ ٤٠٥) بتصرف يسير جداً.

(٢) «مِهْجَع»: ـ بكسر الميم وفتح الجيم ـ صحابيٌّ، كان مولىً لعمر رضي الله عنهما، وهو أولُ قتيل منَ المسلمين يوم بَدْر، أتاه سهم غَرْبٌ وهو بين الصفين فقتله. ومهجع من أهل اليمن. ونقل عن ابن عباس أنَّه قال: نزل في مهْجع وبلال وصُهيب وخبّاب وعمّار وعُتْبة بن غزوان وأوس بن خولي وعامر بن فهيرة ـ رضي الله عنهم ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] (أسد الغابة ٤/ ٤٢٤)، و(تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١١٧).

(٣) «سهم غَرْبٌ»: أي لا يُعرف راميه.

يـا أُمَّ حـارِثَـةَ إنَّهَـا جِنَـانٌ»:

● بلغ أمّ حارثة وابنتها خبر استشهاد حارثةَ وهما بالمدينة، فقالت أمُّه: والله لا أبكي حتى يقدمَ رسولُ الله ﷺ فأسألُه، إنْ كانَ ابني في الجنّةِ لم أبْكِ عليه وأصبرُ وأحتسبُ، وإن كان في النّار بكيتُه.

● وقدم النّبيُّ منْ بدرٍ منصوراً، فجاءته ـ كما في صحيح البخاري ـ وقالت: يارسولَ الله، ألا تحدثني عن حارثةَ، فإنْ كان في الجنَّة صبرتُ، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البُكاء؟.

فقال ﷺ: «يا أمّ حارثة إنّها جنانٌ في الجنَّةِ، وإنَّ ابنك أصاب الفِرْدَوْسَ الأعلى»[1]. وفي رواية: «وحارثة في الفردوس[2] الأعلى».

● ورجعتْ أمُّ حارثةَ وهي تضحكُ وتقولُ: بخٍ بخٍ لكَ يا حارثة. ثم دعا رسولُ الله ﷺ بإناءٍ منْ ماءٍ، فغمسَ يَدهَ فيه، ومضمضَ فاه ثم ناوله أمّ حارثةَ فشربتْ، ثم ناولتْ ابنتها فشربتْ، ثم أمرهما ينضحان في جيوبهما، ففعلتا فرجعن من عند النَّبيِّ ﷺ، وما بالمدينة امرأتان أقرّ عيناً منهما ولا أسرّ[3]. وذلك لعلمهما بشرفِ مصيره، فهنيئاً لهما حُسْنَ الصَّبْرِ وقوة الإيمان، ومثل أمّ حارثة فلتكن النّساءُ.

أتُـكْسـرُ ثَـنـيَـةُ الـرُّبيِّـع؟:

● جرى خلاف بين الرُّبيعُ أمُّ حارثةَ بين جارية منَ الأنصار، فكسرتِ الرُّبيعُ

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٦) في الجهاد، و(٧/ ٣٠٤) في المغازي، و(١١/ ٤١٥) في الرقاق.

(٢) «الفردوس»: البستان الذي يجمع كل شيء. المراد أنّه محلٌّ مخصوصٌ من الجنّةِ. قال ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنَّه وسطَ الجنَّة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمة، ومنه تفجَّر أنهار الجنة» رواه البخاري (١٣/ ٤٠٤)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٣٩)، وانظر الترمذي (٢٥٣٠) في صفة الجنة.

(٣) عن السِّيرة النبوية لأحمد زيني دحلان (١/ ٣٣٧)، بتصرف يسير، والقصة وردت في معظم المصادر.

ثنيَّةَ تلك الجارية، فطَلَبَ أهلُها القصاص، وطلب أهل الرُّبيع العفو فأبَوْا؛ فأتوا النَّبيَّ ﷺ، فأمَرَ بالقصاص، فقام أخوها أنس بن النَّضر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أتُكْسَرُ ثنيةُ الرُّبيع؟. لا والذي بعثك بالحقِّ لا تُكسر ثنيّتها. فألْهَمَ الله عزَّ وجلَّ القومَ فعفَوْا وصفحوا بعد أنْ امتنعوا. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ عباد الله مَنْ لو أقسمَ على الله لأبرّه منهم أنس بن النَّضْر»[1].

● وفي هذه القصة دلالة واضحة على المنزلة الكريمة للرُّبيِّع عند رسول الله ﷺ، فأكرِمْ بذلك!.

أُخْـتُ الـشَّهِيْـدِ:

● لم يشهدْ أنس بن النَّضْر بدراً، فشقَّ عليه ذلك وقال: أول مشهد شهده رسولُ الله ﷺ غبتُ عنه، ولئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليَرَينَّ الله عزَّ وجلَّ ما أَصْنَعُ.

● وتحققَ ما أراد، روى أنس بن مالك رضي الله عنه هذا فقال: فشهد مع رسولِ الله ﷺ يومِ أحد فاستقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه، فقال له أنس بن النَّضْر: يا أبا عمرو ـ كنية سعد ـ أين؟ واهاً ـ يعجبُ ـ لريح الجنَّة أجده دون أَحَد. فقاتَلهم حتى استشهد رضي الله عنه، فوُجِدَ في جسده بضعٌ وثمانون بين ضربةٍ وطعْنَةٍ ورَمْيةٍ. فقالت أختُه عمتي الرُّبيع بنت النَّضْر: فما عرفتُ أخي إلا ببنانه قال: فنزلتْ هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

قال: فكانوا يَرَوْنَ أنَّها نزلت فيه وفي أصحابه رضي الله عنهم[2].

---

(١) عن أسد الغابة (٥/ ٤٥٢)، والإصابة (٤/ ٢٩٤)، والسيرة الحلبية (٢/ ٥٢٧) بشيء من التصرف، وللحديث أصل في الصحيحين، ولكن أخت الربيع بدلاً منها، انظر صحيح البخاري (٥/ ٢٢٤)، ومسلم (٥/ ١٠٥ و١٠٦).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد، ورواه مسلم والترمذي والنسائي عن أنس بنحوه وانظر تفسير الخازن وبهامشه البغوي (٥/ ٢٤٧)، وتفسير ابن كثير والقرطبي للآية =

● واحتسبت أمُّ حارثة أخاها أيضاً عند الله عزَّ وجلَّ ورجتِ الله أنْ يجعلَه رفيق ابنها في الجنّةِ.

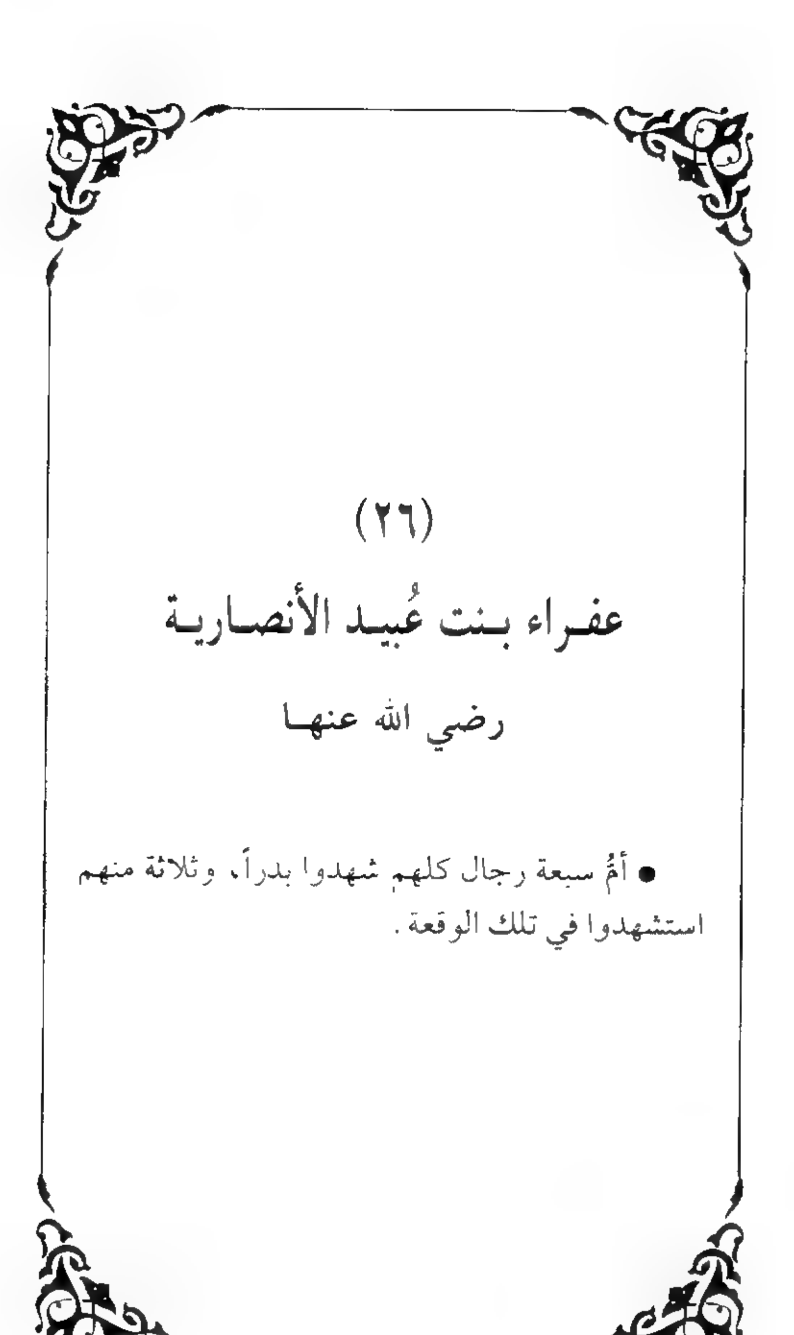
● وتابعت أمُّ حارثة رحلة العطاء الخيِّر في حياتها، فكانت مثال المرأة القُدوة في الصَّبر والوفاء.

● وقبل أنْ نقولَ وداعاً أمَّ حارثة، ما أجمل أَنْ نَذْكرَ أنّها ممن روتِ الحديثَ الشّريف، وروى عنها ابنُ أخيها أنس بن مالك رضي الله عنه.

● وفي الختام نقول: رضيَ الله عن الرُّبيعِ أمِّ حارثةَ، وجعلها ـ مع ابنها ـ في الفِردَوْس الأَعلى.

* * *

= (٢٣) من سورة الأحزاب، وانظر الاستيعاب (١/ ٤٣ و٤٤)، والحلية (١/ ١٢١)، والإصابة (٤/ ٢٩٤).



(٢٦)

عفـراء بـنت عُبيـد الأنصـاريـة

رضي الله عنهـا

● أمُّ سبعة رجال كلهم شهدوا بدراً، وثلاثة منهم استشهدوا في تلك الوقعة.

فيْ رحَـابِ النَّسَـبِ:

● ظفرتْ كثيرٌ من نساء حضارتنا بشُهرة واسعةٍ كانت سِمَةً بارزة في حياتهنّ وبعد موتهنّ، ففي عالَم الصّحابة عددٌ لا يحصر ممن يُنسب إلى أمِّه مثلُ: بشير بن عَقْربة، وبلال بن حمامة، وسهل وسهيل ابنا البيضاء، وشُرحبيل بن حسنة وغيرهم كثير.

● وقد نسب بعضُ الشُّعراء الذين مدحوا النَّبيَّ ﷺ إلى أمِّه آمنةَ فقال:

صلّـى الإلـهُ علـى ابـنِ آمنـةَ التـي
جـاءتْ بـه سَبْـطَ البنـانِ كَـريمـا
قُـلْ للـذيـنَ رجَـوْا شفـاعـةَ أحمـدٍ
«صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما»[1]

● وسنلتقي صحابية يُنْسَبُ أبناؤها إليها، وهي عفراءُ بنتُ عبيد بن ثعلبة النّجارية الأنصارية، والدة معاذ ومُعوِّذ وعوف بني الحارث الذين يقال لكلِّ واحد منهم ابن عفراء.

حَـيَاتُـهَا وأوْلاَدُهَـا:

● تقولُ أخبار عفراء بأنّها كانت متزوجةً منَ الحارث بن رفاعة النَّجاريّ، فولدت له ثلاثة بنين وهم: معاذ ومعوِّذ وعوف، وهؤلاء يقال لهم: بنو عَفْراء، وهم من الأنصار[2].

● ويبدو أنَّ زوجها قد طَلَّقَها، فقدمتْ مكةَ، وتزوجت البُكير بن عبد ياليل الليثيّ، فولدت له أربعةَ بنين أيضاً، وهم: عاقِل وخالد وإياس وعامر، وهم من المهاجرين.

وهؤلاء الأربعة هم أولُ مَنْ بايع رسول الله ﷺ بمكة في دار الأرقم رضي

---

(١) اقتباس من سورة الأحزاب [آية ٥٦].
(٢) الطبقات (٨/ ٤٤٣)، والإصابة (٤/ ٣٥٣).

الله عنهم؛ وذكر الذَّهبيُّ رحمه الله أنَّ بني البُكير ـ هؤلاء ـ خرجوا مهاجرين فأوعبوا رجالهم ونساؤهم حتى غُلِّقَتْ أبوابهم، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بالمدينة[1].

ابنُ عَفْراء في العَقَبة:

● أشارتْ بعضُ المصادر إلى أنَّ عفراء[2] قد عادت ثانيةً إلى المدينة وعاشت فيها قبل ظهور الإسلام؛ وفي موسم الحج من السَّنة الحادية عشرة من النُّبوة، وجدتِ الدَّعوةُ الإسلامية بذوراً صالحة سرعان ما تحولت إلى شجرات باسقات، وجد المسلمون ـ فيما بعد ـ في ظلالها الوارفةِ الأَمْنَ، فقد مَرَّ رسولُ الله ﷺ بعقبة مِنىٰ، فوجَدَ ستةَ نفَرٍ من شباب يثرب، كان عوف بن عفراء أحدهم، فأسلموا.

أُمُّ السَّبْعَةِ:

● ذكر ابنُ حجر رحمه الله بأنَّ عفراء لها خصيصة لا توجد لغيرها، وهي أنَّها تزوجت بعد الحارث بن رفاعة، البُكير الليثيّ فولدت له أربعة: إياساً وعاقلاً وخالداً وعامراً، وكلُّهم شهدوا بدراً، وكذلك إخوتهم لأمهم بنو الحارث ـ معاذ ومعوِّذ وعوف ـ فانتظمَ من هذا أنَّها امرأة صحابية لها سبعة أولاد شهدوا كلهم بدراً مع النَّبيِّ ﷺ.

● وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يفخر بأولاد عفراء الأربعة من بني البُكير على الأنصار ويقول: لم يشهدْ مع رسول الله ﷺ بدراً أربعة إخوة غيرهم[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٥).

(٢) «العفراء»: البيضاء ومنها تسمى المرأة عفراء. والعفراء: الأرض البيضاء لم توطأ. (القاموس المحيط).

(٣) الإصابة (٤/ ٣٥٣)، وللتأكد من حضور هؤلاء السبعة بدراً، راجع البداية والنهاية في تسمية من حضر بدراً (٣/ ٣١٦ ـ ٣٢٥).

● فأكرم بهذا الفخر! ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾[1].

أَبْنَاءُ عَفْرَاءَ فِي بَدْرٍ:

● منَ الأخبار الرَّائعة أنَّ أبناءَ عفراء السَّبعة قد أبدعوا وأحسنوا في غزوة بَدْرٍ، ففي بداية المعركةِ، خرج بنو عفراء ـ معاذ ومعوذ وعوف ـ وطلبوا المبارزة، فرفض المشركون ذلك، عندها ذهبَ عوف بنُ عفراء ليسألَ رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، ما يُضحك[2] الرَّبّ من عبده؟ قال: «غمْسُه يده في العدو حاسراً»[3].

● وينزع عوف درعه فيقذفها، ثم يأخذ سيفه ويخوض المعركة حاسراً، لا يبالي أوقع على الموت أم وقعَ الموتُ عليه، إلى أنْ لقيَ الله عزَّ وجلَّ شهيداً.

● أما شقيقاه، فقد اشتركا في قَتْلِ أبي جهل بن هشام، وفي صحيح مسلم ما يثبت ذلك، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «منْ ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟ فانطلق ابنُ مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى بَرَدَ ـ مات ـ قال: فأخذَ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟

فقال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو قال: قَتَلَهَ قومه، فلو كان غيرَ أكاَّرٍ قَتَلَني[4].

● وذكر الذَهبيُّ[5] رحمه الله أنّ رسولَ الله ﷺ وقف على مصرعِ ابني

---

(١) الآية (٢٦) من سورة المطففين

(٢) الضحك في حق الله عز وجل، كناية عن غاية رضاه.

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٣٣).

(٤) صحيح مسلم (٥/ ١٨٤)، والتاج الجامع للأصول (٤/ ٤١١).
«والأكاَّر»: الزارع ـ وهو عند العرب ناقص ـ وكان ابنا عفراء من الأنصار أصحاب زرع ونخيل.

(٥) في تاريخ الإسلام (٢/ ٩٧). وانظر أيضاً السِّيرة النَّبوية لأحمد زيني دحلان (١/ ٣٨٩)

عفراء فقال: «يرحمُ الله ابنَيْ عفراء، فهما شركاء في قَتْلِ فرعون هذه الأمة ورأْسِ الكُفْرِ».

فقيل: يا رسول الله ومَنْ قتله معهما؟.

قال: «الملائكةُ وابن مسعود[1] قد شرك في قتله».

● ومن الجدير بالذكر أنَّ ثلاثة من أولاد عفراء قد حظوا بالشَّهادة في بدر وهم: عاقل، وعوف، ومعوِّذ رضي الله عنهم.

مِـنْ مَـوَاقِـفِهَـا الـزَّاكِيَـة:

● لعفراءَ رضي الله عنها موقفٌ يثير الإعجاب، ويشيرُ إلى إيمانها لوثيق، فقد وَرَدَ أنَّه لما استشهد ولداها عوف ومعوذ وبقي معاذ، جاءت رسول الله ﷺ وقال: ي رسول الله، بقي شَرُّ ولديَ؟ أي لأنَّه لم ينل الشَّهادة في سبيل الله ـ فقال ﷺ: «لا».

وكأنها تريد أنْ ينال جميع أولادها شرفَ الاستشهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ. وبهذا نالت عفراء شهادة زاكية من رسول الله ﷺ.

● ولعفراء مكانة رائعة عند سَوْدة أمِّ المؤمنين، فقد ذكر الطَّبري رحمه الله، أنَّ أمَّ المؤمنين سَوْدَةَ بنتَ زمعة رضي الله عنها كانت عند آل عفراء تُخفِّفُ مصابهم في مناحتِهم على عوف ومعوذ ابني عفراء رضي الله عنهم جميعاً[2].

● وبعد، فهذه امرأةٌ من طراز فريد في تاريخ نساء الصَّحابة رضي الله عنهم، حملها الإيمان على التَّضحية بأولادها في سبيل الله عزَّ وجلَّ، فكانتْ

---

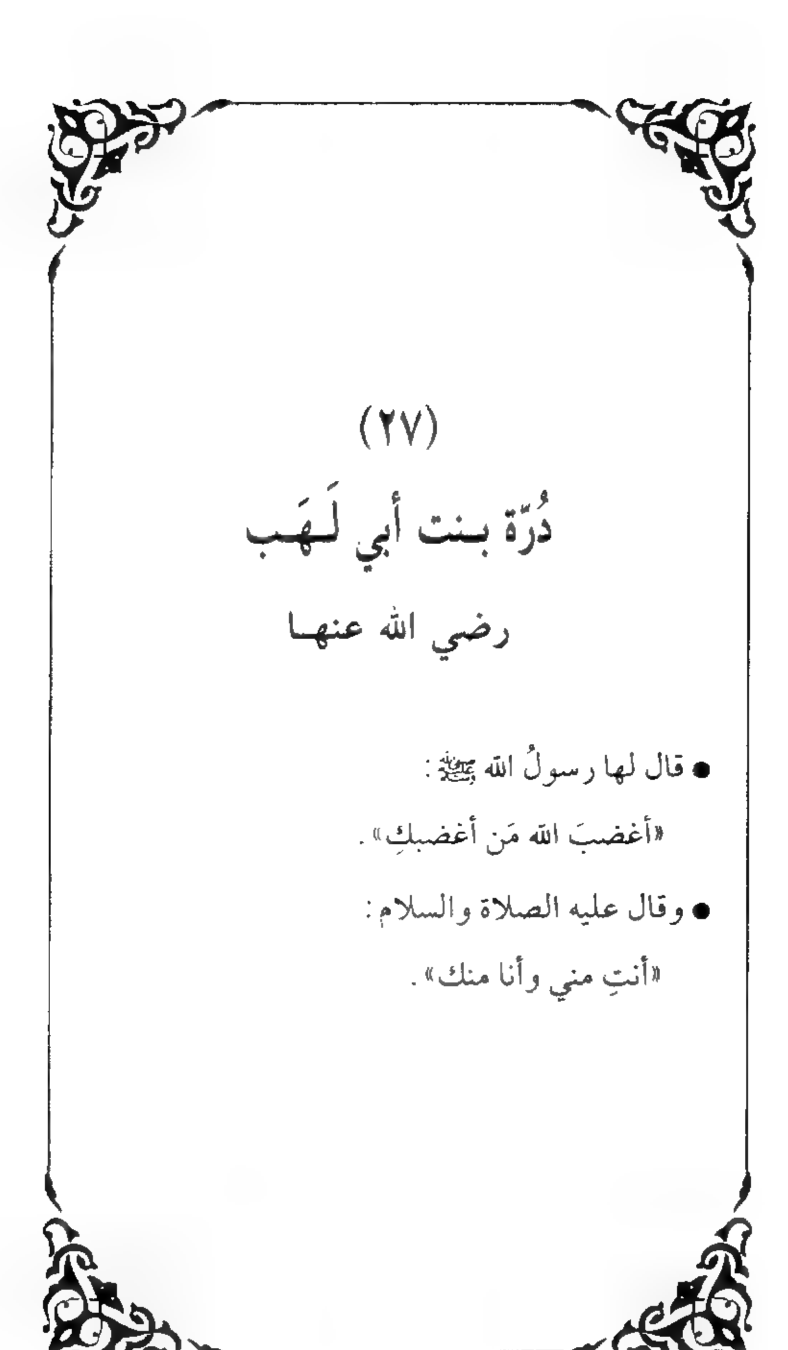
(١) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذليّ ـ أبو عبد الرحمن ـ صحابيٌّ جليلُ القدْرِ أحدُ القراء الأربعة، ومن أهل السَّوابق في الإسلام، ومن علماءِ الصَّحابة، هاجر الهجرتين، وصلّى إلى القبلتين، وشهد له النَّبيُّ ﷺ بالجنَّة، وهو صاحب نَعْل رسول الله ﷺ، وكان يُعرف بصاحب السَّواد والسِّواك والنَّعل. له (٨٤٨ حديثاً) توفي بالمدينة سنة (٣٢هـ) وعمره بضع وستون سنة ودفن بالبقيع رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠)، و(شذرات الذهب ١/ ١٩٥ و١٩٦).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٩).

من الخالدات، ولئن أغفل التَّاريخ مولدها ووفاتها، فإنَّه لم يغفلْ أعمالها التي تعطر الأسماء.

● فرضي الله عن عفراء وعن أولادها، وجعلهم في مستقرّ رحمته مع الصِّديقين والشُّهداء والصَّالحين، وحسُن أولئك رفيقاً.

❊ ❊ ❊



(٢٧)

دُرّة بنت أبي لَهَب

رضي الله عنها

- قال لها رسولُ الله ﷺ:

«أغضبَ الله مَن أغضبكِ».

- وقال عليه الصلاة والسلام:

«أنتِ مني وأنا منك».

النَّذيرُ المُبِينُ:

● أخذتِ الدّعايةُ للإسلام تنتشرُ في أمِّ القرى ـ مكة ـ وتعمل عملها في أصحاب الأفئدة الكبيرة، فسرعان ما يطرحون جاهليتهم العمياء، ويخِفُّون إلى الإيمان الذي أضاء نفوسهم وصاغ منهم قادة البشرية. وترامت أنباء الدّين الجديد إلى قريش، فلم تُعِرْها اهتماماً باديء الأمر.

● واستمرت الدّعوة سراً ثلاث سنين، ثم نزل جبريل عليه السَّلام على النَّبيِّ ﷺ يكلّفه بإظهار الدَّعوة وأنَّه هو النَّذير المبين.

● قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لما نزلت الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَعِدَ النّبيُّ ﷺ على الصَّفا فجعل ينادي: «يا بني فِهْر، يا بني عدي» حتى اجتمعوا، فجعل الذي لم يستطعْ أنْ يخرج يرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أنْ تغير عليكم أكنتمْ مصدقيَّ؟»؟

قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً.

قال: «فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟.

فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ...﴾ إلى آخر السورة[١].

● وقبل أن نتعرف سيرة الصَّحابية درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب الهاشميّة القرشيّة[٢] ابنة عمِّ رسول الله ﷺ، دعونا نتعرف أخبار والدها عدو الله وعدو رسوله ﷺ.

---

(١) الحديث صحيح أخرجه الشيخان البخاري ومسلم، وانظر تفسير الخازن (٧/ ٣١٧)، وانظر تفسيري القرطبي وابن كثير لسورة المسد، وانظر أسباب النزول للواحدي (ص ٣٧٩).

(٢) الاستيعاب (٤/ ٢٩٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٥)، وأسد الغابة (٥/ ٤٤٩).

مِنْ أَخْبَارِ أَبي لَهَب:

● أبو لهب أحد أعمام رسول الله ﷺ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب ابن هاشم القرشي، كان كثير الأذية لابن أخيه محمّد ﷺ والبغض له، والتّنقّص له ولدينه، وكني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه، وقد صرفهم الله عزَّ وجلَّ أن يقولوا (أبو النُّور) و(أبو الضّياء) الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه، وأجرى على ألسنتهم أنْ يضيفوه إلى لهب الذي هو مخصوص بالمكروه المذموم وهو النَّار، ثم حقق ذلك بأن جعلها مقرّه[1].

●كان أبو لهب لا يكفُّ الأذى عن رسول الله ﷺ في أيّ مكن وأي مُناسبة، فقد روى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ عن أبي الزّناد قال: أخبرني رجل يقال له: (ربيعة بن عباد) من بني الدِّيل ـ وكان جاهلياً فأسلم ـ قال:

رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيُّها النَّاسُ قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والنّاسُ مجتمعون عليه، ووراءهُ رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين يقول: إنَّه صابئٌ كاذبٌ. يتبعه حيث ذهب. فسألت عنه فقالوا: هذا عمّه أبو لهب[2].

● ولم يتوقف أبو لهب عند هذا فحسب، بل حسب أنَّ ماله سيقده من الهوان، فقد روي أنَّ رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب: إنْ كان ما يقول ابنُ أخي حقاً فإنّي أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي.

● ونسي أبو لهب أنّه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

● ولم تكن زوج أبي لهب أقلَّ منه إيذاء للنَّبيِّ ﷺ، واسمها أروى بنت

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/٢٣٨).
(٢) انظر هذا في تفسير ابن كثير لسورة المسد

حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان، وتكنى أمّ جميل، وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده.

● كانت تضع الشّوك في طريق رسول الله ﷺ، وتنفق من مالها في عداوته، فسماها الله عزّ وجلّ «حمّالة الحطب».

● وقد شقي أبو لهب وزوجته لتصديهما للنّبيّ ﷺ وصدهما عن الإسلام، وأنزل البارىء جلّ شأْنُه فيهما سورة المسد، وأخبر فيهما عنهما بالشّقاء وعدم الإيمان، وعمّا سينالان من عذاب ووعيد.

نِهَايَـةُ أَبي لَهَب:

● أمّا عن موتِ أبي لهب، فقد أوردتِ المصادر أنّه ماتَ عقب غزوة بدر، بعد أن سمع الأخبار بانتصار المسلمين، فقد أصابه الله بالعَدَسة[1] فمات بها. وأقام ثلاثة أيامٍ لم يُدْفَنْ حتى أَنْتَنَ، ثم إنَّ ولده غسلوه بالماء قذفاً من بعيد مخافة عدوى العدسة. ـ وكانت قريش تتقيها كما يُتقى الطّاعون ـ ثم احتملوه إلى أعلى مكةَ، فأسندوه إلى جدار، ثم رضخوا[2] عليه الحجارة.

● وهكذا أخذه الله عزَّ وجلَّ أخذ عزيزٍ مقتدر، وركبته الأمراض الخبيثةُ المنفّرةُ، وحلّ به الدَّاءُ الذي لا بُرْء منه ولا يُعالج، فنفر منه الولد، وفرّ منه الصّاحب، وتحاشاه الأهل. هذا في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

«يُـخْرِجُ الـحيَّ مِـنَ الـمَيِّتِ»:

● في هذا الجو الدَّاكِنِ الرَّهيب نشأتْ دُرَّةُ بنت أبي لهب، وكانت ترى تلك الأحداث الأليمة، غير أنَّ عقلَها كان يرفضُ ما يقوم به والدها أبو لهب الذي لم يغن عنه ماله الوفير، ولا كنزه الكبير، ولا كلّ ما جمع وقدّر.

● وعلى الرَّغم من كلِّ الضغوط التي كانت حولها، وجد الإسلام إلى قلبها

---

(١) «العدسة»: بثرة تخرج بالبدن فتقتل، وهي تشبه الطاعون.

(٢) أي: جعلوا الحجارة بعضها على بعض.

الصَّافي سبيلاً، وإلى سمعها الأذن الواعية، فأسلمتْ بمكة[1]، وأخرجها الله عزَّ وجلَّ من ظلمات الشِّرك إلى نور الإيمان، فهو الذي يُخرج الحيَّ من الميت.

● وقد هاجرتْ دُرَّةُ[2] إلى المدينة المنورة، فكتبَ الله عزَّ وجلَّ لها السَّعادة والتَّوفيق، ونالت أجر المهاجرات وثوابهن، وبذلك سجّلت أعظمَ المواقف في تاريخ المرأة المسلمة، بتحدّيها كلّ الظُّروف التي أحاطت بها.

● كانت درَّةُ رضي الله عنها متزوجة من الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فولدت له عقبة والوليد وأبا مسلم، وقتل زوجها يوم بدر وهو مشرك، فخلفَ عليها دِحْية الكَلْبِي[3] رضي الله عنه.

مكـانتُـهـا عِـنْـدَ الـنَّبـيِّ ﷺ:

● في المدينةِ المنورة، أخذتْ درَّةُ رضي الله عنها مكانتها بين نساء الصَّحابة، غير أنَّ نظراتٍ مريبة من بعض النِّساء كانت تؤثِّرُ فيها تأثيراً بالغاً، مما جعلها تشعرُ بالحرج حيث كانت أولئك النِّسوة ينظرن إليها أنَّها ابنةُ أبي لهب ـ عدو الله ـ، ولكنَّ النَّبيَّ الكريم ﷺ عالجَ هذه المشكلة علاجاً أظهر فيه مكانة دُرَّة رضي الله عنها، وأنَّه لا تزر وازرة وزر أخرى.

---

(١) الأعلام (٢/٣٣٨).

(٢) «الدّرة»: اللؤلؤة العظيمة، قال ابن دريد: هو ما عظم من اللؤلؤ. والجمع درّ ودرات ودرر، وقال أبو زيد:

كأنها درة مُنعَّمةٌ ... في نسوة كنّ قبلها دررا

(لسان العرب).

(٣) دِحْيَةُ بنُ خليفة بن فضالة الكلبيّ. صحابيّ جليلٌ. أسلم قديماً وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهده كلها بعد بدر، وأرسله النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام بكتاب إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى هرقل. وكان جبريل عليه السَّلام يأتي النبي ﷺ في صورته وكان من أجمل الناس. روى ثلاثة أحاديث، وشهد اليرموك، وسكن المِزة قرب دمشق، وبقي إلى خلافة معاوية رضي الله عنهما. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٨٥).

وأنْ ليس للإنسان إلا ما سعى. وأنّ سعيَه سوف يُرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى.

● وقد أوردتِ المصادرُ هذه الحادثة بأساليب متقاربة، تقول المصادرُ ـ مع الجمع بينها ـ:

قدمتْ درّةُ بنتُ أبي لهب رضي الله عنها مهاجرة، فنزلتْ دار رافع بن المعلى الأنصاري الزُّرقيّ رضي الله عنه. فقال لها نسوة من بني زُريق: أنتِ ابنة أبي لهب الذي قال الله عزّ وجل فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ ما يغني عنك مهاجركِ؟!.

فأتت درّةُ النّبيَّ ﷺ فشكتْ إليه ما قُلن لها ـ وكانت متأثرة جداً ـ فسكنها رسول الله ﷺ وقال: «اجلسي» ثم صلّى بالنّاسِ الظُّهر وجلس على المنبر ساعة ثم قال: «أيُّها النّاس، مالي أوذى في أهلي؟ فوالله إنَّ شفاعتي تنال قرابتي، حتى إنّ صدا وحكماً لتنالها يوم القيامة»[1].

● وفي رواية أخرى تشير إلى مكانة درّةَ رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال لها: «أَغْضَبَ الله مَنْ أغضبكِ»[2].

«أنتِ مني»:

● لم تكن دُرّة رضي الله عنها بعيدة عن البيت النّبويّ الطّاهر، فقد كانت تزور عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، وتقتبسُ من عِلْمها وفقهها، وكانت تسبق عائشةَ في خدمةِ رسول الله ﷺ، وفي إحدى زياراتها لأمّنا عائشة حظيت بمكرمة نبوية خاصة، روت دُرّةُ رضي الله عنها خبر هذه المكرمة فقالت:

كنتُ عند عائشة رضي الله عنها فدخلَ النّبيُّ ﷺ فقال: «ايتوني بوضوء»

---

(١) انظر في هذا: أسد الغابة (٥/ ٤٥٠)، والإصابة (٤/ ٢٩٠ و٢٩١)، ودرّ السحابة للشوكاني (ص ٥٤٢)، وحياة الصحابة (١/ ٥٥٤ و٥٥٥). وصدا وحكما قبائل يمانية

(٢) درّ السحابة (ص٥٤٢).

فابتدرتُ أنا وعائشة الكوز فبدرتُها ـ سبقتُها ـ فأخذته أنا فتوضأ، فرفع إليَّ عينه أو بصره فقال: «أنتِ مني وأنا منك»[1].

المُحَدِّثَةُ الشَّاعِرَةُ:

● درَّةُ رضي الله عنها إحدى القرشيّات الشّاعرات، وممّن روين الحديث النَّبوي الشَّريف، وقد حدثت عن النَّبي ﷺ وعن عائشة رضي الله عنه ثلاثة أحاديث. فمن مروياتها قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله أيّ النَّاس خير؟.

فقال ﷺ: «خيرُ النَّاسِ أقرؤهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم»[2].

وعنها أيضاً قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤذى حي بميت»[3]

● وكما برعتْ دَرَّةُ رضي الله عنها في رواية الحديث وحفظه، برعت كذلك في نَظْم القريض، فكانت شاعرة جيدة المعاني. ومن قولها في حرب الفجار:

لاقَـوْا غـداةَ الـروع ضَمَـزَزَةً
فيهـا السَّنَـوَّرُ مـن بنـي فهـر
ملمـومـةً خـرسـاءَ تحسبُهـا
لمـا بـدت مـوجـاً مـن البحـر
والجـردُ كـالعقبـان كـاسـرةً
تهـوي أمـامَ كتـائـب خُضْـر

---

(١) در السحابة (ص ٥٤٣)، والحديث كما قال الشوكاني: رواه الإمام أحمد رحمه الله بإسناد رجاله ثقات عن درة رضي الله عنها وأرضاها.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٤٣٢)، وانظر الاستيعاب (٤/ ٢٩١)، وأسد الغابة (٥/ ٤٥٠)، والإصابة (٤/ ٢٩١).

(٣) الاستيعاب (٤/ ٢٩١)، والإصابة (٤/ ٢٩١)، والأعلام للزركلي (٢/ ٣٣٨).

منهـــا ذعـــافُ المـــوتِ أبْـــرَدُهُ
يغلـــي بهـــم وأحـــرّه يجـــري
قـــومٌ لـــو أن الصخـــر صـــالـــدهـــم
صَلُبُـــوا ولان عـــرامـــسُ الصخـــر[1]

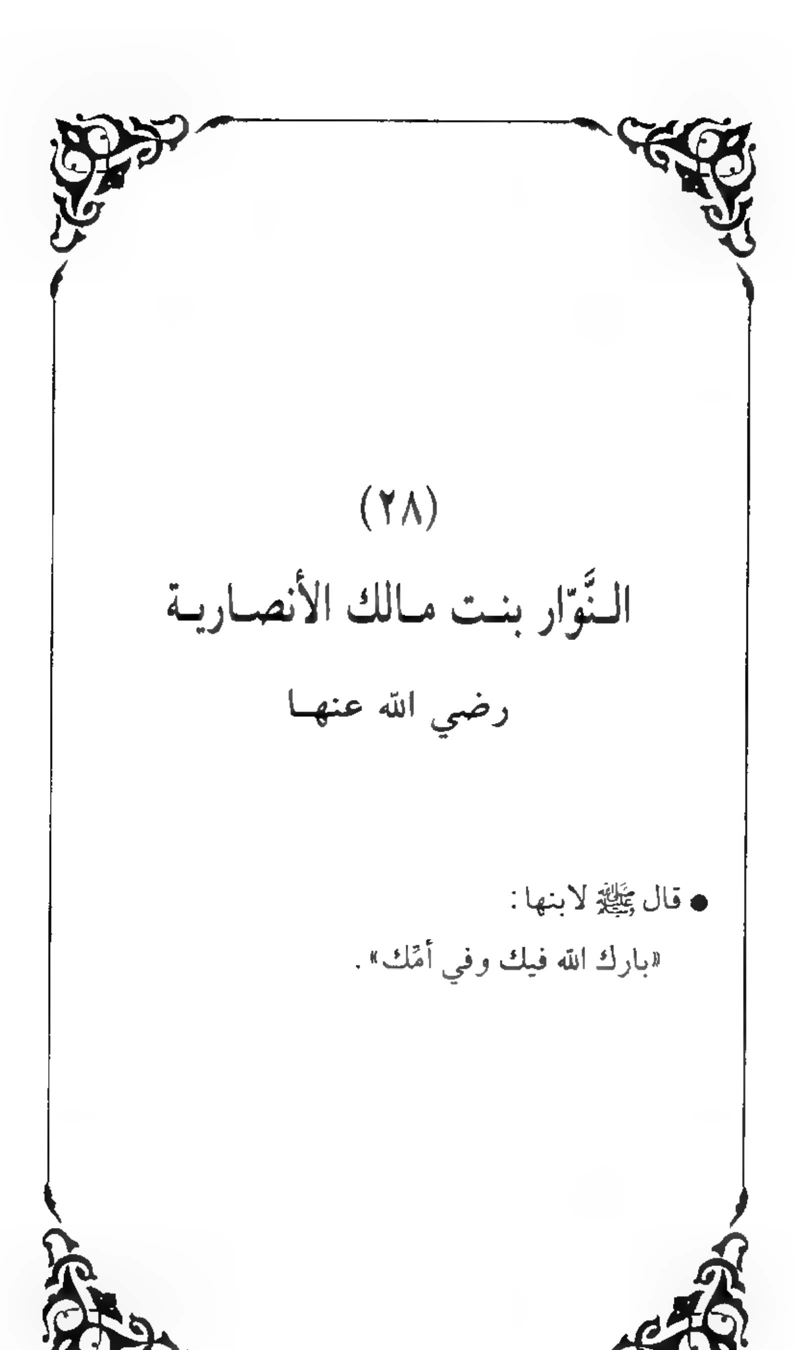
● ظلتْ درة رضي الله عنها تحتفظ بمكانتها، وتوفي النَّبي ﷺ وهو راض عنه، وامتدت بها الحياة إلى سنة (٢٠هـ)، حيث توفيت في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ بعد أن أثْرتْ تاريخ المرأة بالمواقف العطرة.

● رضي الله عن درّة[2] وأرضاها، وما أجمل ـ ونحن في وداع سيرتها ـ أنْ نتذكر قول الحبيب المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام لها: «أنا منكِ وأنتِ مني».

* * *

(١) انظر كتاب شاعرات العرب (ص ١٢٠). «والسنور»: بفتح السين: لبوس مَنْ قد يلبس في الحرب كالدرع، وبكسر السين: السيد ـ «العِرمس»: بالكسر الصخرة والناقة الصلبة، «عَرمَسَ»: صَلُب بدنه بعد استرخاء.

(٢) يوجد ثلاث صحابيات بهذا الإسلام (درة) وهن: بنت أبي سفيان، وبنت أبي سلمة، وبنت أبي لهب رضي الله عنهن.



(٢٨)

النَّوّار بنت مالك الأنصارية

رضي الله عنها

● قال ﷺ لابنها:

«بارك الله فيك وفي أمّك».

مـيْـدَانُ الـفَضَـائِـل:

● إذا مرّتْ أمامنا صورة قدوم النّبيِّ ﷺ المدينة، تمرُّ معها صور كرَم الأنصار رجالهم ونسائهم، وما أظهرته النِّساء الأنصاريّات من حُسْنِ الكرم والضّيافة مما يدخل السُّرور إلى النُّفوس. فقد كنَّ يتسابقن في ميدان الفضائل يبتغين بذلك رضوان الله عزَّ وجلَّ، ومرضاة النَّبيِّ ﷺ.

● وصحابية اليوم هي أنصارية من فضليات النِّساء، كانت كريمة بالفطرة، وسخية بما تملك، سخّرت مالها وابنها لله تعالى ولرسوله الكريم محمد ﷺ.

● وجُودُ هذه الصَّحابية آيةٌ من آيات إيمانها القويِّ الوثيق، وصورة صادقة عن الإيثار الذي امتدحه الله عزَّ وجلَّ في الذِّكْرُ الحكيم في قوله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

من أجل هذا كانت خليقة بدعاء رسول الله ﷺ لها ولابنها بالبركة حيث قال: «بارك الله فيك وفي أمّك». تلكم هي:

النّوّارُ بنتُ مالك بن صرْمةَ النّجاريّة الأنصاريّة[١]؛ إحدى النِّساء المُنجبات.

النَّـجِـيْـبَـةُ أُمُّ النَّـجِـيْـبِ:

كانتِ النّوار[٢] متزوجةً من ثابتِ بنِ الضَّحاك الخزرجيّ، فولدتْ له زيد بن ثابت الصَّحابي المشهور وأخيه يزيد، وقد قُتل زوجها ثابت يوم بُعاث[٣] قبل الهجرة بخمسِ سنين، وكان عُمْرُ زيد يومذاك ست سنين. ثم

---

(١) الطبقات (٨/ ٤١٩)، وأسد الغابة (٥/ ٥٥٧).

(٢) «النَّوار»: بالفتح: المرأة النَّفور من الرِّيبة.
و«النُّوار»: بالضم: الزهر، واحدته نُوّارة وجمعها نواوير (المعجم الوسيط).

(٣) «بُعاث»: موضع في نواحي المدينة المنورة، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية، وفي يوم بعاث يقول قيس بن الخطيم الشاعر الجاهلي المعروف:
ويـوم بُعـاث أسلمتنـا سيـوفُنـا   إلـى نسـب مـن جـذم غسـان ثـاقـب=

تزوجها عمار بن حزم بن زيد النَّجاريّ الأنصاريّ[1] رضي الله عنه

● كانت النَّوارُ من ذوات العقل، وعُرِفت بسَدادِ الرأي، حيث كنت تمقتُ تلك الحروب الطّاحنة التي حصدت الأوس والخزرج، وحصدت معهم زوجها ثابت بن الضَّحاك، وكادت تقضي على البقية الباقية منهم، لولا أنْ تداركَ الله عزَّ وجلَّ المدينة بفضله، ومنَّ على أهلها بالإسلام، إذ كان مصعب بن عمير رضي الله عنه السَّفير الناجح الذي أسلم على يديه معظم أهل المدينة، ومن بينهم النَّوار بنت مالك الأنصاريّة التي راحت تحفظ بشَغَفٍ آيات القرآن الكريم وتلقنها ابنها ثابتاً الذي غدا ـ فيما بعد ـ الإمامِ الكبير، وشيخ المقرئين والفرضيين[2] ومفتي المدينة وكاتبَ الوحيّ، وكان أحَد الأذكياء.

ولما هاجر النَّبيُّ ﷺ إلى المدينة، أسلمَ زيدٌ وهو ابن إحدى عشرة سنة، فأمَرَهُ عليه الصَّلاة والسَّلام أنْ يتعلَّمَ خَطَّ اليهود ليقرأ له كتبهم وقال: «فإني لا آمنهم»، فتعلّمه حتى أتْقَنَه، وكان يكتبُ لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم.

= (معجم البلدان ١/ ٤٥١).

(١) عمرةُ بنُ حزمِ النجاري الأنصاريّ، صحابيّ قيل كان أحد السّبعين ليلة العقبة، شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلّها مع النبي ﷺ، وكانت معه راية بني النجار يوم الفتح، وشهد قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقُتل يوم اليمامة شهيداً سنة (١٢) من الهجرة رضي الله عنه. (الطبقات ٣/ ٤٨٦)، و(أسد الغابة ٤/ ٤٨).

(٢) «الفرضيّ»: الذي يعرف الفرائض ـ وهو العِلْم بقسمة المواريث ـ وهو من أصعب العلوم. وقد وصف النبي ﷺ زيداً بقوله: «أفرضُ أمتي زيد بن ثابت».
وفي زيد يقول محمّد بن علي الرَّحبي ـ رحمه الله ـ صاحب الأرجوزة المسماة «بغية الباحث» المشهورة بالرَّحبية في الفرائض، منبهاً على فضل زيد بن ثابت عليه سحائب الرضوان:

وإنَّ زيداً خُصَّ لا مَحالَه ... بما حَباه خاتمُ الرِّسالَهْ
مِنْ قولِه في فضلِهِ منبّها ... أفرضكم زيدٌ وناهيكَ بها

النَّوَّارُ وأَوَّلُ هديّةٍ:

● نزلَ رسول الله ﷺ ضيفاً على أبي أيّوب الأنصاريّ رضي الله عنه، فأقام عنده حتى بنى مسجده ومساكنه، وجعلتْ الهدايا من الطَّعام تتواردُ على رسول الله ﷺ، وكانت أول هدية أُهديتْ إليه حين نزل قصعة النَّوار أمّ زيد بن ثابت، جاء بها ابنها زيد رضي الله عنهما، يحدثنا سيدنا زيد عن هدية أمّه فيقول:

أولُ هديةٍ دخلتْ على رسول الله ﷺ في بيتِ أبي أيوب، قصعة أرسلَتْني بها أمّي إليه، فيها خبزٌ مثرود بسمن ولبن، فوضعتها بين يديه وقلت: يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة أمّي.

فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله فيكَ وفي أمّك» ودعا أصحابه فأكلوا[1].

● ثم بعد ذلك جاءتْ قصعةُ سعد بن عبادة فيها ثريد وعُراق لحم[2]، وجعل بنو النَّجار يتناوبون حَمْلَ الطَّعام إليه طول مقامه في دار أبي أيّوب، فما كانت من ليلة إلا وعلى باب النَّبيِّ ﷺ الثَّلاثة يحملون الطَّعام، وما كانت تخطئه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة كلّ ليلة. ولكن فضل السَّبْق في هذا حزته الصَّحابية الكريمة النَّوار أمّ زيد رضي الله عنهما وأرضاهما.

النَّوّارُ ومُؤَذِّنُ الرَّسُولِ ﷺ:

● كانت دارُ النَّوار رضي الله عنها أطول دارٍ حول مسجد رسول الله ﷺ، فكان سيِّدُنا بلال رضي الله عنه يعلو دارها ليؤذن من فوقها للصّلاة، وقد أخرج ابن سعد ـ رحمه الله ـ بإسناده أنَّ النَّوارَ أمَّ زيد بن ثابت قالت:

كان بيتي أطول بيتٍ حول المسجد، فكان بلال ـ رضي الله عنه ـ يؤذن فوقه من أول ما أذّن، إلى أنْ بنى رسول الله ﷺ مسجده، فكان يؤذن بعدُ على

---

(١) عن السيرة الحلبية (٢/ ٢٧٧).

(٢) «عُراق لحم»: عظم عليه بقايا لحم.

ظهر المسجد وقد رُفعَ له شيء فوق ظهره[1].

● ويكفي النَّوارَ رضي الله عنها من هذا شرفاً أنَّ بيتَها أول منارةٍ يُعلن من فوقهِ ذِكرُ الله عزَّ وجلَّ بالنِّداء للصَّلاة.

مِنْ ثَمَرَاتِ الصُّحْبَةِ النَّبَوِيَّةِ:

● نالت النُّوارُ بنتُ مالك رضي الله عنها المنزلة الكبيرة بين نساء الأنصار، إذ نال ابنها منزلة عظيمة عند رسول الله ﷺ، وعند الخلفاء الرَّاشدين وخصوصاً الصِّديق الذي وصف زيداً أنَّه عاقل، ومن ثمَّ كلَّفه بجمْعِ القرآن الكريم، فقام بالمهمة أحسن قيام، وبورك في عمله، كما بورك من قبل بدعاءِ رسول الله ﷺ له ولأمّه النّوار رضي الله عنهما وأرضاهما.

● ومن ثمار الصُّحبة النَّبوية التي جنتها النَّوار رضي الله عنها حبّها للحديث الشَّريف، فهي راوية من راوياته، وقد روتْ عن النَّبيّ ﷺ، وروتْ عنها أمُّ سعد بن أسعد بن زرارة[2].

● أمّا عن وفاة النَّوار رضي الله عنها فيذكر كتّاب التَّراجم أنَّها توفيت في حياة ابنها زيد وصلى عليها.

● وفي العام الخامس والأربعين من الهجرة، توفي سيدنا زيد رضي الله عنه، ورثاه حسَّان بن ثابت رضي الله عنه بقوله:

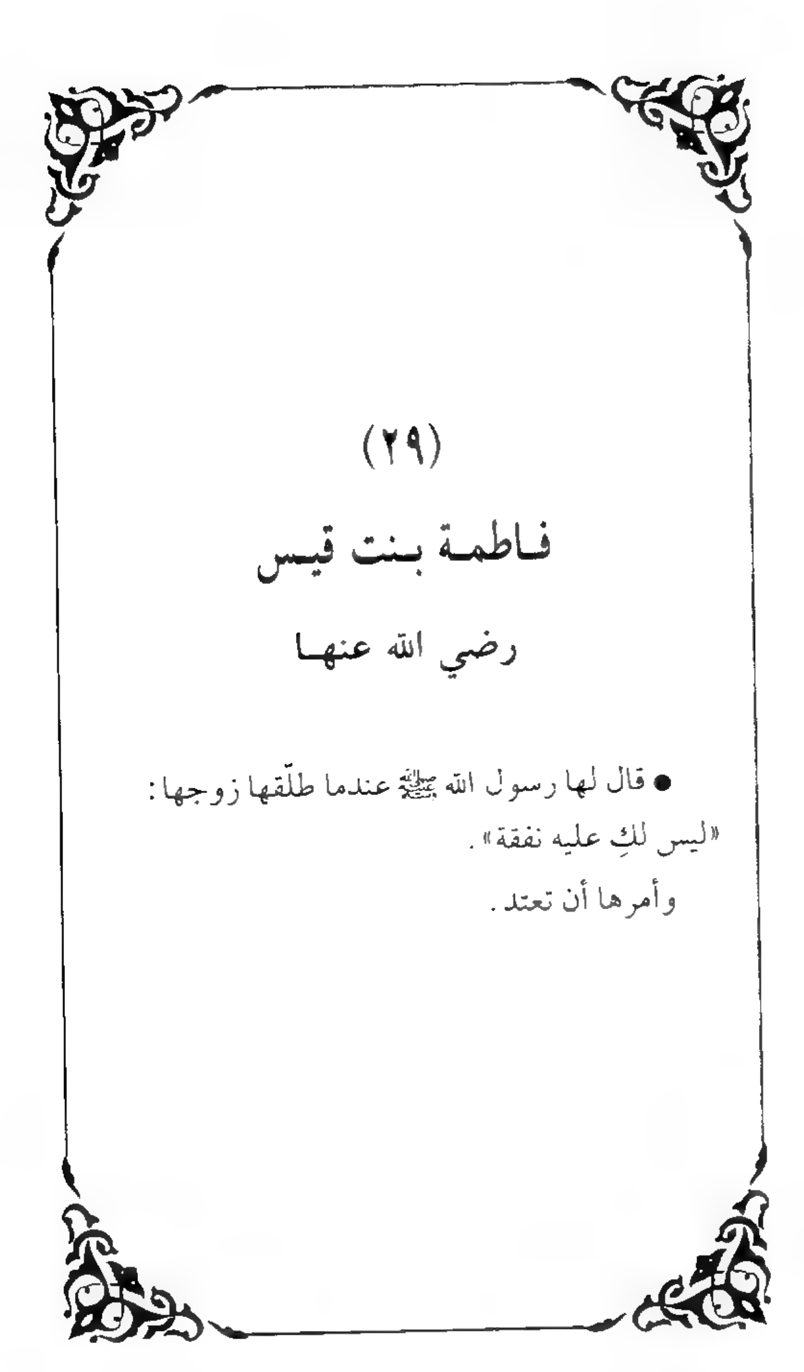
فمَــنْ للقــوافــي بعــد حسّــان وابنــه
ومَــنْ للمثــانــي بعــدَ زيــد بــن ثــبــت

● رضي الله عن النّوار بنت مالك وابنها زيد، وقبل أنْ نقولَ وداعاً نتذكر قول المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام لزيد: «بارك الله فيك وفي أمّك».

* * *

---

(١) الطبقات (٨/ ٤٢٠).
(٢) الاستيعاب (٤/ ٤٠٣)، وأسد الغابة (٥/ ٥٥٧).



(٢٩)

فـاطمـة بـنت قيـس

رضي الله عنهـا

● قال لها رسول الله ﷺ عندما طلّقها زوجها: «ليس لكِ عليه نفقة».

وأمرها أن تعتد.

العَاقِلَةُ النَّبِيْلَةُ:

● هذه الصَّحابية الجليلةُ إحدى نساء الصَّحابة اللاتي ضربنَ مثلاً شروداً في الذَّكاء والحفْظِ.

● وهي إحدى راويات الحديث الشَّريف، وممن أُخذت عنها السُّنن. فكم من سُنَّةٍ شريفة روتها امرأةٌ تلقَّاها الأئمة بالقبول. فقد أخذ الصَّحابة والفقهاء بحديث الصَّحابية الفُريعة بنت مالك[(١)] ـ أخت أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنهما ـ في اعتداد المتوفى عنها في بيت زوجها.

● ونحن في رحاب صحابية كانت قصتها حكماً نبوياً وهدياً للنِّساء المسلمات من بعد.

● ذكرها ابنُ الأثير رحمه الله فقال: فاطمةُ بنتُ قيس بن خالد الأكبر بن وهب القرشيّة الفِهْريّة أخت الضَّحاك بن قيس[(٢)].

● كانت فاطمة من السَّابقات إلى الإسلام، ومن المهاجرات الأول، لها عقل وكمال وجمال، وكانت ذات مكانة رفيعة بين نساء الصَّحابة رضوان الله عليهم جميعاً.

● قال عنها الزُّبير بن بكَّار رحمه الله: كانتِ امرأةً نجوداً[(٣)].

● وكان لفاطمة أختان مسلمتان وهما: حزمة وخيرة بنتا قيس رضي الله عنهما.

فَاطِمَةُ ونَصِيْحَةُ النَّبِي ﷺ:

● من المآثر التي تفرّدتْ بها فاطمةُ رضي الله عنها، أنَّ رسولَ الله ﷺ قد

---

(١) اقرأ سيرة الصحابية: الفريعة بنت مالك وحديثها المشهور في كتابنا «نساء مبشرات بالجنة» (٢/ ٩٥) ففيه هذا الحكم بالتفصيل.

(٢) أسد الغابة (٥/ ٥٢٦).

(٣) «امرأة نجود»: أي عاقلة نبيلة. (المعجم الوسيط).

رضيه زوجاً لحبِّهِ وابنِ حبِّهِ أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وكان خطبها له بعد أنْ طُلِّقت من زوجها أبي حفص عمرو بن حفص بن المغيرة المخزوميّ، وقد روتْ فاطمة حديث السُّكنى والنَّفقة للمطلقة ـ بتَّةً ـ ثلاثاً[١].

● فقد أخرج أبو داود رحمه الله بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن فاطمة بنتِ قيس رضي الله عنها: أنَّ أبا عمرو بنَ حفص طلّقها البتّة، وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير، فتسخَّطَتْه فقال: واللهِ مالكِ علينا من شيء.

فجاءت رسول الله ﷺ، فذكرتْ ذلك له، فقال لها: «ليس لكِ عليه نفقة» وأمرها أنْ تعتدَّ في بيتِ أمّ شَرِيك، ثم قال:

«إنَّ تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدّي في بيت ابنِ أمِّ مكتوم؛ فإنَّه رجلٌ أعمى، تضعينَ ثيابك، وإذا حللتِ فآذنيني».

قالت: فلما حللتُ ذكرتُ له أنَّ معاويةَ بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأمَّا معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد».

قالت: فكرهته.

ثم قال: «انكحي أسامة بن زيد».

فنكحتُه فجعل الله تعالى فيه خيراً كثيراً واغتبطتُ به[٢].

---

(١) الحديث رواه الخمسة إلا البخاري.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٢٨٤). ومن الجدير ذكره أن الإمام مسلم رحمه الله قد أخرج هذا الحديث في صحيحه بعدة روايات انظر (٤/ ١٩٥ و١٩٦ و١٩٧ و١٩٨ و١٩٩ و٢٠٠)، وانظر الطبقات (٨/ ٢٧٣).
ومعنى: «فتسخطته»: أي ما رضيت به لكونه شعيراً. «البتة»: أي الطلاق الثلاث، والبت: القطع. «حللتِ»: خرجتِ من العدة.
«آذنيني»: أعلميني. «لا يضع عصاه»: تحمل هذه الجملة معنيين: إما كثير الضرب للنساء، أو كناية عن كثرة أسفاره، إذ أن المسافر عصر ذاك كان لا يضع عصاه عن ـ

● وبذلك نالت فاطمة فضيلتين: اختيار النَّبيِّ ﷺ زوجاً طيّباً لها؛ لقوله عزَّ وجل: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النّور: ٢٦].

● هذا، وقد اقتضى حكم النَّبيِّ ﷺ اعتبار الدِّين في الكفاءة أصلاً وكمالاً، فكان زواجُ فاطمةَ من أسامةَ رضي الله عنهما تطبيقاً لتلك القاعدة. وما فعله ﷺ هو النُّصح الواجب على كل مسلم استُشير، فإنَّه يجبُ عليه بَذْلُ النَّصيحة للمستشير.

● وفي الحقيقة فقد غُبطت فاطمةُ بنت قيس على أسامة محبوب رسول الله ﷺ، وكان من ثمرة هذا الزَّواج الميمون أنْ ولدت لأسامة زيداً وجبيراً وعائشة[1]، وكان يُقال لهم: بنو الحبِّ[2]. فأكرِمْ بها من تسمية!.

فاطِمَةُ والبَيْتُ النَّبويُّ:

● ظلّتْ فاطمةُ رضي الله عنها قريبةً من البيت النَّبويِّ، تنهل من معينه الصَّافي، وتتابع الأحداث عن كثب، ولما مرض رسول الله ﷺ مرضه الأخير، كان زوجها أسامة أميراً على الجيش الغازي إلى الشَّام، وجعل عليه الصَّلاة والسَّلام يقول في مرضه: «أنفذوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة».

● وسار الجيش حتى بلغ الجُرْف، فأرسلت إليه فقالت: لا تعجل فإن رسول الله ﷺ ثقيل، فلم يبرحْ زوجها أسامة حتى قُبض رسول الله ﷺ[3].

● وقد توفي ﷺ وهو راض عن فاطمةَ وزوجها رضي الله عنهما. وفي ظلِّ الخلفاء الراشدين عاشت فاطمة، فكان النَّاسُ يعرفون فضلها ومكانتها وسابقتها. وكان لها منقبة كريمة، ففي بيتها اجتمع أصحابُ الشُّورى عندما

= عاتقه. «صعلوك»: أي فقير لا مال له. «ابن أم مكتوم»: هو ابن عم فاطمة كما في صحيح مسلم (٤/ ١٩٨).

(١) الطبقات (٤/ ٧٢).

(٢) نساء مبشرات بالجنة (٢/ ١٧٩).

(٣) الطبقات (٤/ ٦٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ١٩).

قُتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وخطبوا خطبهم المأثورة[1].

ذَكَاءُ فَاطِمَةُ وحِفْظُهَا:

● تعتبرُ فاطمة بنتُ قيس رضي الله عنها إحدى الصَّحابيات العالمات الفقيهات، وممن روين الحديث فأجَدْن، وقد حباها الله عزَّ وجلَّ مقدرةً عجيبة على الحفْظِ. وإذا أردنا أنْ نعرف مقدار حفظها وعملها، فمن حديث الدَّجال الطَّويل وصفةِ خروجه وحديث الجسّاسة[2]، الذي حدّث به رسول الله ﷺ على المنبر، فوعته فاطمة وحفظته وأدّته كما سمعته للتابعي الجليل عامر بن شراحيل المشهور بلقبه الشَّعبي، وهو من أجلاء التَّابعين وثقاتهم وأكابرهم.

● وقد روت فاطمة عن النَّبيِّ ﷺ (٣٤) حديثاً، لها حديث متفق عليه، ولمسلم ثلاثة أحاديث، وحديثها في الدَّواوين كلِّها، وحدَّثَ عنها جماعة من كبار التَّابعين منهم: الشَّعبي، وسعيد بن المسيب، وسُليمان بن يسار[3]، وإبراهيم النَّخعي وغيرهم[4].

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٧١)، والبداية والنهاية (٧/ ١٥٠)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٣)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٤).

(٢) انظر الحديث كاملاً في صحيح مسلم (٨/ ٢٠٣ و٢٠٤ و٢٠٥)، والتاج الجامع للأصول (٥/ ٣٤٥ و٣٤٦ و٣٤٧)، والحديث رواه أيضاً: أبو داود والترمذي. وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٤١٦ و٤١٧)، والبداية والنهاية (٥/ ٧٨). و«الجساسة»: قيل إنها سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال.

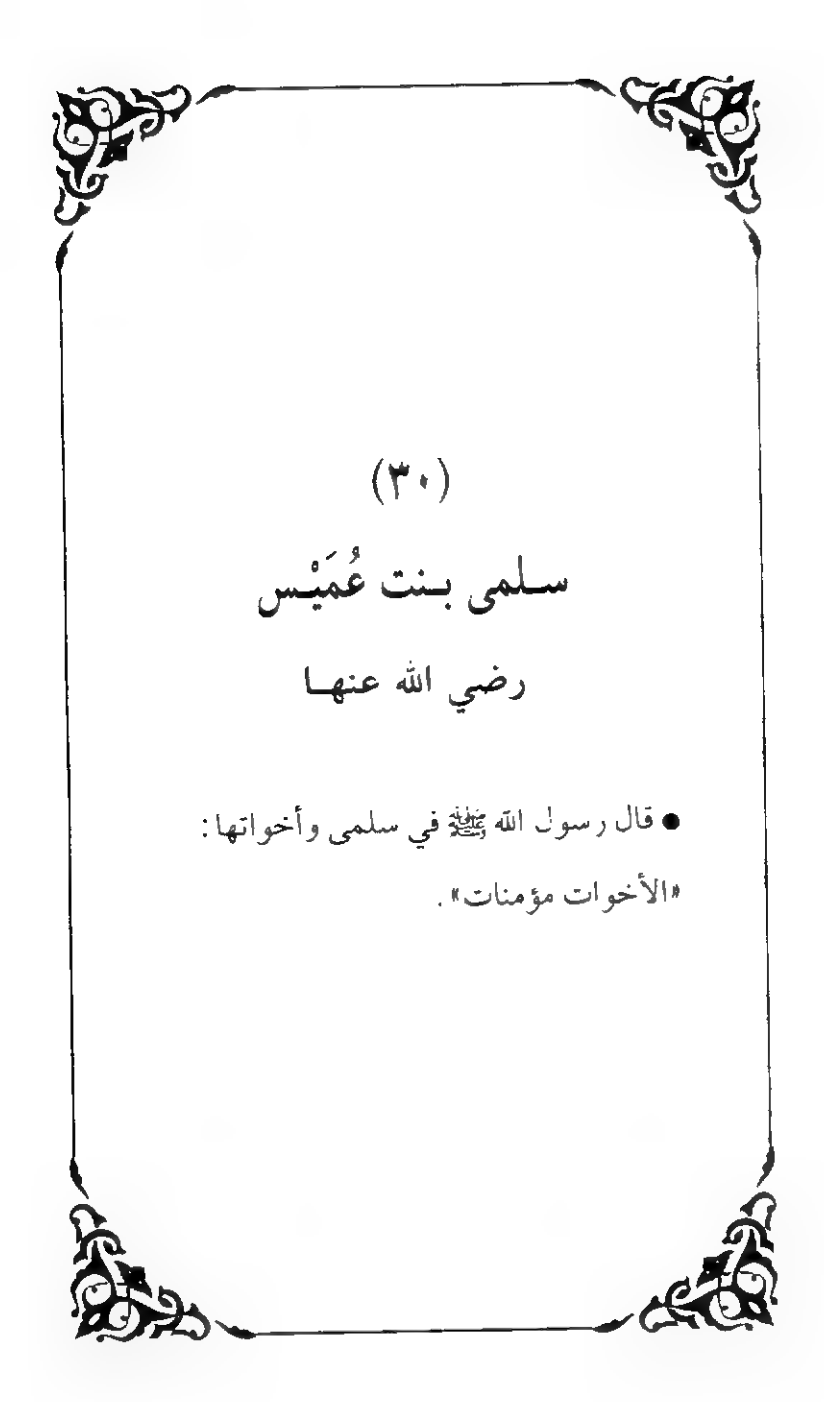
(٣) سيمانُ بن يسار الهلاليّ التّابعيّ أحد الفقهاء السَّبعة بالمدينة ـ أبو أيوب ـ سمع عدداً كبيراً من الصَّحابة منهم: ابن عبّاس وابنُ عمر وجابرُ وعائشة أمُّ المؤمنين وغيرهم وروى عنه جماعات من أكابر التَّابعين. قال ابن سعد: كان ثقةً عالماً رفيقاً فقيهاً كثيرَ الحديث، واتفقوا على وصفه بالجلالة وكثرة العلم. وقال عنه أبو زرعة الرازي: ثقة مأمون فاضل عابد. توفي سنة (١٠٩هـ) وهو ابن ٧٣ سنة. رحمه الله. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٣٤ و٢٣٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٩)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٤)، والاستيعاب (٤/ ٣٧١)، وغيرها من المصادر.

● هذا وقد عاشت فاطمةُ بنتُ قيس رضي الله عنها العهد الرَّاشدي كله، وامتدت بها الحياة إلى ما بعد سنة خمسين من الهجرة النَّبوية، وتوفيت في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

● وبعد فقد اقتطفنا ثمراتٍ يانعة، من سيرة صحابية كريمة، آثرت رضاء الله عزَّ وجلَّ، ومرضاة رسول الله ﷺ، فعاشت سعيدة، وماتت حميدة، رضي الله عنها، وأرضاها.

* * *



(٣٠)

سلمى بنت عُمَيْس

رضي الله عنها

● قال رسول الله ﷺ في سلمى وأخواتها:

«الأخوات مؤمنات».

الأَخَـوَاتُ مُـؤْمِنَـاتٌ:

● للمرأةِ من دقَّةِ الحسِّ، وبُعْد الخيال، وقوة العاطفة فوق ما لكثير من الرِّجال، لا تكادُ تسمع خبراً، أو تطيف بها ذكرى، أو تلمح منظراً؛ حتى يؤثِّرَ ذلك في أغوار نفسها، ويظهر في وجهها وعينيها.

● وقد تمثَّلَتْ تلك الصِّفات في صحابيةٍ جليلةِ القَدْر، صادفَ الإيمانُ قلْبَها خالياً فتمكَّنَ منه، وأصبحَ إيمانُها إيماناً لا مثار فيه للرَّيب أو الشُّبهات. وكانت مع أخواتها ممن وجدنْ الله عزّ وجلّ مِلْءَ سمعهنِ وبصرهن، فلا يشعرن إلا به، ولا يعملن إلا له، ولا يقدمن على ما عساه أنْ يغضبَه أو يستنزلَ سخطه.

● لهذه السِّمات الوضيئة، حظينَ بشهادة مختومة برحيق الإيمان، موقّعة من رسول الله ﷺ بعنوان: «الأخوات مؤمنات»[1].

● والأخواتُ المؤمناتُ هن: ميمونة ـ أمُّ المؤمنين ـ زوجُ النَّبيِّ ﷺ، وأمُّ الفضل بنت الحارث امرأة العبَّاس بن عبد المطلب، وأسماء بنتُ عميس امرأة جعفر بن أبي طالب، وسلمى بنت عُميس بن مَعْد الخثعمية[2]، التي سنصحب سيرتها في هذه الصَّفحات.

● أسلمتْ سلمى قديماً مع أختِها أسماء؛ فنالتا شرف السَّبْق في هذا المضمار المبارك.

سَـلْمَى وأَخَـدَاتٌ مـكـيَّـةٌ:

تربطُ سلمى برسول الله ﷺ صلةُ القرابةِ الوثيقة، فهي زوجُ عمّه وأخيه من

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٢٠)، ودرّ السحابة (ص ٥٤٥).

(٢) الطبقات (٨/ ٢٨٥)، والاستيعاب (٤/ ٣١٩)، وأسد الغابة (٥/ ٥٧٩).

الرَّضاعة[1] حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. وقد ولدت سلمى لحمزة ابنته عمارة بنت حمزة.

● وفي مكةَ شهدت سلمى أحداث الدَّعوة الإسلامية وتطوراتها، فشاهدت ما لقيه المسلمون منَ الأذى في سبيل الله عزَّ وجلَّ، وشهدت هجرة أختها أسماء وزوجها جعفر إلى الحبشة مع ثلة من المؤمنين.

● غير أنَّ حادثةً ضجّتْ لها قريشٌ، ولم تكنْ هذه الحادثة سوى إسلام زوجها حمزة الذي قال عنه ابن إسحاق رحمه الله:

لما أسلمٍ حمزة عرفتْ قريش أنَّ رسولَ الله ﷺ قد عزَّ وامتنعَ، وأنَّ حمزةَ سيمنعه، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه، وفي هذا يقولُ حمزة رضي الله عنه:

فـــــلا واللهِ نسلمُـــــــه لقـــــومٍ
ولمّـــا نقْـــضِ فيهـــم بـــالسُّيـــوف
ونتـــــركُ منهــــم قتلـــــى بقـــاعٍ
عليهـــا الطَّيـــر كـــالـــوردِ العكـــوف[2]

الـصَّابِـرَةُ الـمُحْتَسِبَـةُ:

● بدأتْ أرسال المهاجرين تنطلقُ نحو المدينة المنورة، وكانت سلمى وحمزة رضي الله عنهما فيمن هاجر إلى الله ورسوله.

● وجاءت غزوةُ بَدْرٍ، فشهدها حمزة وأبلى فيها بلاء محموداً، ولما كانت غزاة أُحد، شهدها وهو صائم، وكان يقاتل يومذاك بين يدي النَّبيِّ ﷺ بسيفين

---

(١) أرضعتهما ثويبة جارية أبي لهب، واقرأ سيرة حمزة في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة» (١/ ٩).

(٢) عن الروض الأنف للسُّهيلي (٢/ ٥٠)، وهذه الأبيات من قصيدة لحمزة أولها:

حمـــدت الله حيـــن هـــدى فـــؤادي | إلـــى الإســـلام والـــديـــن الحنيـــف
لـــديـــن جـــاء مـــن ربّ عـــزيـــز | خبيـــر بـــالعبـــاد بهـــم لطيـــف

ويقول: أنا أسدُ الله، ولكنَّ يَدَ الغَدْرِ نالته فسقط شهيداً ولسان حاله يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

ودُفِنَ عند أُحد في موضعه، وحزنَ عليه رسول الله ﷺ حزناً شديداً، كما حزن عليه الصَّحابة الكرام رضي الله عنهم جميعاً.

• أمّا زوجه سلمى فقد كانت من أشدِّ النَّاسِ حزناً عليه، وصبرت صبراً جميلاً، واحتسبته عند الله سبحانه وتعالى.

• وبعد انقضاء عدتها تزوجها الصَّحابي شداد بن الهاد الليثيّ[1]؛ فولدت له عبد الله بن شداد، وكان ابنها فقيهاً محدثاً فاضلاً، وهو أخو ابنة حمزة لأمِّها، وهو ابن خالة ولد العبَّاس بن عبد المطلب لأمِّ الفضل، وهو ابن خالة خالد بن الوليد، وكذلك ابن خالة محمد بن أبي بكر، وابن خالة أولاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً[2].

سَلْمَى وابنَتُهَا عُمَارَة:

• لما اعتمر رسولُ الله ﷺ عمرة القضاء في ذي القعدة من السَّنة السّابعة للهجرة، وخرج من مكةَ، تبعتْهُم عمارة بنت حمزة فنادت: يا عم، فتناولها عليٌّ رضي الله عنه وقال لفاطمةَ الزَّهراء رضوان الله عليها: دونَكِ، فحملتها، فاختصم فيها عليٌّ وزيدُ بنُ حارثة وجعفرُ بن أبي طالب رضي الله عنهم، فقال علي: أنا أخذتُها وهي ابنةُ عمّي.

---

(١) شدّادُ بنُ الهاد الكنانيّ الليثيّ حليف بني هاشم، كان شداد سلْفاً لرسول الله ﷺ، ولأبي بكر الصّديق، وللعبَّاس رضي الله عنهما. سكن المدينة المنورة، ثم تحوَّلَ منها إلى الكوفة، وله رواية عن النَّبيّ ﷺ وعن ابن مسعود وله رؤية. روى عنه ابنه عبد الله وآخرون.
(الاستيعاب ٣/ ١٣٤ و١٣٥)، و(أسد الغابة ٢/ ٣٨٩).

(٢) انظر في هذا: الطبقات (٨/ ٢٨٦)، والمعارف لابن قتيبة (ص ٢٨٢)، والإصابة (٣/ ٦٠).

وقال جعفر: ابنةُ عمي وخالتها تحتي ـ يعني أسماء بنت عميس ـ.

وقال زيدٌ: ابنة أخي ـ وكان ﷺ آخى بين حمزة وزيد حين آخى بين المهاجرين فقضى رسول الله ﷺ لخالتها وقال: «الخالةُ بمنزلةِ الأمّ»[1].

وفي المدينة طفقتْ عمارة تسأَلُ عن قَبْرِ أبيها ـ أسد الله ـ حمزة، فلما بلغ ذلك حسّان بن ثابت رضي الله عنه قال:

تسأل عن قرمٍ هجان سميدع
لدى النّاس مِغوار الصَّباح جسورُ

فقلتُ لها إنَّ الشَّهادة راحةٌ
ورضوان ربٍّ يا أمامُ[2] غفورُ

دعاه إلهُ الخلق ذو العرش دعوة
إلى جنّةٍ فيها رضاً وسرورُ[3]

● وعاشت عمارةُ في كنَفَ خالتها أسماء رضي الله عنها، وفي شَأْنِ عمارة ـ هذه ـ قيل للنّبيِّ ﷺ: تزوّجها، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ابنةُ أخي من الرَّضاعة».

● فزوَّجها رسول الله ﷺ سلمةَ بن أبي سلمة وقال حين زوّجها منه: «هل جَزَيْتِ سَلمة؟» وكان سلمة هو الذي زوّج أمّه أمّ سلمة منْ رسول الله ﷺ[4].

● وفي هذه الحادثة إكرام رسولِ الله ﷺ سلمى بنت عُميس زوج عمه، ولابنتها عمارة، ووفاء لسلمة بن أبي سلمة رضي الله عنهم جميعاً.

---

(١) عن الطبقات (٨/ ١٦٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٣٣٧، و٣٣٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٤٦٦ و٤٦٧)، والمغازي (٢/ ٧٣٨ و٧٣٩) بتصرف.

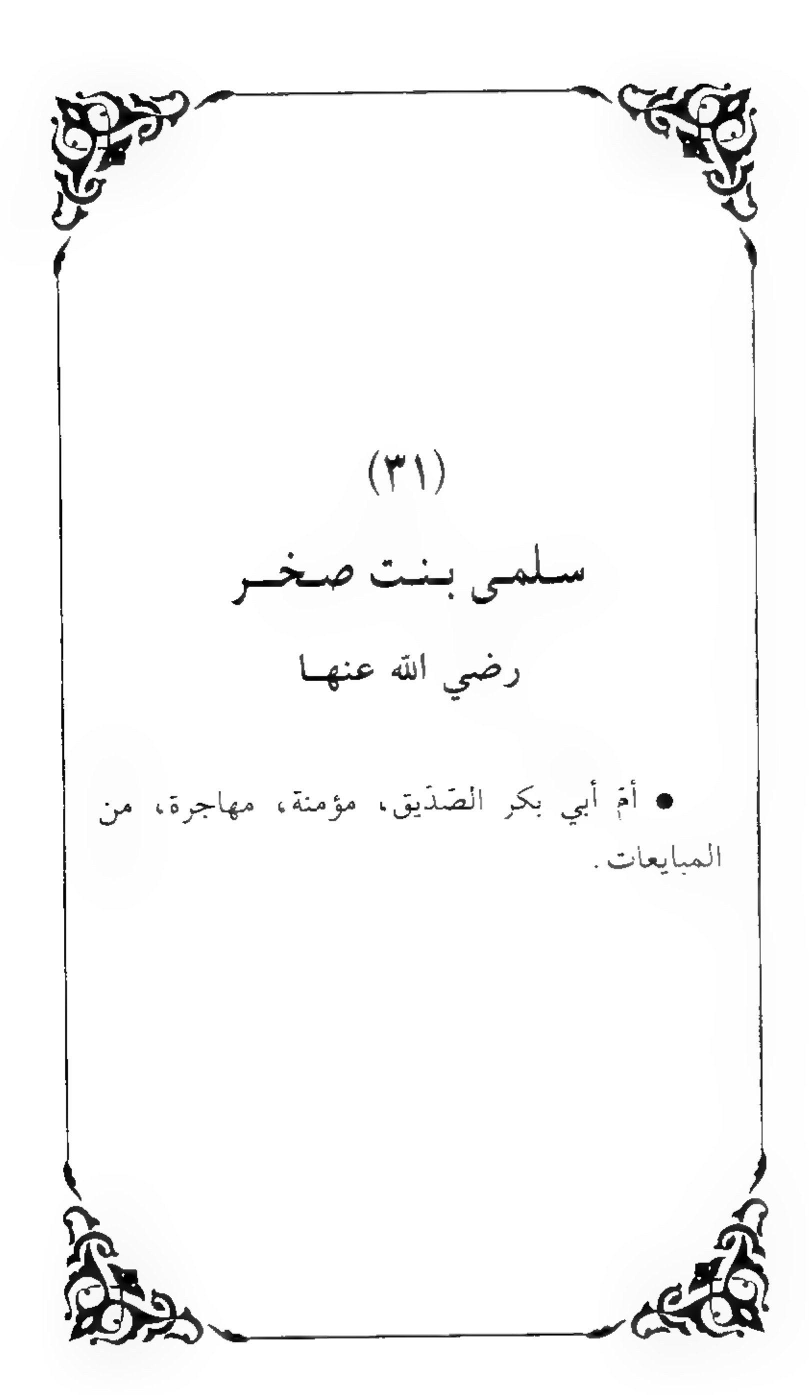
(٢) «أمام»: ترخيم لأمامة، وبعض المصادر تقول: إن عمارة اسمها أمامة.

(٣) الإصابة (٤/ ٢٢٩)، والبيت الأخير يروى لصفية بنت عبد المطلب أيضاً.

(٤) الطبقات (٨/ ١٦٠)، والمغازي (٢/ ٧٣٩)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٣٤٠)، والإصابة (٤/ ٢٣٠)، والسيرة الحلبية(٢/ ٧٨٥) بتصرف.

● تلك شذرات عبقة من حياة الصَّحابية الصَّابرة سلمى بنت عميس، التي سكت التَّاريخ فلم يحدثنا عن وفاتها، ولكنَّه ظلَّ يذكِّرنا دائماً بالأخوات المؤمناتِ على مرِّ العصور والأوقات. رضي الله عنهن وعن صحابيات رسول الله ﷺ.

* * *



(٣١)

سلمى بنت صخر

رضي الله عنها

● أمّ أبي بكر الصّدّيق، مؤمنة، مهاجرة، من المبايعات.

فيْ رِحَـابِ الأَخْـيَـار:

● قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿... رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

● في بني تيم نلتقي صحابية هذه الصَّفحات، وبنو تيم هؤلاء اشتهر رجالهم بالدَّماثةِ والأدب والمودة وحسن المعاملة وحفظ العهد، بينما اشتهر نساؤهم بالدَّل والحظوة والإخلاص والكرم؛ حتى قيل: إنَّ بناتَ تيم أدَلّ النِّساء وأحظاهن عند زوج.

● ومن بين نساء بني تيم، ومن بين السَّابقات منهم إلى ساحة الإسلام، ومع واحدة منهم ممن شملتها دعوة مباركة من رسول الله ﷺ تظهر أمُّ الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة[1].

● جمعت هذه الصَّحابية الخير من أطرافه، ويكفيها من الفضل أنَّها أمّ الصِّديق أول منْ أسلم من الرِّجال، وخليفة رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذْ هما في الغار، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

خيـــر البــريـــة أتقـــاهـــا وأعـــدلهـــا
بعــد النَّبــيِّ وأوفــاهــا بمــا حمــلا
والثَّـــانـــي التَّـــالـــي المحمـــود مشهـــده
وأولُ النَّـــاس منهـــم صـــدَّقَ الـــرُّســـلا

● وهي جدةُ أمّ المؤمنين عائشة عليها سحائب الرضوان. أمّا زوجها فهو عثمان أبو قحافة صحابي أسلم يوم الفتح.

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٤٢٩)، والإصابة (٤/ ٤٢٩)، وجمهرة أنساب العرب (١/ ١٣٥)، والمعارف (١٦٨).

أليست هذه أمَ الخير كله؟ حقاً إنَّها كذلك، فهل أتاك نبأُ إسلامها؟ تعالَ نشهد ذلك سوياً.

إسلامُ أُمِّ الخَيْر:

● كانت أمُّ الخير شديدة البرّ بالنَّبيِّ ﷺ، وكانت تعرفه معرفةَ الأمِّ الخبيرة بولدها. فهو صَدِيقُ ابنها أبي بكر ورفيقه منذ الصِّغر، ولكنْ كيف عرفَ الإسلام طريقه إلى قلب أمِّ الخير؟

● ذكر أصحاب التَّراجم وكتَّاب السِّيَر أنَّ أمَّ الخير قد أسلمتْ قديماً في دار الأرقم بن أبي الأرقم[1]، وبايعتِ النَّبيَّ ﷺ[2]. ولإسلام أمِّ الخير قصة شائقة ترويها أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتقول:

● لما اجتمع أصحابُ رسول الله ﷺ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظُّهور فقال: «يا أبا بكر، إنّا قليل».

● فلم يزل أبو بكر رضي الله عنه يلحُّ على رسول الله ﷺ حتى ظهر، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، وقام أبو بكر في النَّاس خطيباً، ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى رسوله ﷺ.

● وثار المشركونَ على أبي بكرٍ وعلى المسلمين، فضربوهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووُطِىء أبو بكر، وضُربَ ضرباً شديداً، ودنا منه

---

(١) الأرقم بن أبي الأرقم القرشيّ المخزوميّ، أبو عبد الله، صحابيّ جليل كريم من المهاجرين الأولين قديم الإسلام، أسلم بعد عشرة أنفس، وفي داره كان ﷺ مستخفياً من قريش بمكة. وكانت داره على الصفا، فأسلم فيه جماعة كثيرة آخرهم عمر بن الخطاب، وهو صاحب حلف الفضول، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وشهد بدراً وأحداً و المشاهد كلها وفضائله كثيرة. توفي سنة (٥٥هـ) وهو ابن بضع وثمانين سنة رضي الله عنه وأرضاه (الاستيعاب ١/ ٩٧ ـ ١٠٢)، والإصابة (١/ ٤٢ و٤٣).

(٢) الرياض النضرة (١/ ٧٥)، والتاج الجامع للأصول (٣/ ٣٠٦).

الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلينِ مخصوفين، ويحرّفهما لوجهه، وأثّرَ ذلك حتى وَرمَ وجهه وخفي على النّاظر مكان أنفه.

● وجاء بنو تيم يتعادَوْنَ، فأَجْلوا المشركين عن أبي بكر، وحملوه في ثوب حتى أدخلوه بيته ولا يشكّون في موته، ورجع بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: واللهِ لئن ماتَ أبو بكر لنقتلنَ عتبةَ بن ربيعة، ورجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة ـ والده ـ وبنو تيم يكلّمون أبا بكر حتى أجابَهم، فتكلّمَ آخر النهار فقال: ما فعلَ رسولُ الله ﷺ؟

● وكأنما نزلت على بني تيم صاعقة من اللّهب، وسَرَتْ فيهم قُشَعْرِيرَةُ الغضب، فنالوه بألسنتهم ولاموه وعنَّفُوه، ثم قاموا وقالوا لأمّه أمّ الخير بنت صخر: انظري أنْ تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه يردّ إليه نفسه، فلما خلَتْ به وألحتْ عليه جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ وأبى أنْ يأكل أو يشرب حتى يعلمَ ما فعل رسولُ الله!.

● ودُهشت أمُّ الخير وقالت: والله ما لي علم بصاحبك.

فقال: اذهبي إلى أمّ جميل بنت الخطاب[1] فاسأليها عنه.

فخرجتْ حتى جاءت أمّ جميل فقالت: إنَّ أبا بكر يسألك عن محمّد بن عبد الله.

● وأوجستْ أمُّ جميل خيفة في نفسها من أنْ تكون أمُّ الخير عيناً من عيون المشركين عليها وعلى النّبيّ ﷺ وقالت: ما أعرفُ أبا بكر ولا محمّد بن عبد الله، وإنْ كنتِ تحبين أنْ أذهبَ معك إلى ابنكِ فعلتُ؟.

قالت أمُّ الخير: نعم.

فمضتْ معها حتى وجدتْ أبا بكر صريعاً دنفاً ـ مريضاً ـ فدنتْ منه أمُّ جميل وغلبها الإشفاق، وأعلنت بالصِّياح وقالت: والله إنَّ قوماً نالوا منك هذا لأهل فسْقٍ وكفْرٍ، وإنّي لأرجو أن ينتقمَ الله لك منهم.

---

(١) وهي فاطمة بنت الخطاب وتكنى أم جميل. اقرأ سيرتها في هذا الكتاب

فما زاد أبو بكر رضي الله عنه أنْ قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ وأشارت أمُّ جميل إلى أمّ الخير بحذرٍ وقالت لأبي بكر: هذه أمُّك تسمع؟

قال: فلا عين ـ شيء ـ عليك منها.

قالت: سالم صحيح.

وأحبّ رضي الله عنه أنْ يتأكدَ بنفسه ويراه بأمّ عينه فقال: أنّى هو؟.

قالت: في دارِ الأرقم بن أبي الأرقم.

قال: فإنّ لله عليّ أنْ لا أذوقَ طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتيَ رسول الله ﷺ.

● ونظرتْ إليه أمُّ الخير نظرةً ملؤها العطف والرّحمة، وأكبرتْ أمُّ جميل موقفه، فأمهلتاه حتى إذا هدأتِ الرِجْلُ ـ سكنت الحركة ـ، وسكنَ النَّاس، خرجتا به يتكىء عليهما ولا يقدر على حمل نفسه، ثم أدخلتاه على النّبيّ ﷺ وهو بتلك الحالة، فانكبّ عليه رسول الله ﷺ فقبّله، وانكبَّ عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقةً شديدة، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي ليس بي إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذا أمّي برّة بولدها، وأنتَ مبارك فادعُهَا إلى الله وادعُ الله عزّ وجلّ لها عسى الله أنْ يستنقذها بك من النّار.

فدعا لها رسول الله ﷺ، ودعاها إلى الله. فأسلمت[1].

● وابتدأت أمُّ الخير صفحةً جديدة من حياتها إذ انضمتْ إلى ركب المؤمنين السّابقين. وقرّتْ عينا الصّديق بإسلام أمّه، ولما كان فتح مكة، فتح الله على بصيرة والده أبي قحافة[2]، وأنعم عليه بالإسلام، وعن هذا يقول

---

(١) عن الرياض النضرة (١/ ٧٥ و٧٦)، والبداية والنهاية (٣/ ٢٩)، وأسد الغابة (٥/ ٥٨٠)، والسيرة الحلبية (١/ ٤٧٥ و٤٧٦)، بتصرف.

(٢) عثمان بن عامر بن عمرو القرشيّ التيميّ ـ أبو قحافة ـ والدُ الصديق رضي الله عنهما، صحابيّ أسلم يوم الفتح. أتى به أبو بكر إلى النبي ﷺ ليبايعه ولحيته ورأسُه =

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في أبي بكر رضي الله عنه: أسلم أبواه جميعاً، ولم يجتمعْ لأحد من الصَّحابة المهاجرين أنْ أسلم أبواه غيره[1].

في ركْبِ الأبْرارِ:

● عندما بدأ المسلمون يظهرون في مكةَ، أخذ المشركون يذيقون مَنْ آمن بالله أصنافَ العذاب، فأذنَ لهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنورة، فهاجرت أمُّ الخير مع من هاجر لتكملَ بذلك حياة العطاء في مرضاة الله عزَّ وجلَّ، وتابعتْ في المدينة مسيرة حياتها، وعاشت الأحداث كلَّها، إلى أن توفيَ النَّبيُّ ﷺ وهو راضٍ عنها، فكسبت أجر الأبرار وأجْر الهجرة والبيعة.

وعنها قال الزُّبير بن بكار: أمُّ أبي بكر الصِّديق رضي الله عنهما كانت من المبايعات، بايعتْ رسول الله ﷺ.

الأيَّامُ الأخِيْرَةُ:

● لما لحقَ رسول الله ﷺ بالرَّفيقِ الأعلى، بايع المسلمون أبا بكر الصِّديق خليفة للنَّبيِّ ﷺ، وأكرمَ الله عزَّ وجلَّ أبا بكر بإسلام أبويه وأولاده وأحفاده، وهؤلاء أدركوا النَّبيَّ ﷺ وأسلموا، ولم يكن ذلك لأحد من الصَّحابة رضوان الله عليهم جميعاً.

● وعندما توفي الصِّدِّيق، ورثته أمُّه وأبوه، ولا يُعرف خليفة ورثه أبواه إلا الصِّديق ـ عليه رضوان الله ـ.

● وكان أبو قحافة والد الصِّديق ـ رضي الله عنهما ـ أول من ورث خليفة في الإسلام، إلا أنَّه ردَّ نصيبَه من الميراث ـ وهو السُّدُس ـ على أولادِ أبي بكر رضي الله عنهم[2].

= كالثغامة البيضاء، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «غيّروا هذا بشيء واجتنبوا السواد» توفي أبو قحافة في المحرم سنة (١٤هـ) وله سبع وتسعون سنة رضي الله عنه (الاستيعاب ٤/ ١٦٢)، و(تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٢١).

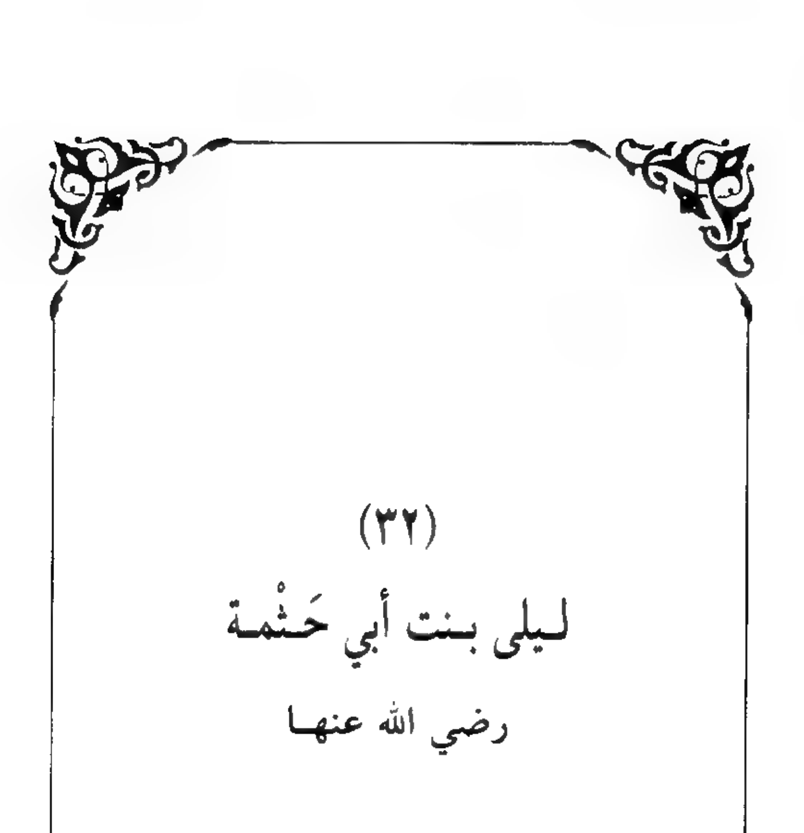
(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٢١).

(٢) المصدر السابق.

● وواصلت أمُّ الخير رضي الله عنها مسيرتها المباركة إلى الله عزَّ وجلَّ، ولم تلبثْ بعد ابنها إلا بضعة شهور حيث توفيتْ ولحقتْ بالصَّالحين؛ تاركة وراءها الذِّكرى الفوَّاحة بالخيراتِ، وكان وفاتها سنة (١٣) من الهجرة على وجه التَّقريب.

● رضي الله عن أمِّ الخير وأرضاها، وأسكنها فسيح جناته، وسقاها من رحيقٍ مختومٍ ختامه مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

* * *



(٣٢)

لـيلى بـنت أبي حَـثْمـة

رضي الله عنهـا

● أول ظعينة دخلت المدينة في الهجرة، صلَّت القبلتيـن، وكـان رسـول الله ﷺ يـزورهـا ويتفقـد أحوالها.

أَشْـوَاقٌ إلـى الـنُّورِ:

● كان حولَ الكعبةِ أصنامٌ عديدة ظلّت دهراً طويلاً، حيث صارت مهوى أفئدة قريش ومَنْ حولهم، يعبدها النَّاس ويقسمون بها لتقرِّبَهم إلى الله زلفى. غير أنَّ فئةً من ذوي الأحلامِ الرّشيدة والعقول الكبيرة المستنيرة، رأوا السَّفَه في هذه الآلهة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن الحق شيئاً.

● وتمضي الأيام وهي تحملُ أشواق أولئك العقلاء الذين يشعرون بأنَّهم على موعد مع الحقِّ. ولما أن اختارَ الله سبحانه رسوله ﷺ للرِّسالة، سارع هؤلاء إلى الإيمان والتَّصديق بما جاء به النَّبي ﷺ من دعوة إلى التَّوحيد، ونَبْذٍ للأصنام.

● في البدايات الأولى لظهور الإسلام برزتْ مواكبُ السَّابقين والسَّابقات إلى ساحة الهدى ودينِ الحقِّ، ومن بين هذه المواكب: ليلى بنتُ أبـي حثمة بن حذيفة القرشيّة العدويّة[1]، زوج الصَّحابي الجليل عامر بن ربيعة رضي الله عنه.

● كان زوجها حليفاً للخطاب بن نفيل ـ والد سيدنا عمر ـ وكان الخطاب لما حالفه عامر تبنّاه وادّعاه، فكان يقال له: عامر بن الخطاب[2]، حتى نزل القرآن الكريم ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٥]، فرجع عامر إلى نسبه فقيل: عامر بن ربيعة.

● هذان الزَّوجان، أسلما قديماً قبل أنْ يدخلَ رسولُ الله ﷺ دارَ الأرقم بن أبي الأرقم، وقبل أنْ يدعوَ فيها[3].

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٥٤١)، والإصابة (٤/ ٣٨٧).
(٢) أنساب الأشراف (١/ ٢١٨).
(٣) الطبقات (٣/ ٣٨٦).

● وقد ولدت ليلى لزوجها ابنه عبد الله بن عامر[1]، وبه كانت تكنى رضي الله عنها.

لَيْلَى تَنْظُر بِنُورِ اللهِ:

● كان للإيمان بالله عزَّ وجلَّ أثره الكبير في نفس الصَّحابية ليلى، حيث صقل نفسها، وأصبحتْ تنظرُ بنُور الله سبحانه؛ وما أجملَ أَنْ تختلط بشاشة الإيمان بنفس الإنسان حتى يجريَ الصِّدقُ على لسانه!.

وقد تحققتْ فِراسةُ ليلى رضي الله عنها بإسلام عمر بن الخطاب، إذ كان توقعها في محلِّه، وذلك في لحظات كان إسلام عمر من المستحيل، وقد أثار هذا التَّوقع دهشة زوجها عامر، ومما يمتع الأسماع، ويؤنس النُّفوس ـ في هذا ـ ما ترويه ليلى بنت أبي حثمة نفسها، تقول ليلى:

والله، إنّا لنترحلُ إلى أرض الحبشة، وقد ذهبَ عامرٌ في بعض حاجتنا، إذ أقبلَ عمر بن الخطاب فوقف عليَّ ـ وهو على شركه ـ وكان من أشدِّ النّاس علينا في إسلامنا؛ إذ كنا نلقى منه الأذى والبلاء، فقال: إنَّه الانطلاق يا أمّ عبد الله؟!

قلتُ: نعم، والله لنخرجنَّ إلى أرضٍ من أرضِ الله حيث لا نُؤذى في عبادة الله عزَّ وجلَّ إذ آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعلَ الله لنا مخرجاً.

وبعد خوفٍ قليل، وعقب لحظات من الارتباكِ تماسَكَتْ، ونظرتْ فلمحتْ آثار الحزن في وجه عمر، وتفرست فرآتْ آثار الرأفة في عينيه، وقد صوّرت هذا فقالت: ورأيتُ له رِقَّةً لم آكنْ أراها من قبل، ثم انصرفَ وقد

---

(١) عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزيّ، وُلد في زمن رسول الله ﷺ، وتوفي النَّبيّ ﷺ وله أربع سنين. وكان أبوه عامر من كبار الصَّحابة؛ وقد روى البخاري ومسلم لعبد الله هذا عن أبيه وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم جميعاً.
توفي عبد الله بن عامر سنة (٨٥هـ) رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٧٣ و٢٧٤).

أحزنه ـ فيما رأى ـ خروجنا، ولم يتعرض بسوء.

● لقد ابتعد عمر، ولم تفارق ذهنه صورة ليلى التي تعدُّ متاعها البسيط للهجرة؛ بل لم تزل نبرة صوتها الممزوجة بالحزن في سمعه، وكأنَّها حركت في قلبه الشَّفقة على المساكين الذين ساهم في إيذائهم.

● وتتابع ليلى حديثها فتقول:

وبعد قليل جاء زوجي عامر بن ربيعة بحاجتنا التي نعدها لهجرتنا، وأخبرته عن قدوم عمر ورقته وقلتُ: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا.

قال: أطمِعْتِ في إسلامهِ؟.

قلتُ: نعم

قال: فوالله لا يسلم الذي رأيتِ حتى يسلم حمار الخطّاب.

قال عامر ذلك يأساً منه واستبعاداً لإسلام عمر لِمَا كان يرى من غلظتِهِ وشدته على المسلمين[1].

● وصدقَ قَلْبُ ليلى، ولم تمضِ مدة حتى استكانَ عمر للحق، فمشى إلى رسول الله ﷺ وأعلنَ إسلامه، إذ أنَّ غلظتَه تلك كانت ذات قشور خفيفة، تكمنُ وراءها ينابيع من الرَّحمة، وفيض من العطف.

لَيْلى والهِجْرَة:

● انطلقتْ ليلى وزوجها عامر رضي الله عنهما في أول مَنْ خرج إلى الحبشة، وكانوا اثني عشر رجلاً وأربع نساء[2]، رئيسهم عثمان بن عفّان

---

(١) أُخِذَت القصة بتصرف من السيرة النبوية (١/ ٣٤٢ و٣٤٣)، وأسد الغابة (٥/ ٥٤١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ١٨١)، والإصابة (٤/ ٣٨٧).

(٢) النساء الأربع هن: رقية بنت رسول الله ﷺ، وأم سلمة بنت أبي أمية ـ أم المؤمنين ـ وسهلة بنت سهيل بن عمرو، وبطلة ترجمتنا أم عبد الله ليلى بنت أبي حثمة رضي الله عنهن جميعاً

رضوان الله عليه، وكانت أول هجرة في الإسلام، وكان مخرجهم في رجب من السَّنة الخامسة من البعثة، فلما وصلوا إلى أرض الحبشة، نزلوا بخير دار عند خير جار.

● وفي الحبشة مكثوا بضعة شهور يعبدون الله آمنين من أذى قريش؛ وترامت أخبار كاذبة من مكةَ تفيدُ أنَّ قريشاً أسلمت. فرجعوا إلى مكةَ في شوال من السَّنة الخامسة نفسها، فلما كانوا قرب مكةَ عرفوا جلية الأمر، فرجع منهم مَنْ رجع إلى الحبشة، ودخل الباقون مكة وهم مستخفون. ورجعت ليلى وزوجها ثانية إلى الحبشة، ثم قدموا مكةَ ودخلوها في الخفاء.

● ولكنَّ بلاءَ قريش اشتدَّ عليها وعلى المؤمنين، فأمرَ النَّبيُّ ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فكانت ليلى في أوائل المهاجرين، ولذا قال عنها ابن سعد رحمه الله:

أسلمت قديماً وبايعت، كانت في المهاجرات الأُول، هاجرت الهجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة ويقال: إنَّها أول ظعينة دخلت المدينة في الهجرة[1].

● وذكر ابن الأثير رحمه الله: أنها صلَّت القبلتين[2]، صلّت إلى بيتِ المقدس أولاً، ثم إلى الكعبةِ المشرفة.

لَيْلى وتَربيةٌ نَبويَّةٌ:

● كان رسول الله ﷺ يوجِّهُ أصحابَه لما فيه سعادتهم في الدَّارين، وكان يحضُّهم على الصِّدقِ بشتى صوره، ويشجعهم لسلوك الطَّريق الصَّحيحة.

● وللصَّحابية ليلى رضي الله عنها مكانة مرموقة عند رسول الله ﷺ، حيث كان يزور بيتها ويتفقدُ أحوالها، ومن ثم يرشدها إلى ما فيه صلاحها. فقد حدّث ابنها عبد الله بن عامر قال:

---

(١) الطبقات (١/٢٢٦)، وأنساب الأشراف (١/٢١٨)، والإصابة (٤/٣٨٧).
(٢) أسد الغابة (٥/٥٤١).

دعتني أمي يوماً، ورسول الله ﷺ قاعدٌ في بيتنا، فقالت: هاكَ تعالَ أعطيك شيئاً

فقال لها رسول الله ﷺ: «ماذا أردتِ أَنْ تعطيه؟».

فقالت: أعطيه تَمْراً.

فقال: «أَما إنَّك لو لم تعطيه شيئاً كُتِبَتْ عليك كذبة»[1].

● وظلّتِ الصَّحابية الكريمةُ ليلى بنت أبي حثمة تؤدي دورها بين الصّحابيات، كما ظلّتْ قدوة لغيرها من النِّساء.

● ويقف التَّاريخ هنا، فلا يذكر وفاة الصَّحابية ليلى، ولكنَّه ظل يذكرنا بنفحات سيرتها المعطار، وفراستها المنبعثةِ من نور الله عزَّ وجلَّ.

* * *

---

(1) الإصابة (٤/ ٣٨٧).



(٣٣)

كبشة بنت رافع الأنصارية

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«يا أمّ سعد، أبشري وبشّري أهليهم: أنّ قتلاهم قد ترافقوا في الجنة جميعاً، وقد شُفِّعوا في أهليهم».

● وقال عليه الصلاة والسلام:

«كل باكية تكذب إلا أم سعد».



مِـنْ بَـيْـتِـهَـا أَشْـرَقَ الـنُّـورُ:

● أتذكرون يوم أنْ أسلمَ سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير رضي الله عنه؟.

● منذ اللحظات الأولى لإسلامه، أضاءت هداية الله روحه ونفسه، وبدأ حياته بصفحة مشرقة، لقد وقف على قومه لما أسلم فقال: يا بني عبد الأشهل! كيف تعلمون أمري فيكم؟.

قالوا: سيدنا فضلاً وأيمننا نقيبة.

قال: فإنَّ كلامَكم عليَّ حرام رجالكم ونساؤكم حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

● فما بقيَ في دارِ بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا وأسلموا[١].

● وفي تلك الآونةِ برزت امرأةٌ جليلة القَدْرِ، دعتْ سفير النَّبيِّ ﷺ ليكون ضيفاً في دارها يدعو إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى الإسلام.

● أتدرون منْ تلكم المرأة التي أشرقت أنوار الإسلام من بيتها بالمدينة؟.

● تلكم ـ بطلة ترجمتنا ـ كبشة بنت رافع بن عبيد الأنصارية أمُّ سيدنا سعد[٢] بن معاذ رضي الله عنه وأرضاه، فهل تعرفون هذه الصَّحابية من بين نساء الإسلام؟[٣]

● صحيح أننا لا نجدُ اسمها في لائحة الشَّهيرات، ولكنَّها لم تكن بمعزلٍ

---

(١) قال ابن الجوزي رحمه الله: إن أول دار أسلمت من دور الأنصار دار بني عبد الأشهل.

(٢) قال النووي رحمه الله عن سيدنا سعد: كان من أعظم الناس بركة في الإسلام، ومن أنفعهم لقومه.

(٣) الاستيعاب (٤/ ٣٨٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٤)، والإصابة (٤/ ٣٨٣)

عنهن، وعن الأوائل منهن، وممن أثْرَيْنَ التاريخ بمواقفهن العظيمة، وأثَرْنَ الإعجاب بأعمالهنَّ الجليلة.

● كانت كبشةُ قد تزوَّجت معاذ بن النُّعمان الأشهليّ، فولدت له سعد بن معاذ وعَمْراً وإياساً وأوساً وعقرب وأمّ حرام بني معاذ بن النُّعمان[1].

في سِجِلِّ الأَوَائِـل:

● منذ أنْ أسلمت كبشةُ، سجَّلتْ سَبْقاً مشكوراً في مضمار الفضائل، وكانت مفتاح خير لنسوة الأنصار في بيعة النِّساء، ذكر هذا ابنْ حجر رحمه الله فقال:

أول مَنْ بايع النَّبيَّ ﷺ أمُّ سعد بن معاذ وهي كبشة بنت رافع بن عبيد، وأمُّ عامر بنت يزيد بن السَّكن، وليلى بنت الخطيم[2].

● وكم كان سرور أمِّ سعد عظيماً حينما ترامى إلى سمعها قول النَّبيِّ ﷺ يذكر دارها ودور الأنصار بخير فقال: «خيرُ دور الأنصار بنو النَّجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كلِّ دور الأنصار خير»[3].

«يـا أُمَّ سَـعْدٍ أَبْـشِرِي»:

● وتجيءُ غزوة بدر، ويخرجُ سعد[4] وعمرو ابنا معاذ في عداد المجاهدين، ويبلي كل واحد منهما بلاءً حسناً. وكان لسعد يوم بدر موقفٌ يفوح بالبطولة والرَّوعة والإيثار، تألَّق له وجهُ النَّبي ﷺ رضاً وسعدة وغبطة[5].

---

(١) الطبقات (٨/ ٣٧٠).

(٢) الإصابة (٤/ ٢٥٤).

(٣) التاج الجامع للأصول (٣/ ٣٨٨)، والحديث صحيح رواه الشيخان والترمذي.

(٤) من الجدير بالذكر أن أول من ارتبط فرساً في سبيل الله سعد بن معاذ. (المنمق ص ٤٠٨).

(٥) اقرأ سيرة الصحابي الجليل سعد بن معاذ في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة»=

● وفي غزاة أحد، كان سعد وعمرو من أوائل المجاهدين في سبيل الله عزَّ وجلّ. ونال عمرو الشَّهادة مع نفر من بني عبد الأشهل، ووصل الخبر إلى المدينة المنورة، فخرج النِّسَاء ينظرن إلى سلامة رسول الله ﷺ، وخرجت أمُّ سعد بن معاذ رضي الله عنها تعدو نحو النَّبيِّ ﷺ، والنَّبيُّ واقفٌ على فرسه، وسعدٌ آخذ بعنان فرسه.

فقال سعد: يا رسول الله، أمّي.

فقال ﷺ: «مرحباً بها».

فدنتْ حتى تأمَّلتْ رسول الله ﷺ فقالت: أما إذ رأيتك سالماً فقد هانتِ المصيبةُ.

فعزّاها رسولُ الله ﷺ بعمرو بن معاذ ابنها ثم قال: «يا أُمّ سعد، أبشري وبشِّري أهليهم أنَّ قتلاهم قد ترافقوا في الجنَّةِ جميعاً، وقد شُفِّعُوا في أهليهم».

قالت: رضينا يا رسول الله، ومَنْ يبكي عليهم بعد هذا!!.

ثم قالت: ادعُ يا رسول الله لمن خُلِّفوا.

فقال: «اللهم أذهِبْ حزنَ قلوبهم واجبر مصيبتَهم وأحسنِ الخَلَفَ على مَنْ خُلفوا»[1].

● ولكنْ هل توقفتْ أمُّ سعد عن العطاء؟.

لم يشغلْهَا استشهاد ابنها عن المشاركة فيما حلَّ بالمسلمين، بل ذهبتْ مع نسوةٍ من الأنصار إلى بيت رسول الله ﷺ يبكين عمّه حمزة بن عبد المطلب ـ الذي استشهد في أحد أيضاً ـ ولما سمع عليه الصَّلاة والسَّلام بكاء النِّسوة قال لهن: «رضي الله عنكن وعن أولادكن» ثم أشار أنْ يرجعنَ إلى بيوتهن

= (١/ ٩١) ففيه ما يسر النفوس إن شاء الله.

(١) عن السيرة الحلبية (٢/ ٥٤٥، ٥٤٦).

وقال: «مروهن فَلْيَنْقَلِبنَ ـ يرجعن ـ ولا يبكين على هالك بعد اليوم»[1].

● ورجعتْ أمُّ سعد ونساء بني عبد الأشهل، وهن سامعات مطيعات أمْرَ رسول الله ﷺ.

● وفي هذا الموقف الرَّائع جمعت أمُّ سعد رضي الله عنها بين جلال الصَّبر وبين مرضاة الله عزَّ وجلَّ ومرضاة رسوله ﷺ، فحظيتْ بدعوةٍ نبويَّةٍ مستجابةٍ، ونالت بذلك الفوز بالرِّضوان والرَّحمة رضي الله عنها.

«إلاّ أمّ سَـــعْـــد»:

● في إحدى السَّاعات الحرجة التي زاغت فيها الأبصارُ، وبلغتِ القلوبُ الحناجر، وعلى وجه التَّحديد في غزوة الخندق[2]، حظيتْ أمُّ سعد بشهادة الصِّدق مختومة من رسول الله ﷺ؛ فقد كان ابنها سعد يرتدي درعاً قصيرة قد ظهرت منها ذراعه، فمرَّ من أمام حصن بني حارثة، وكان فيه النِّساء والأطفال، ومن بينهم عائشة أمُّ المؤمنين، وأمّه كبشة رضي الله عنهما، فقالت له أمُّه: الْحَقْ برسول الله يا بني فقد ـ والله ـ تأخرت.

فقالت عائشة[3]: والله يا أمّ سعد لوددتُ أنّ درع سعد أطولُ على يده مما هي.

قالت أمُّ سعد: يقضي الله ما هو قاض.

فقضى الله أمره، وقضى له أنْ أصيبَ بسهم قطع منه الأكحل ـ عِرْق في الذراع ـ وتوجه سيدنا سعد بالدُّعاء إلى الله عزَّ وجلَّ بألا يميته حتى تقرَّ عينه

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه (١٥٩١).

(٢) «الخندق»: هو خندق مدينة رسول الله ﷺ، حفره وأصحابه رضوان الله عليهم لما تحزبت عليهم الأحزاب، فيوم الخندق هو يوم الأحزاب، وكان في سنة أربع من الهجرة وقيل: سنة خمس. وكانت مدة حصارهم (١٥) يوماً، ثم أرسل الله عزّ وجلّ على الكفار ريحاً وجنوداً لم يرها المسلمون فهزمهم بها. (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٠٢ و١٠٣).

(٣) من الجدير بالذكر أن آية الحجاب لم تكن نزلت بعد.

من بني قريظة الذين نقضوا عهدهم، وخانوا الله ورسوله والمسلمين. فالتحم جرحه.

● وتأتي غزوة بني قريظة عقب غزوة الخندق، وحُوصر بنو قريظة، ثم نزلوا على حُكْم سعد بن معاذ ـ وذلك عندما كلَّفَهُ ﷺ بذلك نزولاً عند رغبتهم ـ فحكم عليهم بأنْ تُقتلَ رجالهم وتُسبى نساؤهم وذراريهم، ولما نُفِّذَ حكم سعد انفتق جرحه فمات شهيداً، وسالت الدُّموع من عين أمِّه كبشة ـ وحقّ لعينيها أنْ تفيضا على سعد ـ فقالت تندبه لما احتمل على النَّعش:

ويــــل أمِّ سعـــدٍ سَعْـــدا ... صــرامـــةً وحـــدّا

وسُــــؤدداً ومجـــدا ... وفــارســـاً معـــدّا

ســـدّ بــــه مَســـدّا ... يقـــدّهـــا مـــا قـــدّا[1]

ولما سمعها النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام قال: «كلُّ باكية تكذبُ إلا أمّ سعد». ثم أقبل عليها ﷺ وقال لها:

«ألا يرقأ دمعك ويذهب حزنك؟ فإنَّ ابنَك أولُ مَنْ ضحك الله إليه واهتزَّ له العرش»[2].

● وفي سعد قال النَّبيُّ ﷺ: «اهتزَّ عرش الرحمن عزَّ وجلَّ لموت سعد بن معاذ»[3].

«دعـوهــا»:

● وفي البقيع جاءت أمّ سعد تنظر إلى ابنها سعد في اللحد ـ في مثواه الأخير ـ فردَّها النّاس، فقال رسول الله ﷺ: «دعوها» فأقبلتْ حتى نظرتْ إليه

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ١٣٢)، وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٤٠ و٤٤١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٣٢٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٨). والمعنى: انتعش العرش وحاملوه فرحاً بقدوم روحه رضي الله عنه، وفي هذا دليل علو مقامه ورفيع مكانته؛ لأن العرب تنسب الشيء العظيم لأعظم الأشياء، فتقول: أظلمت الأرض لموت فلان، واهتزت له الجبال، ومقام سعد في الأنصار كمقام أبي بكر في المهاجرين، رضي الله عنهما وأرضاهما.

وهو في اللحد قبل أَنْ يُبنى عليه اللَّبِن والتُّراب، فقالت:

أحتسبُك عند الله عزَّ وجلَّ، وعزَّاها رسول الله ﷺ على قبره، وجلس ناحية وجعل المسلمون يردّون تراب القبر ويسوُّونه، وتنحى رسول الله ﷺ فجلس حتى سوِّي على قبره، ورُشَّ على قبره الماء، ثم أقبل فوقف عليه فدعا له ثم انصرف[1].

● وظلتْ أمُّ سعد تبكيهِ وتبكيه.

لعـل انسكـاب الـدَّمـعِ يَعْقُـب راحـةً
مـنَ الـوَجْـدِ أو يشفـي نجـيَّ البـلابـل

● وبقيت ذكرى بعد في قلوب الصَّحابة تسري سريان الدم في العروق، وفي كل مناسبة كان سعد أمام أعينهم، فقد أخرج ابنُ ماجه رحمه الله بسنده عن البراء بن عازب قال:

● أهدي لرسول الله ﷺ سَرَقة من حرير، فجعل القومِ يتداولونها بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من هذا؟».

فقالوا: نعم يا رسول الله!

فقال: «والذي نفسي بيده! لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خيرٌ من هذا»[2].

---

(١) المغازي (٢/ ٥٢٩)

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٧)، والترمذي (١٧٢٣)، ومختصر صحيح مسلم (١٧٠١). وأخرجه أيضاً النسائي وأحمد بألفاظ ومعانٍ متقاربة، وانظر أيضاً تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٥)، ودرّ السحابة (ص ٣٨٣)، ومناقب سعد غزيرة ومشهورة، وفيه يقول الشاعر:

وما اهتزّ عرش الله من موت هالك   سمعنـا بـه إلا لسعـد أبـي عمـرو

وأودّ ـ عزيزي القارىء ـ أن أشير إلى لطيفة قيمة أوردها الذَّهبيّ في هذا المضمار حيث قال: وسعد بن معاذ ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه أرفع من الشهداء رضي الله عنه، كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين، ولا ردع ولا ألم ولا خوف، سَلْ ربك العافية وأن يحشرنا في زمرة سعد. (سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٠ و٢٩١).

مِنْ مَوَاقِفِهَا المُضِيْئَةِ:

● لم تكن أمُّ سعد رضي الله عنها بمنأى عن الأحداث الإسلامية، بل كانت تشارك فيما يهمّ الإسلام والمسلمين، وقد كان لها وقفة مباركة الخطى تجاه عائشة أمّ المؤمنين رضوان الله عليها في حديث الإفك الذي افتراه المنافقون والمرجفون، وصاغوه في مصانع كذبهم الزَّائفة، فأظهر الله عزَّ وجلَّ زيفَهم وردَّ كيدهم إلى نحورهم، وفي هذا امتدحتْ أمُّ سعد عائشة وشهدت بفضلها ونقائها وبرّها وتقاها رضي الله عنها، ومن أبدع ما قالته عنها:

تتقي الله في المغيبِ عليها ... نعمة الله سرُّها ما يُريمُ

خير هدي النِّساء حالاً ونفساً ... وأباً للعلا نماها كريمُ

للموالي إذ رموها بإفكٍ ... أخذتهم مقامعٌ وجحيمُ

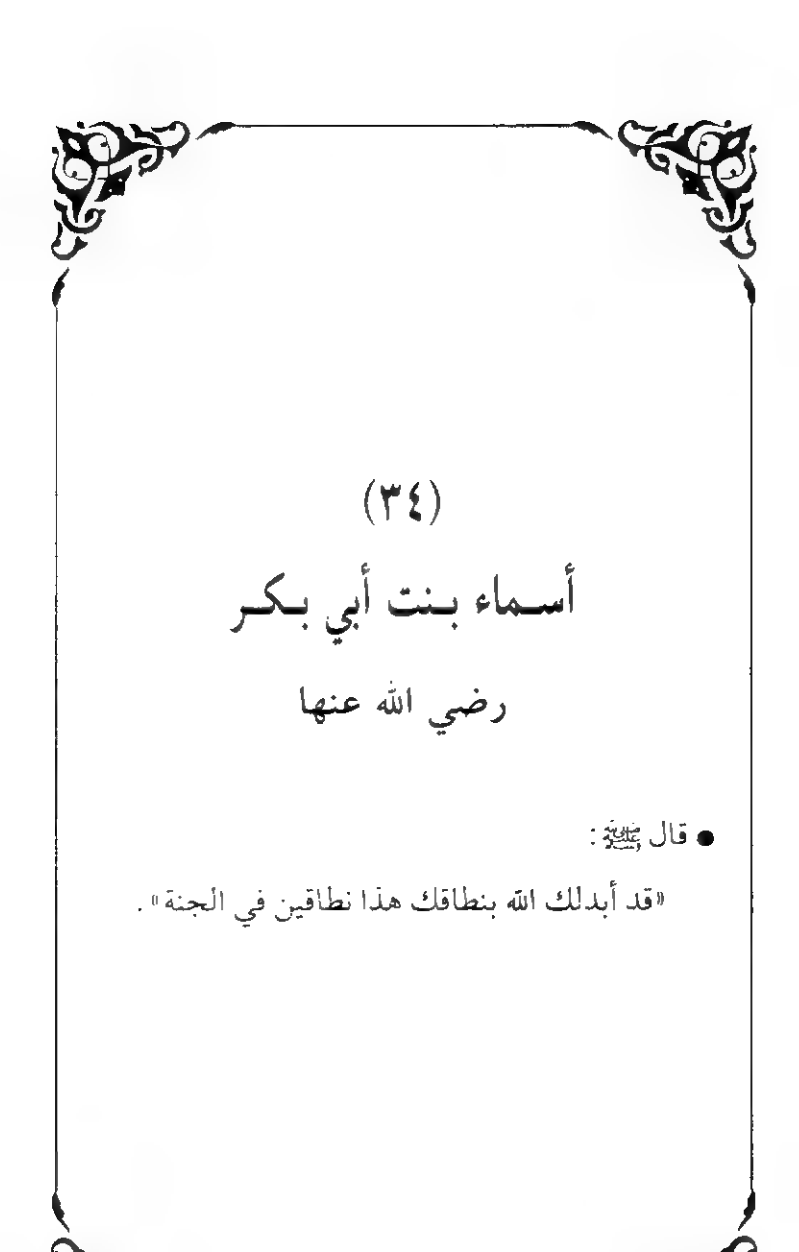
ليتَ منْ كان قد قَفَاها بسوء ... في حطام حتى يسول اللئيم[1]

● وبعد، فهذه أمُّ سعد رضي الله عنها وأحسنَ مثوبتها في الدَّارين، فقد صبرت صبراً جميلاً ابتغاءَ مرضاة الله عزَّ وجلَّ، فرضي الله عنها وأرضاها، فقد كانت بحقٍّ امرأة معطاء، ضربت أفضل الأمثلة في الصَّبر والوفاء.

* * *

---

(١) مجمع الزوائد (٩/ ٢٣٥)، ونساء مبشرات بالجنة (٢/ ٣١، ٣٢).



(٣٤)

أسماء بنت أبي بكر

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«قد أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة».

الإِسْلامُ والمَرْأَةُ:

● ليس بدْعاً من المرأة التي ارتفع بها الإسلام إلى أبعد غاية من كمال النّفسِ، وسموّ الحياة، وعظمِ السكانة، أنْ تكونَ العضد الأقوى، والسّاعد الأشدّ في نشْرِ آياته، وبلغ غايته.

● لقد وضح صبح الإسلام، فظهرتِ المرأةُ في مشرق نوره؛ فيّاضة النَّفسِ بالإيمان والوجدان، ملأى اليدين من حقٍّ موفور، وفَضْل مأثور. فقد أدلتْ دلوها في الفضائل، فكان لها أكبر الأثر في تكوين الرِّجال، ونَشْر العِلْم، كما تركتْ أجملَ الأثر، وأبقاه في مجال اللسان والسّنان.

● ونحن أولاء مرسلو القول في سيرة امرأةٍ عظيمة المكانة، جليلة القدر، ذات شهرة واسعة في عالم المرأة، خصّها الله عزَّ وجلَّ بنعمةِ الإيمان والسَّبْق إلى الإسلام، وقد عُرفت برباطة الجأْش، والدَّفع بالحجة القوية، ورجاحة التّفكير في المواقف الصّعبةِ التي تتزعزعُ فيها إرادة الإنسان، ويفلتُ من يده زمامِ تفكيره

● هذه المرأة هي أسماء بنت أبي بكر الصّدِّيق القرشيّة التَّيميّة المكيّة ثم المدنية، أمُّ عبد الله، ذات النّطاقين، زوج الزُّبير بن العوّام، وأختْ عائشة أمّ المؤمنين، وأمّها قتيلة بنت عبد العزّى العامرية[1].

● أسلمت أسماء في السّابقين بعد سبعة عشرة إنساناً، وكانت أسنّ من عائشة رضي الله عنهما ببعض عشرة سنة، وهي أختها لأبيها.

● وأسماء وأبوها وجدّها وابنها عبد الله بن الزُّبير أربعتهم صحابيون، كما أنَّ زوجهَا الزُّبير أحد العشرة المبشرين بالجنّةِ، وحماتها صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ من شهيرات نساء الإسلام ومن شاعرات

---

(1) الطبقات (٨/ ٢٤٩)، وأسد الغابة (٥/ ٣٩٢)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٧)، وتاريخ دمشق (ص ٣).

قريش[1]. وأعلى مِنْ هذا وذاك أنّ صهرَها رسول الله ﷺ، فأكرِمْ بهذا الشَّرف وهذا النَّسب!.

أَسْـمَاءُ وأَحْـدَاثُ الـهِجْـرَةِ:

● بدايةُ أسماء رضي الله عنها بداية خيّرة طيّبة وضيئة، ولعلَّ شهرتها قد طارت من ذلك اليوم العظيم في تاريخ الدُّنيا ـ يوم الهجرة ـ وكانت ما تزال فتاة حديثة السِّن.

● لقد أُعْجِلَ النَّبيُّ ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه عن ابتغاء الزّاد، وشغلهم الغَرَضُ الأسمى عن الغَرَضِ الأدنى، فسارا خفيفَيْن إلى غارٍ في ذروة عالية مِنْ جبل ثور إخفاء لأمرهما، فكانت أسماء تمسّيهما كلّ ليلة بالزّاد، والماء، وبما عسى أنْ تكونَ قد سمعَتْه، أو رأَتْه من حديث قريش وخبرهم في مكة.

● ثلاثة أميال تقريباً، كانت تقطعُها هذه الصَّبية الجريئة النّاشئة في جوف الليل، ووحشة الطَّريق ماشية متخفية، حذرة مترقبة، حتى تصعد إلى هامة الجبل بين أسنّة الصَّخرِ ووعْرِ المَسْلكِ، ثم تنحدر في جوفه، فتوافي رسول الله ﷺ ووالدها بالزَّاد والأَخبار.

● تلكم الفتاة أسماء التي تركتْ الوالدن والولائد من أترابها يغدون إلى ملاعبهم، ويأوون إلى لهوهم، بينما ذهبتْ إلى حيثُ يعجز أشداء الرِّجال وأبطالهم، فأيّ امرأة هذه؟! وأيّ قوة تلك التي أمدّها الله عزّ وجلّ بها؟! وأيّ قلب ذلك الذي أودعه الله بين ضلوعها وحناياها؟!! وأية عزّمة تلك التي خفقت في نفسها وسرتْ بين جوانبها؟!.

● نعم لقد اقتحمت هذه الفاضلة الباسلة ذلك الطَّريق الرّائع المخوف الطَّويل ثلاثة ليال سوياً، وفي الليلة الثّالثة ـ وهي الليلة التي أزمع فيها المهاجران على مفارقة الغار إلى عرين الأنصار ـ وافتهما بزاد السّفر كله، فلما آذن رسول الله ﷺ بالرَّحيلِ، نهضتْ لتعلّقَ سفرة الزّاد، فإذا ليس لها عصام

---

(١) اقرأ سيرة صفية في هذا الكتاب، ففيها صفو النفوس إن شاء الله.

ـ رباط ـ فلم تجدْ ما تعصمها به إلا نطاقها، خرجتْ عنه فشقّته نصفين، فعصمت السُّفرة بنصفه، ووكأتِ السِّقاءَ بباقيه، ومنذ ذلك اليوم سُمّيت بذات النِّطاقين[1]، وأبدلها الله عزَّ وجلَّ بنطاقها ذلك نطاقين في الجنَّة؛ لقوله ﷺ: «قد أبدلَكِ الله بنطاقِكِ هذا نطاقين في الجنَّةِ»[2].

● ولله درُّ أبو نُعيم[3] إذ صدّر ترجمتها بقوله: الصَّادقة الذَّاكرة، الصَّابرة الشَّاكرة، أسماء بنت الصِّديق الشَّاقة نطاقها، لمعصم قربة النَّبي ﷺ وعلاقه.

مَـوَاقِـفُ وَضِـيْـئَـةٌ:

● لئن سلمتْ أسماء من عثرات الطَّريق إلى الغار، لقد نالتها الشَّدائد والآلام من بلاء قريش وأذى كبرائها وكبَّارها، وهي آمِنَةٌ في دارها.

● فلقد أتاها نفرٌ منْ أكابر مجرمي قريش؛ منهم أبو جهل، فوقفوا على باب أبي بكر ذات صباح ليتعرّفوا منها أَمْرَ أبيها.

فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟.

---

(١) سميت ذات النطاقين؛ لأنها كانت تحمل نطاقاً على نطاق. وقيل: كان لها نطاقان: تلبس إحداهما، وتحمل في الآخر الزاد لرسول الله ﷺ وهو في الغار، وكان الانتطاق من عادة النساء العربيات.

(٢) وردت هذه القصة بمعان متقاربة في المصادر، انظر مثلاً: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٧٤)، والطبقات (٨/ ٤٥٠)، والاستيعاب (٤/ ٢٢٩)، وتاريخ دمشق (ص ٦)، والحلية (٢/ ٥٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٩)، والأعلام (١/ ٣٠٥).

(٣) أبو نُعيم: الحافظ الكبير، محدّث العصر، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانيّ الشّافعيّ الصوفيّ. ولد سنة (٣٣٦هـ)، وهو محدث، مؤرخ، صوفيّ، أجاز له مشيخ الدُّنيا وله ست سنين! ورحلت الحفّاظ إلى بابه لعلمه وضبطه. قال ابن مردويه: لم يكن في أفق أحفظ ولا أسند منه. توفي في محرم سنة (٤٣٠هـ). وصنف كتباً مشهورة منها: حلية الأولياء، ودلائل النبوة، ومعرفة الصحابة، وفضائل الصحابة، وصفة الجنة، والطب، وتاريخ أصبهان، والمستخرج على البخاري ومسلم. (طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٢٣)، و(معجم المؤلفين ١/ ٢٨٢ و٢٨٣).

فأنكرت أمْرَه وتجاهلتْ خبره وقالتْ: لا أدري والله أين أبي.

ثم أمعنوا في محنتِها، واشتدّوا في أذاها، حتى لقد لطمها عدوّ الله النَّذْل، الفاحش الخبيث أبو جهل لطمةً وقَعَ منها قرطها. غير أنّ هذا لمْ يوهنْ من عزيمتها، ولم يَعْبَثْ بمكنون سِرّها، ولم يزدها ذلك إلا إيماناً بالله عزّ وجلَّ، وتسليماً لقضائه فهو العليمُ الخبير.

● ونذكر من شجون الحديث موقفاً وضيئاً لأسماء يدلُّ على سَعة أفقها، وكمال عقلها، وصدْقِ إيمانها ـ وسأترك للقارىء الكريم تصوّره لهذا الموقف العظيم ـ قالتْ أسماء:

احتملَ أبو بكر ماله كلّه، خمسة آلاف درهم، أو ستة آلاف درهم، فانطلق بها معه، فدخلَ علينا جدّي أبو قحافة ـ وقد ذهبَ بصرُه ـ فقال: والله إنّي لأراهُ قد فَجعَكم بماله مع نفسه.

قالت: قلتُ كلا يا أبتِ؟ إنَّه تركَ لنا خيراً كثيراً.

قالت: فأخذتُ أحجاراً فوضعتُها في كوّةِ البيت، كان أبي يضعُ مالَهُ فيها، ثمَّ وضعتُ عليها ثوباً، ثم أخذتُ بيده فقلتُ: يا أبتِ ضع يدكَ على هذا المال؛ فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذا ترك لكم هذا فقد أحْسَن، وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكنّي أردتُ أنْ أسكّن الشيخ بذلك[1].

الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ الصَّابِرَةُ:

تزوّجَتْ أسماء الزُّبير رضي الله عنهما بمكةَ، ولما كانت الهجرةُ انطلقتْ إلى المدينة وهي حامل بابنها عبد الله، فولدته بعد الهجرة، فكان أول مولود وُلِدَ في الإسلام بعد الهجرة، كما ولدت للزُّبير: عروة، والمنذر، وعصماً، والمهاجر، وخديجة الكبرى، وأمّ الحسن، وعائشة[2].

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٧٧).

(٢) الطبقات (٨/ ٢٥٠)، والسمط الثمين (ص٢٠٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٢٩).

● وكانت أسماء رضي الله عنها مثال الزَّوجة الصَّابرة الشَّاكرة، وكانت مِعْواناً لزوجها في أعماله، روتْ هذا فقالت:

كنتُ أخدم الزُّبير خدمةَ البيت كلِّه، وكان له فرس، وكنتُ أسوسه، وكنتُ أحتشُّ له، وأقوم عليه[1].

وصحَّ عنها أنَّها كانت تعلف فرسه، وتسقي الماء، وتخرز الدَّلو، وتعجنُ، وتنقل النَّوى على رأسها من أرضٍ له على ثلثي فرسخ.

● ومع هذا كلِّه، كان الزُّبير شديداً عليها، فأتتْ أباها وشكتْ ذلك إليه؛ فقال: يا بنية اصبري؛ فإنَّ المرأة إذا كان لها زوجٌ صالحٌ، ثم مات عنها فلم تتزوَّجْ بعده جُمِع بينهما في الجَنَّةِ[2].

مَحَاسِنُ الجُودِ والكَرَمِ:

● لعلَّ منْ أبرز الخصال التي فُطرت عليها أسماء رضي الله عنها، السَّخاء الذي ورثتْه عن أبيها الصِّدِّيق رضي الله عنه ـ ومَنْ كأبي بكر في الجود والكرم ـ؟!

● أضفْ إلى ذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ أوصاها بمحاسنِ الجودِ والكرم فقالت: مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا أحصي شيئاً وأكيله فقال: «يا أسماء لا تحصي فيحصي الله عليك».

قالت. فما أحصيتُ شيئاً بعد قول رسول الله ﷺ خَرَجَ من عندي ولا دَخَلَ عليَّ، وما نفدَ عندي من رزق إلا أخلفَه الله.

● وكان جودُ أسماء عجيباً، فقد ورد أنَّها كانت تمرضُ المرضَةَ فتعتق كلَّ مملوك لها؛ وكانت تحثُّ بناتها على السَّخاء قائلة: يا بناتي تصدَّقنَ ولا تنتظرْنَ الفَضْل فإنَّكنَّ إنْ انتظرتنَّ الفَضل لن تجدنه، وإنْ تصدقن تجدنَ فقده.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٣٥٢).

(٢) السمط الثمين (ص ٢٠٤).

● وشهد لأسماء بالجود محمّد بن المنكدر رحمه الله فقال: كانت أسماء بنت أبي بكر سخية النَّفس.

● أمّا أجود امرأتين فهما: الأختان عائشة وأسماء، وقد شهد بهذا شاهد من أهلهما هو ابن أسماء فقال:

ما رأيتُ امرأتين قطّ أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف: أمّا عائشة فكانت تجمع الشَّيء إلى الشَّيءِ حتى إذا اجتمع عنده وضعته مواضعه، وأمّا أسماء فكانت لا تدّخر شيئاً لغد. إذاً فلم تكن تمسك شيئاً في يدها قط[1].

ولله درُّ مَنْ قال:

وإنـــي امـــرؤٌ لا تستقـــرُّ دراهمـــي
علـــى الكـــفِّ إلا عـــابـــرات سبيـــل

● ولما فرضَ سيدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الأعطية، فرض للمهاجرات الأُوَل ألفاً ألفاً منهن أمّ عبد الله بن مسعود، وأسماء بنت أبي بكر وغيرهما.

حِـفْـظُهَـا وفِـقْـهُـهَـا وعِـلْـمُـهَـا:

● أسماءُ رضي الله عنها ممن أكثرنَ روايةَ الحديث عن النّبي ﷺ، روتْ ثمانية وخمسين حديثاً[2]، وحدَّث عنها عدد من أجلاّء الصَّحابة والتّابعين، وقد مرَّ معنا بعض مروياتها.

وكانت أسماء رضي الله تعالى عنها مِنْ فقيهات نساء الصَّحابة ومن العالمات منهن، ومما يشيرُ إلى علمها وفقهها ما رواه حفيدها عبد الله ابن عروة بن الزُّبير قال:

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٢).
(٢) وفي رواية (٥٦ حديثا).

قلتُ لجدتي أسماء: كيفَ كان أصحابُ رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟

قالت: تدمعُ أعينهم وتقشعِرُّ جلودهم، كما نعتَهُم الله.

قلتُ: فإنّ ناساً ها هنا إذا سمعَ أحدهم القرآن خرَّ مغشياً عليه.

فقالت: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم[1].

فقد عابتْ أسماء رضي الله عنها على هؤلاء عدم فهمهم كلام الله عزَّ وجلَّ فهماً سليماً، وعدم تعاملهم مع القرآن بشكل صحيح.

● وقد كانت أسماء رضي الله عنها موصولةَ القلب بالله سبحانه على أساس صحيح، وقد شهد لها زوجها الزُّبير بهذا فقال:

دخلتُ على أسماء وهي تصلّي، وقد افتتحتْ صلاتها بسورةِ الطُّور، فخرجتُ وقد انتهتْ إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧] فاستعاذت، فقمتُ وهي تستعيذُ، فذهبتُ إلى السُّوق، ثم رجعتْ وهي تكرّرها ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ وهي تصلّي.

● ومن فقْهِ أسماء وتمسّكها بهدي القرآن الكريم، وهدي رسول الله ﷺ، ما ورد أنَّ أمَّها ـ وكانت مشركة ـ جاءتها بهدايا، فأبتْ أسماءُ أنْ تقبلَه حتى تسأل رسول الله ﷺ، فسألته فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨] عندئذ أدخلتها أسماء وقَبِلَتْ هديتها[2].

● وفي الصَّحيح قالت أسماء رضي الله عنها: يا رسول الله، إنَّ أمّي قدمتْ وهي راغبةٌ أفأصِلُها؟

---

(١) تاريخ دمشق (ص ٢٠) تراجم النساء.

(٢) انظر تفسيري القرطبي وابن كثير للآية (٨) من سورة الممتحنة، وانظر أسباب النزول للواحدي (ص ٣٤٩)، والطبقات (٨/ ٢٥٢)، والسمط الثمين (ص ٢٠٥)، وأسد الغابة (٥/ ٣٩٢).

قال: «نعم صِلي أمّكِ»[1].

دُعَاءٌ نَبَوِيٌّ طَيِّبٌ:

● أخرجَ البيهقيُّ رحمه الله في الدّلائل بسنده عن رجل من آل الزُّبير، أنَّ أسماءَ بنت أبي بكر الصّديق رضي الله عنهما؛ أصابها وَرَمٌ في رأسها ووجهها، وأنّها بعثتْ إلى عائشةَ بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ: اذكري وجعي لرسول الله ﷺ لعل الله يشفيني؛ فذكرتْ عائشةُ لرسول الله ﷺ وَجعَ أسماء، فانطلقَ رسول الله ﷺ حتى دخل على أسماء، فوضع يده على وجهها ورأسها من فوق الثِّيابِ فقال:

«بسم الله، اللهم أذهبْ عنها سوءه وفُحْشَه بدعوةِ نبيّك الطّيب المبارك المكين عندك، بسم الله» صَنَع ذلك ثلاث مرات فأمرها أنْ تقولَ ذلك، فقالت ثلاثة أيام فذهب الورم[2].

أَسْمَاءُ والطِّبُّ النَّبَوِيُّ:

● اقتسبتْ أسماء رضي الله عنها كثيراً من هدي رسول الله ﷺ في الطِّب والاستشفاء، من ذلك ما روته فاطمة بنت المنذر أنّ أسماءَ كانت إذا أُتيتْ بالمرأة قد حُمّتْ تدعو لها أخذتِ الماءَ فصبّته بينها وبين جَيْبِها وقالت:

إنَّ رسول الله ﷺ كان يأمرنا أنْ نبرِدَها بالماء، فقال: «أبردوها بالماء فإنّها من فيح جنهّم»[3].

● وقوله ﷺ: «أبردوها بالماء» هذا الخطاب لأهلِ الحجاز، إذ أنّ غالب

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع: في الجزية (٦/ ٢٠١) وفي الأدب (١٠/ ٣٤٧)، وفي الهبة (٥/ ١٧١)، وأخرجه مسلم في الزكاة (١٠٠٣)، وأبو داود في الزكاة أيضاً (١٦٦٨)، وأحمد في المسند (٦/ ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٥).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٨١، ١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ١٧٤)، في الطب: باب: الحمى من فيح جهنم؛ ومسلم (٢٢١١)، في السلام، باب: لكل داء دواء، واستحباب التداوي. «جيبها» وهو ما يكون مفرجاً من الثوب كالكم والطوق.

حميّاتهم ينفعُها الماء البارد شُرْباً واغتسالاً لحرارة الحجاز، و«أبردوها» أي اكسروا حرّها ووهجها؛ و«فيح جهنم» شدّة حرّها وغليانها ـ أجارنا الله برحمته منها ـ ولهذا قال الأطباء: شُرْبُ الماء البارد في الحمّى[1] عند ابتدائها يُضْعفها ويوهن قوتها.

وقال الأطباء أيضاً: إنَّ الماءَ أنفعُ شراب للمحمومين حمّى حادة، لشدّةِ ضاقته، وسرعة نفوذه، وخفته على الطَّبع، وقد يحتاج الماء في بعض الأحوال إلى ما يقوي تبريده فيضاف إليه الثّلج.

مِنْ مَكَارِمِ شَخْصِيةُ أَسْمَاء:

● شخصية أسماء رضي الله عنها تفيضُ بالمكارم والفضائل، فإذا أردت الفصاحة وجدتها ذات منطق وبيان، وبلاغة ساحرة آسرة، فقد كانت حاضرة القلب واللّب تقول الشّعر[2] ومما ورد عنها أنَّها لما قُتل ابنها عبد الله قالت:

ليس لله محرم بعد قوم
قتلوا بين زمزم والمقام

---

(١) قال المناوي رحمه الله في (فيض القدير ٣/ ٤٢١، ٤٢٢): قال رسول الله ﷺ: «الحمّى حظُّ كلِّ مؤمن من النّار، وحمّى ليلة تكفِّر خطايا سنة مُجرّمة».
قال: لأنَّ المؤمنَ مَنْ لا ينفكُّ عن ذنب فتعجَّل عقوبته لطفاً به ليلقى ربَّه طيّباً و«حمى ليلة تكفِّر خطايا سنة مجرّمة»؛ وذلك لأنَّها تهدُّ قوة سنة. فقد قال بعض الأطباء: منْ حُمّ يوماً لم تعاوده قوتُه إلى سنة، فجُعِلَتْ مثوبته على قَدْر رزيّته.
وقيل: لأنَّ للإنسان ثلاثمئة وستين مفصلاً، وهي تدخل في الكلِّ فيكفِّرُ عنه فكلّ مفصل ذنوب يوم.
وقيل: لأنّها تؤثّر في البدن تأثيراً لا يزول بالكليّة إلا إلى سَنة.
ولذلك أحبّ بعضُهم الحمّى فقال في ذلك

زارتْ مُمحّصة الذُّنوب لصبّها أهلاً بها من زائرٍ ومودّعِ
قالتْ وقد عزمتْ على ترحالها ماذا تريدُ؟ فقلتُ: ألاَّ تقلعي

(٢) الأعلام (١/ ٣٠٥).

قتلتهـــــم جفـــــاة عَـــــكَ ولَخْـــــمٍ
وصـــــداء وحِمْيَـــــر وجـــــذام[1]

● ومن فرائد أقوالها، قولها لابنها عبد الله حين قاتل الحجاج: يا بني عش كريماً، ومُتْ كريماً، لا يأخذك القوم أسيراً.

● أمّا عن جودها فقد مرَّ معنا ما يشهدُ بفضلها وسخائها.

● وأما عن مضاء عزيمتها وشجاعتها، فحديثُ الهجرة شاهد لها بذلك وهي فتاة يافعة، وعندما اشتدّ عودُها شهدت مع زوجها الزُّبير وابنه عبد الله معركة اليرموك، وكان لها كبير الأثر يومذاك.

● وقد حفظ الله عزَّ وجلَّ أسماء وأكرمها، إذ بلغتْ مئة سنة ولم يقع لها سِنّ، ولم ينكرْ من عقلها شيء، إنّ هذا لهو الفضل المبين.

أَسْـمَاءُ وابْنُـهَـا والـحجّـاج:

● لأسماءَ رضي الله عنها موقفٌ، بل مواقفُ تدلُّ على حُسن مشورتها، وصائب رأيها، وشجاعتها وصبرها.

● وحديث عبد الله بن الزُّبير وأمّه أسماء رضي الله عنهما آية بالغة، ودليل كفيل بما نقول، فلقد كان عبد الله لا يجاوز رأي أمّه، ولا يستشعر الغناء عن مشورتها ونَهْج سبيلها مهما تطاول به العمر، وأخصبتْ رأيَه التَّجارب

● ذلك أنَّ ابنها عبدَ الله لبثَ على إمْرَةِ المؤمنين، ودانتْ له العراق والحجاز واليمن ثماني سنين، ثم أخذ عبد الملك بن مروان يقارعه، فانْتَقصَ منه العراق، ثم نَثَرَ عبد الملك كنانته فرماه بأصلب عيدانها وأمرِّها الحجّاج بن يُوسف، فأخذ يطوي بلاده عنه حتى انتهى إلى مكة فطوّقها،

---

(١) عك ولخم وصداء وحمير وجذام أسماء قبائل، كما أن لها شعراً يتفجر حماسة عندما كانت ترقصه وهو صغير. انظر كتاب: «أغاني ترقيص الأطفال عند العرب» لأحمد أبي سعد ص (٧٨).

ونصب المجانيق على الكعبة، وأهوى بالحجارة عليها، وفي الكعبة يومئذ أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها.

وكان عبدُ الله يقاتل جند الحجّاج مُسنداً ظهره إلى الكعبة، فيروّع أبطالهم ويفرّقهم وليس حوله إلا أعدادٌ قليلةٌ، والحجّاج بين ذلك كلّه يرسلُ إليه يمنّيه الخير، ويعده بالإمارة في ظلّ بني أمية لو أغمد سيفه، وبسط للبيعة يده.

● ولكنَّ عبدَ الله لم يستجبْ، بل دخل على أمّه ـ وقد طعن يومئذ في السّبعين ـ يستنيرُ برأيها ويستشيرها، فقال: يا أمّه، خذلني النَّاس حتى أهلي وولدي، ولم يبقَ معي إلا اليسير ومَنْ لا دفع له أكثر من صَبْرِ ساعة من النَّهار، وقد أعطاني القومُ ما أردتُ من الدُّنيا، فما رأيكِ؟.

فقالت: الله الله يا بنيّ؛ إنْ كنتَ تعلم أنَّكَ على حقٍّ تدعو إليه فامضِ عليه، ولا تمكّنْ من رقبتك غلمان بني أميّة فيلعَبُوا بكَ، وإنْ كنتَ أردتَ الدُّنيا فبئس العبد أنتَ، أهلكتَ نفسك ومَنْ معك؛ وإنْ قلتَ: إنّي كنتُ على حقٍّ فلمّا وهَنَ أصحابي ضعفتْ نيّتي، فليس هذا فعْل الأحرار، ولا مَنْ فيه خير، كم خُلودك في الدُّنيا؟ القَتْلُ أحسن ما يقع بك يا بن الزُّبير، والله لضربة بالسَّيف في عزٍّ أحبّ إليّ من ضربة السَّوطِ في ذلٍّ.

فقال: يا أماه، أخاف إنْ قتلني أهل الشَّام أنْ يمثلوا بي ويصلبوني.

وهنا قالت أسماء قولتها المشهورة التي جَرَتْ مجرى الأمثال: يا بني إنَّ الشَّاة لا يضرُّها السَّلخ بعد الذَّبح؛ يا بني امضِ على بصيرتك واستعنْ بالله.

فقبَّل رأسها وقال لها: هذا والله رأيي، والذي قمتُ به داعياً إلى الله، ولكنّي أحببتُ أَنْ أطّلعَ على رأيك فيزيدني قوة وبصيرة مع قوتي وبصيرتي.

● وذهبَ عبدُ الله فقاتل وصَبَر، ثم تكاثر عليه أعداؤه فقتلوه وصلبه الحجاج، وظلَّ مدةً وهو مصلوبٌ، فقالت أسماء: اللهمّ لا تمتّني حتى أُوتى به فأحنّطه وأكفّنه، فأُتيتْ به بعد، فجعلت تحنّطه بيدها وتكفّنه بعدما ذهبْ بصُرِه، ثمّ أُدْرِجَ في أكفانه، وصلّتْ عليه، وما أتتْ عليها جمعة إلا ماتتْ رضي الله عنها.

● وكان عُمْرُ عبد الله بن الزُّبير يوم قُتل اثنتان وسبعون سنة، وكان صوّاماً قوّاماً، مُسْتَغْرِقَ السَّاعات في الطَّاعاتِ، بطلاً شجاعاً، ومناقبه كثيرة شهيرة رضي الله عنه[1]؛ وكأنَّما عَنَاهُ الشَّاعر بقوله:

وَصَـــلَ النَّهـــار بليلـــهِ فـــي طـــاعـــةٍ
وصـــلاتُـــه مـــوصـــولـــةٌ بصيـــامِ
كحلَـــتْ بتقـــوى الله مقلتُـــه التـــي
لـــم تكتحـــلْ أجفـــانُهـــا بمنـــامِ

● ووقفتْ أسماء رضي الله عنها أمامَ الحجّاج وقفةً تشيرُ إلى جرأتها ورباطة جأشها، فقد دخل الحجّاج عليها بعد قَتْلِ ابنها فقال: كيف رأيتني صنعتُ بابنِكِ؟.

فقالت: أفسدتَ عليه دنياه، وأفسدَ عليك آخرتك؛ وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنَّ في ثَقيف مبيراً وكذّاباً، فأمّا الكذَّابُ فرأيناه ـ يعني المختار الثَّقفي ـ وأمّا المبير فلا إخالكَ إلا إيّاه[2].

وكأنَّما هذا الكلام قَدْ أَلْجَمَ الحجّاج فلمْ يحِرْ جواباً ولَزِمَ الصَّمت أمامَ هذه الصَّحابية العظيمة.

وفَـاتُـهَـا ووَصيّـتُـهَـا:

كانتْ أسماءُ رضي الله عنها مِنَ المُعمَّرَات من الصَّحابيات حيثُ عاشت

---

(١) عن تاريخ الطبري (٣/ ٥٣٨ و٥٣٩) بشيء من التصرف. وقد وردت هذه القصة في معظم كتب التراجم والمصادر بمعان متقاربة، انظر مثلاً: الطبقات (٨/ ٢٥٤)، وتاريخ دمشق (ص ٢٢ ـ ٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٤ و٢٩٥)، وشذرات الذهب (١/ ٣٠٦ و٣٠٨). وغيرها من المصادر.

(٢) الحديث في صحيح مسلم (٢٥٤٥) في فضائل الصحابة. وانظر الطبقات (٨/ ٢٥٤)، والحلية (٢/ ٥٧)، والإصابة (٤/ ٢٢٥)، وغيرها من المصادر الموثوقة.

مئة سنة، وقد أوصتْ أهلها قبل موتها وصيةً لا نخرج عن الهدي النّبويّ فقالت:

أجْمروا ثيابي - بخّروها بالطِّيب - إذا مُتُّ، ثمَّ حنّطوني، ولا تذروا على كفني حنوطاً، ولا تتبعوني بنارٍ، ولا تدفنوني ليلاً.

● وتوفيتَ أسماء رضي الله عنها بعد مَقْتل[1] ابنها بليال في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، وكانت وفاتها بالمدينة المنوّرة.

● قال الذَّهبيُّ رحمه الله: كانت خاتمة المهاجرين والمهاجرات وفاة.

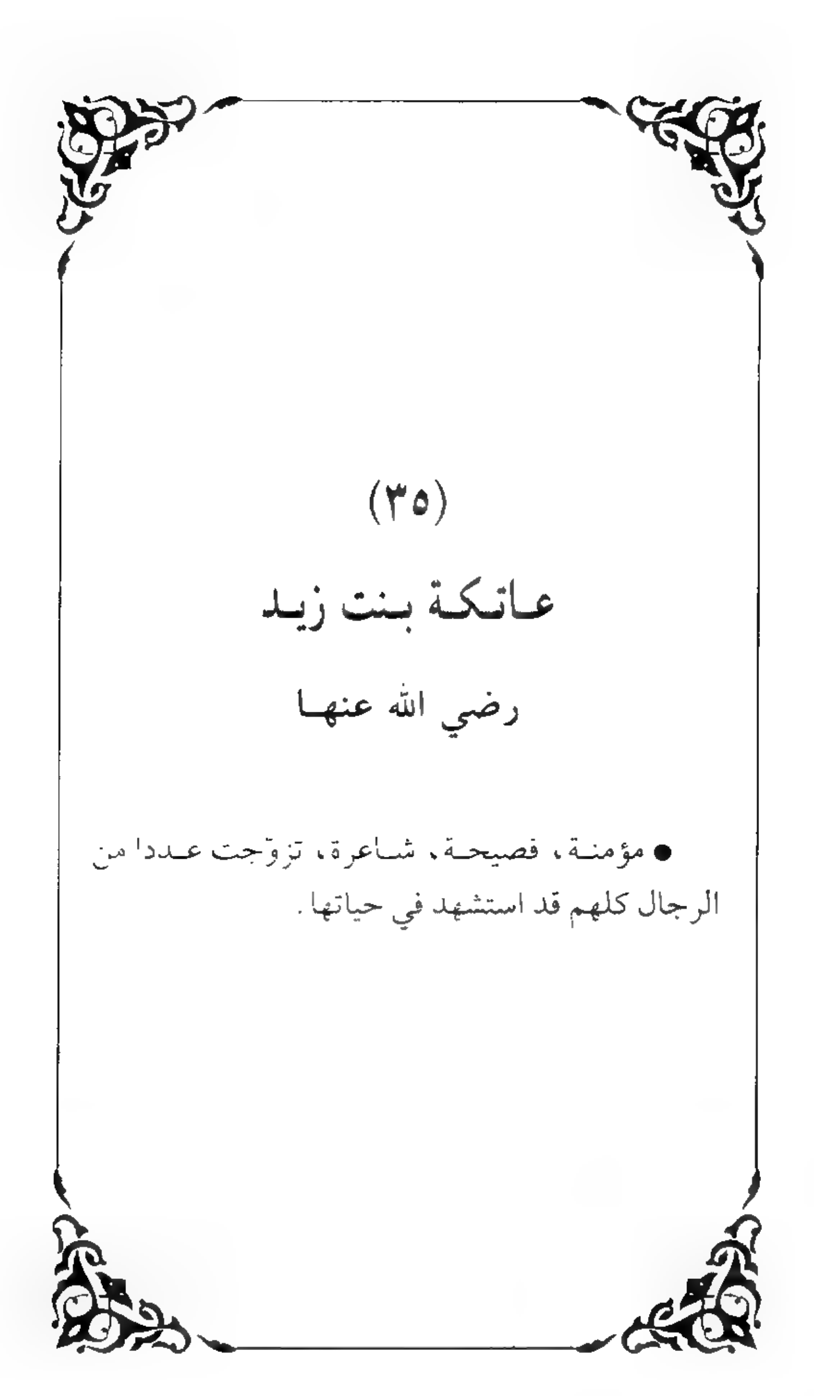
● وبعد، فهذه أسماء، تلك المرأة التي سبقتْ كثيراً من الرِّجال في كثيرٍ من الفضائل، ولله درُّ مَنْ قال:

ولـــو كـــان النّســـاء كمَـــنْ فَقَـــدْنَـــا
لفُضلـــتِ النّســـاء علـــى الـــرّجـــال

● رضي الله عن أسماء ذات النّطاقين، واختصَّها برحمته، والله ذو الفَضْل العظيم.



(١) قتل عبد الله بن الزبير في (١٧) جمادى الأولى سنة (٧٣هـ)، رضي الله عنه، وهذه السنة توافق سنة (٦٩٢م).



(٣٥)

عـاتكـة بنت زيـد

رضي الله عنهـا

● مؤمنـة، فصيحـة، شـاعرة، تزوّجت عـددا من الرجال كلهم قد استشهد في حياتها.

تـرْبِيَـةٌ فَـرِيْـدَةٌ:

● عاتِكَةُ بنتُ زيد بن عمرو بن نفيل القرشيّة العَدَويّة[1].

وأمُّها أمُّ كرُيز بنت الحضرميّ، والحضرميُّ اسمه عبد الله بن عمار بن مالك، وخال عاتكة هو الصَّحابي المشهورة العلاء بن الحضرميّ، وخالتها الصَّعبةُ بنتُ الحضرمي أمّ طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنَّة، وأخوها سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنَّةِ أيضاً.

● اشتهرتْ عاتكةُ بين نساء قريش بالبلاغةِ والفصاحة، وقول الشِّعْر ورجاحة العقل، وقد ورثتْ هذا عن أبيها زيدِ بنِ عمرو أحد الذين ازْدَروا الأصنامَ في قريش - في الجاهلية -، وهو الذي كان يقول:

وأسلمـتُ وجهـي لمَـنْ أسلمـتْ — لـه الأرضُ تحمـلُ صَخْـراً ثِقـالا
دحـاهـا فلمّـا استقـرتْ شـدَّهـا — سـواء وأرسـى عليهـا الجبـالا[2]
وأسلمـتُ وجهـي لمـن أسلمـتْ — لـه المُـزْنُ تحمـلُ عَـذْبـاً زلالا[3]
إذا هـي سيقـتْ إلـى بلـدةٍ — أطـاعـت فصبَّـتْ عليهـا سِجـالا[4]

وبهذه الأبيات وبمثلها كان يترنَّمُ زيد، ويستقبلُ الكعبة ثم يسجد.

● وكان زيد بن عمرو عربياً أصيلاً من قريش، فهو ابن عمّ عمر بن

---

(١) الطّبقات (٨/ ٢٦٥)، والاستيعاب (٤/ ٣٥٤)، وأسد الغابة (٥/ ٤٩٧)، والبداية والنهاية (٨/ ٢٥)، والإصابة (٤/ ٣٤٩).
(٢) «دحاها»: بسطها. «أرسى»: أثبت عليها وثقّلها بها.
(٣) «المزن»: السحاب، وقيل الأبيض منها.
(٤) «السجال»: جمع سجل: وهي الدلو المملوءة ماء، فاستعارها لكثرة المطر.

الخطّاب، وكان أحد منَ اعتزل عبادة الأوثان، وامتنع عن أكل ما ذُبح باسمها، وكثيراً ما أنكر على قريش ذبحها على غير اسم الله قائلاً: يا معشر قريش، أيُرسل الله قَطْر السَّماء، وينبتُ بَقْلَ الأرض، ويخلق السَّائمة فترعى فيه، وتذبحونها لغيره؟!!

● وكان زيد من هؤلاء الذين يتطلّبون المعرفة الحقيقية، ويسعوْن وراءها إلى أن اطمأنتْ نفسُه إلى الحنفيّة، وخاطبَ قريشاً بهذا قائلاً: يا معشر قريش، والذي نفسي بيده ما أصبح فيكم أحدٌ على دينِ إبراهيمَ غيري.

● على مثل هذا المستوى من التَّفْكِير، وعلى شبْهِ هذه الأخلاق الفاضلة نشأت ابنتُه عاتكة، وقد ورثتْ عنه الفَصَاحة، وقول الشِّعر، ورهافة الحسِّ، وذكاء القلب، ونقاء الطَّبْع، والاستعداد للإيمان الصَّادق، إذ إنّه لما انبلجَ الإسلامُ عن نوره، كانتَ عاتكة ممن ابتدرنَ إليه، فأسلمتْ وبايعتْ وهاجرت[1].

زَوْجَـةُ صَحَـابـيّ بـنِ صَحَـابـيّ:

● كانت عاتكة رضي الله عنها ذات خُلُقٍ بارع، وكمال وجمال، وجزالة رأي، ورجاحة عَقْل، قال عنها ابن كثير رحمه الله: كانت من حِسان النِّساء وعبَّادهن.

● وقد تزوَّجها صحابي بن صحابي ألا وهو عبد الله بن أبي بكر الصّدّيق[2] رضي الله عنهما؛ وكانت حسناء جميلة، فأُولع بها ولعاً شديداً، وكان بها

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٦٥).

(٢) عبدُ الله بن أبي بكر الصِّديق القرشيّ الصَّحابيّ بن الصَّحابيّ رضي الله عنهما وهو أخو أسماء بنت أبي بكر لأبويها وأمّهما قتيلة بنت عبد العزى العامريّة. وهو الذي كان يأتي النبي ﷺ وأبا بكر بالطَّعام وبأخبار قريش إذ هما في الغار. أسلم قديماً وشهد الفتح وحنيناً والطَّائف، وجُرح يوم الطَّائف، وبرأ ثم نقض جرحه فتوفي سنة (١١هـ) في أوائل خلافة أبيه، وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٦٢)، و(المعارف ص ١٧٣).

معجباً، وتتيَّم بها، وشغلتْهُ عن أمورِ معاشه وتجارته، كما شغلتْهُ عن مغازيه، وكانت قد غلبتهُ في كثيرٍ من أمره، مما جعل والده يأمره بطلاقها، وعزم عليه بذلك فلم يسعَهُ أَنْ يخالفَ أمرَهُ، فطلَّقها تطليقةً، وقال:

يقــولــون طلِّقْهــا وخيِّــمْ مكــانَهــا
مقيمــاً تمنِّــي النفــسَ أحــلامَ نــائــم

وإنَّ فــراقــي أهــل بيتــي جميعَهــم
علــى كــرهٍ منــي لإحــدى العَظــائــم

غير أنَّ عبدَ الله تبعتْها نفسُه، وتألَّمَ أشدَّ الألم لفراقها حتى أثَّرَ فيه ذلك، وظهرتْ آثارُ الحزنِ على وجهه وفي جسمه، وسمعه أبوه وهو يقول:

أعــاتــكُ لا أنســاكِ مــا هبّــتِ الصَّبَــا
ومــا نــاحَ قُمــريُّ الحمــامِ المطــوَّقُ

أعــاتِــكُ لا أنســاكِ مــا حــجَّ راكــبٌ
ومــا لاحَ نجــمٌ فــي السَّمــاء معلّــقُ

أعـــاتـــكُ قلبـــي كـــلّ يـــومٍ وليلـــة
إليــك بمــا تخفــي النُّفــوس معلَّــقُ

ولـــولا اتقـــاءُ الله فـــي حـــقِّ والـــدٍ
وطــاعتــه مــا كــان منّــا التَّفــرقُ[1]

ولما سمع أبو بكر رضي الله عنه شِعْرَ ابنه، وعرف تعلّقه بعاتكة[2]، رقَّ له

---

(١) نوادر المخطوطات (١/ ٦٢)، وللأبيات روايات أخرى وكلها وردت بمعان واحدة تقريباً.

(٢) عاتكةُ: امرأةٌ عاتكة: مُخمرةٌ من الطِّيب؛ وقيل: بها رَدْعُ طيب.
وسميت المرأةُ عاتكة: لصفائها وحُمرتها. وفي الحديث النبويّ قال ﷺ: «أنا ابن العواتك من سُليم». والعواتك جَمْع عاتكة؛ وأصل العاتكة: المتضمّخَةُ بالطِّيب.
والعواتكُ من سُلَيْم: ثلاث يعني جدَّاتُه ﷺ وهن:
عاتكةُ بنتُ هلال بن فالج بن ذكوان أمُّ عبد مناف بن قصيّ جدّ هاشم.
وعاتكةُ بنتُ مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان أمُّ هاشم بن عبد مناف. =

لشدة حبِّه لها، فأذنَ له أنْ يراجعَها، فارتجعها وقد قال فيها حين راجعها:

لِهَيْنَكِ أنِّي لا أرى فيكِ سخطةً
وأنَّكِ قد حلَّتْ عليكِ المحاسنُ

فإنَّك ممَّنْ زيَّنَ اللهُ أمره
وليس لما قد زيَّنَ اللهُ شائنُ

● وعادتِ الحياةُ إليه من جديد، ثم شهد عبد الله رضي الله عنه الطَّائف مع رسول الله ﷺ، فرُمِيَ بسهم فأصابه، فانتقضَ الجرحُ بعد وفاة رسول الله ﷺ بأربعين ليلة فمات شهيداً، فرثته عاتكة رثاءً يقطر لوعة وأسىً، ويسيل روعةً ورقةً فقالت:

رزِيتُ بخيرِ النَّاس بعد نبيِّهم
وبعْدَ أبي بكرٍ وما كانَ قصَّرا

= وعاتكةُ بنتُ الأوقَص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان أمُّ وهب بن عبد مناف بن زُهرة جدّ رسول الله ﷺ أبي أمّه آمنة بنت وهب.
فالأولى من العواتك عمّةُ الوسطى، والوسطى عمّة الأخرى. وبنو سُليم تفخر بهذه الولادة. ولبني سُليم مفاخر منها:
أنّها ألَفَتْ معه يوم فتح مكة. أي شهده منهم ألفٌ، ولذا قالوا: ألَفتْ سُليم، وأَلَّفَتْ مُزَينة، ولم يتخلّف أحدٌ من المهاجرين والأنصار.
وأنَّ رسول الله ﷺ قدَّمَ لواءَهم يومئذٍ على الألوية وكان أَحْمَر.
ومنها أنَّ عمر رضي الله عنه كَتَبَ إلى أهلِ الكوفةِ، ومصرَ، والشام أن ابعثوا إليَّ من كلِّ بلدٍ أفضله رجلاً،
فبعث أهل الكوفة عُتبةَ بن فَرْقَد السُّلميّ
وبعث أهل مصر مَعْنَ بن يزيد السُّلميّ.
وبعث أهل الشَّام أبا الأعور السُّلميّ
وسائر العواتك أمّهات النَّبيّ ﷺ من غير بني سُلَيم. قال ابن بري: والعواتك اللاتي ولدته ﷺ اثنتا عشرة: اثنتان من قريش، وثلاث من سُليم وهن اللواتي أسميناهن؛ واثنتان من عَدوان؛ وكنانيّة، وأسديّة، وهُذليّة؛ وقُضاعيّة، وأَزْديّة.

فـــآليـــتُ لا تنفـــكُّ عينـــي سخينـــة

عليـــكَ ولا ينفـــكُّ جلْـــديَ أغْبَـــرا

مـدى الـدَّهـرِ مـا غنّـتْ حمـامـة أيكـةٍ

ومـــا طـــردَ الليـــلُ الصَّبـــاحَ المنـــوِّرا

فللــــه عينـــاً مَـــنْ رأى مثلـــه فتـــىً

أكـــرَّ وأحمـــى فـــي الجهـــاد وأصْبَـــرا

إذ شـــرعـــت فيـــه الأسنـــةُ خـــاضهـــا

إلـى المـوت حتـى يتـرك الـرّمـح أحمـرا

زَوَاجُـهَـا مِـنْ عُـمَـرَ رضي الله عنـه:

● لما احتضر عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما قال لزوجه عاتكة: لك حديقةٌ من مالي ولا تتزوجي. فلما انقضتْ عدتها، خطبها عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقالت: إنّي قد جعلتُ على نفسي ما لا أقدرُ معه على التّزويج.

فقال: استفتي.

فاستفتيت عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: ردّي عليهم ما أخذْتِهِ منهم وتزوّجي.

● فردتِ الحديقة، فتزوّجها عمر رضي الله عنه، فلمّا دخل بها أَوْلَمَ، فدنا عليٌّ رضي الله عنها مِنْ خدرها ـ بعد أن استأذنَ زوجها عمر ـ وقال لها مازحاً: أأنتِ القائلة:

فـــآليـــتُ لا تنفـــكُّ عينـــي سخينـــة

عليـــكَ ولا ينفـــكُّ جلـــديَ أَغْبَـــرا؟

فبكتْ، فقال عمر: غفر الله لك، ما أردتَ إلا أنْ تفسَد علينا أهلنا، أسألكُ بالله إلا كَفَفْتَ.

وفي رواية قال له عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا حسن؟ كلّ النِّساء يفعلن هذا.

وكان زواج عمر بعاتكةَ في سنة اثنتي عشرة من الهجرة[1].

عَـاتِـكَـةُ وعُـمَـر:

● احتلّتْ عاتكة منزلةً رفيعةً عند عمر رضي الله عنهما، واقتبستْ كثيراً من علمه وزهده، وكان لها محبّاً وبها معجباً، وكانت تقبِّلُ رأسه وهو صائم فلم ينْهَهَا.

● غير أنَّ قرابتَها ومكانتَها لا تسمحان لها إلا وأنْ تكون واحدة من المسلمات من رعيّتِهِ، فقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله في كتاب الزُّهد، عن إسماعيل بن محمّد بن سعد بن أبي وقّاص قال:

قدمَ على عمر رضي الله عنه مِسْكٌ وعَنْبرٌ من البحرين، فقال عمر: والله، لوددت أنّي وجدتُ امرأةً حَسَنَةَ الوَزْنِ تزِنُ لي هذا الطِّيب حتى أقسمه بين المسلمين.

فقال امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهما: أنا جيّدة الوَزْن فهلّم أزن لك.

قال: لا.

قالت: لِمَ؟.

قال: إنّي أخشى أنْ تأخذيه فتجعليه هكذا ـ أدخلَ أصابعه في صُدْغَيه ـ وتمسحين به عنقَكِ فَضْلاً على المسلمين[2].

● وهكذا كانت حياتُها مع عمر رضي الله عنه حياة عَدْل وزهد وعبدة ونُسكٍ، وقد كانت تكبرُ فيه هذه الصِّفات العظيمة.

● وكانت عاتكة رضي الله عنها تحضر مع عمر صلاة الجماعة، إذ كانت تستأذنه إلى المسجد، فكان يقول لها إذا استأذنته إلى المسجد: قد عرفتِ هوايَ في الجلوس ـ يعني كراهية خروجها ـ.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٢٩).

(٢) انظر الزهد (ص ١٤٨) طبعة دار الكتب العلمية.

فتقول له: لا أَدَعُ استئذانك ـ وكان عمر لا يمنعها عن الخروج إذا استأذنته ـ، وقد طُعِن سيّدنا عمر وهي في المسجد فمات شهيداً، فقالتْ ترثيه من قصيدة:

عيــــنُ جـــــودي بعبـــــرةٍ ونحيـــــبِ
لا تملّـــــي علــــى الإمـــام النَّجيـــبِ
قُــلْ لأهــل الضَّــراء والبـؤس مــوتــوا
قــد سَقَتْــه المنــون كــأْسَ شَعُــوب

● وقالت ترثيه أيضاً، وقد ذكرت أبرزَ صفاته:

وفجّعنــــــــــي فيـــــــــروزُ لا دَرَّ دَرُّهُ
بـــأبيـــضَ تـــالٍ للكتـــابِ مُنيـــب
رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدى
أخـــي ثقـــةٍ فـــي النـــائبـــاتِ مُجيـــبِ
متى مـا يقُـلْ لا يكـذب القـوْلَ فعلُـهُ
سـريـعٍ إلـى الخيـرات غيـر قطـوب[1]

● ومن جميل رثائها في عمرَ قولُها:

مَــــنْ لنفْـــسٍ عَـــادهـــا أحـــزانُهـــا
ولعيـــــنٍ شفّهـــا طـــولُ السَّهَـــــدْ
جَسَـــدٌ لُفِّـــفَ فـــي أكفـــانـــه
رحمــــةُ الله علـــــى ذاكَ الجســـــدْ
فيــــه تَفْجيـــعٌ لمـــولـــىً غـــارمٍ
لـــم يـــدعـــهُ الله يمشـــي بِسَبَـــد[2]

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٥٧٥)، والبداية والنهاية (٧/ ١٤٥)، وشاعرات العرب (ص ٢٣٤ و٢٣٥).

(٢) «السَّبد»: القليل من الشَّعر؛ يقال: ماله سبد ولا لبد: أي لا شعر له ولا صوف يقال لمن لا شيء له. ولم يدعه الله يمشي بسبد: ظل فقيراً لا شيء له.

مَعَ حَوَارِيِّ النَّبِي ﷺ:

● لما استشهد سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خطبها حواريّ رسول الله ﷺ الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه، فشرطتْ عليه ألاّ يضربها ولا يمنعها منَ الحقّ ولا من الصَّلاة في المسجد النّبوي ـ وكانت في الزُّبير شدة على النِّساء ـ فلمّا ملكها قال: يا عاتكة لا تخرجي إلى المسجد.

فقالت: يا بن العوام أتريدُ أنْ أدعَ لغيرتكَ مصلّى صلّيتُ فيه مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر؟.

قال: لا أمنعكِ.

فلمّا سمع النِّداء لصلاة الصُّبح توضأَ وخرجَ، فقامَ لها في سقيفة بني ساعدة، فلما مرَّتْ به ضرب بيده على عُجَيزتها ـ وهي لا تدري مَنْ هو ـ فقالت: مالكَ قَطَعَ الله يدَكَ! ورجعتْ إلى بيتها واسترجَعَتْ[1] فلما رجع من المسجد قال: يا عاتكة ما لي لَمْ أَرَكِ في مصلاَّكِ؟.

قالت: يرحمك الله أبا عبد الله فسَد النَّاس بعدك، الصَّلاة اليوم في القَيْطُون ـ المخدع ـ أفضل منها في البيت، وفي البيت أفضل منها في الحجرة، ولم تخرجْ بعد ذلك، وصلَّتْ في بيتها.

● وقُتِلَ عنها الزُّبير رضي الله عنه غيلة يومِ الجمل بوادي السّباع[2]، قتله عمرو بن جُرْمُوز سنة (٣٦هـ) ورثته فقالت:

غــدرَ ابــن جُــرْمُــوز بفــارس بُهْمَــةٍ
يــومَ اللقــاءِ وكــان خيــر معــرِّد[3]

يــا عمــرو لــو نبّهتــه لــوجــدتَــه
لا طــائشــاً رَعِــشَ الجَنَــان ولا اليــدِ

---

(١) قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) بين البصرة ومكة، ببعد عن البصرة خمسة أميال.

(٣) «البهمة»: واحدة البهم، وهي معضلات الأمور. «المعرد»: من التعريد: وهو الفرار والهرب.

شلّت يمينك إن قتلت لمسلماً
حلّت عليك عقوبة المتعمد
إنّ الزّبير لذو بلاء صادقٍ
سَمْحٌ سجيته كريم المشهد

● ولما قُتل عنها الزّبير رضي الله عنه، خطبها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعد انقضاء عدتها، فأرسلتْ إليه تقول:

يا أمير المؤمنين، أنتَ بقية الناس وسيّد المسلمين، وإنّي أشفقُ عليك يا بن عمّ رسول الله عن القتل، لم أتزوّجْ رجلاً إلا قُتل. ولهذا كان أهل المدينة يقولون: منْ أرادَ الشّهادة فليتزوجْ عاتكةَ بنتَ زيد، كانت عند عبد الله ابن أبي بكر فقُتل عنها، ثم كانت عند عمر بن الخطّاب فقُتل عنها، ثم كانت عند الزّبير فقتل عنها، وقد رثتهم جميعاً رضي الله عنها وعنهم

سَيّدَةُ الرِّثَاء:

● لنساء الصّحابة رضوان الله عليهن مظاهر من الوفاء كلّها حَسَنٌ جميل، وعاتكة بنت زيد رضي الله عنها من أحملِ النّاس للنّازِلة، وأَصْبرهم على المُلمّة، وقد رأينا في رثائها لأزواجها حزنها الذي تمثّل بشعْرِها الذي كان قطَعاً منْ قلبها ومشاعرها.

● إلا أنّ عاتكةَ رضي الله عنها ارتقتْ ذروة الرِّثاء، واقتعدت سُدَّتَه عندما رثتِ النّبيَ ﷺ في قصيدة حزينة هادئة، وقد استمدّتْ وحْيَ بلاغتها وسِحْرَ بيانها من صبيب قلبها وخطرات سرائرها فقالت:

فأمستْ مراكِبُهُ أوحشتْ
وقد كان يركبُها زيْنُها
وأمستْ تبكّي على سيِّد
تُرَدّدُ عبرتَها عينُها
وأمستْ نساؤك ما تستفيقُ
من الحُزنِ يعتادها دينُها

وأمســـتْ شـــواحـــبَ مثـــل النِّصـــا
ل قـــدْ عُطِّلـــتْ وكبـــا لـــونُهـــا

يعـــالجـــن حـــزنـــاً بَعيْـــدَ الـــذَّهـــا
بِ وفـــي الصَّـــدر مُكتَنِـــعٌ حينُهـــا[1]

هـــو الفـــاضـــل السَّيِّـــد المصطفـــى
علـــى الحـــقِّ مجتمـــعٌ دينُهـــا

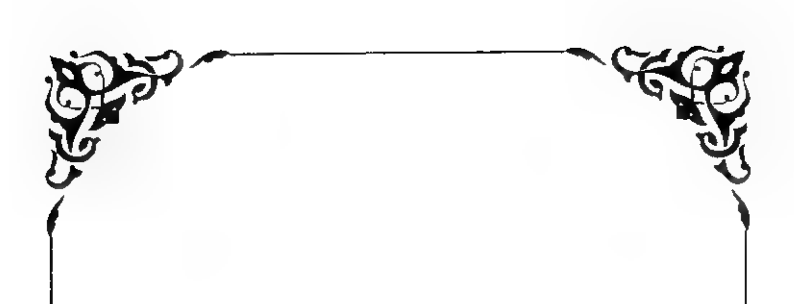
فكيـــفَ حيـــاتـــيَ بعـــد الـــرَّســـو
ل وقـــد حـــان مـــن ميتـــةٍ حينُهـــا[2]

● هذا، وقد عاشت عاتكةُ بنت زيد رضي الله عنها عابدة زاهدة طيلة الخلافة الرّاشدة، وفي عام أربعين[3] من الهجرة ودّعتْ عاتكةُ الحياة الدُّنيا، وانتقلتْ إلى جوارِ ربِّها.

● رضي الله عن عاتكةَ ونضّر قبرها، وأنعمَ علينا برحمته مع منْ أحبَّ

* * *

(١) «اكتنع الموت»: دنا واقترب.
(٢) الطبقات (٢/ ٣٣٢).
(٣) هذه السنة توافق عام (٦٣٥هـ)، بينما ذكر ابن كثير رحمه الله أنها توفيت في سنة (٤١هـ) رضي الله عنها.



(٣٦)

نسيبة بنت كعب الأنصارية

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تُقاتل دوني».

● وقال عليه الصلاة والسلام:

«الحمد لله الذي ظفَّرك، وأقرَّ عينك من عدوِّك، وأراكِ ثأرك بعينك».



التَّسابقُ إلى المكارِمِ:

● إنَّ نساءَ الصَّحابة لم يدعْن لرجالهنَّ خلَّةً يستأثرنَ بها دونهن، ولم يترْكنَ سبيلاً خيِّراً من سُبُل العظائم، ولا مشْرفاً مِنْ مشارف المكارم، إلا وكنَّ منَ السَّابقات إليه، حتى لقد جاذَبْن الرِّجال حَبْلَ البطولة، واصطلين بنيران الحربِ، وأبدعن في ساحات الجهاد حين دعتِ الحاجةُ لذلك.

● ونسيبةُ بنتُ كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول الأنصارية الخزرجية النَّجارية المازنية، أمّ عمارة[1]، منْ أشهر نساء الصَّحابة في مطلع النور، وممن حازتْ أعلى الشَّهادات في مقام الجهاد، والعلم، والنُّسك، والورع، والسَّبْقِ إلى ساح الإيمان، وغيرها من المكارم التي ترفع مقام كل إنسان.

الأُسرةُ الفَاضِلَةُ:

● نشأت أمُّ عمارة رضي الله عنها في أسرةٍ عُرفتْ بالفضل والمكارم طيلة حياتها، وكانت أسرتها مِنَ الأُسَر الكريمة التي أسهمت في خدمة الإسلام والمسلمين بكل طاقاتها، وفي مقدمتهم بطلة الأنصار أمّ عمارة رضي الله عنها.

● فقد كان أخوها عبد الله بن كعب المازني منَ البدريين.

● وكان أخوها عبد الرحمن من البكَّائين[2].

---

(١) الطبقات (٨/ ٤١٢)، والاستيعاب (٤/ ٤٥٥)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٤).

(٢) البكَّاؤون سبعةٌ من الصَّحابة وهم: سالم بن عمير؛ وعُلْبة بن زيد؛ وعبد الرحمن بن كعب أبو ليلى؛ وعمرو بن الحُمام؛ وعبد الله بن المعفل المزني؛ وهرميُّ بن عبد الله، وعِرْباض بن سارية رضي الله عنهم، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وطلبوا منه ما يحملهم عليه من الإبل أو غيرها ليجاهدوا في سبيل الله، فلم يجدوا عنده ما يحملهم عليه، فتولَّوْا وأعينُهم تفيض من الدّمع حزناً ألاّ يجدوا ما ينفقون، فسموا البكّائين، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا

● أمّا زوجها زيد بن عاصم بن عمرو، فهو من السّابقين إلى الإسلام. وولدها حبيب[1] وعبد الله[2] ابنا زيد صحبا النّبي ﷺ، وهما من فرسان مدرسة النُّبوةِ، وقد عطَّرا التَّاريخ بأعمالهما الوضيئة.

● ثم خَلَفَ عليها بعد ذلك: غزيّة بن عمرو بن عطية النَّجاري فولدت له تميماً وخولة[3]، وكانت هذه الأسرة الفريدة السَّعيدة مِنَ الذين أكرمهم الله بالإسلام فأخلصوا له جميعاً، وقدّموا خدماتٍ جليلةً ما يزال أريجها المعطار يفوح بالشّذا على مرّ الزّمان.

الصَّحابيّة المُجَاهِدَةُ:

● لكلّ بطلٍ منْ أبطالِ المسلمين موقفٌ عُرِف به، وكان مَهْبِط الشَّرف من حياته، ومَعْقِد الفخر من سيرته التي تصاحبه في حياته، وتروى بعد مماته.

● وليس هناك موقفٌ أملأ للقلب، وأملك للنَّفسِ، وآثر في التاريخ، من موقف أمّ عمارة التي قَطَعَتْ شوطاً بعيداً في الجهاد، فهي أولُ مقاتلةٍ في الإسلام.

= ﴿يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]: أي لم يكن عليهم إثمٌ لو لم يخرجوا معكَ لعدم وجودِ القدرة على الخروج لديهم. (تفسير الخازن ٣/ ١٣٦)، والدرر (ص٢٨٧)، و(الفصول في سيرة الرسول ص ٢١١).

(١) ابنها حبيبُ بن زيد بن عاصم، أرسله النّبي ﷺ إلى مُسيلمة الكذاب، فكان مسيلمة إذا قال له: أتشهدُ أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم؛ وإذا قال: أشهد أنّي رسول الله؟ قال: أنا أصمُّ لا أسمعُ، ففعل ذلك مراراً، فقطعه مسيلمة عضواً عضواً، فمات شهيداً رضي الله عنه، ورثاه مالك بن عمرو الثقفي بقصيدة جميلة مطلعها:
وقال له الكذاب تشهد أنّني رسولٌ فنادى إنّني لستُ أسمعُ
(أسد الغابة ١/ ٣٧٠)، و(الإصابة ٣/ ٣٢٩).

(٢) وابنها الآخر: عبد الله بن زيد؛ الذي حكى وضوء رسول الله ﷺ، شهد أحداً وقتل يوم الحرّةِ وهو الذي قتل مسيلمة الكذاب بسيفه.
(سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٢).

(٣) الطبقات (٨/ ٤١٢).

● قال الذَّهبي رحمه الله: أمُّ عمارة الفَاضلةُ المجاهدة، شهدتْ ليلة العقبة، وشهدتْ أحداً، والحديبية، ويومَ حُنين، ويومَ اليمامة. وجاهدت وفعَلَتِ الأفاعيل.

● وأولُ مشهد رأينا فيه هذه البطلة في العقبة تصْحبها امرأةٌ أخرى تدعى أسماء بنت عمرو أمُّ منيع[1].

● وفي غَزَاةِ أُحُد تألَّقَ نجمُ أمّ عمارة، فانتضتْ سيفها لمّا دعت الحجة لذلك، إذْ خرجت يومها تسقي الظَّماء، وتأسو الجراح، وكانت غُرّةُ الحرب وطلعتها للمسلمين، ولكنّه لما بدأ وَجْه المعركة يتبدّل، وانكشفَ المسلمون، وولّوا مدبرين عدا بضعة أبطال، هنالك جاء دور أمّ عمارة، فانتضتْ سيفها، وأخذتْ ترساً، وراحتْ تدافعُ عن النّبي ﷺ، فكانت مِنَ أظهر القوم أثراً، وأعظمهم موقفاً.

● وكانت لا تكاد ترى الخطر يدنو من رسول الله ﷺ، حتى تسرع لإزالته وإبعاده، حتى قال عنها صلوات ربي وسلامه عليه: «ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تُقاتل دوني»[2].

«الحمدُ لله الذي ظَفَّرَكِ»:

● المعركةُ لا تزال مستمرة، والأسرةُ المجاهدةُ تدور حول الرسول ﷺ تقيه بنفسها. وجرَح أحدُ المشركين ابنَها عبد الله جرحاً بليغاً، وربطتْ أمُّ عمارة جراحه، ثم قال له: انهضْ بنيّ فضارِب القوم؛ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يطيق ما تطيقين يا أمّ عمارة؟!».

● وأقبل الذي جرحَ ابنها عبد الله، فقال رسول الله ﷺ لها: «هذا ضارب

---

(١) اقرأ سيرتها في هذا الكتاب.
(٢) عن الطبقات (٨/ ٤١٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٩)، والسيرة النبوية لدحلان (٢/ ٤٨) بتصرف.

ابنك»؛ فاعترضته، وضربت ساقه بالسيف فبرك، فتبسَّمَ النَّبي ﷺ وقال: «استقدت يا أمّ عمارة».

ثم أجهزت أمّ عمارة ومَنْ معها على ذلك الرَّجل المشرك حتى مات، فقال النبيُّ ﷺ: «الحمد لله الذي ظفَّرك، وأقرَّ عينك مِنْ عدوِّكِ، وأراكِ ثأركِ بعينك»[1].

رفَـقَـاءُ الـجَنَّـة:

• وفي أحد جُرحت أمّ عمارة رضي الله عنها بضعة عشر جرحاً، وكان أكبرها جرحاً عميقاً في عاتقها أصابها به ابنُ قميئة، ونظر رسول الله إلى جرحه فأمر ابنها عبد الله أنْ يعصبه، وقال: «بارك الله عليكم مِنْ أهل بيت، رحمكم الله أهل البيت».

وسمعته أمّ عمارة فقالت: ادعُ الله أنْ نرافقك في الجنة، فقال ﷺ: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنّةِ». قالت أم عمارة: ما أبالي ما أصابني من الدنيا[2].

• وانتهتِ المعركة، وظلّتْ أمُّ عمارة تداوي جراحتها سنةً كاملة، وكان رسول الله ﷺ يتفقَّدُ أخبارَها ويطمئنُّ على أحوالها.

مـوَاصَلـةُ الـجهَـاد:

• شاركتْ أمُّ عمارة رضي الله عنها في غزوة بني قُريظة. وفي الحديبية، كانت قد شدّتْ سكيناً بوسَطِها حذراً من غَدْرِ المشركين، وبايعتْ رسول الله ﷺ بيعةَ الرِّضوان؛ فحظيت برضوان الله عزَّ وجلَّ.

• وبعد ذلك شهدتْ خَيْبر، ثم شهدت عمرة القضية، ويومَ حنين، وما أدراكَ ما يوم حنين؟! كان لها مواقفُ رائعة لا تقلُّ تألّقاً عن يوم أحد، إذ كانت من المئة الصَّابرة الذين تكفَّلَ الله بأرزاقهم يومذاك، واستطاعت أنْ تقتلَ أحد فرسان المشركين أيضاً.

---

(١) عن الطبقات (٨/ ٤١٤)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٠) بتصرف يسير.
(٢) عن الطبقات (٨/ ٤١٥)، والسيرة النبوية لدحلان (٢/ ٤٨) بتصرف.

• وتختمُ أمُّ عمارة جهادها في معركة اليَمامة، حيثُ خرجت للقضاء على المرتدين ورأسِهم مسيلمة الكذاب، وقاتلتْ يومها قتالاً شديداً وقُطعت يده، بَيْدَ أنّها لمْ تكترثْ لهذا، وإنّما كان همُّها أنْ يَقْطعَ الله دابر الكافرين، فكان ذلك بمقْتَلِ مسيلمة وأعوانه، وسجدتْ لله شكراً بانتهاء هذه الفتنة.

• وعادتِ المجاهدةُ الكبيرة إلى المدينة، وقد سبقها عضْوٌ منه يبشرها بالجنّة؛ وظلَّت أمُّ عمارة تحظى بالمكانة اللائقةِ في حياة الخلفاء الراشدين، فكان أبو بكر رضي الله عنه يأتيها ويسأل عنها.

أمّا عمر رضي الله عنه فقد خصّها بكساءٍ جيّد، وذلك لمكانتها وسابقتها في الإسلام.

ولله درُّ أبي نعيم إذ وصفها بقوله: أمُّ عمارة المبايعة بالعقبة، المحاربة عن الرِّجال والشَّيبَةِ، كانت ذات جدّ واجتهاد، وصومٍ ونُسك واعتماد[1].

في رِحاب القُرآن والحديث:

• كما أبدعتْ أمُّ عمارة رضي الله عنها في الجهاد، أبدعتْ كذلك في فهْم آيات الذِّكر الحكيمِ، فقد وردَ أنها أتتْ رسول الله ﷺ فقالت: ما أرى كلَّ شيء إلا للرِّجال، وما أرى النِّساء يُذْكرن بشيءٍ، فنزلتْ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ..﴾ [الأحزاب: ٣٥][2].

• وفي مجال الحديث النَّبوي الشَّريفِ، روتْ عن النَّبي ﷺ، وروى عنها حفيدها عبَّاد بن تميم، والحارث بن عبد الله بن كعب، وعِكْرمة مولى ابن عباس[3].

• ومن مرويات أمِّ عمارة أنَّ رسول الله ﷺ دخل عليها، فدعتْ له بطعام، فدعاها لتأكل فقالت: إنِّي صائمة؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الصائم إذا أكلَ

---

(١) الحلية (٢/ ٦٤).
(٢) الاستيعاب (٤/ ٤٥٦).
(٣) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٤).

عنده صلّتْ عليه الملائكة حتى يفرغوا»[1].

● وزيارة النّبي ﷺ لأمّ عمارة، دليل على أنّها منْ أهلِ الفَضْل، كما هو دلالة على كرمها ونسكها وزهدها وعبادتها لأنّها كانت صائمة صيامِ نَفْلٍ رضي الله عنها.

كـرَامَـتُـهَـا:

● لأمّ عمارة رضي الله عنها كرامات كثيرة، منها تبرّكها بآثار النّبي ﷺ. ففي الحديبية، حَلَقَ رسولُ الله ﷺ رأسه، فأخذَ النّاس من شعره الشَّريف، وأخذت أمّ عمارة طاقاتٍ منه، فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ[2].

● ولما قُطعتْ يدها في اليمامة ـ تلك اليد التي طالما دافعت بها عن رسولِ الله ﷺ ـ فكان النّاسُ يأتونها بمرضاهم لتستشفي لهم، فتمسح بيدها على العليل، وتدعو له، فقلّما مسحتْ بيدها ذا عاهةٍ إلا برىءَ بإذْنِ الله[3].

هـلْ نقـولُ وَدَاعَـاً؟:

● وبعد، فقد عشْنا لحظاتٍ ندية رخية معطاء مع سيرة صحابية جليلة جمعتْ مِنْ كلٍّ فضيلة بطرف، فكانت أمّاً وزوجاً عطوفاً، وكانت مجاهدة فاضلة وفيّة، ومحدِّثة وراوية واعية؛ وفي فضيلة التَّسابق الإيماني كانت منَ السّابقات إليه، فلا تكاد تمرُّ سيرة الصَّحابيات إلا وذُكرت أمّ عمارة وتُذكر بيعته المشهورة في العقبة وفي الحديبية، فافتتحتْ تاريخها بالوفاء واختتمته بالوفاء، فقد لقيت ربّها[4]، وتركت وراءها سيرتها المعطار قدوة لكلِّ امرأة

---

(١) الحلية (٢/ ٦٥)، والحديث أخرجه الترمذي أيضاً، ومن الجدير بالذكر أن أصحاب السنن قد رووا لأم عمارة ثلاثة أحاديث.

(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٧١٣).

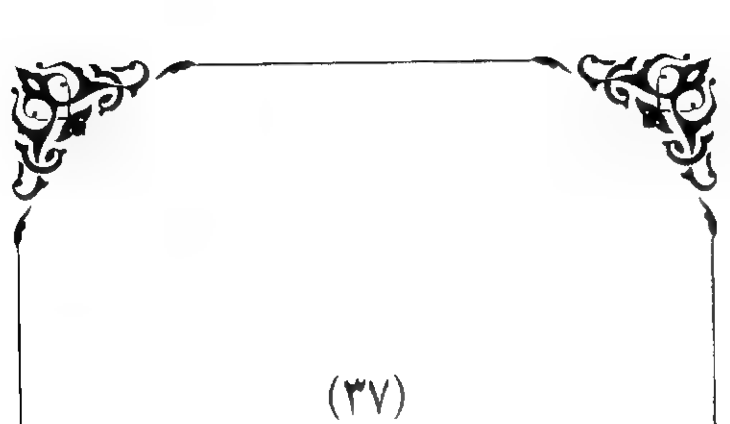
(٣) الروض الأنف (٢/ ٢٠١) بتصرف يسير جداً.

(٤) معظم الدلائل تشير إلى أن وفاة أم عمارة رضي الله عنها كانت في مطلع خلافة سيدنا عمر؛ وذكر الزركلي ـ رحمه الله ـ في الأعلام أنها توفيت سنة (١٣هـ)، رضي الله عنها.

لتحذو حَذْوَها في الفضائل المتمثِّلةِ في شخصيتها.

● وتعالوا ونحن في وَداع سيرة أمّ عمارة ـ وأسرتها ـ رضي الله عنهم، أنْ ندعو الله عزَّ وجلَّ أنْ يجعلنا رفقاءهم في الجنّة. وحسنَ أولئك رفيقاً؛ فهل نقول وداعاً؟!!.

* * *



(٣٧)

أم رومـان بـنت عـامر

رضي الله عنهـا

● قال ﷺ:

«اللهم إنه لم يَخفَ عليك ما لقيتْ أمُّ رومان فيكَ وفي رسولكَ».

● وقال عليه الصلاة والسلام:

«من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أمّ رومان».



إلى أمِّ الـقُرى:

● بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا...﴾ [إبراهيم: ٣٥].

● هذه مكة أمّ القرى التي تهوي إليها الأفئدةُ من كلِّ مكان قد بدتْ عند إشراقة الصَّباح، يتوسطها البيت العتيق؛ الذي جعلهُ الله عزَّ وجلَّ مثابةً للنّاسِ وأمْناً؛ كان هناك ركبٌ صغيرٌ يتوجَّهُ نحوها، وهذا الرّكبُ لا يتعدى سوى رجل وامرأة وولد، قدموا من السَّرَاة للإقامة في مكة حيث الأمن والأمان، ولم يكن أفراد الرَّكْبِ القادم سوى أمّ رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية[1]، وزوجها عبد الله بن الحارث الأزدي، وولدهما الطُّفيل.

● وأقامتْ هذه الأسرة في مكة، وعلى ما جَرتْ عليه عادةُ الحلْف في الجاهلية، فقد حالَف عبدُ الله بن الحارث أبا بكر الصِّديق[2] حيث وجد فيه كلَّ المعاني الحميدة والخصال الكريمة.

ثم ما لبث عبد الله هذا أنْ توفيَ بمكةَ تاركاً زوجه وطفله يشعران بآلام الغربة والوحْدة، غير أنَّ هذه الآلام تحولت إلى وئام وآمال، فقد كان أبو بكر الصِّديق، رضي الله عنه مطبوعاً على أفضل الصِّفاتِ التي تتآلف له النَّاس فيألفونه، وكانت أُلْفته ألفةَ النَّجدةِ والمروءة والكرم والسَّخاء، وكان كما قال ابنُ الدَّغنّة لقريش وقد همَّ أبو بكر أنْ يَهْجُر بلده: أتخرجون رجلاً يُكْسب

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٥٨٣)، والإصابة (٤/ ٤٣٢). قال السهيلي رحمه الله أن أم رومان أن اسمها: زينب بنت عامر بن عويمر (الروض الأنف ٤/ ٢١).

(٢) عبد الله بن أبي قحافة التَّيميّ القُرشيّ، أبو بكر، أول الخلفاء الراشدين، وأول منْ آمن برسول الله ﷺ مِنَ الرجال، شهد الحروب، واحتمل الشّدائد، وبذل الأموال. حارب المرتدين، وكان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، خطيباً وشجاعاً بطلاً، توفي سنة (١٣هـ)، رضي الله عنه وأرضاه، وأخباره لا يمكن أن تحصر في كتاب (الأعلام ٤/ ١٠٢)

لمعدوم، ويصلُ الرَّحم، ويحملُ الكلَّ، ويقري الضَّيف، ويعينُ على نوائب الحقِّ؟!.

● وتظهرُ صفات الصِّديق هذه ـ وخصوصاً الأخيرة منها ـ بزواجه آنذاك منْ أمِّ رومان إذ رَحم حالها، وأحسنَ معاملتَها، وأكرمَها وابنَها الطفل خير إكرام، وكان من ثمرةِ هذا الزَّواج أنْ ولدتْ لأبي بكر عبد الرحمن، وعائشة التي غدت أمّ المؤمنين رضي الله عنهم جميعاً.

إلى طـريق الـحقِّ:

● تقولُ الرِّواياتُ الموثوقة: إنَّ سيِّدَنا أبا بكر الصِّدّيق رضي الله عنه أولُ مَنْ أسلمَ من الرِّجال[1]. وهو الصِّديقُ الأول والخليفةُ الأول، واجتمعتْ فيه خصالٌ رائعةٌ تشير إلى مكانته النَّادرة في عالَم الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ.

قال عنه الأستاذ عبَّاس محمود العقَّاد رحمه الله في كتابه «عبقرية الصِّديق»: كانت تجتمعُ له شرائطُ السِّنِّ، والسَّبْقِ والإسلام، وصحبةِ النَّبي ﷺ في الغار، والمودة المرعية بين أجلاء الصَّحابةِ، ومعظمهم ممن دخلوا في الدِّين على يديه.

● ومن هذا المنطلق كان أبو بكر السَّباق إلى ساحة الإسلام، ومن الطَّبيعي أنْ يدعوَ أهلَ بيته إلى الإيمان من اللحظة الأولى التي وهب للإسلام فيها كل شيء. فأخذ أمّهُ سلمى بنت صخر[2] ـ أمّ الخير ـ إلى النَّبي ﷺ لِتُسْلم على يديه فدعـاها وأسلمتْ، ودعا زوجَه أمَّ رومان كذلك فأسلمتْ، وكانت من ثلّةِ المؤمنات الأول ممن فُزْنَ بالإيمان منذ إشراقته الأولى، واتبعْن السِّراج المنير سيّدنا رسول الله ﷺ.

---

(١) وأول النساء إسلاماً: خديجةُ أمّ المؤمنين رضي الله عنها؛ وعليّ بن أبي طالب أول من أسلم من الصبيان، وزيد بن حارثة أول المسلمين من الموالي.

(٢) اقرأ سيرة أمّ الخير سلمى بنت صخر في هذا الكتاب.

صِفَاتٌ كَرِيمَةٌ:

- عُرِفتْ أمّ رومان رضي الله عنها بالصِّدقِ والوفاءِ والصَّلاحِ، كما عُرِف زوجها الصِّديقُ كذلك بالصِّدق في الجاهلية والإسلامِ، وقد امتدح الله عزّ وجلَّ صفات الصّدق بكتابهِ العزيز في مواطن كثيرةٍ، وخصَّ عليه.

- هذا وقد تمثّلتْ صورُ الصّدق بأكملها في شخصية هذين الزّوجين الكريمين اللذين حَظيا بشرفٍ لا يُدانيه شرفٌ، ألا وهو مصاهرة أشرف الخلق رسول الله ﷺ.

- وفي خطبةِ النَّبي الكريم ﷺ لعائشة، برزتْ أمُّ رومان بعنصرها الكريم، وبدا حُسْنُ رعايتها لزوجها ولابنتها، كما ظهر صِدْقُ إيمانها، وأثبتت أنَّها امرأةٌ من طرازٍ فريدٍ بين النِّساء وذلك في حُسْنِ تصرفها وأدبها مع رسول الله ﷺ ومع زوجها.

- فقد ورد أنَّ رسول الله ﷺ خطب عائشة حين ذكرتْها له خولةُ بنت حكيم(1) التي قالت لأمِّ رومان: يا أمّ رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟.

قالت: ماذا يا خولة؟

قالت خولة والبشْرُ يملأ قسمات وجهها: رسول الله ﷺ يذكر عائشة.

وهنا فكّرتْ أمُّ رومان لحظات، وسَرَتْ فرحةٌ كبيرةٌ في نفسها ثم قالت: انتظري فإنَّ أبا بكر آتٍ.

وجاء أبو بكر رضي الله عنه، فذكرت له ذلك فقال: إنّ المُطْعِم بن عدي قد كان ذكرَها على ابنه، والله ما أخلفُ وعداً قطُّ.

ثم إنَّ أبا بكر أتى مُطْعِماً وعنده امرأته، فسأله: ما تقولُ في أمْرِ هذه الجارية؟.

---

(1) اقرأ سيرتها في هذا الكتاب.

فأقبل الرَّجلُ على امرأته ليسألها : ما تقولينَ؟ .

فأقبلتْ هي على أبي بكرٍ تقول : لعلنا إنْ أنكحنا هذا الفتى إليك، تصْبئْه وتُدْخِلْهُ في دينك الذي أنتَ عليه! فلم يجبْها أبو بكر، وسأل المطعم بن عدي : ما تقولُ أنتَ؟ فكان جوابه : إنَّها تقولُ ما تسمع[1] .

● وتحلّل أبو بكر رضي الله عنه عند ذلك مِنْ وعده، وصدق في وفائه، وصدقتْ كذلك أمُّ رومان في قولها وفعلها، وتمّتْ خطبة النَّبي ﷺ لعائشة وغـدت أمُّ رومان حماة أشرف الخلق رسول الله ﷺ .

الـمُهَـاجرةُ الـصَّالحـةُ :

● قال ابنُ سعد رحمه الله : كانت أمُّ رومان امرأةً صالحةً . والصَّلاحُ عنوان الفضائل كلّها، وكان لأمِّ رومان فضل السَّبْقِ في مضمار الهجرة، قالت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

لما هاجر رسول الله ﷺ خلّفَنَا، وخلّفَ بناته، فلما استقرَّ بعثَ زيدَ بن حارثة، وبعث معه أبا رافع مولاه . . . وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أرَيْقط، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر أنْ يحمل أمّي أمّ رومان وأنا وأختي أسماء امرأة الزُّبير، فخرجوا مصطحبين، فصادفوا طلحَة بن عبيد الله يريد الهجرة، فخرجوا جميعاً إلى أنْ قدمنا المدينة، والنَّبيُّ ﷺ يبني مسجده، وأبياتاً حول المسجد[2] .

● ولما كانتِ السَّنةُ الثَّانيةُ منَ الهجرة تزوّجَ النَّبيُّ ﷺ عائشَة التي أحسنتْ أمّها تربيتها، وغذّتْها بالأدب الذي رفدتْهُ بالقرآن، ناهيك بالتَّربية النَّبوية، والعناية البكْرية الصِّدِّيقيّة .

أمُّ رومـانَ والـقُرآن :

● لمـا رُميتْ أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالإفك خرّتْ أمُّ رومان

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٢٨٠ و ٢٨١) بتصرف يسير .

(٢) عن الاستيعاب (٤/ ٤٣٢ و ٤٣٣)، وأسد الغابة (٥/ ٥٨٣) بتصرف .

رضي الله عنها مَغْشياً عليها مِنْ عظم النَّبأ الذي تلقّتْهُ، ولكنّها جعلت أمرها إلى الله عزَّ وجلَّ فهو يتولى الصَّالحين، ولا بدّ للقرآن أنْ ينزل بالقول الفصل.

● ومضت مدةٌ ونزل الوحي الأمين يحملُ شهادةَ البراءة لأم المؤمنين، مختومة بالرَّحيق من ربِّ العالمين، فسَرَتِ الفرحةُ في نفس أمّ رومان وابنتها عائشة بهذه الشَّهادة المباركة التي تُتْلى في المحاريب، وصان الله عزَّ وجلّ البيتَ النَّبوي والبيتَ البكري، وردّ كيدَ المنافقين والمرجفين إلى نحورهم وجعلهم الأذلين[1].

● وكانت أمُّ رومان رضي الله عنها خلال المحنة مثالَ المرأة الصَّالحة، ومثال الحماة الكريمة التي تعرفُ مالها وما عليها، فحبذا اقتداءُ النِّساء ـ الآن ـ بها رضي الله عنها.

«وادْخُلي جنَّتي»:

● وردتِ المصادرُ أنَّ أمَّ رومان رضي الله عنها قد توفيتْ في عهد النبي ﷺ في ذي الحجة سنة ست من الهجرة.

● وقد لقيتْ أمّ رومان كلّ التَّقدير والاحترام منْ رسول الله ﷺ في حياتها وعند وفاتها.

● فقد أوردَ السمهودي[2] رحمه الله أنّ رسول الله ﷺ نزل في قبرها واستغفر لها وقال: «اللهمّ إنَّه لم يَخْفَ عليك ما لقيتْ أمّ رومان فيكَ وفي رسولك»[3].

---

(١) اقرأ هذا بالتفصيل في كتابنا «نساء مبشرات بالجنة» (٢/ ٧ وما بعدها)، ففيه فائدة كبيرة إن شاء الله تعالى.

(٢) علي بن عبد الله بن أحمد السَّمهودي، أبو الحسن، مؤرخٌ فقيهٌ. ولد بسمهود في مصر سنة (٨٤٤هـ)، ونشأ بها، وتوفي بالمدينة سنة (٩١١هـ) من تصانيفه: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى وهو من أشهر كتبه. وله كتاب؛ جواهر العقدين في فضل الشرفين العلم الجلي والنسب العلي؛ واللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور وغيرها (معجم المؤلفين ٧/ ١٢٩ و١٣٠).

(٣) وفاء الوفا (٣/ ٨٩٧)، وانظر الإصابة (٤/ ٤٣٢).

● وأخرج ابن سعد رحمه الله بسنده عن القاسم بن محمد قال: لما دُلّيتْ أمُّ رومان في قبرها قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سرّهُ أنْ ينظرَ إلى امرأةٍ مِنَ الحورِ العيْنِ فلْينظرْ إلى أمّ رومان»(١).

● إنَّ امرأة تنال هذه المنزلة لذاتُ حظٍّ عظيم.

● وبعد، فهذه أمُّ رومان، مثال الحماة الكريمة، والزَّوجة الصَّالحة، والأمّ الرؤوم، والمؤمنة الصَّابرة، فهل تقتدي بها النساء؟

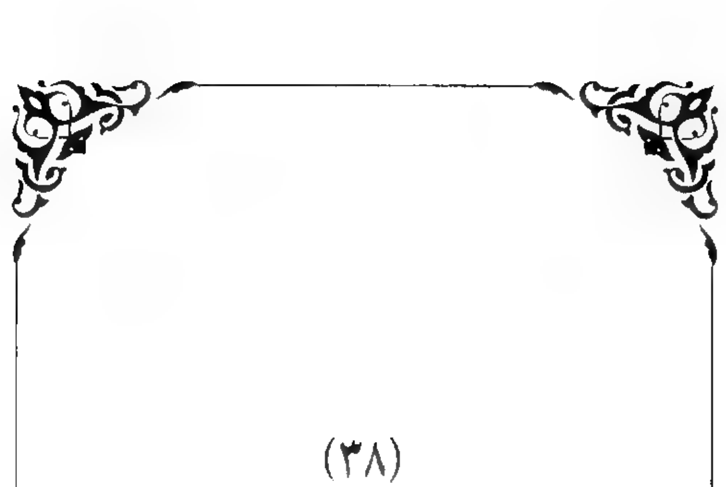
● بقي أن نقول: إنها روت حديثاً واحداً انفرد البخاري بإخراجه.

● وفي وداع سيرة أم رومان العطرة نقرأ سوياً: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

* * *

---

(١) الطبقات (٢٢)، والروض الأنف (٤/ ٢١).



(٣٨)

أُمامة بنت أبي العاص

رضي الله عنها

● أهدي لرسول الله ﷺ قلادة من خرز ملمعة بالذهب، فقال: «والله لأضعنَّها في رقبة أحبّ أهل البيت إليَّ». فوضعها في رقبة أمامة بنت أبي العاص.



الكَريمَةُ ابنَةُ الكَريمةِ:

● الحديث عن آل النبيّ ﷺ ممتعٌ وجميلٌ، يغمُر القلوب، ويصقُل النُّفوس، ويهذّبُ الطِّباع، ويعلِّمُ الفضائل؛ وحديثُنا عن واحدةٍ مِنَ البيت الكريم الذي أذْهَبَ الله عنه الرِّجس وطَهَّره تطهيراً. وقد حظيتْ ضيفتُنا بحبِّ النَّبيّ ﷺ، واستأثرتْ بعطفِه، فكان يكرمُها ويحمُلها وهي طفلةٌ.

● إنّها حفيدته أمامةُ بنتُ أبي العاص بن الربيع القرشية العبشمية[1]، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ، وزينب[2] أكبر أخواتها، وهي من المهاجرات السّيدات الطّاهرات.

● أمّا جدتها ـ لأمّها ـ فهي خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وسيِّدةُ نساء العلمين في زمانها، أول مَنْ آمنَ بالنَّبيِّ ﷺ وصدّقه قبل كلِّ أحَدٍ، رضي الله عنها وأرضاها، ومناقبُها جمّةٌ، وهي ممن كمُلَ مِنَ النِّساء، كانت عاقلة، جليلة، ديّنة، مصُونة، كريمة، من أهل الجنّة[3].

● وأبوها أبو العَاص بن الرَّبيع صِهْرُ النّبيِّ الكريم ﷺ، وزوج ابنته زينب، وابنُ أخت خديجة أمِّ المؤمنين، أمُّه هالة بنت خويلد؛ كان النَّبيُّ ﷺ يثني على أبي العاص في مصاهرته خيراً، فقد أخرج الإمام أبو داود[4] رحمه الله

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٣٢)، وأسد الغابة (٥/ ٤٠٠)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣١).

(٢) اقرأ بتوسع سيرة زينب ابنة رسول الله ﷺ في كتابنا «بنات النبي» ﷺ، ففيه سيرة بناته الطاهرات كلهن.

(٣) للمزيد من أخبار أم المؤمنين خديجة اقرأ كتابنا «نساء مبشرات بالجنة» (١/ ١٧) وما بعدها.

(٤) أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث بن شداد الأزدي، ولد سنة (٢٠٢هـ)، وروى عن أكابر العلماء وروى عنه أكابرهم أيضاً كالتّرمذي، قال عنه النَّووي: اتفق العلماء على الثّناء على أبي داود ووصفه بالحفظ التام والعلم الوافر والإتقان والورع والدِّين والفهْم الثّاقب في الحديث وغيره. وقال إبراهيم الحربي: أُلِينَ لأبي داود -

بسنده عن علي بن الحسين من حديث طويل أنَّ رسول الله ﷺ قال عن أبي العاص: «حدَّثني فصدقني، ووعدني فوفى لي»[1].

● وكان أبو العاص قد أُسِرَ يوم بدْرٍ فأُطْلِق بلا فداء كرامةً لرسول الله ﷺ بسبب زينب، ثم أسلم قُبَيل فتح مكة وحَسُنَ إسلامه، وردَّ عليه النَّبي ﷺ زينب بنكاح جديد وقيل بالنِّكاح الأول. وأصبح أبو العاص رضي الله عنه أحد فرسان مدرسة النُّبوَّة، وأحد الأوفياء من رجال الإسلام. توفي في ذي الحجة سنة (١٢هـ) رضي الله عنه.

● وقد وُلدتْ أمامة في عهد جدِّها رسول الله ﷺ ورضعت الإيمان من أمِّها زينب، وصُنِعَتْ على عينها، إذ غذَّتها بزاد التقوى، وفطمتْها على الصَّلاح. فكانت أمامة كريمة النَّشأة والأصل، ولذا فقد كان عليه الصَّلاة والسَّلام يأنس بها، ويهشُّ لها[2]، وأحلّها من قلبه الشَّريف مكاناً رحباً، ومن عطفه حناناً يروي النُّفوس، ويغذي الأفئدة.

فِـرَاق الـحَبِيْـبَـة:

● في مستهلِّ السَّنَةِ الثَّامنةِ توفيتْ زينب بنتُ النَّبيِّ ﷺ، تاركة ابنته أمامة التي لم تبلغ الحُلُمَ بعد، وكان فراق زينب أليماً على النَّبيِّ ﷺ وعلى ابنته الصَّغيرة، واستودع رسول الله ﷺ ابنته الله، ثم أوصى أنْ يُحسِنَ غسلها.

● روتْ أم عطية[3] رضي الله عنها هذا فقالت: دخلَ علينا رسول الله ﷺ

= الحديث كما أُلين لداود الحديد. وقال ابن حبَّان: أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً وجمع وصنف وذبّ عن السنن. وأبو داود صاحب كتاب السُّنن، والنَّاسخ والمنسوخ، والقدر، والمراسيل. وسننه جمع فيه (٤٨٠٠ حديثاً) انتخبها من نصف مليون حديث. ومناقبه كثيرة جداً توفي بالبصرة سنة (٢٧٥هـ) عن: (تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧)، و(طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٦٥ و٢٦٦).

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٦٩)، ورواه أيضاً البخاري ومسلم وابن ماجه

(٢) «يهشّ لها»: ينشرح صدره سروراً بها.

(٣) اقرأ سيرة أم عطية الأنصارية رضي الله عنه في هذا الكتاب.

حين توفيت ابنته ـ أي زينب ـ فقال: «اغسلْنَها ثلاثاً، أو خمساً أو أكثر من ذلك إنْ رأيتن ذلك، بماء وسِدْر واجعلن في الآخرة كافوراً، أو شيئاً من الكافور، فإذا فرغتن فآذنني».

● فلما فرغنا آذناه، فأعطاناه حقوه فقال: «أشْعِرْنَها إياه»[1]، وصلى عليها رسول الله ﷺ، ثم شيّعها إلى مثواها في البقيع في المدينة المنورة.

● وعد النَّبيُّ الكريم ﷺ ليجدَ في حفيدته أمامة ما يخفّفُ من حزنه على بنته زينب، فكان يفيضُ عليها من حبّهِ ما جعلها تحتلُّ بهذا مرتبةً لم يحظ بها سوى السِّبطين السَّعيدين الحسن والحسين ابني فاطمة الزَّهراء[2] عليهم جميعاً رضوان الله.

أمامةُ والرِّعايةُ النَّبويةُ:

● لقيتْ أمامة من النَّبيِّ ﷺ الرِّعاية، وأفاضَ عليها من حبّه ما جعله يحملها حتى في الصَّلاة، فقد وردَ في الصَّحيح عن أبي قتادة صاحب رسول الله ﷺ قال:

بينما نحنُ ننتظر رسول الله ﷺ في الظُّهر أو العصر وقد دعاه بلال للصَّلاة، إذ خرج إلينا، وأمامةُ بنت أبي العاص بنت ابنته على عُنُقِه، فقام رسول الله ﷺ في مصلاّه، وقُمْنا خلفه، وهي في مكانها الذي هي فيه.

قال: فكبّر فكبّرنا.

قال: حتى إذا أرادَ رسول الله ﷺ أنْ يركع أخذها فوضعها، ثم ركعَ وسجدَ، حتى إذا فرغ من سجوده ثم قام، أخذها فردها في مكانها، فما زال

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٤٢)، وانظر أيضاً الأحاديث رقم (٣١٤٣ و٣١٤٤ و٣١٤٥ و٣١٤٦)؛ وللحديث أصل في الصحيحين وبقية السنن وفي الموطأ. وانظر الطبقات (٨/ ٣٤)، والإصابة (٤/ ٣٠٦)

(٢) للمزيد من أخبار فاطمة بنت رسول الله ﷺ، اقرأ كتابنا «نساء مبشرات بالجنة» ففي سيرتها كثير من الإشراقات التي تصقل النفوس، وتدخل السرور إلى القلب بإذن الله

رسول الله ﷺ يصنعُ بها ذلك في كل ركعة حتى فرغ من صلاته[1].

● وهذا يشير إلى مدى اهتمام النَّبي الكريم بالأطفال والحنو عليهم، ومراعاة طفولتهم حق رعايتها في ضوء هدي الإسلام.

أحـبُّ أهلـي إلـيَّ:

كان رسول الله ﷺ يحبُّ أمامة حبّاً مستفيضاً فكان يخصُّها بهداياه كلما كانت مناسبة، روتْ أمُّ المؤمنين عائشة أنَّ النَّجاشي أهدىٰ إلى النَّبيِّ ﷺ حِلْيةً فيها خاتم من ذهب فِصُّه حبشي، فأعطاه أمامةَ رضي الله عنها[2].

● ولأمامة منقبة كبيرة بين الصَّحابيات، حتى أضحتْ يُشار إليها بأنَّها الحبيبةُ النَّبويةُ، وكادت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها تغار، لولا أنْ عرفت أنَّ رسول الله ﷺ يخصُّ أمامة بحبّه وعطفه، روتْ عائشة منقبة أمامة رضي الله عنهما فقالت:

أهديَ لرسول الله ﷺ قلادة من جِزْع ـ خَرَز ـ ملمعة بالذَّهب، ونساؤه مجتمعات في بيتٍ كلِّهن، وأمامةُ بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ـ وهي بنت أبي العاص بن الربيع ـ جارية تلعب في جانب البيت بالتُّراب، فقال رسول الله ﷺ «كيف ترينَ هذه؟».

فنظرنَ إليها فقُلْنَ: يا رسول الله! ما رأينا أحسنَ من هذه ولا أعجب!.

فقال: «اردُدنها إليَّ».

فلما أخذها قال: «والله لأضعنَّها في رقبةِ أحبّ أهل البيت إليَّ».

قالت عائشة: فأظلمتْ عليَّ الأرض بيني وبينه خشية أنْ يضعها في رقبةِ غيري منهن، ولا أَرَاهنَّ إلا قد أصابهن مثل الذي أصابني، ووجمْنَ جميعاً.

---

(1) أخرجه أبو داود (٩٢٠)، وانظر قبل ذلك الأحاديث رقم (٩١٧ و٩١٨ و٩١٩)، والحديث أخرجه الشيخان في الصحيحين، ومالك في الموطأ، والنسائي (٢/ ٤٥) و(٣/ ١٠)، وانظر الطبقات (٨/ ٢٣٢)، والسمط الثمين للمحب الطبري (١٩١)، والشفا (١/ ٢٥٩).

(2) الطبقات (٨/ ٤٠)، والسمط الثمين (ص ١٩٢)، والإصابة (٤/ ٢٣١)

فأقبل حتى وضعها في رقبة أمامة بنت أبي العاص، فسُرِيَ عنّا[١].

زواجهـا:

● لما توفي أبو العاص بن الرَّبيع في السَّنة الثَّانية عشرة للهجرة، كان قد أوصى بابنته أمامة إلى ابن خاله الزُّبير بن العوام رضي الله عنه، وقد زوّجها الزُّبير من عليّ رضي الله عنه بعد وفاة خالتها فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها، وكانت فاطمةُ قد أوصتْ عليّاً أنْ يتزوّجَها؛ فتزوجَها في خلافة عمر رضي الله عنه. وبقيتْ عنده حتى قُتلَ رضي الله عنه، فتأثرت أمامة لمقتله، وقالت أمُّ الهيثم النَّخعية تصفُ حُزْنَ أمامة:

أشـــابَ ذؤابتـــي وأذلّ ركبْـــي
أمـامــة حيــن فــارقــتِ القَــرينــا

تطيــفُ بــه لحــاجتهـــا إليــه
فلمّـــا استيـــأســـت رفعـــت رهينـــا

● وكان عليّ رضي الله عنه قد قال لأمامة لما حضرته الوفاة: إنْ كان لك في الرِّجال حاجة فقد رضيتُ لك المغيرة بن نوفل عشيراً.

● فلما انقضتْ عدتها، خطبها معاوية بن أبي سفيان، فأرسلت أمامة إلى المغيرة إنْ كان لك بنا حاجة فأقْبِل، فتقدم المغيرة، وخطبها من الحسن بن علي فتزوجها منه، وأقامتْ أمامة معه حتى ماتت في خلافة معاوية، ولم تلد لعلي ولا للمغيرة.

● وبموت أمامة انقطع عَقِبُ زينب ابنة رسول الله ﷺ؛ وليس لزينب ولا لرقية ولا لأمّ كلثوم بنات النَّبي ﷺ عقب، وإنّما العقبُ لفاطمة رضي الله عنها[٢].

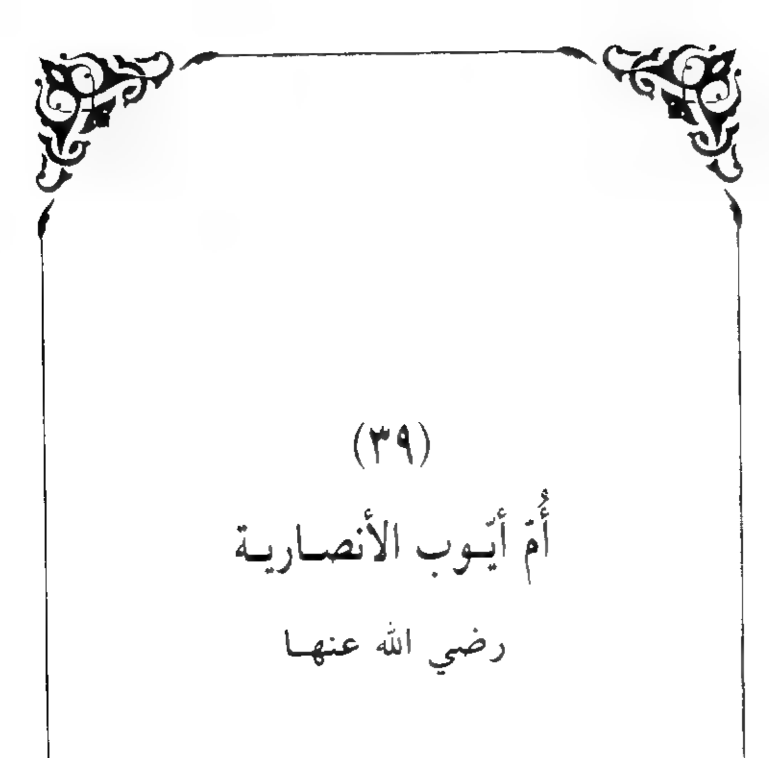
---

(١) در السحابة (ص٥٣٥)، وانظر السمط الثمين (ص ١٩١)، والاستيعاب (٤/٢٣٨)، وأسد الغابة (٥/ ٤٠٠)، والسيرة الحلبية (٢/ ٤٥٢)، وغيرها من المصادر وكلها بمعان متقاربة.

(٢) عن أسد الغابة (٥/ ٤٠٠)، والإصابة (٤/ ٢٣١) بتصرف يسير.

● وبعد، فهذه أمامة ابنة أبي العاص، وقد عشنا سعداء مع سيرتها العطرة، فرضي الله عنها، ونضَّر قبرها، ومع وداع سيرتها نتذكر أنها كانت أحبَّ أهل النَّبي ﷺ إلى قلبه.





(٣٩)

أُمّ أيّوب الأنصارية

رضي الله عنها

● نزل رسول الله ﷺ في دارها عند مقدمه المدينة مهاجراً، وكانت تصنع له ﷺ الطعام مدة سبعة أشهر زمن إقامته في دارها، وكان لها موقف متألق من حديث الإفك.

«الـمَـرْءُ مَـعَ رَحْلِـهِ»:

● قال السُّبْكي رحمه الله:

نــزلــتَ علــى قــومٍ بــأيمَــنِ طــائــرٍ
لأنَّــــك ميمــــونُ السَّنــــا والنَّقيبَــــة

فيــالبنــي النَّجــار مــن شَــرَفٍ بــه
يجــرُّون أذْيَــال المعــالــي الشَّــريفَــة

● كان يوماً تاريخياً أغرّ، ذلك اليوم الذي قَدِمَ فيه النَّبيُّ الحبيب ﷺ المدينة، فقد كانت البيوت والطُّرق ترتجُّ بأصواتِ التَّحميد والتَّهليل. وكان الخدمُ والغلمانُ يقولون:

الله أكبر جاء رسول الله.

الله أكبر، جاء محمد.

الله أكبر، الله أكبر، جاء رسول الله.

● بهذه الصُّورة الوضيئة استقبل الأنصارُ النَّبيَّ ﷺ، وقد التفُّوا حوله، كلٌّ يمسك زمام ناقته القصواء يرجوه النُّزول عنده، فكان يقول لهم: «خَلُّوا سبيلها فإنَّها مأمورةٌ».

● فلم تزلْ سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النَّبوي اليوم فبركتْ، ولم ينزلْ عنها حتى نهضتْ وسارتْ قليلاً، ثم التفَتتْ ورجعتْ فبركتْ في موضعها الأول، فنزل عنها، وذلك في بني النَّجار ـ أخواله ـ ﷺ، أمام دار أبي أيُّوب الأنصاريّ[1]، فقال ﷺ: «ها هنا المنزل إنْ شاء الله».

---

(١) خالدُ بنُ زيد بن كليب الأنصاري الخزرجيّ النّجاري أبو أيوب: صحابيٌّ جليل القَدْرِ، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وبيعة الرِّضوان وجميع المشاهد. كان شجاعاً صابراً تقياً محباً للغزو والجهاد، له (١٥٥) حديثاً. عاش إلى أيام بني أمية وكان يسكن المدينة، فرحل إلى الشَّام وتوفي غازياً بأرض الروم سنة (٥٢هـ) وقبره =

وبادر أبو أيُّوب وامرأته فأخذا رحله، وأدخلاه منزلهما، فلما رآهما قد فعلا ذلك قال: «المرءُ مَع رَحْلِهِ».

● وخرجت ولائد من بني النّجار فرحاتٍ بمقدم النَّبيّ ﷺ وبجواره الكريم لهن، وهن ينشدن:

نحـــنُ جـــوار مـــن بنـــي النَّجـــار
يـــا حبـــذا محمّـــد مِـــنْ جَـــار

فقال عليه الصَّلاة والسَّلام لهن: «أتحبِبْنَني؟».

فقلن: نعم.

فقال: «الله يعلم أنَّ قلبي يحبُّكُنَّ».

يـمْنُ أمّ أيّـوب:

● قال ابن كثير رحمه الله:

كان نزول النَّبيّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامِ في دار بني النَّجار، واختيار الله عزَّ وجلَّ له ذلك منقبةً عظيمة، وقد كان في المدينة دورٌ كثيرة تبلغُ تسعاً، كلُّ دار محلة مستقَلَّةٌ بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها، كلُّ قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم، وهي كالقرى المتلاصقة، فاختار الله عزَّ وجلَّ لرسول الله ﷺ دار بني مالك بن النَّجار[1].

● وقد غُبط أبو أيّوب لاختصاصه بنزول النَّبيّ ﷺ عنده، وهذا ما جعله في سجل الخالدين، ومن الجدير بالذكر أنَّ غالب المسلمين، يعرفون أبا أيُّوب هذا، ولكنَّ كثيراً لا يعرفون عن زَوجهِ أمّ أيّوب شيئاً، إذاً فمن هذه الصَّحابية التي تمنّتْ أي امرأة منَ الأنصار أنْ تحظى مكانها باستضافة النَّبيّ ﷺ؟.

= بالقسطنطينية رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٧٧)، و(الأعلام ٢/ ٢٩٥).

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٠١).

● إنّها أمُّ أيّوب بنتُ قيس بن سعد الخزرجية الأنصارية[1]، إحدى النِّساء الفاضلات اللاتي تقدمن في الفَضْل والصَّلاح والعبادة. ولم تحفظْ ذاكرةُ التَّاريخ اسم أمّ أيوب، وإنَّما غلبتْ عليها كنيتها.

● هذا وقد كُتب اليُمْنُ والخير لأمِّ أيّوب منذ أنْ أعلنتْ إسلامها قبل الهجرة النَّبويةِ، وزاد في يُمْنها وسعادتها عندما خُصّتْ بنزول النّبيِّ ﷺ في دارها، وسُرَّت أمُّ أيوب بهذه المكرمة، وأيُّ شرفٍ أعظم مِنْ هذا؟

● ورأتْ أمّ أيّوب بنفسها الصَّافية أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أراد بها الخيرَ في ذلك؛ فحرصت أنْ تكون أهلاً لهذه المكرمة العظيمة فكان ذلك.

جــرَّةُ أمِّ أيّــوب:

● كان بيتُ أبي أيوب مؤلفاً مِنْ غرفتين، واحدة فوق الأخرى، ولما قدم النَّبيُّ ﷺ على أبي أيّوب نزل في السُّفْلِ، وطلب أبو أيوب من الرّسول عليه الصَّلاة والسَّلام أنْ يصعدَ إلى العلو، فقال: «إنَّ أرفق بنا وبمَنْ يغشانا أنْ نكون في سُفْلِ البيت».

● وصَعِدَ أبو أيُّوب وأمُّ أيّوب الغرفة العليا، ولكنْ لم تكتحلْ عيناهما بنوم، وجعلا لا يتحركان خيفة أنْ يتناثر الغبار ويؤذي النَّبيَّ ﷺ، وحدث أن انكسرت جرّة كبيرة مملوءة ماء، فقاما ينشِّفان الماء بكساء يلتحفانه، خوفاً من أنْ يَصِلَ شيءٌ منه يؤذي رسول الله ﷺ.

● وفي الصَّباح، نزل أبو أيّوب وقال للنّبيّ ﷺ: لا ينبغي أنْ أكونَ فوقكَ، فاظهرْ أنتَ وكُنْ في العلو، ثم طلب منه مستعطفاً ومتضرعاً أنْ ينتقل إلى العلو حتى انتقل ﷺ، عندها قرّتْ عينا الزَّوجين بذلك، وحظيا بمرضاة رسول الله ﷺ[2].

---

(١) الطبقات (٨/ ٣٦٢)، ومن الجدير بالذكر أنَّ قيسَ بن سَعد والد أمّ أيوب، هو خال أبي أيوب الأنصاري: ـ زوجها ـ وكان قيسٌ أيضاً جار أبي أيوب في المدينة المنورة.

(٢) عن السيرة النبوية (١/ ٤٩٨ و٤٩٩)، والإصابة (١/ ٤٠٥)، والسيرة الحلبية (٢/ ٢٧٦) بتصرف.

التماسُ البركَة:

• لا يمكن لنا ـ ونحن نستعرض سيرة أمّ أيوب ـ أنْ نَصِفَ مدى السَّعادة التي غمرتها وزوجها، منذ تلك اللحظة المباركة التي دخل فيها رسول الله ﷺ بيتهم إلى آخر لحظة في حياتهما، ولذا فقد كانت أمُّ أيّوب تسابق زوجها إلى التماس الخير بالتبرك بآثار أصابع النّبي ﷺ في قصعة الطَّعام كلّما أعادها إليهما؛ يرسم أبو أيّوب رضي الله عنه صورة وضيئة عن ذلك فيقول:

كنا نصنعُ العشاء للنَّبي ﷺ، ثم نبعثُ به إليه، فإذا ردَّ علينا فَضْله تيممتُ أنا وأمّ أيوب موضعَ يده، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلةً بعشائه، وقد جعلنا له بصلاً أو ثوماً، فردّهُ رسول الله ﷺ ولم أرَ ليده فيه أثراً، فجئتُه فزعاً فقلتُ: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، رددتَ عشاءَك ولم أرَ فيه موضعَ يدك.

قال: «إنّي وجدتُ فيه ريح هذه الشَّجرة، وأنا رجلٌ أناجى، فأمّا أنتم فكلوه».

قال: فأكلناه، ولم نصنعْ له تلك الشَّجرة بعد[1].

أمُّ أيّوب وطَعامُ النَّبي ﷺ:

• من الفَضائل التي تزيدُ في رصيد أمّ أيّوب، حرصها واهتمامها بما يشتهيه النّبي ﷺ منْ طعام، فكانت تسارعُ إلى إعداد ما يحبُّه ﷺ؛ وهذا يتوافق مع ما ذكره البلاذري رحمه الله أنَّه قيل لأمّ أيّوب رضي الله عنها ـ وكان مقام رسول الله ﷺ في منزل زوجها سبعة أشهر ـ : أي الطعام كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ؟

فقالت: ما رأيته أمَرَ بطعامٍ يُصنعُ له بعينِه، ولا رأيتُهُ ذمَّ طعاماً قطّ، ولكنَّ أبا أيوب أخبرني أنَّه تعشى معه ليلة من قصعةٍ أرسل بها سَعْدُ بنُ عبادة ـ رضي

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٩٩)، وللقصة أصل في صحيح مسلم (٦/ ١٢٦ و١٢٧).

الله عنه ـ فيها طَفَيْشَل[1]، فرآه ينهكها نهكاً لم يرهُ ينهك غيرها، فكنّا نعملْها له، وكنّا نعمل له الهريس فنراه يعجبه، وكن يحضر عشاءه الخمسة إلى السّتة إلى العشرة[2].

«أيـنَ أبُـو أيّـوبَ»:

● خرجَ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ذات ظهيرة إلى المسجد، ـ وكان الجوعُ قد أخرجهم ـ فانطلقوا فأتوا باب آبي أيوب، فخرجتْ أمُّ أيوب فقالت: مرحباً بنبيِّ الله وبمنْ معه. فقال ﷺ: «أين أبو أيوب؟»

فسمعه ـ وهو يعمل في نَخْل له ـ فجاء مسرعاً فقال: مرحباً بنبيِّ الله وبمَنْ معه. ثم انطلق فقطعَ عِذْقاً[3] من النَّخل فيه كلٌّ من التَّمر والرُّطب والبُسْر[4]. فقال ﷺ: «ما أردتُ إلى هذه ألا جنيتَ لنا من تمره؟».

قال: يا رسول الله أحببت أنْ تأكل من تمره ورُطبه وبُسْره، ولأذبحنّ لك مع هذا.

قال ﷺ: «إنْ ذبحتَ فلا تذبحنَّ ذاتَ درٍّ»[5].

فأخذ جَدْياً فذبحه وقال لأمِّ أيوب: اخبزي واعجني لنا وأنت أعلم بالخبز. فأخذ نصف الجدي فطبخه وشوى نصفه.

● فلما نضجَ الطَّعام، ووضع بين يدي النَّبيِّ ﷺ وأصحابه، أخذ من الجدي فجعله في رغيف وقال: «يا أبا أيوب أبلغ بهذا فاطمة فإنّها لم تصبْ مثل هذا منذ أيام» فذهب أبو أيوب إلى فاطمة.

فلما أكلوا وشبعوا قال النَّبيُّ ﷺ: «خبزٌ، ولحمٌ، وتمرٌ، وبُسْرٌ، ورُطبٌ،

---

(١) «الطَّفَيْشَل»: نوع من المرق.
(٢) أنساب الأشراف (١/ ٢٦٧).
(٣) «العِذْق من النخل»: كالعنقود من العنب.
(٤) «البُسر»: تَمْر النخل قبل أنْ يُرْطب
(٥) أي: ذات لبن.

ـ ودمعتْ عيناه الشريفتان ـ، والذي نفسي بيده! إنَّ هذا هو النَّعيمُ الذي تسألون عنه يوم القيامة».

فكبُر ذلك على أصحابه فقال: «بل إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا: بسم الله، فإذا شبعتم فقولوا: الحمد لله الذي هو أشبعنا وأنعم علينا فأفضل، فإن هذا كفاف بهذا»[1].

● وهكذا حظيتْ أمُّ أيوب باستضافة النَّبيِّ ﷺ وهَديهِ وتعليمه، ومثلها فلتكن النّساء.

أمُّ أيّـوب وعـائـشَـة رضي الله عنهما:

● لأمِّ أيّوب موقفٌ لا يُنسى، وشهادة عطرة لا يزال أريجُها يفوح على مرِّ الزّمن، وذلك في حديث الأفْك الذي تولى كبره المنافقون والمرجفون؛ فقد كان لأمِّ أيوب كلماتٌ مباركات في امتداح أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

● رويَ عن أبي أيّوب أنَّه قال لأمِّ أيّوب رضي الله عنهما: ألا تَرَيْنَ ما يُقال؟ ـ أي من الإفك ـ.

فقالت له: لو كنت بَدَلَ صفوان[2] أكنتَ تهمُّ بسوء لمَحْرم رسول الله ﷺ؟

قال: لا!.

قالت: ولو كنتُ أنا بدل عائشة ما خُنْتُ رسول الله ﷺ، فعائشة خيرٌ مني، وصفوانٌ خيرٌ منكَ[3].

● وأخرج عددٌ من الأئمة والمفسرين هذه القصة، وذكروا موقف أمّ أيوب العَطِر أنَّها قالت لزوجها: يا أبا أيوب ألم تسمعْ بما تحدّث الناس؟

---

(١) عن حياة الصحابة (١/ ٤٥٧ و٤٥٨ و٤٥٩) بتصرف.

(٢) صفوانُ بنُ المعطل السُّلميّ ويعرف بالذكوانيّ، صحابيّ شهد الخندق والمشاهد كلها، وحضر فتح دمشق، واستشهد بأرمينية، وقيل في سميساط سنة (١٩هـ) وهو الذي قال أهل الإفك فيه وفي عائشة ما قالوا ـ فبرأهما الله عزَّ وجلَّ ـ روى عن النَّبي ﷺ حديثين. (الأعلام ٣/ ٢٩٦).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٦٠)، والسيرة الحلبية (٢/ ٦٢٥).

قال: وما يتحدثون؟

فأخبرته بقول أهل الإفك.

فقال: ما يكون لنا أنْ نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتانٌ عظيم، فأنزل الله عز وجلَّ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[1] [النور: ١٦].

● أولا تشير هذه الحادثة إلى إيمان أمِّ أيوب العميق؟ وتشير كذلك إلى سعةِ عقلها وسلامة تفكيرها رضي الله عنها؟!.

وقَبْلَ أنْ نقُولَ وَدَاعاً:

● كانت أمُّ أيوب رضي الله عنها ممَنْ روى عن رسول الله ﷺ وحدّث عنه، ومنْ مروياتها ما أخرجه ابنُ ماجه ـ رحمه الله ـ بسنده عنْ أمِّ أيُّوب قالت: صنعتُ للنَّبيِّ ﷺ طعاماً فيه من بعض البقول، فلم يأكل وقال: «إنّي أكره أن أوذيَ صاحبي»ـ[2] يعني جبريل عليه السَّلام ـ.

● رحم الله الصَّحابية المضياف أمَّ أيوب، ورضي الله عنها، ونضَّر قبرها، وجعلها فيمن قال فيهم: ﴿ . . . فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[3] صدق الله العظيم.

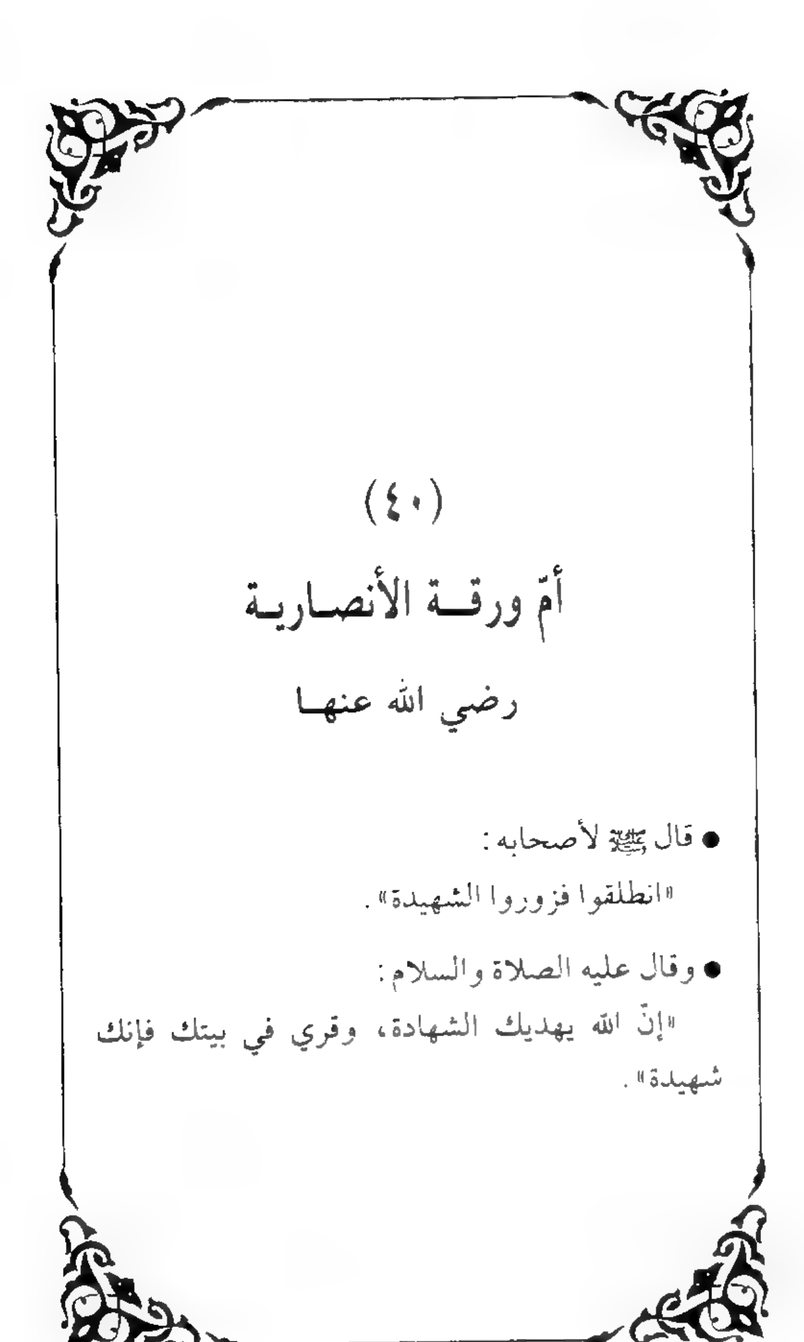
* * *

---

(١) انظر هذا في أسباب النزول للواحدي (ص ٢٧٠)، وتفسير الخازن وبهامشه تفسير البغوي (٥/ ٦٣)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٣)، والمغازي (٢/ ٤٣٤)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٦٠) بمعانٍ متقاربة.

(٢) سنن ابن ماجه: (٣٣٦٤).

(٣) الآية (٣٧) من سورة سبأ.



(٤٠)

أمّ ورقـة الأنصـاريـة

رضي الله عنهـا

● قال ﷺ لأصحابه:

«انطلقوا فزوروا الشهيدة».

● وقال عليه الصلاة والسلام:

«إنّ الله يهديك الشهادة، وقري في بيتك فإنك شهيدة».

العَابِدَة الحَافِظَةُ:

● تعالوا نقرأ سيرةَ امرأةٍ تفرَّدَتْ بين النِّساء بمكرمةٍ جليلة، رفعتها عليّاً في سماء العِبادة والزُّهد والتُّقى.

● هذه المرأة جمعتِ القرآن الكريم في عَهْد النَّبي ﷺ وحفظَتْه وفهمتْ معانيه، فأعْظِمْ بها من فضيلة! وأكرِمْ بها من حافظة!.

● ولعلكم تودّون معرفة أخبار هذه الحافظة العابدة، إذاً فلنسعدْ سويّاً في قراءة سيرتها الحافلة بالفضائل، ولنعش أرغد اللحظات في ظلال عبدتها وفضائلها.

● أمُّ ورقة بنتُ عبد الله بن الحارث الأنصارية[1]، إحدى نساء الأنصار الفُضْليات ممن نذرن أنفسهن للعبادة والطَّاعة والسَّعي لمرضاة الله عزّ وجل.

● وفي جموع السَّابقات إلى الإسلام، كانت أمُّ ورقة في الأوائل منهن، إذ تشرَّفَتْ بمبايعة النَّبي ﷺ، كما تشرَّفَتْ بالرِّواية عنه[2].

● ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه الصَّحابية قد اشتهرت بكنيتها أمّ ورقة وعُرفت بها، وهي وحيدة بهذه الكنية بين الأنصاريات.

في رحَاب المَكْرُمَات:

● عُرِفتْ أمُّ ورقة بنقَاء السَّريرة، وصَفَاء النَّفس، وكثرةِ العبادة، وتلاوة القُرآن، فقد وصلت نهارها بليلها في طاعة الرَّحمن، وكانت صلاتُه موصولةً بصيامها، فحظيتْ بالإكرام من رسول الله ﷺ، فكان يخصُّها بالزِّيارة بين الفينة والأخرى، وذات مرة زفَّ إليها نبأً ملأ جوانبَ نفسها سروراً حيث أخبرها أنَّها ستكونُ شهيدة، فكانت تُعْرفُ بهذا اللقب وتُسمى الشهيدة[3]،

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٦٢٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٨٢)، ودر السحابة (ص٥٥٣).
(٢) الطبقات (٨/ ٤٥٧).
(٣) الإصابة (٤/ ٤٨١).

لقوله ﷺ لأصحابه: «انطلقوا فزوروا الشهيدة»[1].

● وكانت أمُّ ورقة رضي الله عنها قد أغْرِمَتْ بالعبادة والصَّلاة غراماً شديداً، وشُغفتْ بالقرآنِ الكريم شغفاً جعلها من الحافظات لكتاب الله عزَّ وجلَّ؛ تتلوه حقَّ تلاوته.

● وفي زيارة أخرى منْ زيارات النَّبي ﷺ لها، أمرها أنْ تؤُمَّ النِّساء من أهلها، ففي صفة الصَّفوة ذكر ابن الجوزي[2] رحمه الله هذا فقال:

● أمُّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية، كانت قد جمعتِ القرآنَ، وكان النَّبيُّ ﷺ يزورُها في بيتها، وقد أمرها أنْ تؤُمَّ أهلَ دارِها، واستأذنتِ النَّبي ﷺ أنْ تتخذَ في بيتها مؤذناً، فجعل لها مؤذِّناً يؤذِّنُ لها.

● وقال شاهد عيان: فأنا رأيتُ مؤذنها شيخاً كبيراً. وفي هذا دليل على كرامتها ومكانتها عند النَّبي ﷺ.

● ولله درّ أبي نعيم الأصبهاني إذ افتتح ترجمتها بقوله:

الشَّهيدةُ القارئةُ، أمُّ ورقة الأنصارية، كانت تؤمُّ المؤمناتِ المهاجرات، ويزورُها النَّبيُّ ﷺ في الأحايين والأوقات.

---

(١) الحلية (٢/ ٦٣).

(٢) ابن الجوزي: الإمامُ العلامةُ، حافظُ العراق، وواعظُ الآفاق، أبو الفرج، عبد الرحمن بن عليّ بن عبد الرحمن القرشي التيميّ البكريّ البغداديّ الحنبليّ الواعظ. ولد سنة (٥١٠هـ) وهو صاحب التَّصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التَّفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، والزُّهد، والتَّاريخ، والطِّب، وغير ذلك. وكتب بخطه الكثير جداً. قال عنه الذَّهبي: ما علمتُ أحداً من العلماء صنَّفَ ما صنف. ومن تصانيفه: زاد المسير في التَّفسير، والمنتظم، وصفة الصفوة، وتلقيح فهوم الأثر، وصيد الخاطر، وعدد من كتب المناقب وأشياء كثيرة. وكان له مكانة عظيمة في صفوف الناس. يقول عن نفسه: كتبت بأصبعي ألفي مجلد، وتاب على يدي مئة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألف. توفي يوم الجمعة (١٣) رمضان سنة (٥٩٧) رحمه الله، عن (طبقات الحفاظ ص ٤٨٠)، و(طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٧٥ ـ ٢٨٠).

«إنَّ الله يهْدِيكِ الشَّهادَةَ»:

● دعا داعي الجهاد إلى غزوةِ بَدْر، فابتدرَ المسلمونَ يسارعون إلى الفوز بمرضاة الله سبحانه، ويتسابقون للظفر بشرف الجهاد مع النَّبي ﷺ؛ وخرج النَّبي ﷺ إلى بدر[1]، فجاءته أمُّ ورقة من أقصى المدينة تسعى وقالت:

يا رسول الله، ائذنْ لي أَنْ خرجَ معكم، أداوي جرحاكم، وأمرِّضْ مرضاكم، لعلَّ الله تعالى يهدي إليَّ الشَّهادة.

فقال لها رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يهديكِ الشَّهادة، وقري في بيتك فإنَّكِ شهيدةٌ»[2].

● وقرّتْ أمُّ ورقة في بيتها تنتظرُ ما أخبرها به النَّبي ﷺ من فوزها بالشَّهادة، فرسول الله ما ينطقُ عن الهوى، إنْ هو إلا وحيٌ يُوحى.

● وتابعتْ أمُّ ورقة رضي الله عنها حياة الزُّهد والعبادة إلى أنْ توفيَ رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنها.

● وظلتْ أمُّ ورقة ترجو الشَّهادة في سبيل الله عزّ وجلّ، وتسأل الله أنْ يرزقها إياها حتى اشتهرت بين الصَّحابة بهذا الطَّلب المعطار.

الشَّهيدةُ القَارئَةُ:

● من دلائلِ صِدْقِ نبوّةِ رسول الله ﷺ ما وقع لأمّ ورقة الأنصارية رضي الله عنها، إذ تحققت بشراه لها بالشَّهادة فنالتها في عهد عمر بن الخطاب[3]

---

(١) «بدر»: موضع الغزوة العظمى لرسول الله ﷺ، ماء معروف وقرية عامرة على نحو أربع مراحل من المدينة المنورة. وكانت وقعة بدر في (١٧) رمضان يوم الجمعة من السَّنة الثَّانية للهجرة النَّبوية الشريفة. وثبت في الصَّحيحين من رواية البراء بن عازب أن عدد أهل بدر ثلاثمئة وبضعة عشرة رجلاً. (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٣٧).

(٢) الطبقات (٨/ ٤٥٧)، والاستيعاب (٤/ ٤٨١)، والحلية (٢/ ٦٣)، والسيرة الحلبية (٢/ ٣٧٥)، ودرر السحابة (ص ٥٥٣)، وغيرها من المصادر، وكلها بمعان متقاربة.

(٣) عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب أمير المؤمنين؛ الصحابي الشجاع الحازم صاحب الفتوح، يضرب المثل =

رضوان الله عليه.

● فقد كان لأمّ ورقة رضي الله عنها غلامٌ وجاريةٌ، وكانت قد وعدتهما بالعِتْقِ بعد موتها، ولما علم الغلامُ والجاريةُ بهذا الشَّرط ظنَّا أنَّ الحياةَ ستطولُ بأمّ ورقة، فسوَّلَتْ لهما أنفسهما أمْراً رديئاً، فقاما إليها بالليل فغمياها ثم قَتلاها وهربا.

● وكان من عادة عمر رضي الله عنه أنْ يسمع قراءة أمّ ورقة كلَّ ليلة، لكنَّه لم يسمعْ صوتها في هذه الليلة، فلما أصبح قال: والله ما سمعت قراءة خالتي أمّ ورقة البارحة، فدخل دارها فلم يرَ شيئاً ولم يسمعْ صوتاً، فدخل البيتَ فإذا هي ملفوفةٌ في قَطِيفَةٍ في جانب البيت، فقام عمر رضي الله عنه في النَّاس وقال:

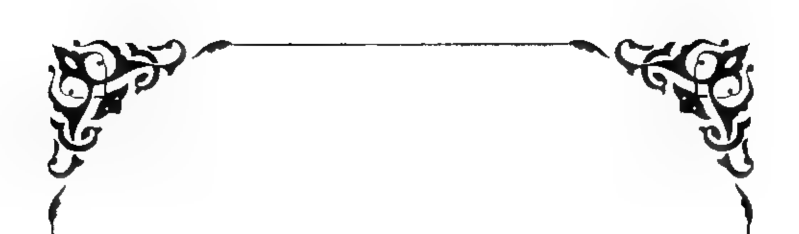
● إنّ أمّ وَرقة غمّها غلامها وجاريتها فقتلاها وإنَّهما هربا، ثم أَمَرَ بطلبهما، فأُدركا وأُتي بهما فسألهما فأقرا أنَّهما قتلاها، فأمر بهما فصُلِبا، فكانا أول مصلوبَيْنِ بالمدينة المنورة، عندئذ قال عمر رضي الله عنه: صدقَ رسول الله ﷺ حين كان يقول: «انطلقوا بنا نزور الشَّهيدة».

● وظفرتْ أمّ ورقة بما كانت تتمناه، فرزقها الله الشَّهادة، وصدّق الله رسوله الكريم ﷺ بما حدّث عن الغيوب المستقبلة.

ومع وداع سيرة أم ورقة رضي الله عنها تعالوا نقرأ قوله تعالى يتحدث عن مصير الشُّهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

* * *

= بعدله، شهد الوقائع، وافتتحت في عهده البلاد، قتله أبو لؤلؤة المجوسي سنة (٢٣هـ) رضي الله عنه. ومناقب عمر كثيرة لا تحصر في مجلدات وهي متنوعة وكثيرة. (الأعلام للزركلي ٥/ ٤٥).



(٤١)

هند بنت عمرو بن حرام

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«يا هند؛ قد ترافقوا في الجنة: عمرو بن الجموح وابنك خلاّد وأخوك عبد الله».

نحو النُّور:

● عندما كان مصعبُ بن عمير رضي الله عنه يدعو إلى الله في المدينة، كان هنالك شابٌ من بني سَلمَة قد استجاب لله عزَّ وجلَّ وأسلم، وامتلأت نفْسُه الكبيرةُ بالحماسِ للإيمان الذي صقلَ قلبه، وأبعده عن دنَسِ الأوثان وشَرَك الأصنام التي شغلتْ قلوبهم ومنازلهم.

● هذا الشَّاب المؤمن يُدعى معاذ بن عمرو بن الجموح، وبإسلامه بدأ رجال بني سلمة ونساؤهم، يقبلون على الإسلام إقبالاً رائعاً، ومن بين نساء بني سلمة امرأةٌ جليلة القَدْرِ كانت من المسلمات السَّابقات.

● في كتابه «أسْد الغابة» ذكرها ابنُ الأثير[1] فقال: هندُ بنتُ عمرو بن حرام من بني سَلمَة[2]. وهذه المرأة هي أختُ عبد الله بن عمرو بن حرام الصَّحابي الكريم، وعمّة الصَّحابي الشَّهير جابر بن عبد الله رضي الله عنهم جميعاً.

● وقد عُرفت هند في قومها بالفضل، وسَدَادِ الرّأي، وكمال التَّدبير، كما تميّزت بحسن تربيتها لأولادها، ورعايتها لزوجها الذي كانت سبباً في إسلامه.

---

(١) ابنُ الأثير: الإمامُ الحافظ عزّ الدِّين أبو الحسن عليُّ بن محمد بن عبد الكريم الشَّيباني الجزريّ، المحدّث اللغويّ المؤرخ العلاّمة الأديب، وُلد بجزيرة ابن عمر سنة (٥٥٥هـ)، وسكن الموصل، وكانت داره مجمع الفضلاء، وكان مكملاً في الفضائل نسّابة أخبارياً عارفاً بالرِّجال وأنسابهم ولا سيما الصَّحابة رضي الله عنهم، له مؤلفات مفيدة كثيرة: منها، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة، والكامل في التاريخ، وله تاريخ الموصل، لم يتم. مات في شعبان سنة (٦٣٠هـ) رحمه الله. ولأبناء الأثير قدم راسخة في العلوم بشتى أنواعها. (طبقات الحفاظ ص ٤٩٥ و٤٩٦) ومصادر أخرى.

(٢) أسد الغابة (٥/ ٥٦٣)، وانظر كذلك الطبقات (٨/ ٣٩٤)، والاستيعاب (٤/ ٤٠٩).

هنـد وإسـلامُ زوجِهَـا:

● أوردتِ المصادرُ المتنوعة أنَّه لما أسلم الأنصار، بعدما بايعوا النَّبي ﷺ، ظهر الإسلام في المدينة، ولكنَّه بقي قومٌ على الشِّرك منهم زوج هند «عمرو بن الجموح»[1]، وكان ابنه معاذ بن عمرو قد شهد العقبة، وبايع النَّبي ﷺ بها.

● وكانت هند قد أسلمت أيضاً، وأسلم أولادها جميعهم وهم: معاذ، ومعوّذ، وخلاّد، وعبد الرحمن، وهند، بنو عمرو بن الجموح؛ غير أن زوجها عَمْراً لم يعلم بإسلامها أو بإسلام أولاده، بل أوعز إلى امرأته أنْ تحذِّر أولادها منْ أنْ يصغوا لما يقوله السَّفير النَّبوي الحكيم مصعب، أو منْ أسلم بالمدينة أيضاً لئلا يتركوا ما ألْفَوْا عليه آباءهم، ثم قال لها: يا هند، لا تَدعي أحداً من عيالك في أهلك يستمع لهؤلاء حتى ننظر ما يصنعون، قالت هند: كما تريد.

● وصمتتْ هنيهات ثم أردفتْ قائلة ـ وهي ترجو إسلامه ـ: ولكنْ هل لك أنْ تسمعَ من ابنكِ ـ فلان ـ ما روى عنه؟

قال عمرو متعجباً: فلعلَّه صبأ وتركَ دينه؟

قالت: لا، ولكن كان مع القوم.

فأرسل إلى ابنه فقال: أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرَّجل، فأخذ ابنه يقرأ بصوتٍ ندي رخيم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝﴾ [الفاتحة: ١ـ٦] فقال لابنه وقد بدأتْ خيوط الإيمان تُنْسَجُ في قلبهِ: ما أحسن هذا وأجمله، وكلّ كلامه مثل هذا؟!.

---

(١) اقرأ سيرة الصحابي الجليل عمرو بن الجموح في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة» (٣٧/٢).

فقال: نعم يا أبتاه.

● واستبشرتْ هندٌ خيراً حينما لاحظت اهتمام زوجها بمعاني التَّنزيل الحكيم. وأخذتْ تدعو الله أنْ يشرح صدره للإسلام، وأنْ يهديه إلى الصِّراط السَّويّ.

● ولم تمضِ بضعة أيام حتى أذعنَ عمرو بن الجموح، وانضمَّ إلى ركب النُّور، وسُرّت هند بإسلامه، وحمدت الله عزَّ وجلَّ الذي خلَّصه من صنمهِ البغيض ـ منَاة ـ[1] ومنْ دَنَسِ الأصنام، وأنشأ عمرو يقول:

أتـــوبُ إلـــى الله فيمـــا مضـــى
وأستنقـــذُ الله مـــنْ نـــاره
هـــدانـــي وقـــد كنـــتُ فـــي ظُلمـــةٍ
حليـــفَ منـــاةٍ وأحجـــاره[2]

«قَـدْ تـرافَـقُـوا فـي الجنَّـةِ»:

● لما خرج المسلمونَ يوم أُحُدٍ إلى الجهاد، قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنَّةٍ عرضها السَّموات والأرض أعدَّتْ للمتَّقينَ».

---

(١) كان الأشرافُ يتخذون في بيوتهم أصناماً، وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يُقال له: «مناة»، وفي رواية «مناف». ومناة: صنم كانت العرب تعظمه في الجاهلية؛ ومن الجدير ذكره أنَّ الأوس والخزرج وأهل يثرب كانوا يحجّون ويقفون مع النَّاس المواقف كلها، ولا يحلقون رؤوسهم، فإذا نفروا وأتوا مناة، وحلقوا رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك، ولإعظام الأوس والخزرج يقول عبد العزى بن وديعة المزني:

إنّـي حلفـتُ يميـنَ صـدقٍ بـرّةٍ بمنـاة عنـد محـلّ آلِ الخـزرجِ

ومناة هذه التي ذكرها الله عز وجل في قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠]. (معجم البلدان ٥/ ٢٠٤ و٢٠٥).

(٢) انظر على سبيل المثال: دلائل النبوة للأصبهاني (١/ ٤١٢ و٤١٣)، وأسد الغابة (٤/ ٩٤)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٥٣) بتصرف.

فقام عمرو بنُ الجموح رضي الله عنه وهو أعرجُ فقال: والله لأقحزنَّ[1] عليها في الجنَّةِ. فمنعه أولاده وقالوا له: قد عذَرك الله، فأتى رسول الله ﷺ يشكوهم، فقال لأولاده: «لا عليكم أنْ تمنعوه لعلَّ الله يرزقه الشَّهادة».

● وتمشتِ الفرحةُ في مفاصل عمرو، وانتعشتْ روحه، وسرتِ الشَّجاعة في نفسه، فأسرع إلى بيته وتجهَّز، وشاهدته زوجه هند، فتبعتْهُ وسمعتْ منه كلاماً عجيباً، قالت هندُ: كأني أنظرُ إليه قد أخذَ درقتَه[2] وهو يقولُ: اللهمَّ ارزقْني الشَّهادة، ولا تردَّني خائباً إلى أهلي.

● وخرج إلى أُحُد؛ فكان منْ أوائلِ الشُّهداء هو وابنه خلاَّد وعبد الله بن عمرو أخو هند رضي الله عنهم جميعاً.

● ووصل الخبر إلى هند بأنَّ زوجَها وابنَها وأخاها قد حظوْا بالشَّهادة، فأتت مكان الشُّهداء في أحد، وحملتْهُم على بعير لها تريد أنْ تدفنهم في المدينة، فلقيتها عائشة أمُّ المؤمنين في نسوةٍ فقُلْنَ لها: عندك الخبر فما وراءك؟

فقالت هند: خيراً، أمَّا رسول الله ﷺ فصَالحٌ، ودفع الله عزَّ وجلَّ عنه، وكلُّ مصيبةٍ بعده جَلَلٌ ـ هينة ـ واتخذ الله المؤمنينِ شهداء، ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وسألتها أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: مَنْ هؤلاء؟

فقالت هند: أخي، وابني خلاَّد، وزوجي عمرو بن الجموح. أريد أنْ أذهبَ بهم إلى المدينة أقبرهم بها.

● ثم زجرتْ بعيرها نحو المدينة فبرك، فزجرتْهُ فقام ثانية، وزجرته نحو

---

(١) «قحز»: وثب.
(٢) «الدرقة»: الترس.

المدينة فبركَ، وصار كلَّما توجهه إلى المدينة يبركُ، فوجهته إلى أرض أحد فأسرع.

● فرجعتُ إلى النَّبيِّ ﷺ وأخبرتُهُ بذلك، كما أخبرته بدعاء زوجها قبل خروجه إلى أحد، فقال: «إنَّ الجَمَلَ مَأمورٌ».

ثم قال ﷺ لهند: «يا هند ما زالت الملائكة مُظلِّلةً على أخيك من لدن قُتِلَ إلى السَّاعةِ ينظرون أين يُدْفَنُ»، ثم مكث عليه الصَّلاة والسَّلام حتى دُفِنَ الشُّهداء وقال: «يا هند، قد ترافقوا في الجنَّةِ جميعاً:

عمرو بن الجموح

وابنك خلاَّد

وأخوك عبد الله».

قالت: يا رسول الله، ادعُ الله عسى أنْ يجعلني معهم[1].

● وهذا الموقف من أبدع الأمثلة التي وقفتها امرأة في الصَّبر والرِّضا والتَّسليم، وكانت هند بطلة هذا الموقف الإيماني البديع.

هندُ في ركَاب المُجَاهدين:

● أحبَّتْ هندٌ رضي الله عنها أنْ تُسْهِم بدورها في ساحات الجهاد، ضمن الحدود التي سمح بها الشَّرع للمرأة، فخرجتْ مع رسول الله ﷺ إلى خيبر[2]، ونالت نصيبها من الأجر ومن الغنائم.

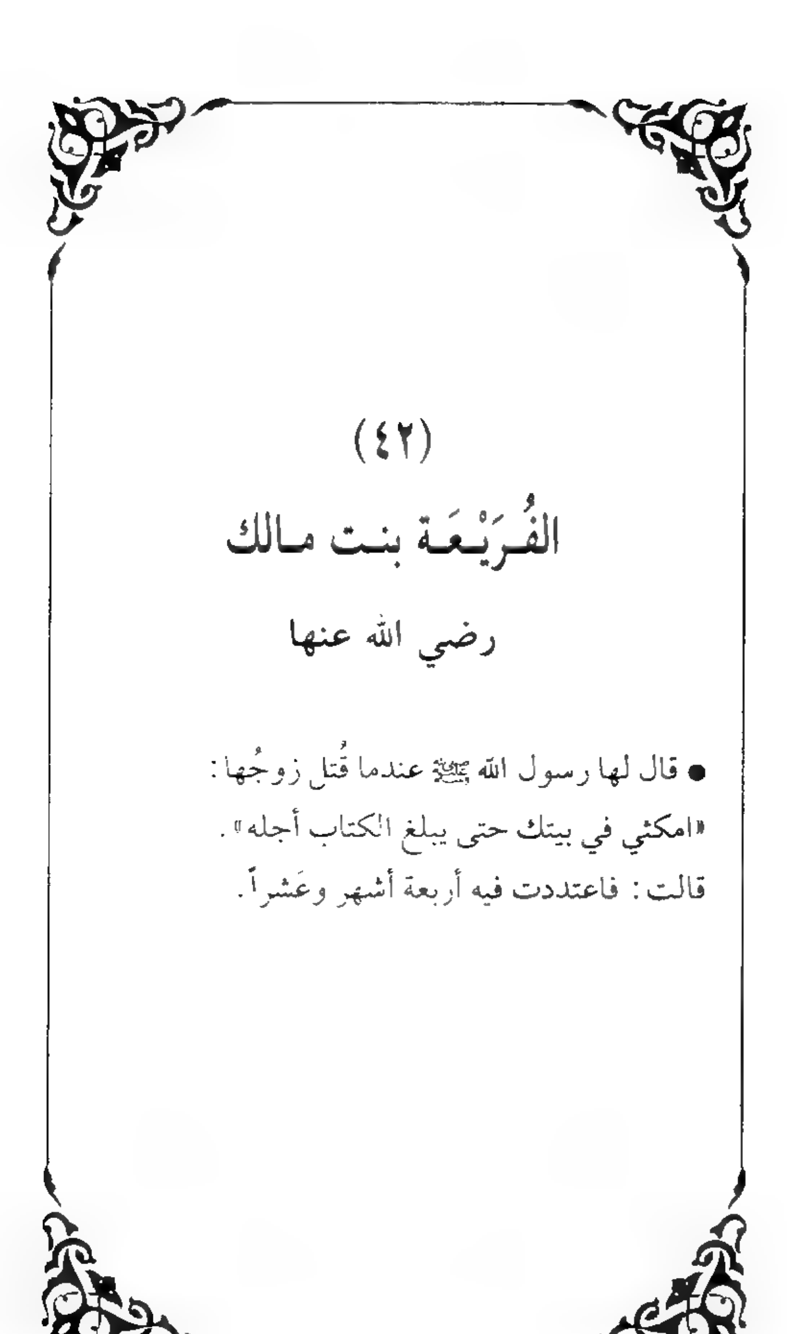
● وتابعتِ الصَّحابية هند حياتها في المدينة، وكانت حياة عطاء خيِّرٍ في العبادة والزُّهد، ومواصلة أعمال البر والإحسان، وظلَّتْ على هذه الحال إلى أنْ لقيت الله عزَّ وجلَّ، وهي ترجوه أنْ يجمعها في جنَّتِهِ مع الذين عناهم الرَّسول الكريم ﷺ بقوله: «قد ترافقوا في الجنَّةِ جميعاً».

* * *

---

(١) عن المغازي (١/ ٢٦٥ و٢٦٦)، وأسد الغابة (٤/ ٩٤)، والبداية والنهاية (٤/ ٤٣ و٤٤)، والسيرة الحلبية (٢/ ٢٥٨) بتصرف.

(٢) المغازي (٢/ ٦٨٥)، والطبقات (٨/ ٣٩٤)، والسيرة الحلبية (٢/ ٧٧٠).



(٤٢)

الفُـرَيْـعَـة بنـت مـالك

رضي الله عنها

● قال لها رسول الله ﷺ عندما قُتل زوجُها:

«امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله».

قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعَشراً.

البـدايَـةُ المشْـرِقَـةُ الخـيِّرةُ:

● في الأيامِ الأولى لشروقِ الإسلام في المدينة، كانتْ هنالك نسوة قد لامستْ نسماتُ الإسلام قلوبهنَّ، فأشرقتْ نفوسهن بالإيمان، وسارعن إلى إعلانِ إيمانهن بالله عزّ وجل، وتصديقِ رسوله محمّد ﷺ.

● من هؤلاء المؤمنات امرأةٌ جليلةُ القَدْرِ، منْ أُسْرة كريمةٍ آمنتْ بربِّها مع السَّابقين الأولين.

● وتأتي هذه المرأة من بني خدرة، ولعلكم تعرفون أبا سعيد الخدري الصَّحابي المشهور، والفقيه المجتهد، إنّه سعد بن مالك الذي اشتهر بكنيته ـ أبو سعيد ـ.

ونحن الآن بصدد الحديث عن أخته الشَّقيقة الفُريعة بنت مالك بن سنان الخدرية الأنصارية الخزرجية[1].

وأمها أنيسة بنت أبي حارثة الأنصارية النجارية.

● وأخوها لأمِّها، قتادة بن النُّعمان بن زيد الأنصاري الصَّحابي الجليل رضي الله عنه.

● أسلمت الفريعة، وبايعتْ رسول الله ﷺ.

الفُـرَيعـةُ والأسـرةُ المجَـاهِـدَةُ:

● في غزاةِ أحدٍ كان أفرادُ أسرة مالك بن سنان ـ والد الفريعة ـ قد تسابقوا إلى الجهاد. فخرجَ مالك وابنه أبو سعيد وقتادةُ بن النّعمان ـ أخو أبي سعيد لأمّه ـ.

● وعند أحد كان مالكٌ يعرض أبا سعيد على رسول الله ﷺ ليسمح له بدخول المعركة، فجعل النَّبيُّ ﷺ يصعِّدُ فيه النَّظَر ويصوِّبه، ثم قال لوالده: «رُدَّهُ»، فردَّه إلى المدينة وكان عمرهُ إذْ ذاك ثلاث عشرة سنة. وكان ﷺ قد

---

(١) الطبقات (٨/ ٣٦٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٥).

استصغره يوم أحد مع ثلة من الفتيان في عمر الورود.

● وفي المعركة أبلى مالك بلاء محموداً، وخصوصاً لما انهزم المسلمون، وجُرح وجه النَّبي الشَّريف، ولحظ إذْ أسرع مالك وامتصَّ الدَّم الشَّريف من وجنة رسول الله ﷺ، وظل يقاتل حتى ظفر بالشَّهادة، فقال في حقه ﷺ: «مَنْ أراد أنْ ينظر إلى رجل مِنْ أهل الجنّةِ فلينظرْ إلى هذا» وأشار إلى مالك بن سنان رضي الله عنه.

● ولم يكنْ قتادة أقلّ بلاء من عمّه مالك بن سنان، فقد كانَ أحد الذين ثبتوا حول النَّبي ﷺ ساعة العسرة، وقُلعَتْ عينُه يومذاك، فردَّها النبي ﷺ وكانت أحسن عينيه[1].

وفي هذا يقول أحد أولاد قتادة مفتخراً بهذه الحادثة:

أنا ابنُ الذي سالتْ على الخدِّ عينُه
فردَّتْ بكفِّ المُصْطفى أحْسَنَ الرَّدِّ

فعادتْ كما كانتْ لأولِ أمرِها
فيا حسن ما عين ويا حسن ما ردّ

● ووصل خبر استشهاد مالك بن سنان إلى المدينة المنورة، فاحتسبته الفُريعة وأمها عند الله عزَّ وجلَّ؛ وصبرتْ أحسنَ الصَّبر؛ فنالتْ أفضل الجزاء وأعظم المثوبة.

درْسٌ في الصَّبْرِ:

● من دلائل النُّبوة هذا الدرس العظيم للفُريعة بنت مالك رضي الله عنها، فقد أخرج البيهقي رحمه الله بسنده عن أبي سعيد الخدري أنَّه قال:

أصابنا جوعٌ ما أصابنا مثله قطّ في جاهليةٍ ولاإسلام، فقالت لي أختي فُريعة: اذهبْ إلى رسول الله ﷺ فسَلْهُ لنا فوالله لا يُخَيِّبُ سائله، لأنّك منه

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٩٠)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣١).

بإحدى اثنتين: إمّا أنْ يكون عنده فيعطيك، وإما أنْ لا يكون عنده فيقول: أعينوا أخاكم. فلم أكْرَه ذلك، فلما دنوتُ من المسجد وهو يومئذ ليس له جدار، سمعتُ صوت رسول الله ﷺ فقلتُ:

إنَّ هذا النَّبي ﷺ يخطبُ، فكان أول ما فهمتُ من قوله: «مَنْ يستعففْ يُعفّهُ الله، ومنْ يستَغْنِ يُغنِه الله».

فقلت: ثكلتك أمّك سعد بن مالك والله لكأنَّك أُرِدتَ بهذا، لا جرم والذي بعثكَ بالحق لا أسأل شيئاً بعدما سمعتُ منك.

● فجلستُ فلما فرغ رجعتُ وفريعةُ تقبل وتدبر أقصى الآجام إلى بابه، قد أدماها الجوعُ، فلما حصَلْتُ ببقيع الزُّبير أبصرتْ ليس معي شيء، فلما جئتُ قالت: مالك؟ فوالله ما يخيِّبُ سائله، فأخبرتُها بالذي سمعت منه.

قالت: فسألته بعد ذلك؟

فقلتُ: لا.

قالت: أحسنت.

فلمّا كانَ مِنَ الغد فإنّي والله لأتعبُ نفسي تحت الأجُمِ إذ وجدتُ مِنْ دراهمِ يهود فابتعْنا به وأكلنا، ثمّ والله مازال النَّبي ﷺ محسناً[1].

● وهكذا أكرمِ الله آل مالك بن سنان فأصبحوا من أكثر الأنصار مالاً بفضلِ صبرهم واتباعهم الهدي النَّبوي.

المُجَاهِدَةُ المُحدِّثَةُ:

● من بين المجموعة الفريدة السَّعيدة، كانت الفريعةُ مع أخويها أبي سعيد وقتدة، يبايعون رسول الله ﷺ بيعةَ الرِّضوان، في الحُديبية، فكانتِ الفريعة مع المؤمنين المبايعين خير أهلِ الأرض يومذاك، وكان عددهم فيما روى جابر بن عبد الله[2] أربع عشرة مئة، فسبقتْ لهم الحسنى مِنَ الله عزَّ وجلَّ،

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٦/ و٢٩٠ ٢٩١).

(٢) جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السُّلَمي، أبو عبد الله: الصَّحابي ابنُ =

وفازوا بالرِّضوان والرِّضاء، وانضووْا تحت قوله سبحانه: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

● وعن شهودها هذه البيعة يقول النَّوويُّ رحمه الله: شهدت الفريعةُ بيعةَ الرِّضوان مع رسول الله ﷺ[١].

● هذا وقد جمعت الفُريعة رِوايةَ الحديث إلى جانب الجهاد، روت عن النَّبي ﷺ ثمانية أحاديث، وأحاديثها مروية في كتب السُّنن، وروت عنها زينب بنت كعْب بن عُجْرة التَّابعية الجليلة حديثها المشهور في سُكْنى المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى يبلغ الكتاب أجله[٢].

● وهذا الحديث استعمله فقهاء الأمصار وعملوا به، لأنّ فيه حكم رسول الله ﷺ للفريعة؛ وفي السُّطور التَّالية نتعرَف أحكامَ هذا الحديث

الفُريعَةُ والحُكْمُ النَّبويُّ:

● ثبتَ في السُّنن[٣]، عن زينب بنت كعب بن عجرة، عن الفريعة بنت مالك أخت أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، أنَّها جاءتْ إلى رسول الله ﷺ تسأله أنْ ترجعَ إلى أهلها في بني خُدرة، فإنَّ زوجَها خرجَ في طلب أعبُدٍ له

= الصَّحابي، أحد المكثرين من الرِّواية عن رسول الله ﷺ روى (١٥٤٠ حديثاً)، غزا مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، وكان هو وأبوه وخاله من أصحاب العقبة. توفي جابر رضي الله عنه في المدينة سنة (٧٣هـ) وهو ابن أربع وتسعين سنة، وكان قد ذهب بصره في آخر عمره. قال النَّووي رحمه الله: وحيث أطلق جابر في هذه الكتب فهو جابر بن عبد الله، وإذا أراد ابن سَمُرَة قيده. وكان جابر رضي الله عنه آخر الصَّحابة موتاً في المدينة. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٤٢ و١٤٣).

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٤).

(٢) الاستيعاب (٤/ ٣٧٥).

(٣) أبـو داود (٢٣٠٠)، والترمـذي (١٢٠٤)، والنسـائـي (٦/ ١٩٩)، وابـن مـاجـه (٢٠٣١)، وكلها في الطلاق. كما أخرجه مالك في الموطأ وأحمد في المسند وانظر الطبقات (٨/ ٣٦٨)، وأسد الغابة (٥/ ٥٣٠)، والإصابة (٤/ ٣٧٥).

أبقُوا. حتى إذا كانوا بطرف القُدُوم لحقهم فقتلوه، فسألتُ رسول الله ﷺ أنْ أرجع إلى أهلي، فإنّي لم يتركني في مَسْكَن يملكه ولا نفقة.

فقال رسول الله ﷺ: «نعم».

● فخرجتْ حتى إذا كنتُ في الحجرة أو في المسجد، دعاني أو أمَرَ بي، فدُعيتُ له فقال: «كيفَ قُلْتِ؟».

فرددتُ عليه القصة التي ذكرتُ من شأنِ زوجي.

فقال: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله».

قالت: فاعتددتُ فيه أربعةَ أشهرٍ وعَشْراً.

● فلما كان عثمان[1] رضي الله عنه أرسلَ إليَّ فسألني عن ذلك فأخبرتُه فقضىٰ به واتَّبعه.

● وظلَّ حديثُ الفُريعة هذا مرجعاً للعلماء والمحدِّثين يأخذونَ به، وسيأخذون بحكمه إلى ما شاء الله.

وداعُ المؤمنــة:

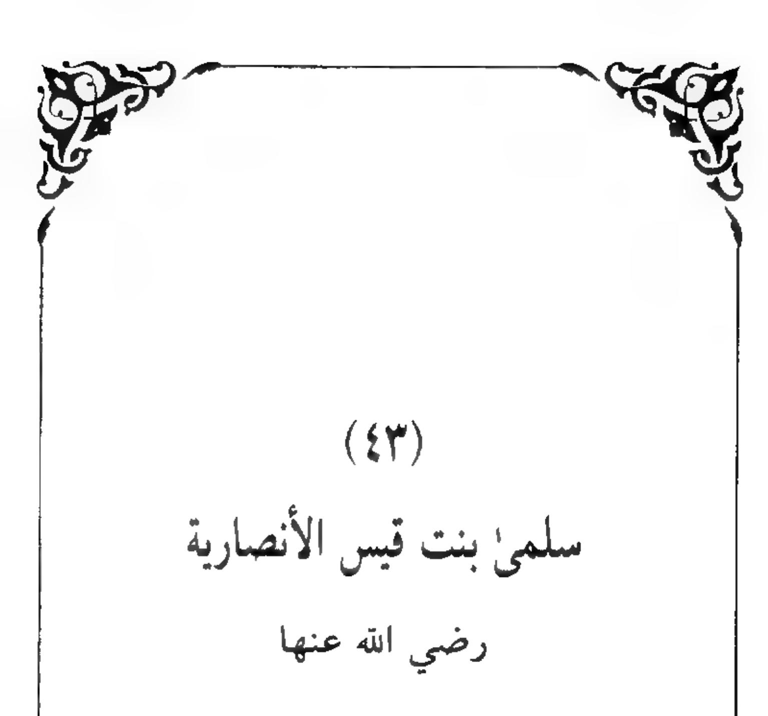
● تشيرُ أخبار الفُريعة رضي الله عنها إلى أنَّها عاشت الخلافة الرَّاشدة، ولكنْ لا يُعلم متىٰ وقْت وفاتها بالتَّحديد.

● رضي الله عن الفُريعة وأرضاها، وأدخَلها الجنَّة مع الذين يقال لهم: سلامٌ عليكم طِبْتم.

* * *

---

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاصي القرشي الأموي المكي ثم المدني، أبو عمرو، أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، هاجر الهجرتين، له (١٤٦ حديثا)، كان غنياً شريفاً جهز جيش العسرة، وأتم جمع القرآن الكريم، وزاد في المسجدين الحرام والنبوي، وقتل شهيداً يوم الجمعة (٨) ذي الحجة سنة (٣٥هـ) وهو ابن تسعين سنة، وأخباره مشهورة، ولايمكن حصرها، رضي الله عنه وأرضاه. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٢١ _ ٣٢٥)، و(الأعلام ٤/ ٢١٠).



(٤٣)

سلمىٰ بنت قيس الأنصارية

رضي الله عنها

● من المبايعات، والمصليات إلى القبلتين، مجاهدة، كان النبي ﷺ يزورها ويأكل عندها، راوية للحديث النبوي الشريف.

التَّسَابقُ المحْمُود:

● لاحتْ تباشيرُ صبح الإسلام في المدينة، وشرعَ ليلُ الأوثان في الرَّحيل عنها إلى غيرِ رجعة، وبدأ أصحابُ العقول المتفتِّحة يُقبلون على الإسلام إقبالاً عجيباً، وكان للنِّساء نصيبٌ وافرٌ في هذا الإقبال الرَّائع، وانتظمتْ أعدادٌ جليلةُ القَدْرِ من بني النَّجار، ومنهم سلمىٰ بنت قيس بن عمرو الأنصاري النَّجارية[1] أمّ المنذر، أخت سُليط بن قيس[2] الأنصاري.

● كانت أمُّ المنذر قديمة الإسلام، صلَّتْ إلى بيتِ المقدس ثم إلى الكعبة المشرفة، وهي مع هذا وذاك ذات مكانة متميزة عند رسول الله ﷺ، فهي إحدىٰ خالاته مِنْ جهة أمّ جده[3] عبد المطلب.

● ولأمِّ المنذر بيعتان مباركتان، اقترنتا بسيرتها العطرة، وقد شهد تاريخُها بروعةِ ذلك، ولذلك سُمِّيتْ بالمحافظة على البيعتين.

البَيْعَةُ الأُولى:

● روىٰ الإمام البُخاري رحمه الله عن عروة أنَّ عائشة زوج النَّبي ﷺ أخبرتْه أنَّ رسول الله ﷺ كان يمتحن مَنْ هاجر إليه مِنَ المؤمنات بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢]،

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٦٢١)، والإصابة (٤/ ٤٧٧)، وقد ذكر ابن سعد أنها تزوجت قيس ابن صعصعة النجاري فولدت له المنذر.

(٢) سليط بن قيس بن عمرو النجاري الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد كلها، وقتل يوم جسر أبي عبيد شهيداً، وكان آخر من قُتل يومذاك، سنة (١٤هـ)، ولما وصل الخبر إلى المدينة المنورة قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

لقد عظمت فينا الرَّزية إننا ... جلادٌ على ريب الحوادث والدهر
على الجسر قتلى طف نفسي عليهم ... فيا حسرتا ماذا لقينا من الجسر

(الاستيعاب ٢/ ١١٧)، وأسد الغابة (٢/ ٣٤٥).

(٣) اسمها: سلمى بنت عمرو النجارية.

فمَنْ أقرَّ بهذا الشَّرط مِنَ المؤمنات، قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتُك» كلاماً، ولا والله ما مسَّتْ يده يدَ امرأةٍ في المبايعة قطُّ، ما يبايعهم إلا بقوله: «قد بايعتُك على ذلك».

● والآن؛ تعالوا نشهد بيعة أمّ المنذر التي روتها فقالت:

● جئتُ رسول الله ﷺ نبايعهُ في نسوةٍ من الأنصار، فلمّا شرط علينا ألاّ نشركَ بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف قال: «ولا تغششن أزواجكن».

قالت: فبايعناه، ثم انصرفنا.

فقلتُ لامرأةٍ منهن: ارجعي فسَلِيْ رسول الله ﷺ: ما غشُّ أزواجنا؟

فسألته فقال: «تأخذ ماله فتحابي به غيره»[1].

● هذه هي بنود بيعة النِّساء، وقد حافظتْ أمُّ المنذر رضي الله عنها عليها فنالت الخير بذلك.

كرَامَةُ أمِّ المُنْذِرِ ومكانتُها:

● لئنْ قرنَ الإسلام بين الرَّجل والمرأة في بعض المواطن، لقد عرف لها نصيبها من رِقةِ القَلب، ورهافة الوجدان، وأنَّها مناط شرف الرّجل، فخصّها بنصيب من الحرمة والكرامة لم يظفرْ بمثله نظراؤها منَ الرِّجال ـ أحياناً ـ.

● إنَّ كرامة المرأة في الإسلام تتناول شخصيتها وسيرتها، وتشْمَل مشهدها ومغيبها، فمن حقها أنْ تكون هي في موطن الرِّعاية والعناية، وأنْ يكونَ اسمها بمنجاةٍ منْ لغوِ القول ومنال اللسان.

● لقد كانت المرأة في العهد النَّبوي تجير الخائف[2]، وتفكّ الأسير،

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥٢ و٣٥٣)، والحلية (٢/ ٧٧)، والحديث أخرجه الإمام في المسند.

(٢) اقرأ في هذا المجال سيرة أم هانيء بنت أبي طالب وإجارتها لرجلين من أقاربها في =

وذلك كلّه يدلُّ على احترامها ومكانتها.

● ولأمِّ المنذر رضي الله عنها مكانة سامية عند رسول الله ﷺ، ففي ساعة من ساعات الجهاد، أجارتْ أمُّ المنذر رجلاً فقُبلتْ منها إجارتها، حدثَ هذا في غزوة بني قُريظة، عندما حكم سيِّدُنا سعد بن معاذ رضي الله عنه على يهود بني قريظة، بأنْ تُقتل الرِّجال، وتقسم الأموال، وتُسبىٰ الذَّراري والنِّساء، وبدأ تنفيذُ الحكم، في هذه اللحظات كانت أمُّ المنذر مع النَّبي ﷺ في ثلَّةٍ مِنَ المجاهدات، فتقدمتْ من النبي ﷺ، وسألته أنْ يهبَ لها رِفاعة بن سَمَوْأل القرظي ـ وكان قد استجار بها وكان يعرفهم قبل ذلك ـ فقالت:

● يا نبيَّ الله، بأبي أنتَ وأمي، هبْ لي رفاعة بن سموأل، فإنَّه زعمَ أنَّه سيصلي ويأكل لحم الجمل، فوهبه لها وقال: «إنْ يُصَلِّ فهو خيرٌ له، وإن يثبتْ على دينه فهو شرٌ له».

● هذا وقد أسلم رفاعة وله صحبة ورواية[1]، ورفاعة هذا خال أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها.

= هذا الكتاب.

(١) عن تاريخ الطبري (٢/ ١٠٣)، والدرر (ص٢٠٦ و٢٠٧)، وأسد الغابة (٢/ ١٨١) بتصرف. ومن المفيد ذكره في هذا المجال، ما حدث في غزوة بني قريظة أيضاً، مع الصَّحابي الجليل ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله ﷺ، فقد استوهب ثابتٌ النَّبيَّ ﷺ الزُّبير بن القرظي، لمعروفٍ سابق له عند ثابت، فوهبه النَّبي ﷺ لثابت، ولكنَّ هذا اليهوديّ أبَتْ عليه يهوديته إلا وأنْ يُقتل مع أحبته من اليهود، وأنْ يلقاهم في نار جهنم خالداً فيها، فقدمه ثابت فضُربتْ عنقُه، وفي هذه الحادثة يقول ثابت رضي الله عنه:

وفتْ ذمتي أنّي كريمٌ وأنني صبورٌ إذا ما القوم حادوا عن الصَّبر
وكان زبيرٌ أعظمَ النَّاس منَّةً عليَّ فلما شُدَّ كوعاه بالأسرِ
أتيتُ رسول الله كيما أفكَّهُ وكان رسول الله بحراً لنا يجري

(تاريخ الطبري ٢/ ١٠٢) و(رجال مبشرون بالجنة ١/ ٣٢٥ وما بعدها) وفيه تفاصيل القصة كاملة.

فـي بيتِ أمِّ المُـنْـذِرِ:

● قال ابنُ سعد رحمه الله: لما سُبيتْ بنو قريظة أرسلَ رسول الله ﷺ بريحانةَ بنتِ زيد بن عمرو إلى بيتِ سلمىٰ بنت قيس أمّ المنذر، فكانتْ عندها حتى حاضت حيضة، ثمَّ طهُرَتْ من حيضتها، فجاءت أمُّ المنذر فأخبرتْ رسول الله ﷺ فجاءها رسول الله في بيتِ أمِّ المنذر فقال لها: «إنْ أحببتِ أنْ أعتقَكِ وأتزوَّجَكِ فعلتُ، وإنْ أحببتِ أنْ تكوني في مِلْكي فعلتُ».

● فقالت: يا رسول الله أكونُ في ملكك أخفّ عليَّ وعليك. فكانتْ في مِلْك رسول الله ﷺ يطؤها حتى ماتتْ، وكانت قد أسلمتْ رضي الله عنها[1].

أمُّ المنـذر والطِّـبُّ النَّـبويّ:

● كان رسول الله ﷺ يزور أمَّ المنذر ويأكلُ عندها، وفي إحدى زياراته لها كان بصحبته عليّ بن أبي طالب[2] وعليه آثار المرض، فأشار إليه النَّبي ﷺ أنْ يأكلَ مِنْ طعامها ليحصل له الشِّفاء؛ فقد أخرج التِّرمذي وابن ماجه رحمهما الله بسنديهما عن أمِّ المنذر رضي الله عنها قالت:

● دخـلَ علـيَّ رسـول الله ﷺ ومعـه علـيٌّ ولنـا دوالٍ معلّقـة، فجعـلَ رسول الله ﷺ يأكل وعليّ معه يأكل؛ فقال رسول الله ﷺ لعلي: «مَهْ مَهْ يا عليّ فإنَّك نَاقِهٌ»، فجلس عليٌّ والنَّبيُّ ﷺ يأكل، فجعلتُ لهم سِلْقاً وشعيراً؛ فقال النَّبي ﷺ: «يا عليّ مِنْ هذا فأصبْ فإنَّه أوفقُ لكَ»[3].

---

(١) الطبقات (٨/ ١٣١) وللقصة روايات أخرى في الطبقات نفسها (٨/ ١٢٩ و١٣١).

(٢) علي بن أبي طالب، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وابن عمّ النبي ﷺ وصهره، شجاع، خطيب، قاضٍ. قاتلته عائشة رضي الله عنه في معركة الجمل، ومعاوية في صفين، وأباة التحكيم في النهروان. قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة سنة (٤٠هـ). (الأعلام ٤/ ٢٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٣٨) واللفظ له وأخرجه ابن ماجه (٣٤٤٢)، وأبو داود (٣٨٥٦)، والإمام أحمد (٦/ ٣٦٤). وانظر الطبقات (٨/ ٤٢٢)، و(أسد الغابة ٥/ ٦٢١ و٦٢٢).

• وهذا يدلُّ على هَدْيِهِ ﷺ في الطِّب، وحكمته التي تعجز عقول أكابر الأطباء عن الوصول إليها. ولابن القيم رحمه الله تعليقٌ لطيفٌ على هذا الحديث فيقول:

• واعلمْ أنّ في منْع النّبيّ ﷺ لعليّ منَ الأكل مِنَ الدَّوالي وهو ناقِهٌ أحسن التّدبير. فإنّ الدّوالي أَقْنَاءٌ مِنَ الرُّطب تُعلّقُ في البيت للأكل، بمنزلة عناقيد العنب، و لفاكهةُ تضرُّ بالنَّاقهِ مِنَ المرض لسرعة استحالتها، وضعْفِ الطَّبيعة عن دفعها. . . . وفي الرُّطب[1] خاصة: نوع ثقل على المعدة، فتشتغل بمعالجته وإصلاحه عمّا هي بصدده من إزالة بقيةِ المرض وآثاره، فلما وُضِعَ بين يديه السّلق والشّعير أمره أنْ يصب منه، فإنَّه منْ أنْفَعِ الأغذية للنَّاقه، فإنَّ في ماء الشَّعير منَ التَّبريد والتَّغذية، والتلْطيف والتَّليين، وتقوية الطَّبيعة ما هو أصلح للناقه، ولا سيّما إذا طُبِخَ بأصول السّلق، فهذا منْ أوفقِ الغذاء لمَنْ في معدته ضعْفٌ.

البَيْعَةُ الثّانيةُ:

• شهدنا مع أمِّ المنذر رضي الله عنها بيعتها الأولى عند قدوم النَّبي ﷺ المدينة. أمّا بيعتُها الأخرى فكانت تحت الشَّجرة في الحُديبية، المسمَّاة بيعة الرّضوان، وكانت في السَّنةِ السَّادسة من الهجرة، ولذلك سُمِّيتْ أمُّ المنذر مبايعة البيعتين، وبهذا فازت بمرضاة الله عزَّ وجلَّ، وحظيتْ بالرِّضوان الذي

---

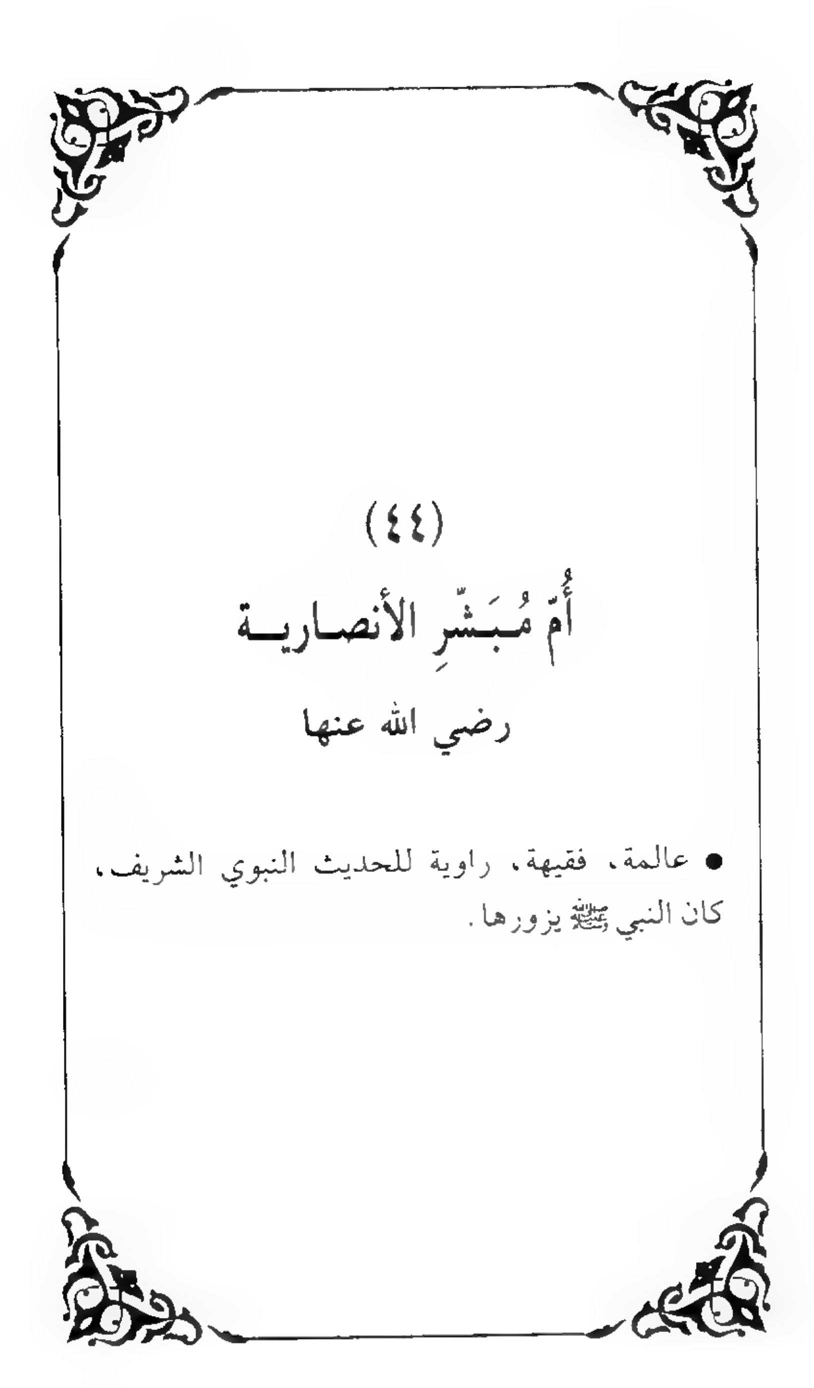
(١) يبدو أن أم المنذر رضي الله عنها كانت تشتهر من بين الصحابيات بكثرة وجود الرطب والتمر في بيتها، ولعله من الإشارات اللطيفة، في قصة الظهار بين أوس بن الصامت وزوجته خولة بنت ثعلبة ـ المجادلة ـ ذات القصة المعروفة في القرآن الكريم في سورة المجادلة، فقد أشار ﷺ إلى خولة بأن يذهب زوجها إلى بيت أم المنذر ليأخذ تمراً ويراجعها، وقال لها في ذلك «مُريه فليأتِ أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطْر وسْقٍ من تمر فليتصدق به على ستين مسكيناً وليراجعك»؛ فانطلق أوس ففعل وراجع زوجته. ولا يخفى ما في هذه القصة من مكانة متميزة لأم المنذر عند النبي ﷺ.
(شذرات الذهب ١/ ١٤٠)، و(السيرة الحلبية ٢/ ٧٢٣).

ذكره الله في القرآن الكريم: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

● وفي ختامِ سيرة هذه الصَّحابية المعطار، نتذكر أنَّها راوية من راويات الحديث النَّبوي الشَّريف، روى عنها: يعقوب بن أبي يعقوب المدني، وأيّوب بن عبد الرحمن، وروت عنها كذلك أمّ سُليط بن أيوب بن الحكم.

● رضي الله عن أمِّ المنذر، وجعلها مع المقربين في جنَّاتِ النَّعيم، ولله درّ أبي نعيم إذ وصفها بقوله: المُصَلِّيَةُ القبلتين، المحافظةُ على البيعتين، سلمى بنت قيس النَّجارية رضي الله عنها.

* * *



(٤٤)

أُمّ مُبَشّرٍ الأنصارية

رضي الله عنها

● عالمة، فقيهة، راوية للحديث النبوي الشريف، كان النبي ﷺ يزورها.

الخَيِّرَةُ والأخْيَار:

● منْ بينِ نساء الأنصار اللاتي تركن أثراً كريماً في عالم المرأة، أمُّ مُبشر بنت البراء بن معرور الأنصارية[1]، امرأة زيد بن حارثة رضي الله عنه.

● عرفتِ الإسلامَ منذ إشراقته الأولى، فأسلمتْ وبايعت رسول الله ﷺ، وحظيت أمُّ مبشر[2] بالتكريم من رسول الله ﷺ لسابقتها ولمكانة أبيه.

● فأبوها أحد الصَّحابة الأخيار، البَراء بن معرور بن صخر الأنصاريّ الخزرجيّ السّلميّ، أحد النُّقباء ليلة العقبة ـ وماأدراك ما ليلة العقبة ـ، وكان نقيب قومه بني سَلِمَة، وهو أول مَنْ بايع النبي ﷺ ليلة إذ، وكان أجلَّ السَّبعين، وكان فاضلاً تقياً نقيّ النَّفس، فهو أول من استقبلَ القِبْلة.

مات في صَفَر قبل قُدوم رسول الله ﷺ المدينة مُهاجراً بشهر، ولما قَدِمَ عليه الصَّلاة والسَّلام أتىٰ قبره في أصحابه فَكَبَّرَ عليه، وصلّىٰ عليه أربعاً. وكان لما حضره الموت أوصىٰ أنْ يُدفنَ وتُستَقْبَلَ به الكعبة ففعلوا ذلك.

مكانتُها وَفقْهُهَا:

● اشتهرتْ أمُّ مبشر رضي الله عنها بعلْمِها وفقْهِها ومكانتها، قال عنها ابنُ عبد البر رحمه الله: كانت من كبار الصَّحابة رضي الله عنها.

كما أنَّ لأمِّ مُبشِّر صلةٌ وثيقةٌ بحديثِ رسول الله ﷺ، فكانت تكثرُ من زيارة البيتِ النَّبوي، والدُّخول على زوجات النبي الطَّاهرات وخصوصاً أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما؛ وهذا ما جعلها تعي الحديث الشَّريف وتحفظه وتتقنه.

---

(١) الطبقات (٨/٤٥٨)، وأسد الغابة (٥/٦١٦)، والاستيعاب (٤/٤٧٠)، وتهذيب التهذيب (١٢/٤٧٩).

(٢) ويقال: أم بشر بنت البراء بدلاً من أم مبشر.

● روتْ عن النّبي ﷺ عشرة أحاديث؛ وروىٰ عنها جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه.

● وروى عنهــا مــن الأجــلاء مجــاهــدُ بــن جبيــر[1]، ومحمّــد بــن عبد الرّحمن بن خلاّد الأنْصاري.

● وأخرجَ لها مُسلم في صحيحه والنَّسائي في سننه[2].

● وأمُّ مبشر هي راوية الحديث المشْهور في فضائلِ أهل بَدْر وأهل بيعة الرضوان، حيث قالت:

كان رسول الله ﷺ في بيت حَفْصَةَ فقال: «لا يدخلُ النَّار أحدٌ شَهِدَ بدراً والحُديبية».

قالتْ حفصة: أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[3] [مريم: ٧١].

فقال رسول الله ﷺ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].

● ولأمّ مبشر روايات أُخَر، منها ما رويَ عن مجاهد عنها قالت: سمعتُ

---

(١) مجاهد بن جَبْر ـ وقيل جبير ـ المكيُّ المخزوميُّ الإمامُ المشهورُ، تابعي، سمع من كبار الصّحابة، ومن كبار التّابعين أيضاً. واتفقَ العُلماء على إمامتِه وجلالتِه وتوثيقه، وهو إمام في الفِقْه والتَّفسير والحديث. قال عن نفسه: عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. وقال عنه خُصيْف: كان أعلمهم بالتَّفسير؛ ومناقبه كثيرة مشهورة منثورة في كتب التراجم والطبقات، كالحلية، وطبقات ابن سعد، وطبقات خليفة، وسير أعلام النبلاء، وتاريخ البخاري، وشذرات الذهب وغيرها. توفي سنة (١٠٣هـ) وله (٨٣) سنة رحمه الله. (العبر ١/ ٩٤ و٩٥)، و(تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٨٣)

(٢) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٩)، والإصابة (٤/ ٤٧١).

(٣) انظـر تفسيـري الخـازن (٤/ ٢٥٦). وابـن كثيـر (٣/ ١٣٣)، وانظـر الطبقـات (٨/ ٤٥٨). والاستيعاب (٤/ ٤٧١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ١٤٣)، وأسد الغابة (٥/ ٦١٦ و٦١٧)، والبداية والنهاية (٤/ ١٧٣). وللحديث أصل في صحيح مسلم (٧/ ١٦٩)

رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بخير النَّاس؟».

قالوا: بلىٰ يا رسول الله.

قال: «رجلٌ في غُنَيْمَة له يُقيمُ الصَّلاةَ، ويؤتي الزَّكاة، قد اعتزلَ شرور النَّاس»[1].

مِنَ التَّوْجِيهَاتِ النَّبويَّةِ:

● زار النَّبي ﷺ أمَّ مبشر ذاتَ مرة، فتشرَّفتْ بزيارته، وتشرفت بالرِّواية عنه، والاستماع لهديه، والاستمتاع بحديثه وتوجيهاته التي تجمعُ خيري الدُّنيا والآخرة.

● وقد تحدثت أمُّ مبشر عن هذه الزِّيارة فقالت:

دخل عليَّ رسول الله ﷺ، وأنا في نَخْلٍ لي فقال: «مَنْ غرسه مسلم أو كافر؟».

قلتُ: مسلم.

قال: «ما من مسلم يغرسُ غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسانٌ أو طائرٌ أو سَبُعٌ إلا كان له صدقة»[2].

وَدَاعَاً أمّ مُبَشِّرٍ:

● وتابعتْ هذه الصَّحابية حياةَ العطاء والعمل والعلم، وعاشتْ حتى شهدت وفاةَ النَّبي ﷺ، وتوفي وهو راض عنها.

● وعاشت أمُّ مبشر حياتها في ظلِّ الخلفاء الرَّاشدين، وهي تعمل جاهدة لتفوزَ بمرضاة الله عزَّ وجلَّ.

● ويسكتُ التَّاريخُ، فلا يحددُ زَمَنَ وفاتِها، أو مكانها، غير أنَّه يبدو من

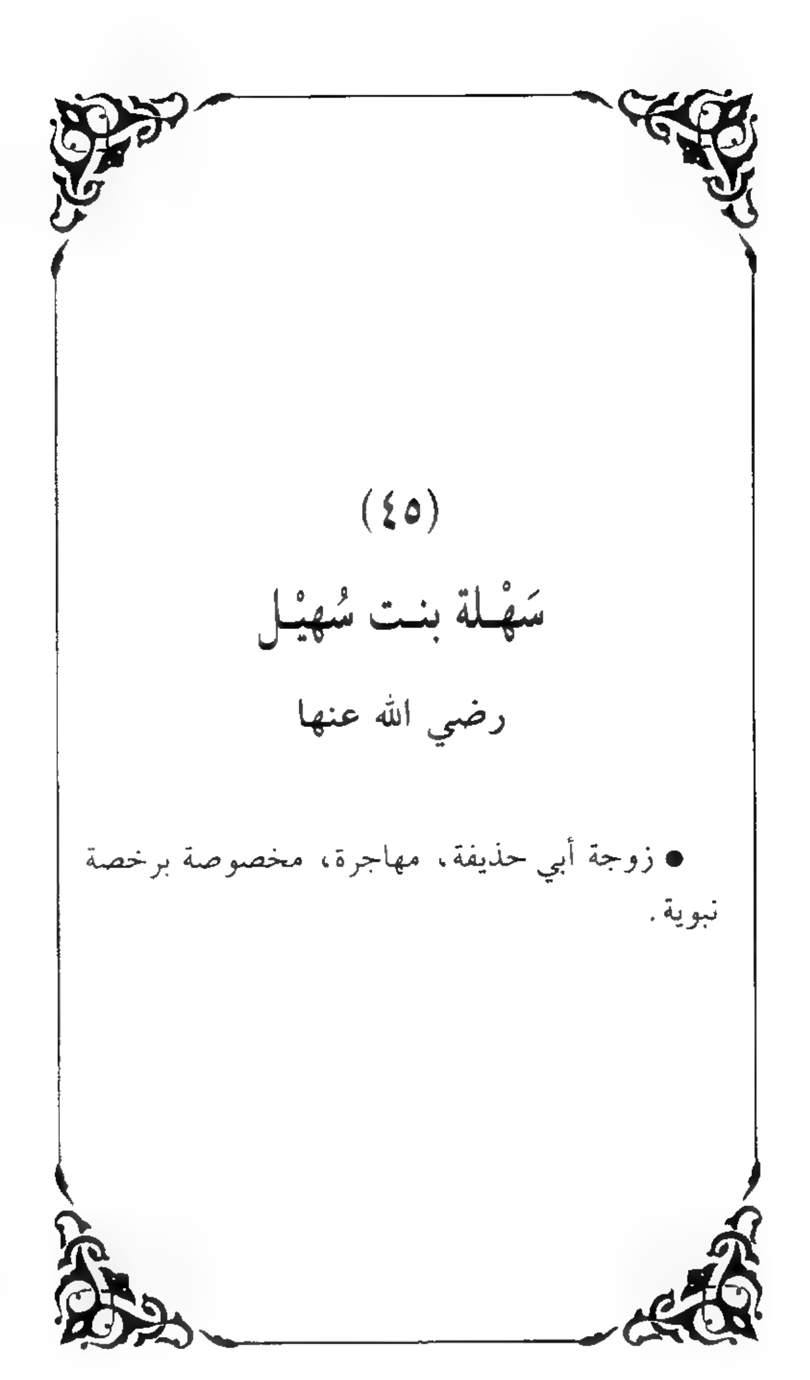
---

(1) أسد الغابة (٥/ ٦١٧)، والإصابة (٤/ ٤٧١).
(2) الطبقات (٨/ ٤٥٨)، وأسد الغابة (٥/ ٦١٧)، والإصابة (٤/ ٤٧٣)

خلال أخبارها أنَّها توفيت في نهاية الخلافة الرَّاشدة أو بعدها بقليل، والله أعلم.

رضـي الله عـن أمِّ مبـشر الأنصـارية، وبشَّـرهـا بجنَّـة عرضهـا السَّمـوات الأرض، ونجّاها مع الذينَ اتقَوْا، وفازوا برضوانٍ ونعيمٍ مُقيم.

* * *



(٤٥)

سَهْلة بنت سُهيْل

رضي الله عنها

● زوجة أبي حذيفة، مهاجرة، مخصوصة برخصة نبوية.

«والطـيِّبَـاتُ للطَّـيِّبينَ»:

● هذهِ امرأةٌ طيبةُ الأعراق، نَعِمتْ بالإسلام مع الثُّلةِ الأولى منَ الذين آمنوا بربِّهم، وزادهم هدى، وربَط على قلوبهم، وثبتهم.

● فزَوْجُها: السَّيِّدُ الكبير الشَّهيد أبو حُذيفة ابن شيخ الجاهلية عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القُرشي العبشمي البدري، أحد السَّابقين، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

● وربيبُ زوجها: سالم مولى أبي حذيفة من السَّابقين الأولين البدريين المقربين العَالِميْن.

● وأخواها: أبو جَنْدل بن سُهيل من خيار الصَّحابة. والآخر: عبد الله بن سُهيل من السّابقين ومن أهل بدر.

● أمّا أبوها فهو سُهيل بن عمرو خطيب قريش وفصيحهم، ومن أشرافهم، وكان سَمْحاً جواداً مفوّهاً، ولما أقبل في شَأنِ الصُّلح ـ يوم الحديبية ـ قال النّبيُّ ﷺ: «سَهُل أمركم»[1].

● وأختُها أمُّ كلثوم بنت سُهيل. أسلمتْ قديماً بمكة، وبايعتْ رسول الله ﷺ، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها سبرة بن أبي رهم رضي الله عنهما.

● وأمَّا الصحابية التي سنعيشُ في أجوائها العبقة فهي سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشية العامرية، وأمُّها فاطمة بنت عبد العزى العامرية.

● أسلمتْ سهلة بمكة قديماً، وبايعتْ رسول الله ﷺ، وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً مع زوجها أبي حذيفة بن عتبة، وولدتْ له هناك محمد بن أبي حذيفة[2].

---

(١) انظر تراجم هؤلاء في سير أعلام النبلاء المجلد الأول.

(٢) الطبقات (٨/ ٢٧٠)، وأسد الغابة (٥/ ٤٨٢).

إلـى البـيتِ العتيـق:

● طابت الإقامةُ للمسلمين المهاجرين بأرض الحبشة، ووجدوا من منكهم النَّجاشي كلَّ رعاية وعناية. ولكنَّ سهلةَ رضي الله عنها ظلَّتْ متعلِّقة القلب في مسقط رأسها مكة البلد الأمين، وشعرت بالحنين إلى البيتِ العتيق.

وتناثرتْ أخبارٌ خاويةٌ بأنَّ أهلَ مكة أسلموا، فتحركتْ أشواق المهاجرين نحو مكة، وقدموا إليها؛ لكن ما سمعوه كان باطلاً، فلم يدخلْ منهم أحدٌ إلا بجوار أو مستخفياً، فكان ممن قدم مكةَ منهم فأقام حتى هاجر إلى المدينة وشهد بدراً، عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعه امرأته رُقَية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل رضي الله عنهما، وجماعة أخرى معهم عددهم ثلاثة وثلاثون رجلا[1].

الطَّـلَـلُ الخَـالـي:

● هاجرتْ سهلةُ مرة أخرى إلى المدينة المنورة، حيث عاشت الأحداث الإسلامية في العهد النَّبوي من ألفِها إلى يائِها، فقد آخى رسول الله ﷺ بين زوجها أبي حذيفة، وبين عبَّاد بن بِشْر الأنصاري رضي الله عنهما[2]، وشهد هذان المتآخيان في الله المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقُتلا يوم اليمامة شهيدين سنة اثنتي عشرة من الهجرة، بعد أنْ جاهدا في الله حقَّ جهاده رضي الله عنهما.

● ومن الجدير بالذِّكر أنَّ عتبةَ بن ربيعة ـ والد أبي حذيفة ـ لم يكنْ يفْطَن لأمْرِ هجرةِ ولده مع زوجه سهلة، ولكنَّ الأمر خرج من يده.

● وتذكر المصادر أنَّ دُوْرَ المهاجرين قد غُلِّقَتْ ولم يبقَ فيها أحد؛ ومرَّ عتبةُ بن ربيعة، والعبَّاس بن عبد المطلب، وأبو جهل بن هشام، وهم مُصْعِدون إلى أعلى مكة، فنظر عتبة بن ربيعة فرأى هذه الدُور تخفقُ أبوابها

(١) عن تاريخ الطبري (١/ ٥٥١ و٥٥٢) بتصرف يسير.
(٢) الطبقات (٣/ ٤٤٠)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٣٨).

ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصُعَداء، ثم تمثَّلَ بقول أبي دؤاد الإيدي:

وكــلّ دارٍ وإنْ طــالــت ســلامتُهــا
يــومــاً ستُــدركهــا النّكبــاءُ والحُــوبُ
وكــلّ امــرئ بلقــاءِ المــوتِ مــرتهــنٌ
كــأنّــه غــرضٌ للمــوتِ منصــوبُ

ثم قال مخاطباً أبا جهل: أصبحتْ دارُ بني جحش خلاء مِنْ أهلها. فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من قُل بنِ قُل.

● ثم توَّجه أبو جهل في حديثه إلى العبّاس وقال له: هذا من عمل ابن أخيك، فرّقَ جماعتنا، وشتّتَ أمرنا، وقطع بيننا[1].

ولما كانت غزوةُ بَدْر لقيَ عتبةُ مصرعه، إذ قُتل على يدي عُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب[2] رضي الله عنه، كما قُتل ـ فرعون الأمة ـ أبو جهل على يدي ثلة من المؤمنين، وقد سجّل كعبُ بن مالك أحد شعراء الرّسول ﷺ مقْتل صناديد قريش وفي مقدمتهم: أبو جهل وعتبة وغيرهم فقال:

عجبــتُ لأمْــرِ الله والله قــادرٌ
علــى مــا أراد ليــس لله قــاهــرُ
قضــى يــومَ بــدر أنْ نــلاقــيَ معشــراً
بغَــوْا وسبيــلُ البغــي بــالنّــاسِ جــائــرْ

---

(١) عن الروض الأنف (٢/٢١٦)، والبداية والنهاية (٣/١٦٨ و١٦٩) بتصرف يسير.

(٢) عُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب القرشيّ، أبو معاوية، من السّابقين الأولين، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم. وكان أسنَّ من رسول الله ﷺ بعشر سنين، وهاجر إلى المدينة، وكان له قَدْرٌ ومنزلةٌ عند النّبي ﷺ. قيل: إن عبيدة كان أسنّ المسلمين يوم بدر، وتوفي متأثراً بجراحه، والمسلمون راجعون من بدر، وعمره (٦٣) سنة رضي الله عنه وأرضاه.
(أسد الغابة ٣/٣٥٧)، و(تهذيب الأسماء واللغات ١/٣١٨).

فكُبَّ أبو جهلٍ صَريعاً لوجههِ
وعتبةُ قد غادرتهُ وهو عاثرُ

سَهْلةُ ورُخْصَةٌ نَبويَّةٌ:

كان سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه منْ فضلاء الصّحابة والمهاجرين، يعودُ أصله إلى إصْطَخْر ببلاد فارس.

وكان أبو حذيفة قد تبنّاه[1]، ولذا يُقال له: قرشيّ، وأنصاري وفارسيّ، وثبتَ في الصَّحيح أنَّه هاجر مِنْ مكةَ إلى المدينة قبل قدومِ رسول الله ﷺ، فكان يؤمُّ المهاجرين بالمدينة، لأنَّه كان أكثرهم قرآناً، وفضائله كثيرة رضي الله عنه.

وكان أبو حذيفة رضي الله عنه قد زوّجه بنت أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة، وهي من المهاجرات، وكانت أفضل أيامى قريش، واستشهد سالم مع مولاه في معركة اليمامة[2].

● وقد نشأ سالم في حِجْرِ أبي حذيفة وزوجه سهلة نشأة الابن، وكان مَنْ تبنّى رجلاً في الجاهلية، دعاهُ النّاس ابنه، وورث من ميراثه، حتى أنزلَ الله عزّ وجلَّ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] فردّوا إلى آبائهم، فمَنْ لم يُعلم له أبٌ، فمولىً وأخٌ في الدِّين.

● وبَطُل حكم التَّبنِّي، وبقي سالم رضي الله عنه على دخوله على سَهْلَة بحكم الصِّغر، فلما بلغ مَبْلَغ الرجال، وجد أبو حذيفة وزوجه سهلة في نفوسهما كراهية دخوله، وشقَّ عليهما أنْ يمنعاه الدخولَ لسابقِ الأُلْفَة، وهنا نالت

---

(١) أي: اتخذه ابناً له، كما تبنّى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة.

(٢) «اليَمامة»: بفتح الياء، مدينة من اليمن على مرحلتين من الطائف، وأربع من مكة، شُمِّيَتْ باسم جارية زرقاء كانت تُبصرُ الراكب من مسيرة ثلاثة أيام. يقال: أبصر من زرقاء اليمامة، فسميت اليمامة لكثرة ما أضيفت إليها، والنسبة إليها يمامي. (تهذيب الأسماء واللغات ـ الجزء الثاني من القسم الثاني ٣/ ٢٠١).

سهلة رخصة خاصة بها، من النَّبيِّ ﷺ، وهي متفرِّدةٌ في هذا الباب منْ بين صحابيات رسول الله ﷺ.

● فقد أخرج مسلم رحمه الله بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنَّ سالماً مولى أبي حذيفة، كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم، فأتتْ ـ يعني ابنة سهيل ـ النَّبيَّ ﷺ؛ فقالت: إنَّ سالماً قد بلغَ ما يبلغُ الرِّجال، وعقلَ ما عقلُوا، وإنَّه يدخل علينا، وإنِّي أظنُّ أنَّ في نَفْسِ أبي حذيفة من ذلك شيئاً؛ فقال لها النَّبي ﷺ: «أرْضِعيهِ تَحْرُمي عليه ويذهبُ الذي في نفس أبي حذيفة».

فرجعتْ فقالت: إنِّي قد أرضعتُه. فذهب الذي في نفس أبي حذيفة(١).

● وبهذا زال الحرج عن الزَّوجين المؤمنَين الطَّاهرين، كما زال عن سالم ما كان بنفسه من الوَحْشَةِ، وتحققتْ نبوءة رسول الله ﷺ بزوال ما بنفس أبي حذيفة وقد زال.

● ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه خصوصية خصَّها رسول الله ﷺ سهلة رضي الله عنها، ويؤيد هذا ما كانت أمُّ سَلَمَة ـ أم المؤمنين ـ تقوله: أبىٰ سائرُ أزْواج النَّبي ﷺ أنْ يُدْخِلْنَ عليهن أحداً بتلك الرَّضاعة، وقُلْنَ لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصة أرْخَصَها رسول الله ﷺ لسالم خاصة، فما هو بداخلٍ علينا أحدٌ بهذه الرَّضاعة ولا رائينا(٢).

● مرة أخرى خُصَّتْ سهلةُ برخصةٍ نبوية، فعنْ عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها، أنَّ سهلةَ بنتَ سهيل استحاضت، فأتتِ النَّبيَّ ﷺ، فأمرها أنْ تغتسلَ لكلِّ صلاةٍ، فلما جهدها ذلك أمرها أنْ تجمعَ بين الظُّهر والعصر بغُسْلٍ، وبين

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٦٨)، وكذلك أخرجه ابن ماجه (١٩٤٣)، وانظر سير أعلام النبلاء (١/ ١٦٧).

(٢) الحديث في صحيح مسلم (٤/ ١٦٩ و١٧٠)، وذكر ابن حجر أنَّ سهلة كانت تحلبُ في إناء قَدْرَ رضعة فيشربه سالم في كل يوم، حتى مضت خمسة أيام، فكان يدخل بعد عليها وهي حاسر رخصة من رسول الله ﷺ. (الإصابة ٤/ ٣٢٩).

المغرب والعشاء الآخرة بغُسْلٍ، وتغتسل للصُبح[1].

أوْلادُهَــــا:

كان لسهلة أربعةُ أولادٍ هم: محمَّد وسُلَيط وبُكَير وسالم. قال الزُّبير بنُ بكّار[2] رحمه الله:

ولدتْ سهلةُ بنتُ سُهيل لأبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة: محمّد بن أبي حذيفة.

وولدت لعبد الله بن الأسود: سُلَيط بن عبد الله بن الأسود.

وولدت لشمَّاخِ بن سعد بن قائف: بُكَيْر بن شماخ.

وولدت لعبد الرحمن بن عوف: سالم بن عبد الرحمن بن عوف[3].

وكان لأولادها هؤلاء شَأنٌ في تاريخ الإسلام.

وظلّتْ سهلةُ رضي الله عنها صوَّامة قوَّامة عابدة، فقد أخلصتْ في إيمانها، وصدَّقتْ بما جاء به النَّبيُّ ﷺ، وكانت قد روتْ عن النَّبي ﷺ وروى عنها القاسم بن محمّد.

هذا وقد توفيَ رسول الله ﷺ وهو راضٍ عن سهلة، وتابعت سهلة حياته في ظلال الخلافة الرّاشدة، ولا نمتلكُ معلوماتٍ دقيقةً عن وفاتها. فرضيَ الله عنها وأرضاها، وجعلها في مستقر رحمته مع الذين أنعم عليهم.

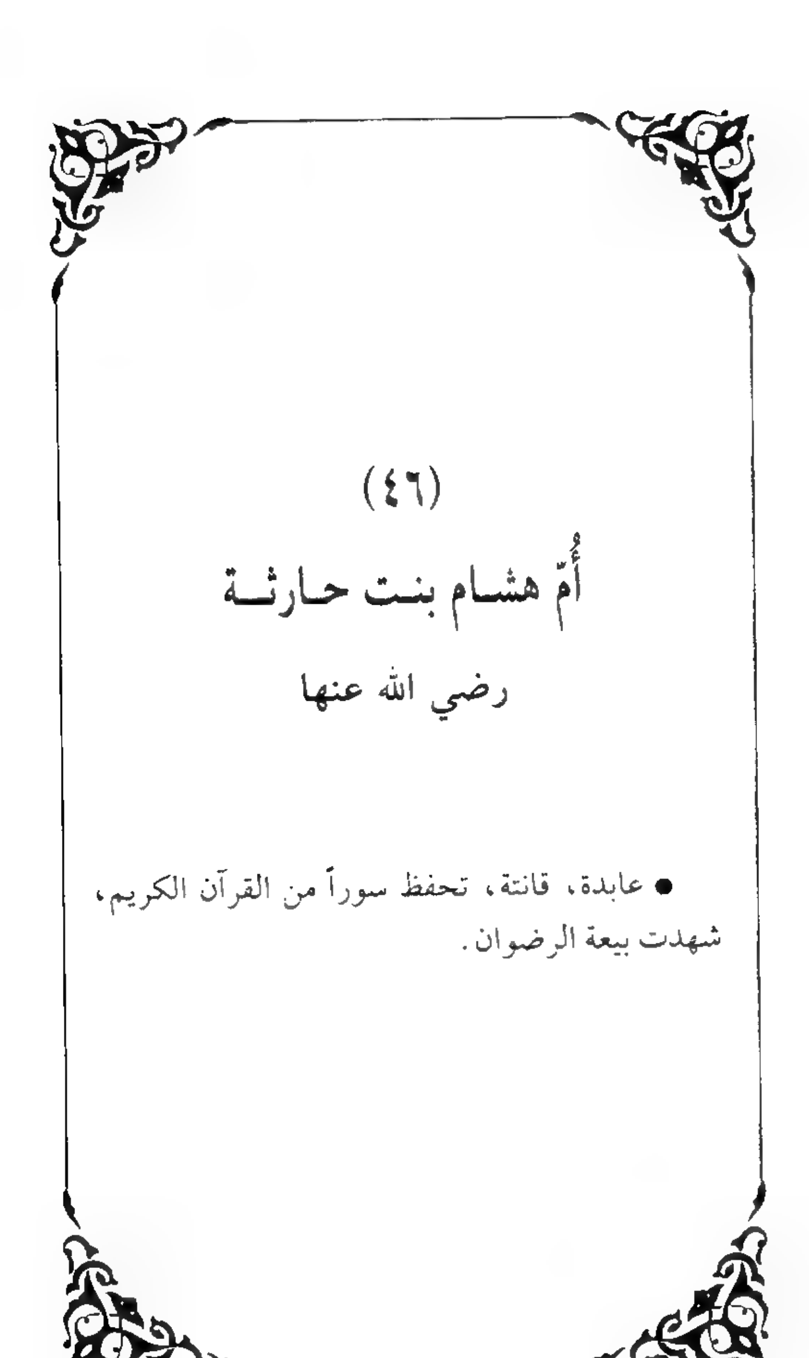
* * *

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٤٨٣)، والإصابة (٤/ ٣٢٩).

(٢) الزبير بن بكار بن عبد الله، من أحفاد الزبير بن العوام، قاضي مكة. له كتاب السنن وأخبار المدينة، والموفقيات، ونسب قريش. قال عنه الخطيب كان ثقة ثبتاً عالماً بالنسب، عارفاً بأخبار المتقدمين، ومآثر الماضين. مات بمكة ليلة الأحد لتسع بقين من ذي القعدة سنة (٢٥٦هـ) وله(٨٤) سنة رحمه الله. (طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٣٤ و٢٣٥).

(٣) الاستيعاب (٤/ ٣١٩).



(٤٦)

أُمّ هشام بنت حارثة

رضي الله عنها

● عابدة، قانتة، تحفظ سوراً من القرآن الكريم، شهدت بيعة الرضوان.

ابـنَـةُ الأَخْـيَـار:

● لعلكمْ تعرفونَ الصَّحابي النَّجيب حارثة بن النُّعمان الأنصاري؛ ذلك الذي ضرب مثلاً شروداً في النَّدىٰ والعطاء المِدْرار والبذْل والسَّخاء. إنَّه أول مَنْ وَهَب منازله لرسول الله ﷺ ـ في المدينة ـ منزلاً بعد منزل حتى قال ﷺ: «لقد استحييتُ من حارثةَ مما يتحوّلُ لنا عن منازله»[1].

● ولعلكم تعرفون أيضاً الصَّحابية الخيّرة جعدة بنت عُبيد الأنصارية والدة حارثة، تلك التي كان رسول الله ﷺ يأتي إلىٰ منزلها ويأكل عندها.

● منْ هذا البيتِ المضياف الكريمِ تأتي أمُّ هشامٍ بنت حارثة بن النُّعمان النَّجارية الأنْصَارية[2]، إحدى نساء الأنصار اللاتي أسلمن قبل مقْدمِ رسول الله ﷺ المدينة، وكانت مِنْ أوائل المبايعات.

● حظيتْ بالجوار المبارك، جوار رسول الله ﷺ، وأوتيتْ بذلك خيراً كثيراً جعلها مِنْ كريمات نساء الصَّحابة ممَنْ يُؤخَذُ عنهن الحديث، وممن شاركْنَ في إعلاء كلمةِ الله عزَّ وجلَّ في الجهاد، وسَعِدْنَ بالحياة مع القرآن الكريم.

● هذا وقد أسلمتِ الأسرةُ الحارثيةُ كلّها، نساءً ورجالاً، فأخواتها سودة وعمرة وأمُّ كلثوم أسلمن وبايعن، كما أسلم أخواها عبد الله وعبد الرحمن رضي الله عنهم جميعاً.

مـعَ رَبـيْـعِ القُـلُوبِ:

● القرآن الكريم ربيع قلوبِ الأبرار، فيه شفاء ورحمة لهم، وفيه دروس وعبر، وهو سبيل المسلمين إلى مرضاة الله عزَّ وجَلَّ.

● وقد تلقىٰ الصَّحابةُ الكرام كلامَ الله تعالى، من النَّبي ﷺ بحبٍّ وشغفٍ،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٠)، ومعجم البلدان (٥/ ٨٦).
(٢) الطبقات (٨/ ٤٤٢)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٨١).

فأوْدعوه قلوبهم، وعقلوه في صدورهم، وحفظه عدد منهم عن ظَهْرِ قلب، وقرأه الكبير والصَّغير فيهم، والرَّجل والمرأة، حتى تمثّلوه في حياتهم بجميع جوانبها.

● وقد أخذتْ أمُّ هشام رضي الله عنها تَنْهلُ مِنْ معين القرآن الصَّافي ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وراحتْ تتابع حضور مجالسِ النَّبي ﷺ، وتتابعُ حضور خُطَب الجمعة التي كان لها كبير الأثر في حفظ آياتٍ من الذِّكر الحكيم، وخاصة سورة «ق» التي كان النَّبي ﷺ يقرؤها في الجُمعِ والأعياد لاشتمالها على ابتداء الخلق، والبعْثِ والنُّشور، وذكرْ الجنَّةِ والنَّار، والثَّواب والعقاب، والتَّرغيب والتَّرهيب. وقد ذكرتْ أمُّ هشام أنَّها حفظتْ هذه السُّورة عن ظهر قَلْب مِنْ فمِ الرَّسول ﷺ.

الخَيْراتُ مِنْ خَير جَار:

● كانت أمُّ هشَام رضي الله عنها على اطلاع وعلْم بأحوالِ المصطفى ﷺ، وذلك لقرب المنازل من بعضها، وكان لهذا القرب أثره الواضح في حياتها المعطاء، إذ تخلَّقتْ بالأخلاق النَّبوية، واقتدتْ بزوجات النَّبي الطَّاهرات.

● وقد ذكر ابن كثير[1] رحمه الله تعالى أنَّ البيتَ النَّبوي الشَّريف، وبيتَ

---

(١) ابن كثير: الإمامُ المحدِّثُ الحافظ ذو الفضائل، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ البُصْرويّ الدمشقيّ الشَّافعي مولده بقرية شرقي بُصرى من أعمال دمشق سنة (٧٠١هـ)، كان قدوة العلماء والحفاظ وعُمدة أهل المعاني والألفاظ، له التَّفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله، والتَّاريخ المسمى بالبداية والنهاية، وطبقات الشَّافعية ومناقب الشافعي وغيرها كثير، قال عنه الذَّهبي: الإمام المفتي المحدث البارع ثقة متفنن محدث متقن، وقال السيوطي: العمدة في علم الحديث؛ مات يوم الخميس (٢٦) شعبان سنة (٧٧٤هـ) رحمه الله. ومن شعره:

تمـرُّ بنـا الأيـام تتـرى وإنّمـا ... تُسـاق إلـى الآجـال والعينُ تنظـرُ
فـلا عـائد ذاك الشَّباب الذي مضى ... ولا زائـل هـذا المشيـب المكـدرُ

(طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٣٤)، و(طبقات المفسرين للداودي ١/ ١١٢ و١١٣).

الصَّحابية أم هشام بنت حارثة كانا يخبزان في تنُّور واحد ما يزيد عن سنة، ذكرتْ أمُّ هشام هذا فقالت: لقد كان تنُّورنا وتنُّور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة؛ ـ والتّنور: الكانون الذي يُخْبز فيه ـ.

أضف إلى ذلك أنَّ أمّ هشام أضحتْ ذاتَ وَلاءٍ للقرآن الكريم الذي تتلّقه من رسول الله ﷺ، وقد عبّرت عن هذا فقالت:

ما أخذتُ ﴿قَ والقرآن المجيد﴾ إلا عنْ لسانِ رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خَطبَ النَّاس[١].

● ولم تتوقفْ أمُّ هشام رضي الله عنها عند حفظ سورٍ من القرآن. بل إنَّ الخيرات من خير جار قد جعلتها ممن حفظ الأحاديث النَّبوية، روت عن النَّبي ﷺ أحد عشر حديثاً، وروى عنها أختها عمرة وعدد من كبار التَّابعين.

أمُّ هشـَام فـي بَـيْـعَـةِ الـرِّضْـوَان:

● ألفٌ وخمسُمئة صَحابي شهدوا بيعة الرِّضوان، ومن هذه المجموعة الموفقة الفائزة بمرضاة الله عز وجل كانت أمُّ هشام رضي الله عنها تبايعُ رسول الله ﷺ على الموت، كان هذا سنة ست من الهجرة في ذي القعدة في الحديبية[٢]، وكان عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه آخذاً بِيَدِ رسول الله ﷺ للبيعة تحت الشَّجرة فبايعه المسلمون إلا الجدّ بن قيس ـ كان منافقاً ـ.

● وفي هذه البيعة انضوت أمُّ هشام ومن بايع من الصحابة الكرام تحت

---

(١) الحديث صحيح أخرجه مسلم (٣/١٣)، وأبو داود (١١٠٢)، والنسائي (٢/١٥٧)، وانظر أسد الغابة (٥/٦٢٥).
ومن الجدير بالذكر أن صحابية أخرى حفظت أيضاً سورة «ق» من فم رسول الله ﷺ، وهي هند بنت أسيد بن الحضير الأنصارية، روى عنها أبو الرجال عن النبي ﷺ أنه كان يخطب بالقرآن؛ قالت: وما تعلمت ﴿ق والقرآن المجيد﴾ إلا من كثرة ماكنت أسمعها منه وهو يخطب بها على المنبر. (الإصابة ٤/٤٠٧).

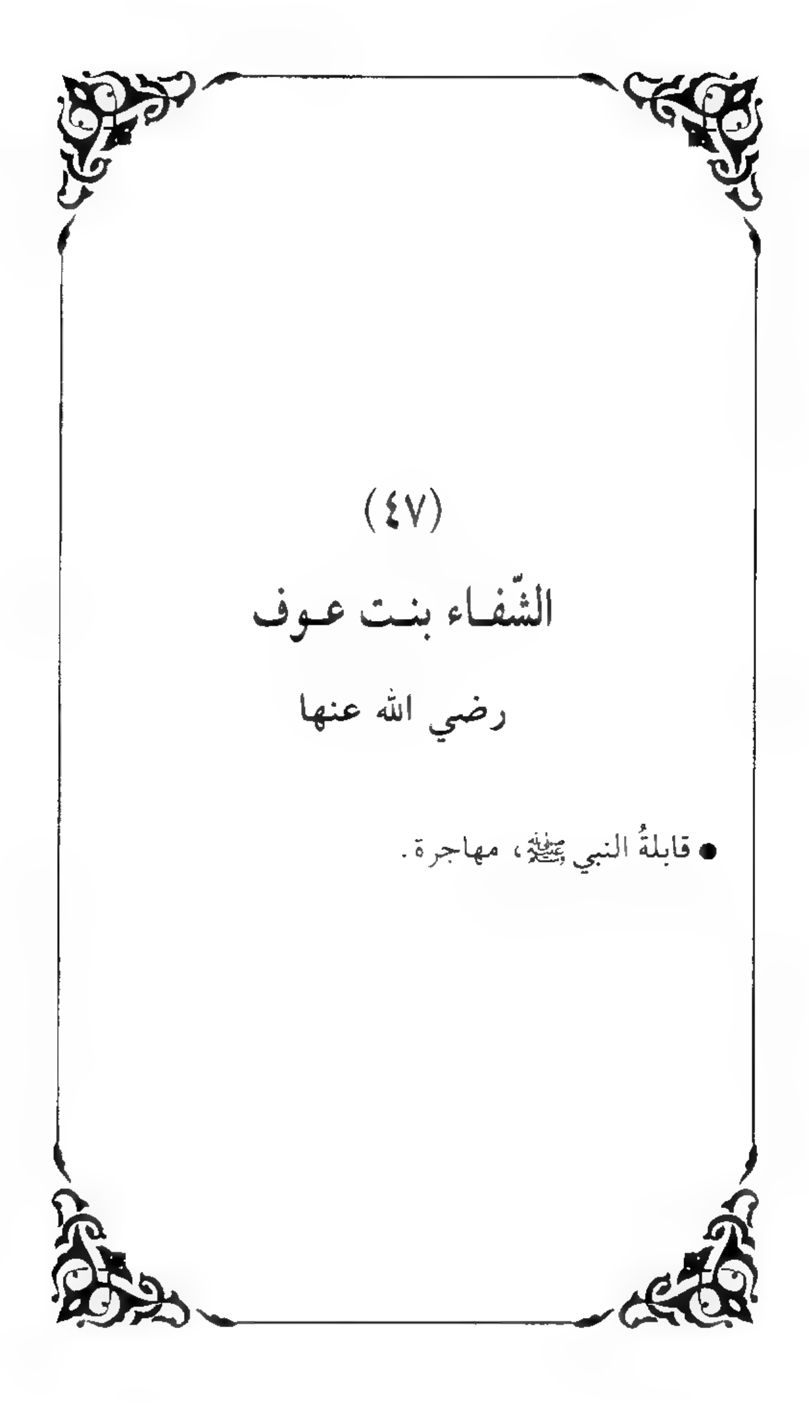
(٢) «الحديبية»: قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها وهي على تسعة أميال من مكة.

قوله تعالى: ﴿ ۞ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

● واستمرتْ أمُّ هشام رضي الله عنها في العطاء، وقضتْ حياتها وهي عابدة قانتة تواصل ليلها بنهارها في سبيل مرضاة الله عزّ وجل إلى أنْ جاءت سكرة الموت بالحق، فلحقتْ بالرَّفيق الأعلى.

● رضي الله عن أم هشام، ونضّر قبرها، وأحْسن مثواها، وأسكنها فسيح الجنان، مع الصّديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

* * *



(٤٧)

الشّفاء بنت عوف

رضي الله عنها

● قابلةُ النبي ﷺ، مهاجرة.

الاسْـمُ الحَسَـنُ:

● قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله تعالى:

لمّا كانتِ الأسماءُ قوالب للمعاني ودالة عليها، اقتضت الحكمةُ أنْ يكون بينها ارتباطاً وتناسباً...... وللأسماء تأثيرٌ في المسمياتِ، وللمسميات تأثير عن أسماعها في الحسن والقبح، والخفة والثّقل، واللطافة والكثافةِ كما قيل:

وقـلّ إنْ أبصـرتْ عينـاك ذا لَقَـبٍ
إلاّ ومعنـاهُ إنْ فكَّـرتَ فـي لَقَبِـهِ[1]

● ولهذا فقد كان رسول الله ﷺ يستحبُّ الاسم الحسن، لما فيه من الصِّفات المحمودة، وقد تحققتْ هذه الأسماء لرسول الله ﷺ حين ولادته في الوالدة[2] والقابلة والحاضنة والمرضع.

ففي اسم الوالدة والقابلة: الأمْنُ والشِّفاء.

وفي اسم مرضعته ـ أولاً ـ التي هي ثُويبة[3]: الثَّواب.

وفي اسم مرضعته المستقلّة برضاعه التي هي حليمة السَّعدية[4]: الحلم والسَّعد.

● وسيكون لقاؤنا شافياً مع قابلة النَّبي ﷺ: الشِّفَّاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة أمّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما[5].

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٣٦) بشيء من الاختصار.

(٢) الوالدة: آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ.
القابلة: الشفاء بنت عوف ـ ضيفة حلقتنا اليوم ـ كانت قابلة النبي ﷺ حين ولادته.

(٣) ثويبة: أول من أرضع النبي ﷺ. وكانت ثويبة جارية لأبي لهب.

(٤) حليمة: حليمة بنت أبي ذؤيب مرضع النبي ﷺ وأخبارها معروفة.
اقرأ سيرتها في هذا الكتاب.

(٥) الاستيعاب (٤/ ٣٣٥)، والروض الأنف (١/ ٢٩٠)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٧٤)، =

المؤمنَةُ السَّعيدَة:

● قال البُوْصيْري رحمه الله:

وإذا سخَّرَ الإلهُ أُناساً
لسعيدٍ فإنَّهم سُعداءُ

● والشِّفاء، إحدى النّسوة الفاضلات اللاتي سُطِّرت لهن السَّعادة ببركةِ المصطفى ﷺ، إذ كانت قابلته وحضرت مولده وتشرَّفتْ به، روت الشِّفاء نفسها خبر المَوْلد المفرح فقالت:

لما ولدتْ آمنةُ محمّداً ﷺ وقَعَ على يديّ، فاستهلَّ فسمعتُ قائلاً يقول: رحمكَ ربُّكَ، فأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرتُ إلى بعض قصورِ الشَّام، ثم ألبستُه وأضجعتُه، فلم أنشبْ أنْ غشيَتْني ظلمة ورعب وقُشَعْريرة، ثم أُسفِر عن يميني، فسمعتُ قائلاً يقول: أين ذهبتَ به؟.

قال: إلى المشرقِ ولن يعودَ أبداً.

فلم يزل الحديثُ مني على بالٍ حتى ابتعثَ الله عزّ وجلَّ رسولَه فكنتُ في أولِ النَّاس إسلاماً[1].

● وفي رواية أخرى، تشير إلى أنَّ الشّفاء قابلته ﷺ، ما أورده صاحب السِّيرة الدّحلانية أنَّ الشّفاء قالت:

لما وُلد رسول الله ﷺ، وقع على يدي، فسمعتُ قائلاً يقول: رحمكَ الله. وإلى ذلك يشير قول البُوْصِيري رحمه الله في همزيته اللطيفة:

شمّتَتْهُ الأملاكَ إذْ وضعتْهُ
وشَفَتْنَا بقَوْلِها الشِّفَاءُ

= والإصابة (٤/ ٣٣٤). والشّفاء: بشين مفتوحة أو مكسورة وفاء مشددة. أو بشين مفتوحة مشددة وفاء مشددة.

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ١٦٩ و١٧٠).

أوْلادُهَـــا:

● أكرمِ الله عزّ وجلّ الشّفاء بمولودٍ سعيد، سبقتْ له السّعادة وهو في بطن أمّه، إنّه ابنها عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنّة، وأحد الثّمانية الذين بادروا إلى الإسلام، وأحدُ السّتة أصحاب الشُورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، وهو الذي غيّر رسول الله ﷺ اسمه وسمّاه عبد الرحمن رضي الله عنه وأرضاه.

● كما كان لأولاد الشّفاء شرف السّبْقِ إلى الإسلام فأسلموا جميعاً وهم الأسود[1] وعاتكة والشّفاء أخت عبد الرحمن.

مَكْرُمَـةٌ وكَرَامَـةٌ:

● كانت الشّفاءُ رضي الله عنها من المهاجرات إلى المدينةِ المنورة، وبذلك نالت قصبَ السَّبْق في هذا المضمار.

● ومن كرامة الشفاء أنَّهُ جاءت فيها سُنَةُ العتاقة عن الميّت، فإنّها ماتتْ في حياة النّبيّ ﷺ، فقال ابنُها عبد الرحمن: يا رسول الله، أعتقُ عن أمي؟

فقال ﷺ: «نعم» فأعتق عنها[2].

● ومن هذا المنطلق كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، باراً بأمِّه في حياتها وبعد مماتها؛ وشهد له رسول الله ﷺ بالخيرية فقال: «خيارُكم خيركم لِنسَائي» فأوصى لهن عبد الرحمن بحديقة قومت بأربعمئة ألف[3].

---

(١) الأسود بن عوف بن عبد عوف القُرشيّ الزّهريّ أخو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما. له صحبة، هاجر قبل الفتح، والأسود هذا هو والد جابر بن الأسود الذي ولي المدينة لابن الزبير.
(الاستيعاب ١/ ٦٩ و٧٠)، والإصابة (١/ ٦٠ و٦١).

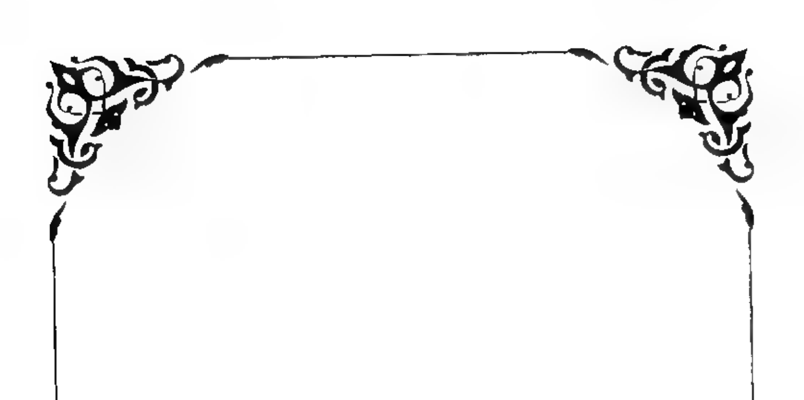
(٢) الطبقات (٨/ ٢٤٨)، والإصابة (٤/ ٣٣٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٥).

● هذه هي الشفاء[1] أمُّ عبد الرحمن، تلك الصّحابية التي شفَتْ نفوسنا بسيرتها الشَّافية. فرضي الله عنها وأرضاها وسقاها من سلسبيل الجنة.

* * *

(١) هناك ثلاث صحابيات بهذا الاسم: وهن الشفاء بنت عبد الله، وبنت عبد الرحمن، وبنت عوف هذه.



(٤٨)

الشّيماء بنت الحارث السّعدية

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«إن أحببتِ فأقيمي عندي مكرمة محببة، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك وصلتُكِ».

الحَـاضنَــةُ الأُولــى:

● هذهِ امرأةٌ بدوية مِنْ بني سعد، أَلِفَتْ عيناها فضاءَ البادية الرَّحب الذي لا تحدُّهُ حدود، ولا تقيده قيود، وأَلِفتْ نفسها حياة البَساطة على رمل البدية السَّهْلَة، وأرضها المنبسطة، وبطاحها الواسعة.

● وذات يوم انطلقتْ مراضعُ بني سعد إلى مكة يلتمِسْنَ الأطفال لإرضاعهم، ومن بينهن حليمة السَّعدية، ولم يطل مكثها بمكة، وعادت تحملُ طفلاً، ولم يكن هذا الطِّفل الرَّضيع سوى سيّدنا محمد ﷺ الذي أرضعته حليمة، وطرحتِ البركة في كلّ ما عندها. فقد سَمِنَتْ أغنامُه، وزاد لبنُها، واخضرَّ مرعاها.

● وأقام نبيُّنا وحبيبُنا محمَّدٌ ﷺ في الصَّحراء سنتَيْنِ ترضعه حليمة، وتحضنُه ابنتها الشَّيماء بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السَّعدية أخت النَّبي ﷺ من الرَّضاعة[1].

● والشيماء اسمها حذافة ـ أو جدّامة ـ وغلب عليها لقب الشَّيماء[2] ـ أو الشّمّاء ـ، فلا تُعرفُ في قومها إلا به[3] ومن الجدير بالذِّكر أن إخوة النَّبي ﷺ من الرَّضاعة: عبد الله وأنيسة والشَّيماء بنو الحارث، وكانت الشَّيماء تحضنُ رسول الله ﷺ مع أمها حليمة السَّعدية، فهي حاضنته الأولى قبل أم أيمن[4] بركة الحبشية رضي الله عنها.

دُعَــاءٌ مُسْـتَجَــابٌ:

● هو ذا النَّبيُّ ﷺ يبدو كأنَّه ابنُ أربع، بينما لم يجاوز هو السَّنتَيْن بعد،

---

(١) الإصابة (٤/ ٣٣٥).

(٢) «الشيماء»: من كثرت في بدنها الشامات فهي شيماء؛ وللذكر: أشيم. ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد غيرها بهذا الاسم بين الصحابيات.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٣٢).

(٤) اقرأ سيرة أم أيمن في هذا الكتاب ففيها شفاء إن شاء الله.

وها هي حليمة في طريقها إلى مكة تعود به إلى أمّه آمنة بنت وهب ثم ترجوها أنْ ترجع به ثانية إلى البادية، فأذنت لها بذلك، وعاد الحبيبُ المصطفى ﷺ سعيداً مسروراً برجوعه مع حليمة إلى باديتها الأثيرة.

● وهنالك كان ﷺ يخرجُ مع أولاد حليمة إلى المراعي، وأختُه الشَّيماء تحضنُه وتراعيه، فتحمله أحياناً إذا اشتدّ الحرُّ وطالَ الطَّريق، وتتركهُ أحياناً يدرجُ هنا وهناك، ثم تدركهُ فتأخذه بين ذراعيها وتضمُّه إلى صدرها، وأحياناً أخرى تجلس في الظِّلِّ. وترقصهُ فتقولُ:

يـــا ربنــــا أبْــــقِ لنــــا محمَّـــدا[1]

حتـــــى أراهُ يَـــــافِعــــاً وأمْــــرَدا

ثــــــم أراه سيّــــــداً مســــــوّدا

وأكبِــــتْ أعــــاديـــه معــــاً والحُسَّــــدا

وأعْطهِ عزّاً يدوم أبدا

● وكان أبو عروة الأزدي إذا أنشد هذا التَّرقيص اللَّطيف قال:

ما أحسن ما أجاب الله دعاءها[2].

هَــذا أخٌ لــي:

● كانت الشَّيماء وأهلها يرَوْنَ مِنْ بركةِ النَّبي ﷺ ما يزيدهم تعلُّقاً به وحرصاً عليه؛ وكانت حليمة لا تدعهُ يذْهب مكاناً بعيداً، وتوصي ابنتها الشَّيماء بذلك دائماً، وتلاحقه بعينها حيثما كان.

● وذات يوم ـ وفي الظَّهيرة ـ غفلتْ عنه حليمة فخرجتْ تطلبهُ ـ وأفزعها الحرُّ وقتذاك ـ، فوجدته مع الشَّيماء[3] وهي ترقصه وتقول:

---

(١) وفي رواية أخرى: يا ربنا أبق أخي محمدا.

(٢) الإصابة (٤/ ٣٣٦)، والسيرة النبوية لأحمد زيني دحلان (١/ ٦٣).

(٣) كانت الشيماء تحضن النبي ﷺ مع أمها حليمة، ولذلك كانت تدعى أم النبي أيضاً.

هـــذا أخٌ لـــي لـــمْ تَلـــدْهُ أمّـــي

وليـــس مـــنْ نَسْـــلِ أبـــي وعمّـــي

فأنْمه اللهمَّ فيما تنمي

وجعلتْ حليمةُ تلوم ابنتها وتقول في لهجةِ العتاب: في هذا الحرِّ يا شيماء؟!.

فقالت: يا أمّه ما وَجَد أخي حَرّاً، رأيتُ غمامةً تظلُّ عليه، إذا وقف وقفتْ، وإذا سارَ سارتْ حتى انتهى إلى هذا الموضع، فجعلتْ حليمة والعجب يرتسم بوجهها تقول: أحقاً يا بنية؟.

قالت: أي والله، أي والله[1].

● وأقامَ النَّبي ﷺ في بني سعد إلى الخامسة من عمره، ينهلُ من جوِّ البدية الطَّلْقِ: الصِّحة والنَّماء، ويتعلم من بني سعد: اللّغة المصفّاة الفصيحة، وكان ﷺ يعتزّ ـ فيما بعد ـ ويقول لأصحابه: «أنا أعْرَبكم، أنا قرشيٌّ، واسترضعت في بني سعد بن بكر».

● هذا وقد تركتِ السَّنوات الخمس في نفسه الكريمة أجمل الأثر وأبقاه، وبقيت الشَّيماء وأهلها وقومها موضع محبته وإكرامه طوال حياته ﷺ. وفي السُّطور التَّالية نرى مصداق ذلك.

إنِّـي لأخْـتُ صَـاحِبكُم:

● لما كان يوم هوازن ظفرَ المسلمون بهم، وأخذوا الشَّيماء فيمن أخذوا من السَّبي، فقالت للمسلمين: تَعْلَمون والله إني لأختُ صاحبكم من الرّضاعة. فلم يصدقوها حتى قدموا بها على رسول الله ﷺ.

فقالت: يا رسول الله إنّي أختُك منَ الرَّضاعة.

قال: «وما علامةُ ذلك؟».

---

(١) عن السيرة الحلبية (١/ ١٦٧ و١٦٨) بتصرف يسير.

قالت: عضَّة عضضتَنِيْها وأنا متوركتُكَ[1].

فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداء فأجلسها عليه وخيّرها وقال: «إنْ أحببت فأقيمي عندي مكرمة محببة، وإن أحببت أنْ ترجعي إلى قومك وصلتُكِ».

قالت: بل أرجع إلى قومي. ثم أسلمتْ وشهدت بالرِّسالة؛ فأعطاها رسول الله ﷺ غلاماً يُقال له: مَكْحُول[2]، وجارية، كما وهبها من الشَّاء والنَّعيم شيئاً كثيراً، وردَّها إلى قومها.

● ولم يتوقفْ إكرامُ النَّبي ﷺ للشَّيماء عند هذا فحسب، بل شمل عفوه وكرمه بني سعد جميعهم[3] ـ وبنو سعد من هوازن ـ وذلك لما انتصر عليهم يوم حنين، وغنِمَ أموالهم ونساءهم وذراريهم، عند إذْ أتاه وَفْدٌ من هوازن وفيهم عمّه من الرّضاعة وهم يرجون عفوه، ويعلنون خضوعَهُم وإسلامهم، وتقدم خطيبهم زهير بن صرد وقال:

يا رسول الله، إنَّما في هذه الحظائر مَنْ كان يكفلُكَ مِنْ عماتك وخالاتك وحواضنك، وقد حضناك في حجورنا، وأرضعناك بثدِيِّنا..... لقد رأيتُك مُرضَعاً، فما رأيتُ مُرْضعاً خيراً منك؛

ورأيتك فطيماً، فما رأيت فطيماً خيراً منك؛

---

(١) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ٢٦٥).
و«متوركتك»: أي حاملتك على وركي.

(٢) مكحول: مولى رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق في السِّيرة: وهبَ النَّبي ﷺ لأخته الشَّيماء ـ من الرضاعة ـ غلاماً يقال له: مكحول وجارية، فزوجت الغلام للجارية، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية.
(البداية والنهاية ٤/ ٣٦٣)، و(الإصابة ٣/ ٤٣٥).

(٣) عن الاستيعاب (٤/ ٣٣٦)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٦٣) بتصرف يسير جداً. وانظر في هذا: تاريخ الطبري (٢/ ١٧١)، والشفا (١/ ٢٥٩ و٢٦٠)، وأنساب الأشراف (١/ ٩٣)، وأسد الغابة (٥/ ٤٨٩)، وعيون الأثر (٢/ ٢٢١ و٢٢٢)، والإصابة (٤/ ٣٣٥)، والمغازي (٣/ ٩١٣ و٩١٤)، وغير ذلك من المصادر وكتب السير.

ثم رأيتُك شاباً فيما رأيتُ شاباً خيراً منك؛

وقد تكاملتْ فيك خلالُ الخير، ونحنُ مع ذلك أصْلُك وعشيرتك فمُنْ علينا مَنَّ الله عليك، ثمَّ أنشأ يقول:

امنــنْ علينــا رســول الله فــي كــرمٍ
فــإنَّــك المــرءُ نــرجــوه وننتظــرُ

امنــنْ علــى نســوةٍ قــد كنــتَ تــرضعهــا
إذ فُــوك يملــؤه مــنْ محضهــا دررُ

فــألبسِ العفــوَ مــن قــد كنــت تــرضعــه
مَــنْ أمهــاتــك إنَّ العفــو مشتهــرُ

إنَّــا نــؤمــل عفــواً منــك تلبســه
هــذي البــريــة إذْ تعفــو وتنتصــرُ

● فلمَّا سمعَ النَّبيُّ ﷺ هذا البيان السَّاحر وهذا الشِّعر العَذْب قال: «ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم».

وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ولرسوله.

وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله.

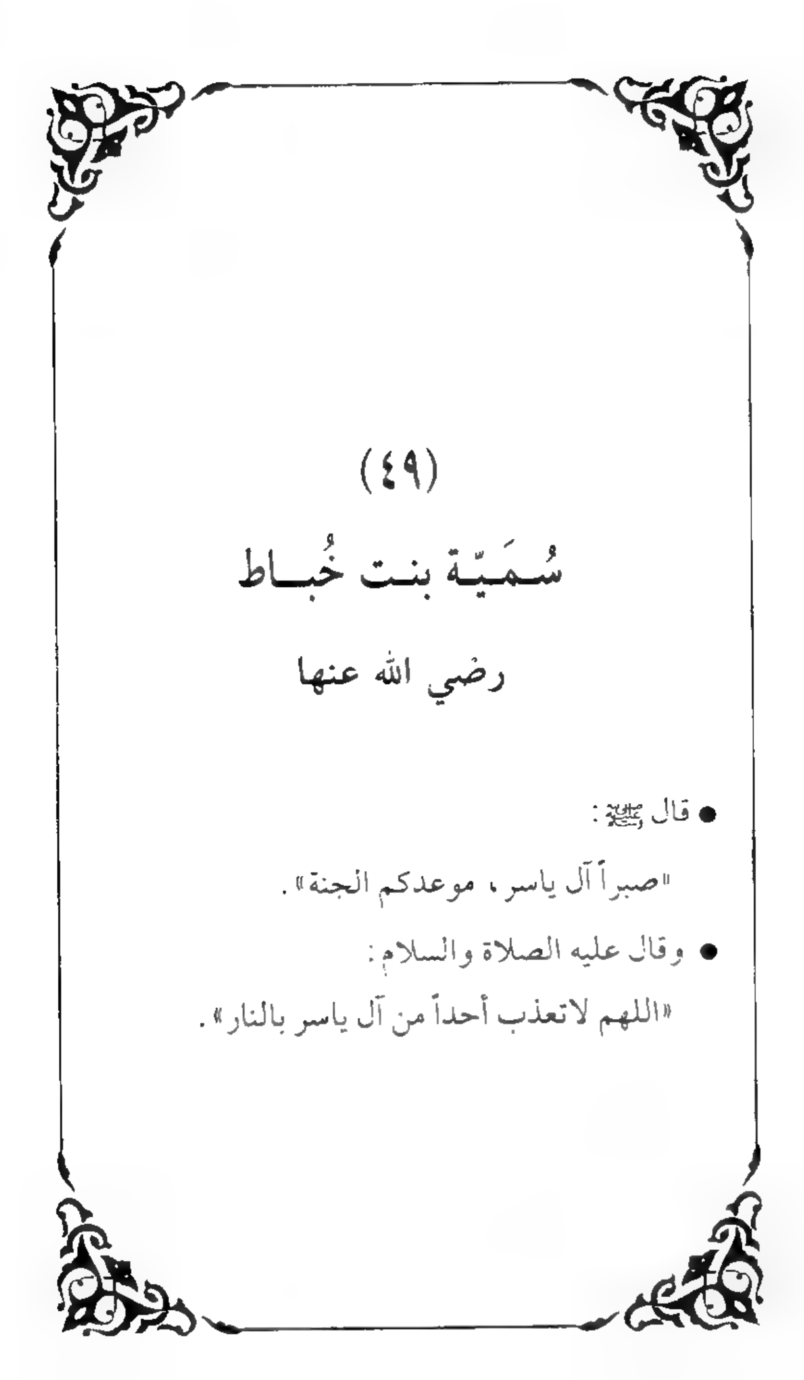
قال ابن كثير رحمه الله تعليقاً على هذه الحادثة:

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم، فعادت فواضله عليه الصَّلاة والسَّلام عليهم قديماً وحديثاً خصوصاً وعموماً[1].

● وبعد، فهذه سيرة صحابية حَبَاها الله عزَّ وجلَّ فضله، وأنْعَم عليها بالإسلام، ففازتْ بالسَّعادة في الدَّارين. فرضي الله عن الشَّيماء وأدخلها في رحمته.

---

(١) عن البداية والنهاية (٤/ ٣٦٣ و٣٦٤)، وعيون الأثر (٢/ ٢٢٣ و٢٢٤) بتصرف. وانظر تاريخ الطبري (٢/ ١٧٣)، والدرر لابن عبد البر (ص ٢٧٦ و٢٧٧)، والفصول لابن كثير (ص ٢٠٨)، والسيرة الحلبية (١/ ١٧٠)



(٤٩)

سُمَيّة بنت خُبـاط

رضي الله عنها

● قال ﷺ :

«صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة» .

● وقال عليه الصلاة والسلام :

«اللهم لاتعذب أحداً من آل ياسر بالنار» .

مـعَ الأوائِـــل:

● أيكونُ منَ المُصادَفات الطَّريفة في تاريخ نساء الإسلام أنْ يكون أول مَنْ دخلَ الإسلام امرأة؟

وأولُ مَنْ استشهد في الإسلام امرأة؟!.

● هذا ما كان، فأولُ خلق الله إسلاماً ـ بدعوة النبي ﷺ ـ خديجة بنت خويلد[1] أم المؤمنين عليها سحائب الرِّضوان.

● وأول مَنْ حظيَ بالشَّهادة في تاريخ المسلمين سمية بنت خبّاط[2] أمّ عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

● والكلامُ عن سمية ممتع آسرٌ، وهو مؤثر بقَدْرِ ما هو شائق، فقد ابتدأت حياتها بامتحانٍ صغير فيما يخصّها، ولكنَّه انتهى بنجاحٍ كبير ـ الفوز بالشَّهادة ـ فهي في قائمة الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله، وأسبغ عليهم من نعمه.

● ولنبدأ رحلتَنا في الأجواء العبقةِ للشَّهيدة سُمية زوج الشَّهيد ياسر، وأمّ الشَّهيد عمَّار رضي الله عنهم وأرضاهم.

دَعَـائِـمُ ثَــلاث:

● خرَجَ أحدُ أبناء عامر بن مالك من اليمن نحو مكةَ، ولكنَّه لم يَعُدْ، وطالت غيبته، فخرج إخوته، ياسر والحارث ومالك أبناء عامر، وقدموا مكةَ

---

(١) اقرأ سيرة أم المؤمنين خديجة في كتابنا «نساء مبشرات بالجنة» (١/ ١٣)، ففي سيرتها ما يمتع الأسماع ويؤنس النفوس بإذن الله.

(٢) أسد الغابة (٥/ ٤٨١)، والإصابة (٤/ ٤٢٧). وقد أوردت بعض المصادر خياط ـ بالياء ـ بدلاً من خباط. ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد بين الصَّحابيات من اسمها وكنيتها سمية أم عمار غيرها رضي الله عنها.

يطلبون أخاهم، غير أنَّهم لم يقعوا علىخبره، واستطاب المقام لأخيهم ياسر، واستعذب الجوار في جانب البيت العتيق، بينما رجع أخواه الحارث ومالك من حيث أتوْا.

● أقامَ ياسر بمكة وحيداً، غير أنَّ العاداتِ آنذاك، ألجأته إلى بني مخزوم لعقدِ الحلف، فحالفَ أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، وعاش في كنفه، ثم ما لبث أنْ زوّجه بأمَةٍ له هي سُمية بنت خباط، فولدت له عماراً، وعند إذْ أعتقه أبو حذيفة، ومن هنا تكوّنتِ الأسرةُ الياسريةُ؛ ولم يزل عمار وياسر مع أبي حذيفة إلى أن مات.

● وابتدأتْ رحلةُ الشُّهرة مع الأسرة الياسريّة، عندما أرسل الله رسوله ﷺ بالإسلام، فأسلم عمّار وأبواه، وبذلك ارتفعتْ ثلاثُ دعائم متينة للإسلام، وهبَّ التَّاريخُ يفتحُ صفحةً ناصعةً ليسجل صبرَ هذه الأسرة التي لها قَدَم صِدْقٍ في الإسلام، والدِّين ما يزال غَضّاً نَدياً، وفي مقدمة الأسرة سُميّة رضي الله عنها.

أولُ مَـنْ أظْـهَـرَ الإسْـلامَ:

● امتدح الله عزّ وجلَّ السَّابقين إلى الإيمان وبيّنَ مثْواهم فقال: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠ـ١٢].

● ولما ظهر الإسلامُ كانتْ سُمية في مقدمة المؤمنات، بل يمكننا القول: إنَّ سميةَ أولُ امرأةٍ تحدَّتِ المشركين في إظهار إسلامها، وكان رقمها في سجل الإيمان ـ السَّابع ـ كما قال ابن الأثير: كانت سابع سبعة في الإسلام، وكانت ممَّنْ يُعذَّب في الله عزَّ وجلَّ أشدَّ العذاب[1].

● وورد هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: أولُ مَنْ أظهر الإسلام

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٤٨١).

سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وبلال[1] وخباب، وصُهيب، وعمّار، وسميّة أمّ عمار[2].

الصَّابرةُ المتَحدِّيَةُ:

● لا يُعرف في تاريخ نساء المسلمين امرأة صبرتْ كسُمية أمّ عمر رضي الله عنها، فقد جعلتِ الصَّبر شعاراً لها، ولا ريب أنَّ الصَّابرين يوفّون أجرهم بغير حساب.

● ولك أنْ تتصور امرأة وَهنَ العَظْمُ منها، وبلغتْ من الكبر عتياً. تتحمّل عذاب أصحاب القلوب القاسية قسوة الحجارة، بل إنَّ من الحجارة لما يتفجَّرُ منه الماء، وتتحمل أنواعَ العنت والإرهاق، بسبب إيمانها بالله العزيز الحميد.

● ولم تكن سمية في نقمة العذاب وحدها، بل إنَّ أسرتها قد لقيت الأذى معها، ومزَّقتِ السِّياطُ أجسامها، إلا أنَّ إيمانها الوثيق بالله بات كالجبال الرَّواسي لا تؤثر فيه الأمواج ولا الرِّياح، وترك هؤلاء الصَّابرون أحلام المتحلمين تذروها الرِّياح، وتجعل كبار المشركين يبهتون منْ صبر هذه الأسرة التي جاءت لتسجل عليهم سُوءَ أعمالهم، وتسجل لنفسها صبراً جميلاً محموداً في غرّةِ التَّاريخ.

---

(١) بلال بن رباح الحبشي القرشي التيمي ـ أبو عبد الله ـ الصحابي الجليل مؤذن رسول الله ﷺ وخازنه على بيت ماله، وأحد السابقين الأولين إلى ساحة الإسلام، وكان ممن يعذب في الله عز وجل. شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام خرج مع البعوث فتوفي في دمشق سنة (٢٠هـ) روي له ٤٤ حديثاً. وفضائله كثيرة مشهورة منثورة نثار الذهب في بطون الكتب. رضي الله عنه. (الأعلام ٢/ ٤٩)، و(رجال مبشرون بالجنة ١/ ٢٨١).

(٢) الاستيعاب (٤/ ٣٢٦)، وأنساب الأشراف (١/ ١٥٨)، ومن المؤرخين من يضيف إليهم المقداد بن الأسود.

● وإليك صورة منْ صورِ العذاب التي لاقاها هؤلاء البررة الأخيار، فقد ذكر ابنُ كثير نقلاً عن ابن إسحاق قال:

● كانت بنو مخزومٍ يخرجون بعمّار بن ياسر وبأبيه وبأمّهِ إذا حميتِ الظهيرةُ، يعذِّبونهم برمْضاء مكة، فيمرُّ بهم رسول الله ﷺ فيقول: «صبراً آل ياسر موعدُكم الجنَّة»[1].

● وروى البيهقي رحمه الله بسنده عن سيِّدنا جابر بن عبد الله أنَّ رسول الله ﷺ مرّ بعمّار وأهله وهم يُعذّبون فقال: «أبشروا آل عمار وآل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة»[2]، فأمّا أمّه فيقتلوها إذ تأبى إلا الإسلام رضي الله عنها وأرضاها.

الشَّـهيـدَةُ الأولـى:

● في الثُلةِ الأولى من شهداء المؤمنين، كان ياسر زوج سمية، إذ استشهد هذا المؤمن تحت وطأة العذاب بأيدي المشركين؛ أمّا بطلة الشُّهداء سمية فقد أعطيتْ لأبي جهل الفاسق ـ أعطاها له عمّه أبو حذيفة بن المغيرة ـ وكانت عجوزاً كبيرة، ولكنّها تحمّلتْ مالا يتحمله الأشداء، وأخذ أبو جهل ـ أخزاه الله ـ يفرغ حقده في تعذيبها رجاء أنْ تفتنَ في دينها، ولكنْ أنّى له ذلك؟! فقد ركنتْ سميةُ إلى الصّمت ولم تجبْهُ بحرفٍ واحد، وكان يقول لها: ما آمنتِ بمحمد إلا لأنك عشقتيه لجماله[3].

● ولم تتكلم سميةُ، وتحملتِ العذاب بإصرارٍ واستكبار، واستعلتْ

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٥٦ و٥٧) طبعة دار الكتب العلمية. وانظر أنساب الأشراف (١/ ١٦٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وانظر الحلية (١/ ١٤٩)، والبداية والنهاية (٣/ ٥٦ و٥٧)، وغير ذلك من المصادر.

(٣) السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان (١/ ٢٤٠).

بعقيدتها على أبي جهل ومَنْ معه، واستخفَّتْ بمُرِّ العذاب والبلاء في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

● ولما يئس الفاسقُ من ثباتها[1] وأثاره صبرها طعنها بحربة في قُبُلها فماتتْ شهيدة، ورضيتْ بذلك أنْ تسلمَ روحها لخالقها من أجله، وفي سبيله طائعةً مختارةً، بل عَجِلَتْ إلى ربها طلباً لمرضاته ورضوانه عزَّ وجلَّ؛ وكان استشهادها في السَّنة السَّادسة من البعثة، وكانتْ أوَّل شهيدٍ في الإسلام رضي الله عنها.

● ولم تمضِ بضعةُ أعوام حتى قُتِلَ عدو الله ـ أبو جهل ـ بأيدي المسلمين في بَدْرٍ، وزفَّ النَّبيُّ ﷺ بشارة مقتله لعمَّار بن سمية رضي الله عنهم فقال له: «قَتَلَ الله قاتِلَ أمِّك».

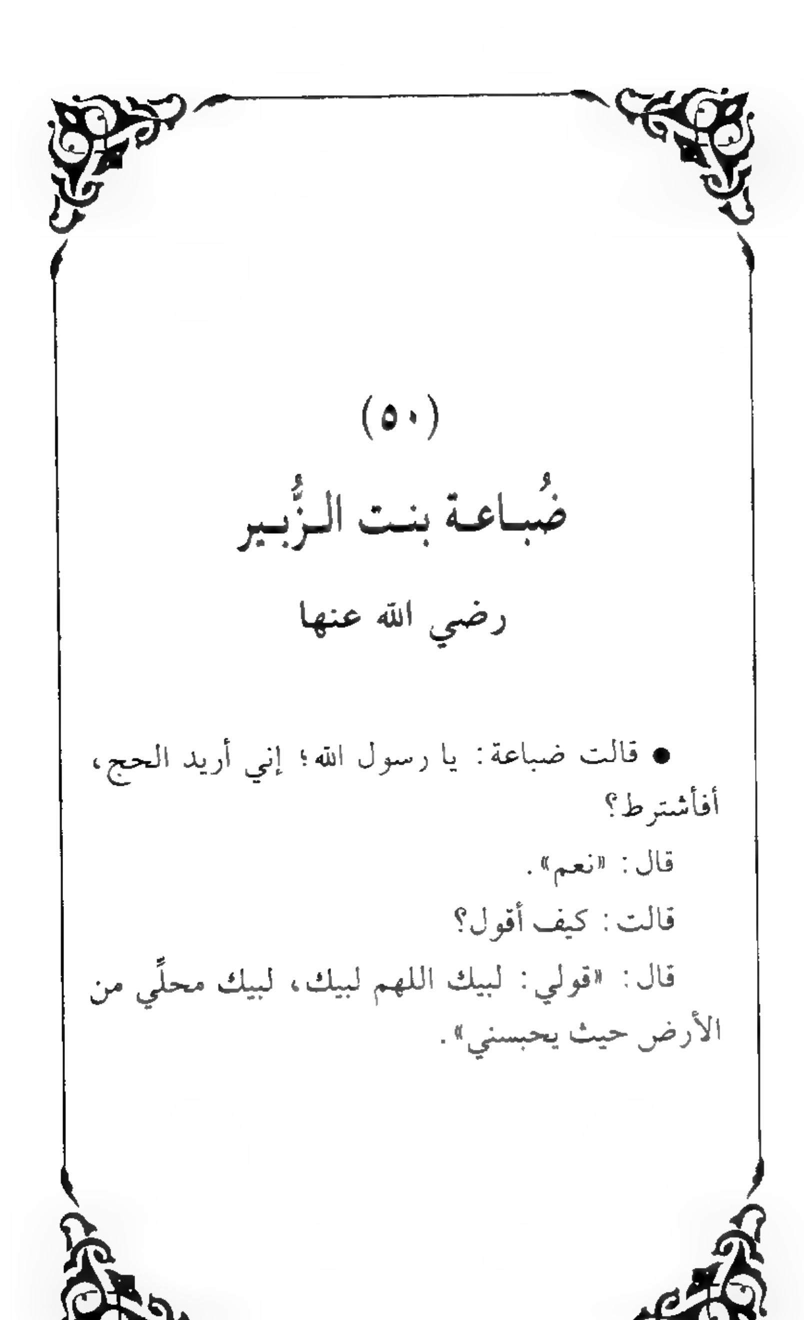
● ومع زفاف هذه البِشَارة النَّبوية، تذكرَّ عمار دعاء رسول الله ﷺ لأسرته: «اللهمّ لا تعذِّبْ أحداً من آل ياسر بالنَّار».

● رضي الله عن سُمية، وابن سمية، وزوج سُميَّة، وتعالوا حتى ندعوَ معاً بدعاء رسول الله ﷺ للأسرة الياسرية: «اللهم اغفرْ لآلِ ياسر وقد فعلتَ».

● وتعالوا نبتهل إلى الله داعين: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

* * *

(١) ذكر صاحب القاموس أن سمية: تعني الجبل، وهذا من الموافقات إذ ثبتت سمية في وجه المشركين ثبات الجبل الوقور على ظهر الفلاة.



(٥٠)

ضُباعة بنت الزُّبير

رضي الله عنها

● قالت ضباعة: يا رسول الله؛ إني أريد الحج، أفأشترط؟

قال: «نعم».

قالت: كيف أقول؟

قال: «قولي: لبيك اللهم لبيك، لبيك محلِّي من الأرض حيث يحبسني».

الخَيِّرةُ والأخْيَار:

● في رحلتنا السَّعيدة بين الأخيار، ومع عالم الصَّحابيات، نلتقي امرأةً ذاتَ قرابةٍ ومكانة لدى رسول الله ﷺ؛ إنَّها ضباعةُ بنتُ الزُّبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشيّة الهاشميّة بنت عمّ النَّبي ﷺ[1].

● وما دمنا في ذكر ابنةِ عم رسول الله ﷺ فلا بأس أنْ نتعرَّفَ أسماءَ أعمامه وعماته. فقد ورد أنَّه كان لعبد المطلب جدّ النَّبي ﷺ مِنَ الولد: عشرةٌ منَ الذُّكور، وستٌّ بناتٍ وهم: عبد الله بن عبد المطلب وهو أبو النبي ﷺ.

● أمَّا أعمامه فهم: الزُّبير، وأبو طالب[2]، والعبَّاس، وضِرارُ، وحمزةُ، والمقومُ، وأبو لهب، واسمه: عبد العزى، والحارثُ، والغيداق واسمه: حَجَل ويقال: نوفلُ، وهؤلاء بنو عبد المطلب.

● وأمَّا عماته ﷺ فهنّ: عاتكةُ، وأميمةُ، والبيضاء - أمّ حكيم -، وبرّةُ، وصفيّةُ[3]، وأروى بنات عبد المطلب.

يا حبَّذَا ضُباعة:

● لوالدِ ضباعة لمَسَاتٌ طيبة في طفولة النَّبي ﷺ؛ فالزُّبير بن عبد المطلب هو أكبرُ أعمام النَّبي عليه الصَّلاة والسلام، وكان يكنى أبا الطاهر. وذكر السُّهيلي رحمه الله أنَّه كان منْ أظرفِ فتيان قريش، وبه سمَّى رسول الله ﷺ ابنه الطَّاهر.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٠)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٢).

(٢) أبو طالب: عبدُ مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش، والدُ عليّ وعمُّ النبي ﷺ وكافله ومربيه وناصره، ولد بمكة سنة (٨٥ ق.هـ) وتوفي فيها سنة (٣ق.هـ) سافر النبي ﷺ معه إلى الشَّام في صباه، وحمى الرسول من أذى قريش والمشركين، لكنَّه امتنع عن الدخول في الإسلام خوفاً من أن تعيره العرب بترك دين آبائه. ينسب إليه ديوان: شيخ الأباطح، لكنه فيه من الركاكة ما يبرئه منه. (الأعلام ٤/ ٣١٥)

(٣) اقرأ سيرة صفية بنت عبد المطلب في هذا الكتاب، ففيها ما يسر النفس إن شاء الله.

● وذكر السُّهيلي أيضاً أنَّ الزُّبير كان ممن يقرّون بالبعث فقد أُخْبِر عَنْ ظالمٍ كان بمكة ومات، فقال الزُّبير: بأيِّ عقوبةٍ كان موتُه؟ فقيل: مات حَتْفَ أنفه؛ فقال: وإنْ! فلا بدَّ من يوم ينصفُ الله فيه المظلومين. ففي هذا دليل على إقراره بالبعث[1].

● وكان الزُّبير هذا، يحبُّ ابنَ أخيه الصَّغير محمّداً ﷺ، ويعطف عليه، وكان يرّقصه وهو طفلٌ ويقول:

محمّــــدْ بــــنُ عَبْــــدم عشــــتَ بعيــــشٍ أنْعــــم
لا زلــــتَ فــــي عيــــش عَــــم ودولــــــة ومغْنَــــــم
يغنيــــك عــــن كــــلِّ العَــــم وعشــــتَ حتــــى تَهْــــرم

● وتدلُّ أخبار ضباعة أنَّ أباها كان يحبُّها، ويتوسَّمُ فيها الخير، وكان ينشد لها الأناشيد القصار التي تفصحُ عن المكارم، ونشر الفضائل، فقد وردَ أنّه كان يُرقصها ويقول:

يــــا حبــــذا ضُبــــاعــــة مكــــرمــــةٌ مطــــاعــــة
لا تســــرقُ البضــــاعــــة لا تعــــرفُ الخــــلاعــــة

وقال أيضاً:

إنَّ ابنتــــي لحــــرة ذات حسَــــبْ
لا تمنــــع النَّــــار ولا فضــــل الحطَــــبْ

● على مثل هذه الأخلاق، نشأتْ ضُباعة على حبِّ الفضيلة، وعندما أسفر نورُ الإسلام عن صبحه، أسلمتْ ضُباعة[2] مع المبكرين، ثم هاجرت

---

(١) انظر الرّوض الأنف على هامش السّيرة النبوية (١/ ١٣٢)، ومن الجدير بالذكر أنَّ الزُّبير بن عبد المطلب كان شاعراً وهو الذي قال في حلف الفضول:

إنَّ الفضــولَ تعــاقــدوا وتحــالفــوا ألا يقيــم ببطــن مكــةَ ظــالــمُ
أمــر عليــه تعــاقــدوا وتــواثقــوا فــالجــار والمعتــرُّ فيهــم ســالــمُ

(٢) قال صاحب القاموس: بأنَّ ضباعة اسم جبل، والصحابيات ثلاث بهذا الاسم وهن: ضباعة بنت الحارث الأنصارية، وبنت الزبير القرشية، وبنت عامر العامرية.

مع الرَّعيل الأول، فكُتبتْ في سجلِّ الخالدات، وأضحتْ قدوةً لغيرها من الفاضلات.

● ومن الجدير بالذِّكر أنَّ أخاها عبد الله وأختها أمَّ الحكم ابنا الزبير بن عبد المطلب، من الذين أسلموا في السَّابقين رضي الله عنهما.

زَوَاجٌ مَيمُـون:

● تولى رسول الله ﷺ تزويج ضباعةَ مِنْ أحدِ الأخيار، المقداد بن الأسود رضي الله عنه، وتولَّتِ المصادر إيراد قصة هذا الزَّواج، فذكرت أنَّ عبد الرحمن بن عوف والمقداد[1] رضي الله عنهما، كانا جالسين يتحدثان. فقال له عبد الرحمن:

مالك لا تتزوج؟

قال: زوجني ابنتك.

فغضب عبد الرحمن وأغلظَ له وجهه، فشكا المقداد ذلك إلى النَّبي ﷺ وعرف الغمَّ في وجهه، فقال ﷺ: «لكني أزوجك ولا فَخْر» فزوجه بابنة عمِّه ضباعة، وكان بها من الجمال والعقل التَّام مع قرابتها من رسول الله ﷺ[2].

● وكانت الخِيَرةُ لضباعة فيما اختاره رسول الله ﷺ، إذ إنَّ الطيِّبات أكفْاء الطَّيبين، والكفاءة هنا ليست بالنَّسبِ، وإنّما في الدِّين، فالمقدادُ من كبار الصَّحابة، وكان هذا الزَّواج خيراً ويُمْناً على كليهما، فقد رَزَق الله عزَّ وجلَّ

---

(١) المقدادُ بن عمرو بن ثعلبة البهرانيّ الكنديّ الصحابيّ، اشتهر بالمقداد بن الأسود، لأنَّ الأسود بن عبد يغوث تبنّاه فنسب إليه. والمقداد من السّبعة الذين أظهروا الإسلام عند فجره، شهد بدراً وله مقام محمود فيها، وشهد كذلك المشاهد كلها مع النَّبي ﷺ، له (٤٢) حديثاً، توفي سنة (٣٣هـ) بالمدينة وهو ابن سبعين سنة، وفضائله مشهورة، وأخباره منثورة كثيرة رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١١٢).

(٢) الطبقات (٢/ ١٦٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٤١٩)، والإصابة (٣/ ٤٣٤) بمعان متقاربة.

المال للمقداد من حيث لا يحتسب، وذلك في رِزْقٍ ساقه إليه وجعل فيه البركة حتى كثرت الفضة في بيته[1].

● وقد أكرم الله الزَّوجين بنسل كريم فولدت للمقداد ابنه عبد الله وابنته كريمة، وكان لهما شأن في تاريخ الإسلام.

مِـنْ مَـكَـارِمِ شَخصيتِهَـا:

● لضباعةَ مكانةٌ نفيسةٌ عند النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام، فقد كان يكرمها ويجلّها، وكانت هي تتحفه بطعامها، روي أنَّها أرسلتْ له مع مولاتها سِدْرة قصعة صغيرة فيها طعام، وكان عند زوجه أمّ سلمة ـ أمّ المؤمنين ـ رضي الله عنها، فقال رسول الله ﷺ لسدرة: «ضباعةُ أرسلتْ بهذا؟».

قالت: نعم يا رسول الله.

قال: «ضعي».

قالت: فأصابَ منها رسول الله ﷺ أكلاً هو ومَنْ معه في البيت حتى نهلوا، وأكلتْ معهم سدرة[2].

● وكان رسول الله ﷺ يزورها في بيتها ويأكلُ عندها، وأوردَ ابن عبد البر رحمه الله أنَّ رسول الله ﷺ دخل عَلى ضباعة بنت الزبير فنهشَ عندها كتفاً ثم صلى وما توضأ من ذلك[3].

● ومرةً ذبحتْ ضباعة شاةً في بيتها، وأرسلتْ منها للنَّبي الكريم ﷺ بطلبٍ منه في ذلك[4].

● ومن مكارم شخصيتها أنَّها كانت في صفوف المجاهدين، فحضرت

---

(١) انظر قصة ذلك في دلائل النبوة للأصبهاني (٢/ ٥٩٥).
(٢) انظر تفاصيل القصة في عيون الأثر (٢/ ٣٠٨).
(٣) الاستيعاب (٤/ ٤٢٤).
(٤) زاد المعاد (٤/ ٢١٨).

غزوة خيبر، وأطعمها رسول الله ﷺ أربعين وسقاً[1].

جــوانــبُ مضيــئــةٌ:

● منَ الجوانب المضيئة في حياة ضباعة: روايتها الحديث الشَّريف، قال الذَّهبي: لها أحاديثُ يسيرة عن النَّبي ﷺ.

● روتْ عن النبي ﷺ وعن زوجها أحدَ عشر حديثاً، وروى عنها من الصَّحابة: عبدُ الله بن عبَّاس، وجابرُ بن عبد الله، وأنسُ بن مالك، وعائشةُ أمّ المؤمنين، رضي الله عنهم أجمعين.

● وروى عنها عدد من أكابر التَّابعين منهم: ابنتها كريمة بنت المقداد، وسعيدُ بن المسيب، وعروةُ بن الزبير، وعبد الرحمن بن الأعرج[2].

● ومن مروياتها ما ذكره ابن سعد رحمه الله بسنده عنها أنَّها قالت: قدمَ وفدُ بهراء من اليَمن وهم ثلاثة عشر رجلاً، فأقبلوا يقودون رواحلهم حتى انتهوا إلى باب المقداد بن عمرو ببني جديلة، فخرج إليهم المقداد، فرحَّب بهم وأنزلهم في منزل من الدَّار، وأتوا النَّبي ﷺ فأسلموا وتعلموا الفرائض وأقاموا أياماً ثم جاؤوا رسول الله ﷺ يودِّعُونَه، فأمر بجوائز لهم وانصرفوا إلى أهليهم[3].

إنِّــي أريــدُ الحَــجَّ:

أخرجَ ابنُ ماجه بسنده عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله هل على النِّساء جهاد؟.

قال: «نعم جهادٌ لا قتال فيه، الحجُّ والعمرةُ»[4].

● ولما كان الحج جهاد كل ضعيف، أحبتْ ضباعةُ رضي الله عنها أنْ

---

(١) الطبقات (٨/ ٤٦) والسيرة النبوية(٣٥٢).

(٢) أسد الغابة (٥/ ٤٩٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٥)، والإصابة (٤/ ٣٤٣).

(٣) الطبقات (١/ ٣٣١).

(٤) سنن ابن ماجه (٢٩٠١)، والحديث أخرجه أيضاً الإمام أحمد رحمه الله.

تحظى بهذا الأجر، وأرادتْ أنْ تحجَّ مع رسول الله ﷺ فخافتْ أنْ يحبسها المرضُ، فرخصَ لها بالاشتراط، أخرج هذا الترمذي رحمه الله بسنده عن ابنِ عبّاس رضي الله عنهما أنَّ ضباعةَ بنتَ الزُّبير أتتِ النَّبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إنّي أريدُ الحج، أفأشترط؟

قال: «نعم».

قالت: كيفَ أقول؟

قال: «قولي: لبيك اللهم لبيك، لبيك محلّي منَ الأرض حيث يحبسني»[1].

● وفي هذا الحديث الشَّريف مكرمةٌ لضباعة رضي الله عنها، إذِ الرخصةُ خاصة لها كما قال ذلك الإمام مالك رحمه الله.

وَفَـاتُـهـا رضـي الله عنهـا:

● امتدتْ حياةُ ضباعة بنتُ الزُّبير رضي الله عنها إلى سنةِ أربعينَ من الهجرة، ومع نهاية الخلافة الرَّاشدة، انتهتْ حياة ضباعة، وكانتْ رحلة الخلودِ إلى جوار الله عزَّ وجلَّ.

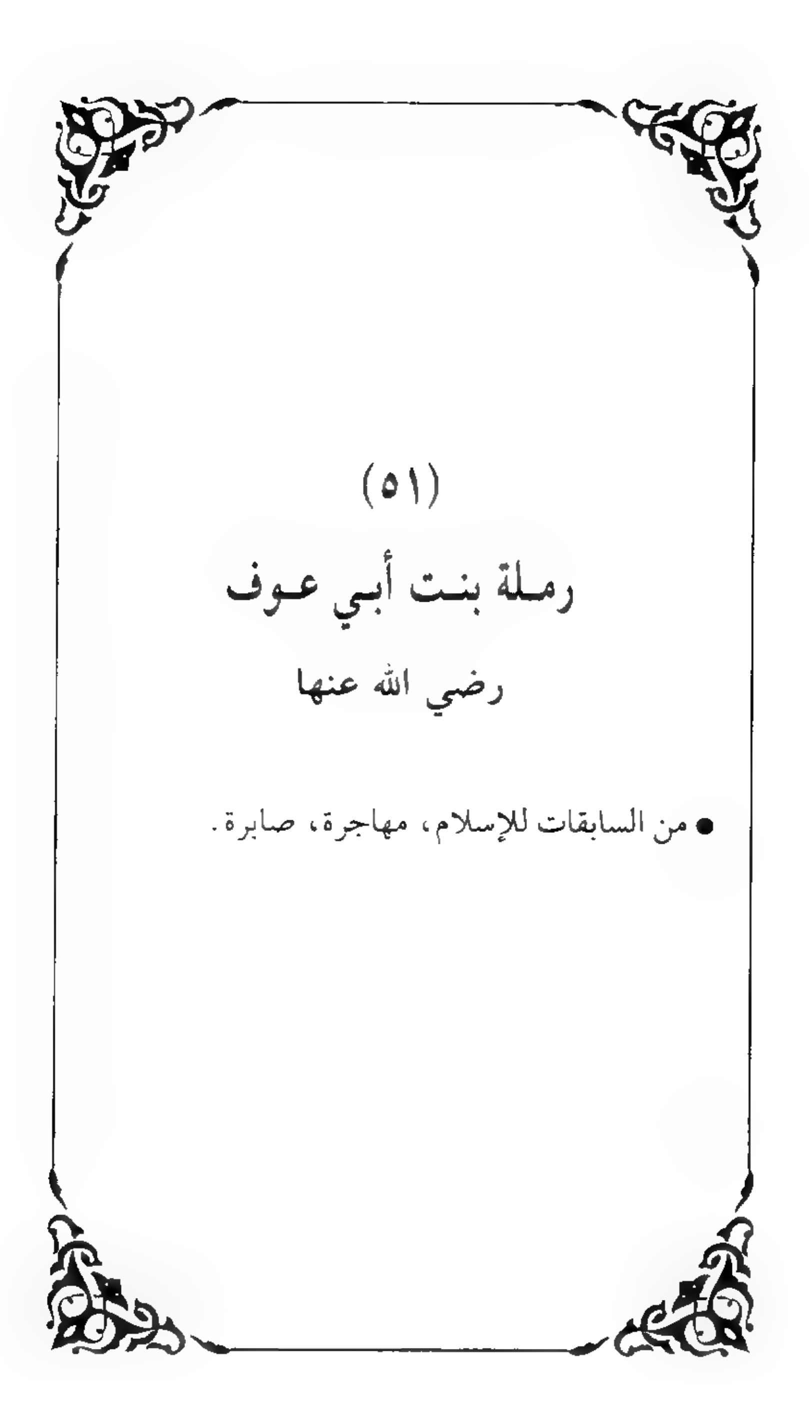
● وقبل أنْ نقول وداعاً ابنةَ عمّ النبيِّ ﷺ، تعالوا نمتِّع الأسماعَ بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾[2] صدق الله العظيم.

* * *

---

(١) سنن الترمذي (٩٤١)، وأخرجه ابن ماجه بعدة وجوه انظر الأحاديث رقم (٢٩٣٦ و٢٩٣٧ و٢٩٣٨)، وانظر صحيح مسلم (٤/٢٦)، والحديث أخرجه أيضاً البخاري والنسائي وأبو داود، وأحمد. واقرأ تفسير القرطبي وابن كثير والبغوي والخازن للآية (١٩٦) من سورة البقرة.

(٢) سورة الفجر، [الآيات: ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠].



(٥١)

رملة بنت أبي عوف

رضي الله عنها

● من السابقات للإسلام، مهاجرة، صابرة.

فـي رحَـاب السَّـابِقَـات:

● في حلبةِ التَّسَابق الإيماني، كانتِ المرأةُ قد ساجلتِ الرَّجل في هذا المضمار، ومنَ المتواتر أنَّ أولَ قَلْبٍ خفقَ بالإسلام وتألَّقَ بنوره، كان قلب امرأةٍ حازتِ السَّبْقَ إلى ساحةِ الإيمان، إنَّها أمُّ المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها سحائب الرضوان، ثم تلاها رعيلٌ من السَّابقات، فتأثرن بالإسلام تأثراً هان وراءه كل شيء، واستُعذب في سبيله كلّ مُرّ.

● من هؤلاء السَّابقات اللاتي تفيأن ظلَّ الإسلام منذ إشراقته الأولى الصَّحابية الكريمة رملة بنت أبي عوف بن صُبيرة[1]. وقيل: ضُبيرة[2].

● أسلمتْ رملةُ بمكةَ قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه.

● وكان زوجها من الرَّعيل الأول أيضاً وهو المُطَّلب بن أزْهر بن عبد عوف الزّهري ابن عم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما[3].

● وكان المُطَّلبُ وأخواه طُلَيبُ وعبدُ الرحمن أبناء أزهر ممن كتُبَ لهم شرفُ السّبْق إلى الإسلام، وممن سجّل التَّاريخُ أسماءهم في مصاف الأوائل.

رملـةُ فـي أرضِ الحبَـشَـةِ:

● كانتْ لقَريش صولةٌ بالأذى على مَنْ آمنَ من المسلمين حتى تجاوزتْ

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٦٨)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٠٠)، والإصابة (٤/ ٣٠٠).

(٢) قال السُّهيلي رحمه الله: قد قيل في صُبيرة ـ ضبيرة ـ بالضَّاد، وهو الذي كان شاباً جميلاً يلبس حلة، ويقول للنَّاس: هل ترون بي بأساً؟إعجاباً بنفسه، فأصابته المنية بغتة فقال الشاعر فيه:

مَن يأمـنِ الحـدثان بعـد صبيرة القـرشيّ ماتـا
سبقــت منيتــه المشيــب وكــأن منيتــه افتــلاتــا

(الروض الأنف ١/ ٢٩٤).

(٣) الإصابة (٣/ ٤٠٤).

بهم حدَّ الإيلام والتَّعذيب، والتفنّن في الاضطهادِ والتَّنكيل، إذْ وثبتْ كلُّ قبيلةٍ على مَنْ فيهم منَ المسلمين يعذّبونهم ويفتنونَهم عن دينهم، ويسمعونهم من لغوِ القول وهُجْرِ الكلام أينما كانوا وحيثما ذهبوا.

● وكانت رملة وبنو زهرة يتلقون العذاب بنفوسٍ صابرة راضية، وهانتْ عليهم جميعاً التضحيات الكبيرة، وهان عليهم الموت في سبيل الله عزّ وجلّ، حتى أثار هذا الصبر إعجاب قريش وحقدها بآن واحد.

● وزاد ما ينزل بالمسلمين من الأذى، وبلغ منهم القتل والتعذيب والتَّمثيل كلَّ مَبْلَغ، وكانت الشَّهيدة الأولى في حلقةِ العَذاب الآثمة امرأةٌ سَمتْ عالياً بصبرها وثباتها، ألا وهي سُميَّة أم عمار بن ياسر رضي الله عنهم جميعاً.

● وبعد هذا كلِّه، أشار رسول الله ﷺ على أصحابه أن يتفرَّقوا في الأرض، وأشار نحو الحبشة: «فإنَّ بها ملكاً لا يُظلمُ عنده أحدٌ، وهي أرضُ صِدْقٍ حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».

● وهاجرتْ رملةُ وزوجها المطلب وأخوه طليب، وفي الحبشة أقاموا بجوار النَّجاشي[1] الذي أكرم مثوى المهاجرين، وأوْلاَهُم كلَّ رعايةٍ وعنايةٍ، وأعلن بأنَّه لا يتخلىٰ عنهم، ولا يُكادُون.

● وفي أرضِ الحبشة، ولدتْ رملةُ ابنها عبد الله بن المطلب بن أزهر[2]،

---

(١) النَّجاشي: واسمه أصْحَمةُ ملك الحبشَة، معدُود في الصَّحابة رضي الله عنهم، وكان ممَن حَسُن إسلامه ولم يهاجر، وليست له رؤية، فهو تابعي من وَجْهٍ؛ صاحبٌ من وَجْهٍ، وقد أحسن النَّجاشي إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخباره معهم مشهورة، ومن محاسنه أنَّه أعطى أمَّ حبيبة ـ أم المؤمنين ـ الصّداق عن النَّبي ﷺ وجهازها كلّه من عنده. وأصحمة بالعربي؛ معناه: عَطية. والنَّجاشي لقب له ولملوك الحبشة. وكِسْرى للفرس، وقَيْصر للروم. توفي النَّجاشي في حياة النبي ﷺ ببلاده قبل فتح مكة، فصلى عليه بالنَّاس صلاة الغائب وقال لأصحابه: «هذا رجل صالح فقوموا فصلّوا على أخيكم أصحمة». (أسد الغابة ١/ ٩٩)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٢٨ ـ ٤٤٣) بتصرف.

(٢) أنساب الأشراف (١/ ٢٠٤).

وقرّتْ عينا الزّوجين بهذا المولود الذي خفَّفَ عنهما جزءاً من آلام الغربة.

«فَصَبرٌ جَمِيلٌ»:

● لم تطلْ فرحةُ رملة وزوجها رضي الله عنهما بمولودهما عبد الله، فقد اختار الله زوجها المطلب إلى جواره الكريم[1]، ثمَّ ما لبثَ أخوه طُليب بن أزهر[2] أن توفي أيضاً، فصبرت رملةُ رضي الله عنها على ما أصابها، واحتسبتْ زوجها عند الله عزّ وجلّ، وراحتْ تحدبُ على ابنها وتوليه كلَّ عنايتها واهتمامها.

● ولعبد الله ابنها هذا؛ أوليةٌ في تاريخ الفَرائض. قال ابنُ حَجَرٍ رحمه الله: مت المطلب بن أزهر بالحبشة فورثه عبد الله ـ ابنه ـ فهو أول مَنْ ورث أباه في الإسلام[3].

● وظلّتْ رملةُ المؤمنة الصَّابرة مع ابنها في أرض الحبشة مع المسلمين، إلى أنْ هجروا ثانية إلى المدينة، يوم فتح خيبر سنة سبع من الهجرة؛ وقد سُرّ بهم رسول الله ﷺ سروراً عظيماً، وأعطاهم من غنائم خيبر.

● وفي المدينة المنورة، انضمتْ رملةُ الصَّابرة إلى ركبِ المؤمنات تتابعُ مسيرة حياتها في ظلِّ الإسلام إلى أنْ لقيتْ ربها على ما عاهدت عليه.

● رضي الله عن رملةَ بنت أبي عوف، ونضّر قبرها، وجعلها مع المتقين في ظلال وعيون.

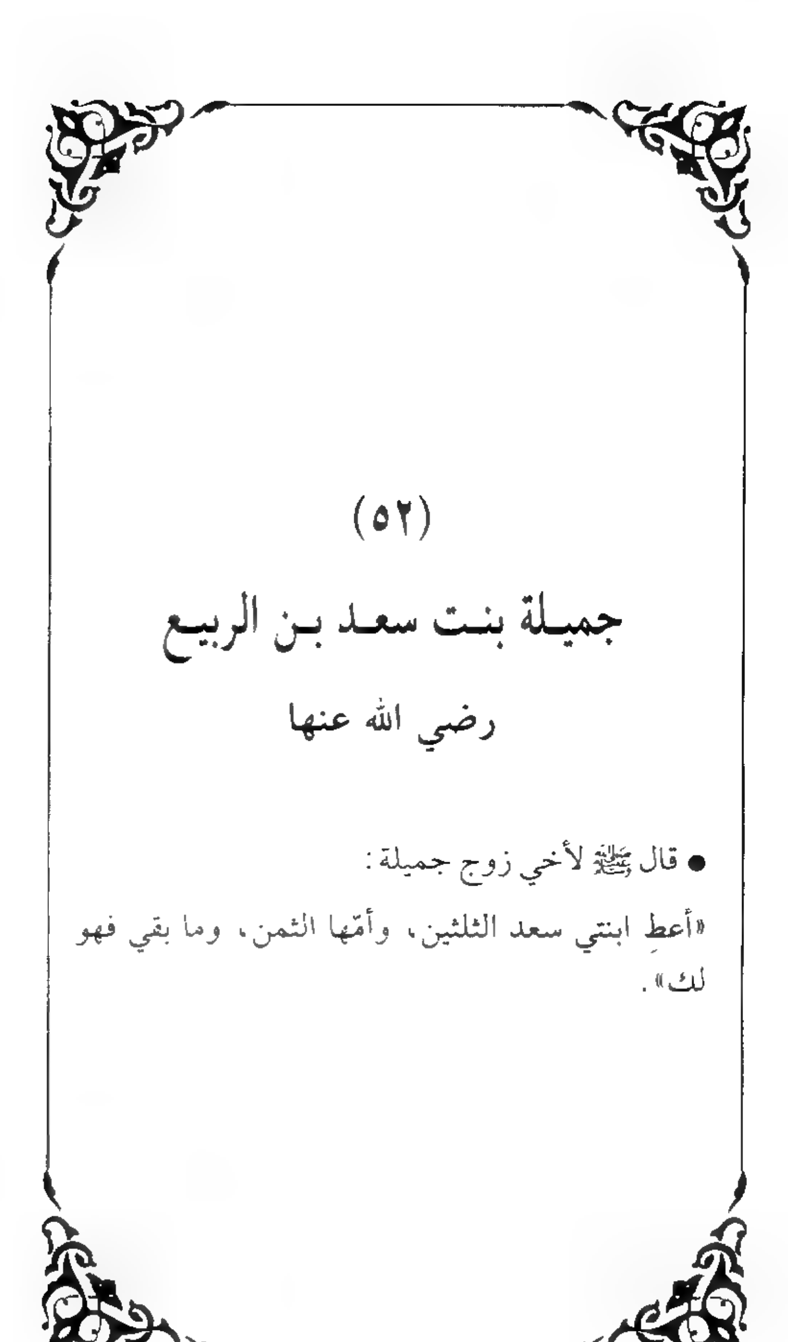
* * *

---

(١) المصدر السابق.

(٢) طُليب بن أزهر بن عبد عوف القرشيّ الزّهريّ، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة هو وأخوه المطلب، فماتا بها، وهما أخوا عبد الرحمن بن أزهر رضي الله عنهم. (أسد الغابة ٣/ ٦٤).

(٣) الإصابة (٤/ ٤٠٤)



(٥٢)

جميلة بنت سعد بن الربيع

رضي الله عنها

● قال ﷺ لأخي زوج جميلة:

«أعطِ ابنتي سعد الثلثين، وأمّها الثمن، وما بقي فهو لك».

أخْبــارُ الأخْيــارِ:

● دخلتْ ابنةُ سعد بن الرَّبيع رضي الله عنه على أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، فألقى لها رداءه لتجلسَ عليه، فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عنها وقال: مَنْ هذه؟.

فقال الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: هذه ابنةُ مَنْ هو خيرٌ مني ومنك.

قال عمر رضي الله عنه: ومَنْ هو يا خليفة رسول الله؟!.

قال: رجلٌ تبوأ مقعَدهُ مِنَ الجنَّة، وبقيتُ أنا وأنتَ؛ هذه ابنةُ سعد بن الربيع، كان مِنَ النُّقباءِ يوم العقبةِ، وشهد بدراً واستشهدَ يومَ أحُدٍ رضي الله عنه.

● وفي سعد هذا، يقولُ النَّبي ﷺ: «رَحِمَهُ الله، نَصَح لله ولرسوله حيّاً وميتاً»[1].

● وما دُمنا في ذكرْ الأخْيار وأخبارهم، فالسُّعود من الأنصار سَبْعةٌ، أربعَة شُعُود من الأوس وهم: سعدُ بن معاذ، وسعدُ بن خيثمة، وسعدُ بن عُبيد، وسعدُ بن زيد؛ وثلاثة سُعود من الخزرج؛ وهم: سعدُ بن عبادة، وسعدُ بن عثمان أبو عبيدة، وسعدُ بن الرّبيع[2] رضي الله عنهم وعن الصَّحابة أجمعين.

● وسنصحبُ سيرةً عطرةً طيبةً لابنة سعد بن الرَّبيع ـ جميلة ـ التي اشتهرت بكنيتها أمّ سعد بنت سعد رضي الله عنها[3].

● ولما استشهد أبوها كانت أمُّها حاملاً بها، ووضعتها بعد عدة أشهر من استشهاد سعد رضي الله عنه.

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٢٧٨).

(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٢٣٠). ومما هو جدير بالذكر أنه إذا قيل: السعدان: فالمقصود سعد بن معاذ سيد الأوس؛ وسعد بن عبادة سيد الخزرج.

(٣) الطبقات (٨/ ٤٧٧). والإصابة (٤/ ٤٣٧).

● نشأتْ أمُّ سعد يتيمةً في حجْر أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، واقتبستْ من أخْلاقِهِ الكريمةِ، ومن خصاله الحِسَان ومن فصاحته ما رفعها مكاناً علياً في سَماء المكرمات، وأمُّ سعد هذه هي التي اعترضت النَّبيَّ ﷺ فقال لها: «مَنْ أنتِ؟».

قالت: ابنةُ الخَطيبِ النَّقيبِ الشَّهيد سعد بن الرَّبيع[1].

«يَـقْضـي الله فـي ذَلِـكَ»:

● في شَأْن هذهِ الصَّحابية وأختها وأمِّها[2] أنْزل الله عزَّ وجلَّ قرآناً ودستوراً للنَّاس، وينصُّ الدُّستور القرآني هذا على إبطال عادة جاهليةٍ مَقيتَةٍ، كانت تهضمُ حقوق المرأة ولا تعترفُ بمكانتها، فجاءَ القرآن الكريم، وأحلَّ المرأة المكانة التي تستحقُّ، وأنقذها من شَرَكِ الجاهلية العمياء.

● ولنتابع القِصةَ مِنْ أولها، فقد رُوي أنَّه لما استُشْهِد سعد بن الرَّبيع رضي الله عنه ابنتان، وكان المسلمون يتوارثون علىماكان في الجاهلية، لأنَّ أهلَ الجاهليةِ كانوا يجعلون جميع الميراث للذَّكر دون الإناث[3]، حتى استشهد سعد بن الربيع رضي الله عنه؛ فلما أخذ عمّهم الميراث ـ ولم تنزلِ الفرائضُ بعد ـ كانت عَمْرَةُ زوج سعد امرأةً حازمةً صابرةً، فساءَها ما صنع أخو روجها، وفزعتْ إلى رسول الله ﷺ تشكو ما حدثَ لينطقَ بحكْمِ الله عزَّ وجلَّ، وينقذها

---

(١) البيان والتبيين (٢/ ٦) طبعة المكتبة الحديثة ببيروت.

(٢) والدة أم سعد هي: عمرة بنت حزم بن زيد النجارية. (الطبقات ٨/ ٣٥٩)، وأسد الغابة (٥/ ٥٠٩).

(٣) عدم توريث البنات سنة من سنن العرب ذلك أن النساء لا يؤول إليهم من ميراث الرجال شيء؛ وكانوا يقولون في ذلك: لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمي البيضة، فإذا مات الرجل ورثه ابنه، فإن لم يكن فأقرب من وجد من أوليائه أياً كان أو أخاً أو عماً، على حين يضم بناته ونساءه إلى بنات الوارث ونسائه، فيكون لهن ما لهن، وعليهن ما عليهن، حتى جاء الإسلام فصَدَعَ ذلك الضرب من الظلم، واختص النساء بنصيب مما ترك الرجل.

وابنتيها من ظلم الجاهلية، فكان ذلك، وروىٰ هذا سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

جاءت امرأةُ سعد بن الرَّبيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتل أبوهما معكَ في يوم أُحد شهيداً، وإنَّ عمَّهُما أخذَ مالَهُما فلم يَدعْ لهما مالاً، ولا ينكحان إلا ولهما مال.

فقال: «يقضي الله في ذلك».

فنزلتْ آيةُ الميراث، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمِّهما فقال: «أعطِ ابنتي سعد الثُّلثَيْن، وأمَّهما الثُّمُن، وما بقي فهو لك»[1].

● وعند إذْ كبَرتْ امرأةُ سعد، وسُرّتْ بحكمِ الله عزَّ وجلَّ الذي نَزَلَ بالفَصْلِ وأمَرَ بالعدل بين النَّاس، وآية الميراث التي نزلت هي قوله تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١].

الـزَّواجُ الميمُـون:

● أوتيتْ أمُّ سعد خيراً كثيراً بزواجِها من الإمام الكبير، وشيخ المقرئين والفَرضيين، وكاتبُ الوحي والمُصحف، وأحد الأذكياء النُّجباء مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ سيِّدنا زيد بن ثابت الأنصاريّ رضي الله عنه، وقد تأثرتْ به واقتبستْ من عِلْمه وفقهه شيئاً كثيراً جعلها في مقدمةِ العالماتِ الفقيهاتِ من نِسْوَةِ الأنصار رضي الله عنهن.

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٥٢)، وأبو داود (٢٨٩١)، والترمذي (٢٠٩٣)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، وانظر الطبقات (٣/ ٥٢٤)، وتفسير البغوي (١/ ٤٨٩)، وتفسير القرطبي وابن كثير للآية (١١) من سورة النساء.

● وكان من ثمرة هذا الزَّواج الميمون، أنْ ولدتْ لزيدٍ عدداً من الأبناء النُّجباء الذين أتحفوا التاريخ بعَمَلِهم النَّاصع وعِلْمِهم الغزير المعْطاء، وقد تكفَّلَ بذكرِ أسمائِهم الإمام الذَّهبيّ فقال:

ووُلد لزيد: خارجةُ[١]، وسليمانُ، ويحيىٰ، وعمارةُ، وإسماعيلُ، وأسعدُ، وعبادةُ، وإسحاق، وحسنة، وعمرة، وأمُّ إسحاق، وأمّ كلثوم؛ وأمّ هؤلاء: أمّ سعد ابنة سعد بن الرَّبيع رضي الله عنهما[٢].

مِنْ مكارِمِ شَخْصيّتِهَا:

● روىٰ حفيدها إبراهيم بن يحيىٰ بن زيد بن ثابت هذه المكرمة عنها فقال: سمعتُ أمَّ سعد بنت سعد بن الرَّبيع تقول:

دخل عليَّ زيد بن ثابت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن كنتِ تريدين أن تكلّمي في ميراثك من أبيك فتكلمي، فإن أمير المؤمنين عمر قد ورَّثَ اليوم الحَمْلَ. قال ـ وكان أبوها قُتل شهيداً يوم أحد وهي حَمْل ـ.

فقالت: ما كنتُ لأطلب من أختي شيئاً[٣].

● ويبدو أنَّ أختَ أمِّ سعد قد أخذتْ نصيبَها منْ ميراثها، إلا أنَّ أمّ سَعد قد

---

(١) خارجة بن زيد بن ثابت المدنيّ التّابعيّ. كان إماماً بارعاً في العلم، واتفقوا على توثيقه، وجلالته، وهو أحدُ فقهاء المدينة السَّبعة وهم: سعيدُ بن المسيب، وعروةُ بن الزبير، والقاسمُ بن محمد، وعبيدُ الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وخارجةُ بن زيد، وسليمان بن يسار، وقد جمعهم الشَّاعر بقوله:

ألا كلُّ مَنْ لا يقتدي بأئمةٍ ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد أبو بكر سليمان خارجه

توفي خارجة بالمدينة سنة مئة وله سبعون سنة رحمه الله تعالى.
(تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٨).

(٣) الطبقات (٨/ ٣٦٠)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٣٨)، والإصابة (٤/ ٤٣٧)

جادتْ بنصيبِها وجعلَتْهُ لأختها، وهذا من تمام الكرم، بل ومن محاسنِ الجود والفضيلة.

مـعَ أسْـباب النُّـزُول:

● أولعتْ أمُّ سعد رضي الله عنها بالقُرآن الكريم، وشُغفتْ بمعانيهِ العظيمة، فراحتْ تنهلُ من آياته حتى أتقنتْ حفظه، وعرفت أسباب نزوله، وغدت مرجعاً منَ المراجعِ الهامَّةِ في هذا المضمار، ومما يشير إلى تعمّقها في فَهْمِ القرآن الكريم ما رواهُ داود بن الحصين قال:

● كنت أقرأ على أمّ سعد بنت سعد بن الرَّبيع مع ابن ابنها موسى بن سعد ـ وكانت يتيمةً في حجر أبي بكر الصديق رضي الله عنه ـ فقرأتُ عليها: «والذينَ عاقدت أيمانكم».

فقالت: لا، ولكنْ ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٣٣].

قالتْ أمُّ سعد رضي الله عنها: إنَّما نزلتْ في أبي بكر وابنهِ عبد الرحمن[١] حين أبىٰ أنْ يُسلمَ، فحلفَ أبو بكر ألاّ يورثه، فلمّا أسلم أمره الله عزَّ وجلَّ أنْ يورِثَهُ نصيبَه[٢].

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق أبو محمَّد القرشيّ التيميّ المكيّ المدنيّ الصّحابيّ ابن الصحابي ابن الصَّحابية ـ أمّه أمّ رومان رضي الله عنها ـ قال العُلماء: لا نعلمُ أربعة ذكور مسلمين متوالدين بعضُهم من بعض أدركوا النَّبي ﷺ وصحبوه إلا أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد بن عبد الرحمن. كان عبد الرحمن قد شهد بدراً وأحداً مع الكفار، وأسلم في هدنة الحُديبية وحسُن إسلامه، وكان شجاعاً حَسَن الرَّمي، شهِدَ اليَمامة وقتلَ سبعة من الكفار يومئذ. روى ثمانية أحاديث، وتوفي قرب مكة سنة (٥٣هـ). (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٩٤).

(٢) تفسير الخازن (١/ ٥١٧)، ومختصر تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٤)، والإصابة (٤/ ٤٣٧)، وأسباب النزول للسيوطي آية (٣٣) من سورة النساء.

مـعَ الحَـديثِ الشَّـريْـفِ:

● ذكر ابنُ الأثير رحمه الله أنَّ أمَّ سعد أدركتِ النَّبيَّ ﷺ وروتْ عنه، وروى عنها ثابت بن عُبيد الأنصاري أنَّ آباها وعمَّها قُتِلا يوم أحد فدُفنا في قَبْرٍ واحد[1].

● ولأمِّ سَعْدٍ مرويات هامة عنْ أحداث السِّيرة النَّبويةِ في المرحلة المكيّة[2]، وكذلك مروياتٌ هامة عن المغازي النَّبوية من ذلك ما ذكرته عن غزوة أحدٍ قالت:

● دخلتُ على أمِّ عمارة ـ نسيبة بنت كعب ـ رضي الله عنها، فقلتُ لها: يا خالة أخبريني خَبَرَكِ.

● فقالت: خرجتُ أول النَّهار، أنظرُ ما يصنعُ النَّاس، ومعي سقاءٌ فيه ماء فانتهيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولةُ ـ النَّصْرُ ـ والرِّيحُ للمسلمين؛ فلمَّا انهزمَ المسلمون، انحزتُ إلى رسول الله ﷺ فقمتُ أباشرُ القتال، وأذبُّ عنه بالسَّيف، وأرمي عنِ القوس حتى خَلُصَت الجراحُ إليَّ.

ـ قالت أم سعد ـ: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور.

فقلتُ لها: مَنْ أصابَكِ بهذا؟.

قالتْ أمُّ عمارة: ابنُ قميئة ـ أقمأه الله ـ لما ولّى النَّاس عن رسول الله ﷺ، أقبلَ يقول: دلوني على محمَّد، لا نجوتُ إنْ نجا، فاعترضتُ له أنا ومصعبُ بن عمير رضي الله عنه، وأناس ممن ثبتَ مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضّربة، ولقد ضربتهُ على ذلك ضرباتٍ، ولكن عدو الله كانت عليه درعان[3].

● وعاشتْ أمُّ سعدٍ مع زوجها زيد بن ثابت رضي الله عنهما، حية عبادةٍ

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٤١٨).

(٢) انظر مثلاً دلائل النبوة للأصبهاني (١/ ٣٩٧ و٣٩٨).

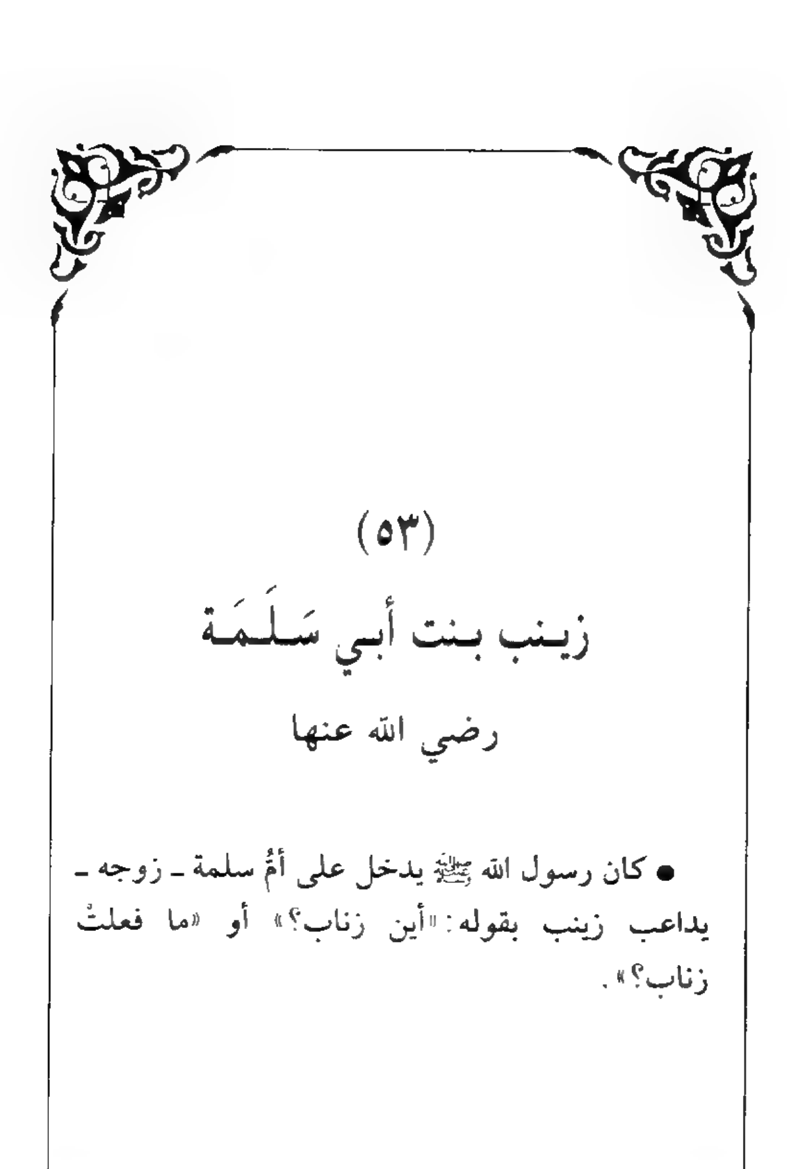
(٣) البداية والنهاية (٤/ ٣٥).

وجدّ واجتهاد، إلى أنْ لقيا الله عزّ وجل. فقد توفي زيد سنة (٤٥هـ)، وأمّا زوجه أمُّ سعد فلا نملك سنداً وثيقاً يشير إلى وفاتها، ولكنَّ أخبارَها تدلّ على أنها عاشت زمناً بعد وفاة زوجها رضي الله عنها.

● وبعد، فتلك سيرةُ صحابية أَنْبَتَها الله نباتاً حَسَناً في مناقب الإسلام، حتى أضحت زوجاً لصحابي كريم، وأمّاً نادرة المثال في حسن التَّربية، أوَلاَ يكْفيها منَ الفخر أنّها ربّت أَحَدَ أعْمدة العِلْمِ في المدينة ابنها خارجة بن زيد؟! بل يكفيها فخراً أنَّها تخرجت في مدرسة أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه، فأكرم بها من مدرسة! هذه المدرسة التي خرّجتْ امرأة تستحق أنْ تكون قدوة لكلِّ امرأة في جميع المجالات.

● رضي الله عن أمِّ سعد، ونضّر قبرها، وجعلها مع الذين سُعدوا في الجنَّة خالدينَ فيها ما دامت السَّموات والأرض، والحمد لله أولاً وآخراً.

* * *



(٥٣)

زينب بنت أبي سَلَمَة

رضي الله عنها

● كان رسول الله ﷺ يدخل على أمِّ سلمة ـ زوجه ـ يداعب زينب بقوله: «أين زناب؟» أو «ما فعلتْ زناب؟».

فـيْ بَـيْتِ النُّبـوّة:

● نشأتْ في أكرَمِ بيتٍ في الدُّنيا، وعاشتْ فيه سنوات سِمان، وصُنِعتْ على عيني رسول الله ﷺ، فكانت من فُضْليات نساء المدينة في زمانها.

● وسعيدة الحظِّ هذه، زينبُ بنتُ أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومية[1]، ربيبة النَّبي ﷺ، وأخوها عمر بن أبي سلمة، ولدتهما أمهما أمُّ سلمة[2] ـ أمُّ المؤمنين ـ بالحبشة.

● والـرَّبيبـةُ بنـتُ الـزوجـة، وجمعهـا ربـائـب، قـال الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣].

● والرَّبيب: ولدُ الزَّوجة من غيره.

● وسُمِّيا ربيباً وربيبة، لأنَّ زوجَ أمِّهما يَرُبُّهُما في العادة ـ أي يسوسهما ـ.

● وزينبُ بنتُ أبي سلمة ـ هذه ـ كان اسمها برّة، فسمّاها النَّبيُّ ﷺ زينب ـ والزَّينب ـ شجرٌ حَسَنُ المنظر طيّبُ الرَّائحة، وبه سُميت المرأة زينب.

● وقد كان للنَّبيِّ ﷺ هَدْي في الأسماء، فكان يحبُّ للمسلم صالح الأسماء وحَسنها، فقد ثبتَ عنه أنَّه غيّر اسم عاصية وقال: «أنتِ جميلة»[3]، وكان اسم جويرية برَّة، فغيّره باسم جويرية.

● وكان ﷺ يكره للمسلم سيِّىء الأسماء وقبيحها، ويأمر بتحسينها، وفي ذلك تكريم المسلم لئلا يُعْرَفَ باسم قبيح، روتْ زينبُ بنت أبي سلمة قالت:

---

(١) الطبقات (٨/ ٤٦١)، والاستيعاب (٤/ ٣١٢)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٠)، وجمهرة أنساب العرب (١/ ١١).

(٢) أمُّ سلمة: كانت قبل الرسول ﷺ عند أبي سلمة بن عبد الأسد، وكانت لها منه أولاد: عمر، سلمة، زينب، درّة، وكان عمر بن أبي سلمة مع عليّ رضي الله عنه يوم الجمل. وأمُّ سلمة اسمها هند بنت أبي أمية، وكانت آخر زوجات النبي ﷺ وفاة توفيت سنة (٦١هـ) رضي الله عنها ـ (شذرات الذهب ١/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٥٢).

إنّ رسول الله ﷺ نهىٰ عن هذا الاسم ـ أي برة ـ وسُمِّيَتْ برّة، فقال ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم الله أعلمُ بأهل البرّ منكم».

قالوا: بِمَ نسميها؟.

قال: «سمّوها زينب»[١].

«أيْنَ زَنَاب»:

● باللُّطفِ واللينِ والرفق كان عليه الصَّلاة والسَّلام يعاملُ النَّاس، وكان يكرم زينب ربيبته ويرفق بها، وكان يدخلُ على أمِّ سلمة ـ زوجه ـ يداعبُ زينب بقوله: «أين زَناب» أو «ما فعلتْ زَنَاب؟».

● وقد حدثتْ لزينب رضي الله عنها مكرمةٌ نبوية لازمتها إلى آخرِ حياتها، فقد ورد أنَّها دخلتْ على النَّبي ﷺ وهو يغتسل، فنضح في وجهها الماء، فلم يزل ماء الشَّباب في وجهها حتى كبرت وعجزت، ولم ينقصْ من بهاء وجهها وجماله شيء[٢]. وهذا من بَرَكةِ النَّبيِّ ﷺ ودلائل نبوّته.

● وقد تزوّج زينب عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسديَ[٣] ـ ابن خالتها ـ فولدت له: يزيد وكثير وأبا عبيدة. وكان لأولادها شأن كبير في التاريخ الإسلامي وحضارتنا العريقة.

الفَـقيْـهَـةُ العَـالِمَـــةُ:

● هذه المرأةُ الكريمة كان يُشار إليها ببنانِ العلم والفقْهِ، ويشهد بعلمها

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، وانظر الطبقات (٨/ ٤٦١).

(٢) الاستيعاب (٤/ ٣١٢)، والشفا (١/ ٦٤٧)، وأسد الغابة (٥/ ٤٦٨ و٤٦٩)، والإصابة (٤/ ٣١١).

(٣) عبدُ الله بن زمعة بن الأسود القرشيّ الأسديّ الصَّحابيّ، ابن أخت أمّ سلمة زوج النبيﷺ؛ وأمُّه: قُريبة بنت أبي أمية، كان يسكن المدينة المنورة، وكان يأذن على النبي ﷺ، روى أحاديث، وله في الصَّحيح حديث يشتمل على ثلاثة أحكام. قتل مع عثمان رضي الله عنهما يوم الدار سنة (٣٥هـ). (أسد الغابة ٣/ ١٦٤)، و(الإصابة ٢/ ٣٠٣ و٣٠٤).

القاصي والدّاني، قال بكْر بن عبد الله المزني: أخبرني أبو رافع قال: كنتُ إذا ذكرتْ امرأةً بالمدينة فقيهة ذكرتُ زينب بنت أبي سلمة[1] رضي الله عنها.

وقال ابنُ عبد البر رحمه الله: كانت زينبُ منْ أفقه نساء زمانها.

● ولعلَّ مصدر فقهها آتٍ من كثرة تردُّدِها على زوجات النَّبي رضوان الله عليهن، وخصوصاً الصِّديقة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، ناهيك بفهمها الأحكامَ الشَّرعية فهماً سليماً دقيقاً.

الصَّـابِـرةُ الصَّـادِقَــةُ:

● بلغتْ زينب رضي الله عنها منزلةً كبيرةً في مجال الصَّبر على المصائب وتحمّلِ الشَّدائد، يدلُّ على ذلك ما روي عن الحسن البصري رحمه الله أنَّه ذكر يومِ الحرة[2] فقال:

لما كان يومِ الحرّة قُتِلَ أهل المدينة، فكان فيمن قُتِلَ ابنا زينب ربيبة رسول الله ﷺ، فحُمِلا فوُضعا بين يديها مقتولَيْنِ؛ فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله إنَّ المصيبة فيكما عليَّ لكبيرةٌ، وهيَ عليَّ في هذا ـ وأشارتْ إلى أحدهما ـ أكبرُ منهما في هذا ـ وأشارت إلى الآخر ـ لأنَّه جلسَ في بيته فدُخِلَ عليه فقُتل مظلوماً، وأنا أرجو له الجنّة، وأمّا الآخر فإنه بسط يده وقاتلَ، فلا أدري ما هو من ذلك، فالمصيبةُ به عليَّ أعظم منها في هذا[3].

● وهكذا كانت زينبُ في هذا الموقف مثال الأمّ الصَّابرة المستسلمة لحكم الله عزّ وجلَّ، ومثل زينب فلتكنِ النِّساء.

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢١).

(٢) الحرة هي حرة واقم، إحدى حرّتي المدينة المنورة، وهي الشرقية، سميت برجل من العماليق اسمه واقم وكان قد نزلها في الدهر الأوّل. وفي هذه الحرة كانت الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة (٦٣هـ).

(٣) الاستيعاب (٤/ ٣١٣)، وأسد الغابة (٥/ ٤٦٩).

الـرَّاويـة الحَـافِـظَـةُ:

● حفظتْ زينبُ عن النَّبيِّ ﷺ سبعة أحاديث، وروتْ عنه وعن أزواجه الطَّاهرات، أمّها، وعائشة، وزينب بنت جحش، وأمّ حبيبة رضي الله عنهن.

● وحدَّث عنها: عروةُ بن الزُّبير، وعليُّ بن الحسين، والقاسم بن محمد، وابنها أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة، وآخرون[1].

● وروى لها البخاري حديثاً، ومسلم حديثاً آخر. ومن مروياتها ما حدثت به: أنَّ رسول الله ﷺ، كان عند أمّ سلمة، فجعل الحَسَنَ من شقٍّ، والحُسين من شقّ، وفاطمة في حجره فقال: «رحمةُ الله وبركاته عليكم أهْلَ البيت»[2].

وَفَاتُها رضي الله عنها:

● في سنة (٧٣هـ) توفيتْ زينب بالمدينة، وطارق[3] أمير الناس، فأُتيَ بجنازتها بعد صلاة الصُّبح، فوضِعَتْ بالبقيع، وكان طارقٌ يغلّسُ بالصُّبح. وحضر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جنازتها، وقال لأهلها: إمّا أنْ تصلّوا على جنازتكم الآن، وإمَّا أنْ تتركوها حتى ترتفعَ الشَّمس[4].

● وهناك في البقيع كان مثواها الأخير مع الصّالحين. رضي الله عن زينب وأرضاها وألحقها بالصالحين.

* * *

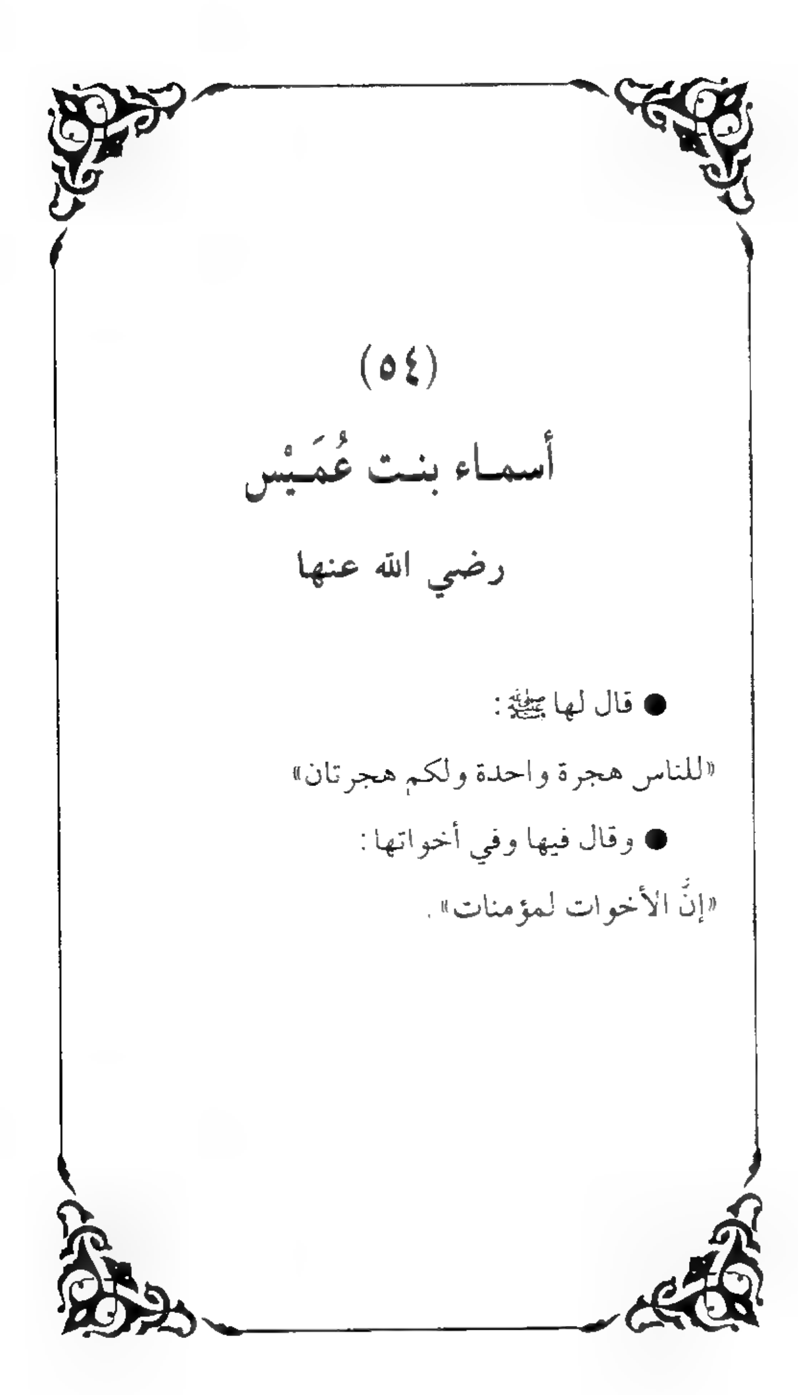
---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠١)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢١)، والإصابة (٤/ ٣١١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠١).

(٣) طارقُ بنُ عمرو، مولى سيّدنا عثمان بن عفان، ولاّه عبد الملك بن مروان المدينة المنوّرة (سنة ٧٢هـ)، ونقل ابنُ حجر، أنَّ طارقاً كان يقضي أثناء ولايته على المدينة. وثّقه بعضهم، واعتبره آخرون من ولاة الجور، وليس له تاريخ يذكر قبل هذه الأيام أو بعدها.
(تهذيب التهذيب ٥/ ٥ و٦ و٧).

(٤) الطبقات (٨/ ٤٦٢)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢١).



(٥٤)

أسماء بنت عُمَيْس

رضي الله عنها

● قال لها ﷺ :

«للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان»

● وقال فيها وفي أخواتها :

«إنَّ الأخوات لمؤمنات» .

نَفَحَاتُ الحَقِّ:

● ما إنْ سَرَتْ نسماتُ الإسلامِ الزكية بمكةَ حتى أقبلتْ على رسول الله ﷺ وأسلمتْ بصحبةِ زوجها ليأخذا مكانهما بين السَّابقينَ الذين أسهموا أعْظَم إسهامٍ في سبيل إعزاز دين الله عزَّ وجلَّ.

● أسلمتْ ـ هذه الصَّحابية ـ قَبْل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم[1]، فحازتْ نعمةَ السَّبْقِ التي لها وزنها في ميزان الإسلام، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠ـ١٢].

● وبطلتُنا هي أسماءُ بنتُ عميس بن مَعَد الخثعمية[2]، زوج السَّيد الشَّهيد، عَلَم المجاهدين، جعفر بن أبي طالب، ابن عمّ النَّبيّ ﷺ؛ الذي لقَّبه بـ«ذي الجناحين»، وكنّاه بـ«أبي المساكين» رضي الله عنه وأرضاه.

فـيْ ظِـلاَلِ الهِجْــرَةِ:

● في مكةَ تَلَقَّتْ أسماءُ وزوجها نصيبَهما من الأذىٰ والاضطهاد؛ عندها هاجر عددٌ موفورٌ من نساء الصَّحابة في رِفْقَةِ أزواجهنَّ إلى الحبشة؛ ولم يخرجْنَ إلى إعداد الطَّعام أو النزهة، بل خرجنَ في طاعة الله عزّ وجلّ فراراً بِدينِهِنَّ، وذهبْنَ في شَدِّ أَزْرِ أزواجهن مشيراتٍ مؤتمناتٍ، ومعيناتٍ صادقاتٍ، فنِلْنَ أجراً عظيماً.

وخرجتْ أسماء في صحبة زوجها جعفر أمير المهاجرين في أرض الحبشة حيث لبثا بها سنين عدداً، فولدت له هناك عبد الله[3]، وعَوْناً ومحمّداً.

---

(١) الأرقم بن أبي الأرقم المخزوميّ رضي الله عنه، كانت دارُه على الصَّفا، وهي الدّار التي كان النَّبي ﷺ يكونُ فيها، وفيها دعا النَّاس إلى الإسلام، فأسلم فيه قوم كثير، كان آخرهم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه.

(٢) الطَّبقات (٨/ ٢٨٠)، وتاريخ الطَّبري (٢/ ٣٥١)، والاستيعاب (٤/ ٢٣٠)، والرّوض الأنف (١/ ٢٩٣)، والأعلام للزركلي (١/ ٣٠٦).

(٣) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، السَّيد العالم، أبو جعفر القرشيّ الهاشمي الحبشيّ =

وفي الحبشة كانت أسماء خير عون لزوجها على المضيّ في سبيل نَشْرِ الإسلام. فقد كان جعفر المتحدِّث اللبق، والموفق الفَطِن، والبليغ الفصيح، إذ استطاعَ ببيانِه وإشراق عقله أنْ يُبْكي النَّجاشي ومَنْ حولَهُ مِنْ بطارقته، وكان مِنْ ثمرةِ ذلكَ أنْ أدركَ النَّجاشي عظمةَ الإسلام، ولَمَسَ استقامةَ ضيوفهِ المهاجرين، فأسلم على يَدِ جعفر[1] رضي الله عنه وأحسن نُزُلَ المسلمين. فعاشوا في ظلّ عدله لابثينَ فيه؛ كما قالت أمُّ سلمة ـ أمُّ المؤمنين ـ: وأقمنا عنده بخير دارٍ، مع خَيرِ جار.. . حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة[2].

أسْمَـاءُ وابـنُ النَّـجَـاشِـيِّ:

من الأخبار الطَّريفةِ التي رَفَعَتْ أسماء مكاناً علياً في الحبشة ما أورده مصعب الزُّبيري رحمه الله، أنَّه وُلِدَ للنَّجاشيِّ ـ ملك الحبشة ـ بعدما ولدت أسماء بنت عميس ابنها عبد الله بأيام، فأرسل النَّجاشيُّ إلى جعفر: ما سمَّيت ابنك؟.

قال: عبد الله؛ فسمّى النَّجاشي ابنه عبد الله، وأخذَتْهُ أسماء فأرضعته حتى فطمته بلَبن ابنها عبد الله بن جعفر، ونزلتْ بذلك عندهم منزلة كبيرةً. فكان

= المولد، المدنيّ الدّار، رأس السَّخاء الجوادُ بنُ الجواد ذو الجناحين، الصَّحابي بنُ الصَّحابي بن الصَّحابية رضي الله عنهم. له رواية، وهو آخر مَنْ رأى النبيﷺ وصَحبه من بني هاشم وفاةً. كان كبير الشَّأن كريماً جواداً، دعا له رسول الله ﷺ بالبركة فقال: «اللهمّ بارك له في تجارته» مات سنة (٨٠هـ) وله(٨٠) سنة. وله أخبار رائعة في الجود والبذل، وضرب المثل بجوده فقيل:

وما كنت إلا كالأغَرِّ بن جعفر ... رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا

(تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٦٣ و٣٦٤)، و(سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٥٦ ـ ٤٦٢).

(١) اقرأ سيرة جعفر بن أبي طالب في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة» (٢/ ٩٥) ففيه ما يثلج الصدور.

(٢) السيرة النبوية (١/ ٣٣٨).

مَن أسلم بالحبشة يأتي أسماء ـ بعدُ ـ يَخْبرُ خبرهم[1].

«وَلَكُمْ هِجْرَتَانِ»:

● افتتح أبو نعيم رحمه الله ترجمةَ أسماء بقوله: مهاجرة الهجرتين، ومصلِّية القبلتين، أسماء بنت عميس الخثعمية، المعروفة بالبحرية الحبشية[2].

● وهجرةُ أسماء الثَّانية، كانت إلى المدينة المنورة سنة سَبْع، حيث وافق المهاجرون رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لهم وأعطاهم من الغنائم.

● لقد كانت هجرة أسماء رضي الله عنها هجرة من بعد هجرة، وشهد النَّبيُّ ﷺ لمهاجري الحبشة بهجرتين؛ فقد أخرج ابن سعد رحمه الله بسند وثيق عن عامر الشَّعبيِّ قال:

قدمتْ أسماءُ من الحبشة، فقال لها عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه فاكهاً ـ مازحاً ـ: يا حبشية سبقناكم بالهجرة.

فقالت: إيْ لعمري، لقد صدقتَ، كنتُم مع رسول الله ﷺ يطْعمُ جائعكم، ويعلِّمُ جاهلكم، وكنَّا البُعداء الطُّرداء، أمَا والله لأذكرنَّ ذلك لرسول الله ﷺ، فأتَتْهُ فقال لها: «للنَّاس هِجرةٌ واحدةٌ ولكم هجرتان»[3].

● أرأيتَ كيف قامتْ أسماء رضي الله عنها بحجةِ المهاجرين إلى الحبشة؟ وهل رأيت كيف فاءتْ بأمرها إلى رسول الله ﷺ الذي أكرمها بكلامه وخصَّها بمنقبةٍ كريمة جعلَتْها راضيةً؟.

---

(١) نسب قريش (ص ٨١) بتصرف يسير.
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٧٤).
(٣) الطبقات (٨/ ٢٨١)، بتصرف يسير جداً؛ وللحديث أصل في صحيح البخاري (٧/ ٣٧١ و٣٧٢)، ومسلم (٧/ ١٧٢ و١٧٣)، وأبو داود(٢٧٤٥)، والترمذي (١٥٥٩)، وانظر الحلية (٢/ ٧٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٢٤٤ و٢٤٥)، وأسد الغابة (٥/ ٣٩٦)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٠٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٤٣١ و٤٣٢)، وغيرها من المصادر الموثوقة

● وبقوله ﷺ: «ولكم هجرتان» طابتْ نفس أسماء ومهاجرو الحبشة بالخصوصيّة التي خصّهم بها النّبيُّ ﷺ، فكانت زاداً كريماً لهم، وشهادة تقدير يفخرون بها إلى ما شاء الله تعالى.

● وكان المؤمنون المهاجرون يأتونها جماعاتٍ يسألونها عن المكرمة النّبويّة، وهم في غِبْطَة وسرور، وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يستعيدُ منها حديث النّبيّ ﷺ: «ولكم الهجرةُ مرتين، هاجرتم إلى النّجاشي وهاجرتم إليّ».

«اصنَعُوا لآلِ جَعْفَرَ طَعَاماً»:

● وقفتْ أسماء تودِّعُ زوجها جعفرَ رضي الله عنهما، وقد خرج إلى مؤتة في الشّام ليجاهد في سبيل الله عزّ وجلّ، وكان جعفر أحد أمراء الجيش الثّلاثة، وكان يمتطي فرساً شقراء، ووقفَ الجيش الغازي يستمعُ إلى إرشادات النّبيّ ﷺ الذي حدّدَ قادة الجيش فقال: «عليكم زيد، فإنْ أصيب فجعفر، فإنْ أصيب جعفر فابن رواحة»[١].

● وعن أخبار المعركة الدّائرةِ في مؤتة، أنبأ العليمُ الخبيرُ رسولَه ﷺ بما حدث، وصعِدَ النّبيُّ ﷺ المنبر في المدينة، وأخبر المسلمين بمصيرِ جعفر وأصحابه واستغفر لهم؛ ثم ذرفتْ عيناهُ على جعفر، وذهب إلى بيته، ودعا بأولاده، وقرّبهم منه وقَبّلَهم، وكان المشهدُ مؤثراً، ذكرته أسماء نفسها فقالت:

● دخلَ عليّ رسول الله ﷺ، فدعا بنيّ جعفر، فرأيتُه شمّهُم، وذرفتْ عيناهُ.

فقلتُ: يا رسول الله أبَلَغَكَ عن جعفر شيء؟.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/٢٠٨)، والأمراء الثلاثة هم: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وأرضاهم. واقرأ سيرهم في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة».

قال: «نعم قُتِلَ اليومَ».

فقمنا نبكي، ورجع فقال: «اصْنَعُوا لآلِ جعفر طعاماً فإنَّه قد جاءَ ما يشغَلُهم»[1].

● ثم دخل رسول الله ﷺ على أسماء في اليومِ الثَّالث من استشهاد جعفر وقال لها: «لا تحدّي بعد يومك هذا»، واستعبرت أسماءُ رضي الله عنها وذكرتْ يُتْم أولادها، فقال ﷺ: «العَيْلَةَ تخافين عليهم وأنا وليّهُم في الدُّنيا والآخرة؟!». ثم دعا لها ولأولادها.

● عندئذ اعتصمتْ أسماءُ رضي الله عنها بالصَّبر، فالصَّابرون يوفَّوْن أجرهم بغير حساب، وقد كتَبَ الله عزَّ وجلَّ للصَّابرين والصَّابرات من جليل الأمر وجميلِ المثوبة، ما جعل أسماء تسترجع[2] وتتذكر قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦_١٥٧].

النَّجِيْبَــةُ الكَـرِيْـمَــةُ:

● تزوَّجتْ أسماء بعد انقضاءِ عدتها من الصِّديق[3] أبي بكر رضي الله عنه، واصطحبها معه في حجة الوداع فولدتْ له محمّداً بذي الحليفة، فهمَّ أبو بكر

---

(١) سنن الترمذي (٩٩٨)، وعلَّق الترمذي رحمه الله على هذا الحديث بقوله: هذا حديث حسن صحيح، وقد كان بعض أهل العلم يستحبُّ أنْ يوجهَ إلى أهل الميت شيء لشُغلهم بالمصيبة، وانظر سنن ابن ماجه (١٦١٠ و١٦١١)، والطبقات (٨/ ٢٨٢)، ودلائل النبوة للأصبهاني (٢/ ٦٨١).

(٢) تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٣) ذكر ابن حجر أنَّ النَّبي ﷺ زوَّج أبا بكر أسماء بنت عميس يوم حُنين. (الإصابة ٤/ ٢٢٥).

رضي الله عنه بردِّهَا إلى المدينة المنوَّرَةِ، فسأل النَّبيّ ﷺ فقال: «مُرْهَا فلتغتسلْ ثم تهلّ بالحج»[1].

● وحجّتْ أسماء رضي الله عنها حجة الوداع، وبقيتْ عند أبي بكر إلى أنْ مات، فغسلته بوصيةٍ منه[2].

● ثم تزوَّجت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فولدت له يحيىٰ، وعوْنا[3].

وهكذا كانت أسماء من أنْجبِ النّساء، وأكرمهن أزواجاً، وأسدّهنّ رأياً، وأنفذهن في دين الله عزَّ وجلّ.

مكانَتُهَا وفَضْلُهَا:

● مناقبُ أسماء رضي الله عنها كثيرة، لا يمكن أنْ تُحصر في هذه الصّفحات، فقد شَهدَ لها النَّبيُّ ﷺ بالإيمان فقال: «إنَّ الأخوات لمؤمنات»[4] وكنَّ تسع أخوات.

● وكانت أسماء من السّابقات المهاجرات، والكريمات المُنْجبات والنّافذات بالرأي الجَزْلِ، والقول الفصْلِ، والعِلْمِ المكين، كما أنَّها كانت أكرم النّاس أصهاراً، فمن أصهارها: سيدنا وحبيبنا رسول الله ﷺ وحمزة والعبّاس رضي الله عنهما.

● وقد خصَّها النَّبيُّ ﷺ بمنقبةٍ فريدةٍ، روىٰ ذلك ابن عبّاس رضي الله عنهما فقال: بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماءُ بنت عميس قريبة إذ قال:

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وأخرجه كذلك ابن ماجه(٣٠٧٤) من حديث طويل بلفظ مقارب.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ١١٩)؛ كما شاركت أسماء في تغسيل أم كلثوم وفاطمة ابنتي رسول الله ﷺ.

(٣) الطبقات (٨/ ٢٨٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٦).

(٤) الطبقات (٨/ ٢٧٨)، وأخوات أسماء لأمها هن: ميمونة أم المؤمنين، وأم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنهن.

«يا أسماء هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مرَّ، فأخبرني أنَّه لقيَ المشركين يوم كذا وكذا فسلَّم فردّي عليه السَّلام....»[1].

أسْمَـاء وعُمَر رضي الله عنهما:

● لما فرضَ عمر رضي الله عنه الأعطيةَ، فرضَ للمهاجرات الأول ألف درهم، ومنهن أسماءُ بنت عميس، وأسماء بنت أبي بكر، وأمّ عبد الله بن مسعود[2].

● وقد اشتهرتْ أسماء بتأويل الرُّؤيا، وكان عمرُ رضي الله عنه يسألُه عن تعبير الرُّؤيا، فقد وَرَدَ أنَّ عمرَ رأى في الرُّؤيا كأنَّ دِيْكاً نقَرَهُ أسْفَل سرّته نقرتين، فسأل عن تأويل رؤياه أسماء فقالت: هذا رجلٌ أعجمي يصيبُكَ؛ فمضتْ لذلك أيام فطعنه أبو لؤلؤة المجوسيّ بسكين تحت سرّته طعنتين أو ثلاثاً، وكان أمرُ الله قَدَراً مَقْدُوراً[3].

حفْـظُـهَـا للحَـدِيْـثِ النَّـبَـويّ:

● الصَّحابية الجليلة أسماء بنت عميس ممنْ روين عن النَّبي ﷺ فأكثرنَ، ولـم يسبقها ـ من المهاجرات ـ في هذا إلا أمّ المؤمنين عائشة وأمّ المؤمنين أمّ سَلَمة رضي الله عنهن.

● روت عن النَّبي ﷺ ستين حديثاً، وانفردَ بالإخراج عنها الإمام مسلم رحمه الله. وروى لها كذلك أصحاب السُّنن الأربعـة: أبو داود، التّرمذي، النّسائي، وابن ماجه؛ رحمهم الله.

● وروى عنها من الصَّحابة: عمر بن الخطاب، وأبو موسى الأشعريّ، وعبد الله بن عبَّاس ـ ابن أختها ـ وعبد الله بن جعفر ـ ابنها ـ رضي الله عنهم.

● ومن غير الصَّحابة: عروة بن الزُّبير، وعبد الله بن شداد ـ ابن أختها

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢١١).
(٢) الطَّبقات (٣/ ٣٠٤).
(٣) نوادر المخطوطات (٢/ ١٥٥)، والطبقات (٣/ ٣٣٥).

سلمى ـ وسعيد بن المسيب والشَّعبيّ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ـ حفيدها ابن ابنها ـ، وأم عون بنت محمد بن جعفر ـ حفيدتها بنت ابنها ـ، وآخرون[1].

● فمن مروياتها الحِسان، ما رواه عبد الله بن جعفر قال: علمتني أمّي أسماء بنت عميس شيئاً أمَرَهَا رسول الله ﷺ أنْ تقوله عند الكَرْب؛ أو في الكرب:

«الله ربّي لا أشرك به شيئاً»[2].

ذِكْـرَيـاتٌ مَـعَ الـــوَداعِ:

● مع وداع سيرةِ أسماء نتذكر أنَّ أوليات رائعة أحاطت بها، كان لها مكانة في تاريخ الإسلام منها:

أنَّ ابنها عبد الله بن جعفر أول مولودٍ في الإسلام يُولد في الحبشة.

وزوجها جعفر أول مَنْ عقر فرساً في الإسلام.

وأسماء نفسها أول مَنْ أشارت بنعشِ المرأة.

● هذا وقد عاشت أسماء حياة طويلة، قال الذّهبي رحمه الله: عاشت بعد عليّ رضي الله عنهما، وذكر أنها توفيت سنة (٦٠هـ)[3]، بينما أورد الزركليُّ في الأعلام[4] أنّها توفيت سنة (٤٠هـ) رضي الله عنها.

● وفي وَداع سيرة أسماء العطرة نتذكر الوصيّة النَّبوية لها، «الله ربّي ولا أشركُ به شيئاً».

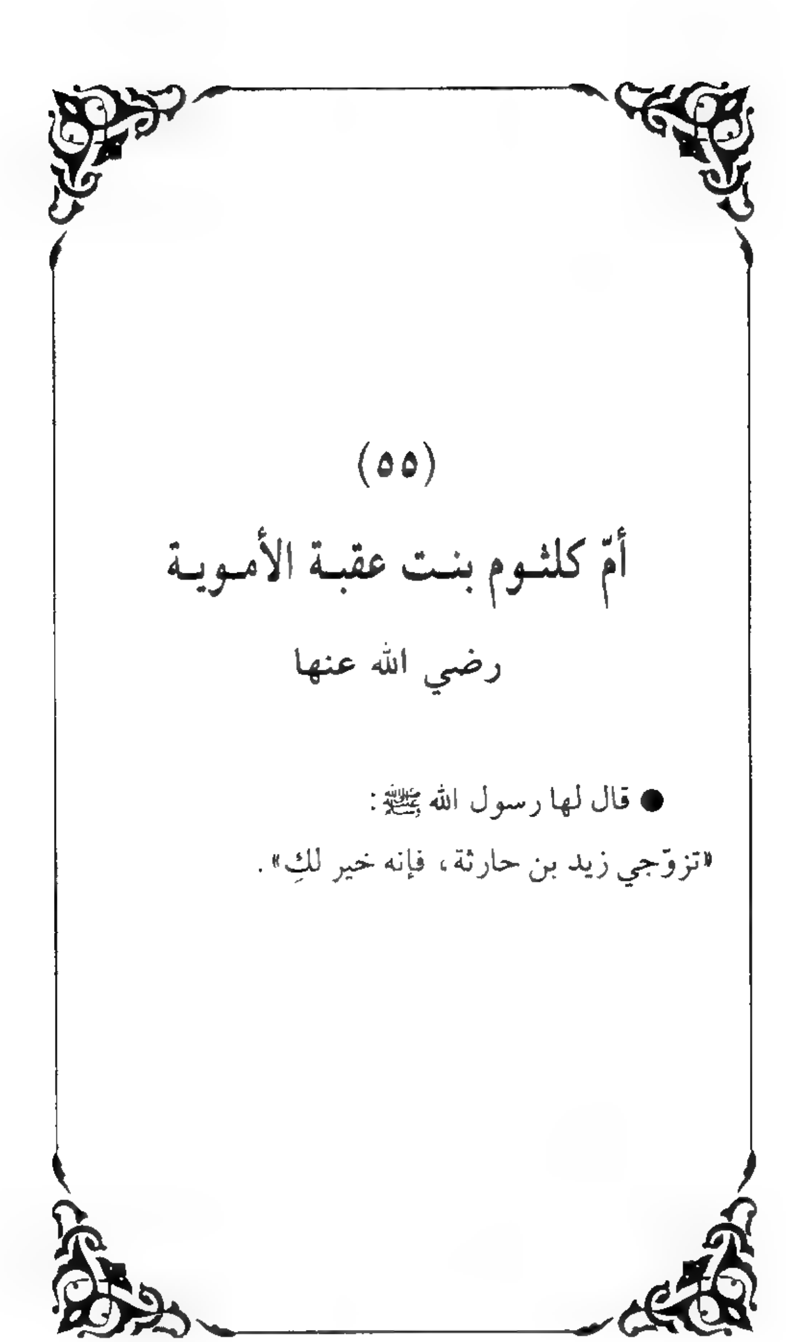
---

(١) أسد الغابة (٥/ ٣٩٦)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٧)، وتاريخ الإسلام (٤/ ١٧٩)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٣٩٩)، والإصابة (٤/ ٢٣٥).

(٢) الحديث أخرجه أبو داود (١٥٢٥)، وابن ماجه (٣٨٨٢)، وانظر كتاب الفرج بعد الشدة (١/ ١٣٣)، وحياة الصحابة (٤/ ١٥٠)، الطبعة الأولى.

(٣) تاريخ الإسلام ـ عهد معاوية بن أبي سفيان ـ (٤/ ١٧٨).

(٤) الأعلام (١/ ٣٠٦).



(٥٥)

أمّ كلثوم بنت عقبة الأموية

رضي الله عنها

● قال لها رسول الله ﷺ:

«تزوّجي زيد بن حارثة، فإنه خير لكِ».

فـي رِحَـابِ الإيْمَـانِ:

● يعْتَبِرُ الإسلامِ المرأة قسيمةَ الرَّجلِ، لها من الحقِّ ما للرّجلِ، وعليها ما عليه، إلا بما فضَّلهُ اللهُ سبحانه من قوة الجَلَدِ، وبسطة اليد، والإنفاق عليها ورياستها وما شابه ذلك، وقد أجْمل الله عزَّ وجلَّ بأوجز لفْظٍ، وأدقّ تعبير هذه الحقوق فقال: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

● وكما قَرَنَ الله عزَّ وجلَّ بين الرَّجل والمرأة في بعض أمور الحياة، قرن بينهما في ادخارِ الأجر والمثوبة عنده، وارتقاء الدرجات العُلىٰ في الآخرة، كما قرن سبحانه بينهما في الفضائل جميعِها، ومنها الإسلام والإيمان والصّدقُ والصّبرُ وغير ذلك، وقرن هذه الصِّفات بعضها ببعض فقال عزّ منْ قائل:
﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

● والصّحابيةُ اليوم من النّساء اللاتي حُزْنَ فَضْلاً وعلماً، وكُنَّ ممن سبقن إلى الإسلام منذ أنْ تنفَّسَ صبحُه بمكةَ؛ وهي واحدة ممن شهد الله عزَّ وجلَّ لهنَّ بالإيمان، وحظينَ بشرفِ الصُّحبة النَّبويّة، فنالتْ بذلك شرف الفخار، ناهيك أنّ الله عزَّ وجلَّ قد أنزل فيها قرآناً يُتلى إلى أنْ يرث اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها.

● وضيفتُنا هي أمُّ كلثوم بنتُ عُقبة بن أبي مُعَيط الأموية القُرشيّة[1]، وأمها

(١) أسد الغابة (٥/ ٦١٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٦٥)، وسير أعلام النّبلاء (٢/ ٢٧٦)، وأم كلثوم هو اسمها، ويوجد سَبع صحابيات بهذا الاسم. راجع أسُد =

أروى بنتُ كرُيز[1] إحدى النِّساء ممن كان لهن في تاريخ الإسلام نصيب.

بـدَايَــةٌ عَـطِـرَةٌ:

● أمُّ كلثوم ذات مكارم، وفضائل جليلة منذ أشْربت الإيمان، ومنذ أنْ لامست نسماتُ الإسلام نفسها الصَّافية؛ وقد صلَّتْ أمُّ كلثوم القبلتين، وبايعتْ رسول الله ﷺ بمكةَ قبل هجرته إلى المدينة المنوّرة.

● وأمُّ كلثوم هذه أختُ واحدٍ منَ العشرة المبشّرينَ بالجنَّة ـ لأمِّه ـ وصهْر النَّبيّ ﷺ، عثمان بن عفان عليه سحائب الرِّضوان.

وأخواها الشَّقيقان: هما الوليد وعمارة ابنا عقبة أسلما يوم الفتح.

أمَّا أبوها فهو عُقبة بن أبي معيط الأموي أحد الأعداء للنَّبي ﷺ، كان شديداً على المسلمين أيضاً، كثير الأذى لرسول الله ﷺ، أُسر يوم بدر فأمَر النبي ﷺ بقتله، فقتل كافراً جزاءً بما قدمت يداه، ولم تذرفْ أمُّ كلثوم دمعة واحدة على أبيها الفاسق، وهذا يدلّ على إيمانها العظيم؛ ولله في خلقه شؤون إذ يُخرِجُ الحيَّ من الميت.

أول النِّسوةِ هِـجْـرَةً:

● لمّا كانتِ الهجرة إلى المدينة، حُبِسَتْ أمُّ كلْثُوم في مكةَ، ومنعت من اللحاق بركب المهاجرين، وصبرتْ على ذلك زمناً وهي تتحمَّلُ الشَّدائد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، إلى أنْ أذنَ الله لها بالهجرة، فكان لها بذلك شأنٌ يدلُّ على إكرام الله لها ولأمثالها من المؤمنات الصَّابرات.

● ذكر ابنُ عبد البَرِّ[2] رحمه الله أنّه لم يتهيأْ لأمِّ كلثوم هجرة إلى سنة سَبْع

= الغابة (٥/ ٦١٢ ـ ٦١٥).

(١) اقرأ سيرة الصحابية أروى بنت كرُيز في هذا الكتاب ففيها مزيد من التفصيلات الهامة.

(٢) ابنُ عبد البرّ: أبو عمر بن عبد البرّ، يُوسف بن عبد الله بن محمد النّمريّ القرطبيّ المالكيّ، العَلَمُ الحافظُ، أحدُ الأعلام، وصاحبُ التَّصانيف، ولد بقرطبة سنة (٣٦٨هـ). قيل عنه: ليس لأهلِ المغرب أحفظ منه مع الثّقة والدِّين والنزاهة =

من الهجرة؛ وقيل: هي أولُ مَنْ هاجر مِنَ النِّساء، وكانت هجرتها زمن صلح الحديبية، بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من قريش، وكانوا صالحوا النَّبيَّ ﷺ على أنْ يَرُدَّ عليهم مَنْ جاء مُؤمناً وفيها نزل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وذلك أنّها لمّا هاجرتْ لحقَها أخواها الوليدُ وعُمارة ابنا عقبة ليردَّاها، فمنعها الله عزّ وجلّ منهما بالإسلام، ولم يدْفعْها رسول الله ﷺ لهما[١].

● ولهجرةِ أمّ كلثوم رضي الله عنها قصةٌ تشيرُ إلى لُطْفِ الله بها وإكرامه إياها، حيث أوردتِ المصادرُ أنَّها خرجتْ من مكةَ وحدها، وصاحبتْ رجلاً من خزاعة حتى قدمت المدينةَ ماشيةً، وقيل على بعيرٍ، وتركتْ شباب أهل بيتها وكهولهم وهم في ضلال يعمهون، وفي ظلماتِ الحيرة والاضطراب تائهون.

● قال ابن سَعْد[٢] رحمهُ الله: ولم نعلمْ قرشيةً خرجتْ من بين أبويها

والتبحر في الفقه والعربية والأخبار. وقال ابن خلكان: إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما. وقال عنه السُّيوطي في طبقات الحفاظ: كان فقيهاً حافظاً مكثراً عالماً بالقراءات والحديث والرجال والخلاف، توفي في شاطبة سنة (٤٦٣هـ) وله (٩٥) سنة. ومن تصانيفه: الاستيعاب، والدرر في اختصار المغازي والسير، وجامع بيان العلم وفضله، والعقل والعقلاء، وغيرها كثير.
(العبر ٢/ ٣١٦)، و(شذرات الذهب ٥/ ٢٦٦ ـ ٢٦٩)، طبعة دار ابن كثير بدمشق.

(١) الاستيعاب (٤/ ٤٦٥)، بتصرف يسير، وانظر نسب قريش (ص ١٤٥)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ١٧١).

(٢) محمّدُ بنُ سَعْد الزُّهْري ـ أبو عبد الله ـ كاتب الواقديّ وصاحب الطّبقات والتّاريخ، مؤرخ ثقةٌ من حفاظ الحديث، وُلد بالبصرة سنة (١٦٨هـ) وسكن بغداد وروى عن سفيان بن عُيينة وخلق كثير، قال عنه الخطيب البغدادي: هو عندنا من أهل العدالة، وحديثه يدل على صدقه فإنّه يتحرى في الكثير من رواياته، وقال ابن الأهدل: قيل: إنَّه مكث ستين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً. توفي ببغداد سنة (٢٣٠هـ) وله (٦٢) سنة رحمه الله. (شذرات الذهب ٣/ ١٣٩) بتصرف.

مسلمةً مهاجرةً إلى الله ورسوله إلا أمّ كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها[1].

أمُّ كُلْثُوم والهِجْرةُ المَيمُونَةُ:

روتْ أمُّ كلثوم قصةَ هجرتها، وحيلَتها في الخروج من مكة إلى المدينة فقالت:

كنتُ أخرجُ إلى باديةٍ لنا فيها أهلي، فأقيمُ بها الثَّلاث والأرْبَع، ثم أرجعُ إليهم فلا ينكرونَ ذهابي للبادية، حتى أجمعتُ المَسيرَ، فخرجتُ يوماً من مكة كأنّي أريدُ البادية، فلما رَجَعَ مَنْ تبعني، إذا رجل مِنْ خزاعة قل: أين تريدين؟.

قلت: ما مسألَتُك؟ ومَن أنتَ؟.

قال: رجلٌ من خزاعة.

فلما ذكر خزاعة اطمأننتُ إليه لدخول خزاعة في عَهْد رسول الله ﷺ وعَقْدِه.

فقلتُ: إنِّي امرأةٌ من قريش، وإنّي أريدُ اللحوقَ برسول الله ﷺ، ولا علْم لي بالطَّريق.

قال: أنا صاحبُك حتى أوردكِ المدينة.

ثم جاءني ببعيرٍ فركبتُه، حتى قدمنا المدينة، وكان خير صاحبٍ، فجزاه الله خيراً، فدخلتُ على أمِّ سلمة ـ أمِّ المؤمنين ـ وعرّفتُها نفسي فالتزمتْني، وقالت: هاجرتِ إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى رسوله ﷺ؟!

قلت: نعم، وأنا أخافُ أنْ يرُدَّني.

فدخلَ رسول الله ﷺ على أمِّ سَلمَة فأخبرتْهُ بذلك، فرحَّبَ وسهَّلَ.

فقلتُ: يا رسول الله، إنّي فررتُ إليك بديني، فامنعني ولا تردَّني إليهم يفتِّنوني ويعذِّبُوني، ولا صَبْرَ لي على العذاب.

---

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٣٠).

فقال ﷺ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد نقض العهد في النِّساء».

• ثم حكم في ذلك بحكم رضوْه كلّهم، وأنزل الله عزَّ وجلَّ آية الامتحان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الممتحنة: ١٠-١١].

• ثم امتحنَ رسولُ الله ﷺ أمّ كلثوم والنِّساء بعدها؛ روى ابنُ جرير رحمه الله عن أبي نصرٍ الأسدي قال: سُئِلَ ابنُ عباس رضي الله عنهما، كيف كان امتحانُ رسولِ الله ﷺ النِّساء؟ قال: كان يمتحن: بالله ما خرجتُ من بغضِ زوجٍ، وبالله ما خرجتُ رغبةً عن أرضٍ إلى أرضٍ، بالله ما خرجتُ التماس دُنيا، وبالله ما خرجتُ إلا حباً لله ولرسوله[1].

• وهكذا كانت أمُّ كلثوم رضي الله عنها من أوْفَرِ النِّساء عقلاً وأقواهن إيماناً، وقد شهد الله عزَّ وجلَّ لها بالإيمان.

أمُّ النُّجَباء:

• في المدينة أخذتْ أمُّ كلثوم مكانةً لائقة بين نساء الصَّحابة، وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويكْبِر صِدْقَ إيمانها، وقد أخرجها معه في بعض مغازيه

---

(١) انظر هذه الرواية بمعان متشابهة في تفسيري الخازن وبهامشه البغوي (٧/ ٧٨)، ومختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٥)، وانظر الطبقات (٨/ ٢٣٠)، والاستيعاب (٤/ ٤٦٥ و٤٦٦)، وأسد الغابة (٥/ ٦١٤)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٦ و٢٧٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٤٠٠)، والسيرة النبوية (٢/ ٣٢٥)، والمغازي (٢/ ٦٢٩ و٦٣٠)، وزاد المعاد (٣/ ٣٠٠)، وأسباب النزول للواحدي والسيوطي، للآية العاشرة من سورة الممتحنة وغير ذلك من المصادر الأخرى.

تداوي الجرحى، وضرب لها بسهم[1].

● وكان ﷺ يهتمُّ بأمرها، فقد وَرَدَ أنّه خطبها الزُّبير بن العوام، وزيد بن حارثة، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، فاستشارت ـ في هذا ـ أخاها لأمِّها عُثْمان بن عفّان رضي الله عنه، فأشار عليها أنْ تأتيَ النَّبيَّ ﷺ، فأتته فأشار عليها بزيدٍ وقال: «تزوّجي زيد بن حارثة فإنه خيرٌ لكِ»، فتزوجته فولدت له زيداً ورقية.

● واستشهد زيدٌ بمؤتة فتزوّجها الزُّبير فولدت له زينب، وكانت في الزُّبير رضي الله عنه شدة على النِّساء، فسألته الطلاق فطلّقها، ثم تزوَّجها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فولدتْ له إبراهيم وحميداً[2]، فلما توفي عنها تزوَّجها عمرو بن العاص رضي الله عنه فماتت عنده[3].

● وكان أولاد أم كلثوم رضي الله عنها من نجباء العلماء، وعلماء النجباء الذين تركوا آثاراً كريمة في دنيا العِلْم والعلماء في تاريخ الإسلام.

ومن الجدير بالذِّكْرِ؛ أنَّ وفاة الصَّحابية الجليلة أمّ كلثوم كانت في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنها.

الكَـاتِـبَـةُ القَـارِئـةُ الـرَّاوِيَـةُ:

● روتْ أمُّ كلثوم عن رسول الله ﷺ عشرةَ أحاديث، أخرج لها منها في

---

(١) نوادر المخطوطات (١/ ٦١).

(٢) حُميد بنُ عبد الرحمن بن عوف الزُّهريّ التابعي المشهور، أمُّه أمُّ كلثوم بنت عقبة؛ كان حُميد فقيهاً نبيلاً عالماً، له روايات كثيرة، سمع من خاله عثمان رضي الله عنه وهو صغيرٌ، قال عنه ابن العماد: كان عالماً فاضلاً مشهوراً توفي سنة (٩٥هـ) رحمه الله.
(شذرات الذهب ١/ ٣٨٦ و٣٨٧).

(٣) انظر في هذا: أنساب الأشراف (١/ ٤٧١)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٦٥ و٣٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٧)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٧)، ونوادر المخطوطات (١/ ٦٠ و٦١)، وغيرها من كتب التراجم.

الصَحيحين حديثٌ واحد متفقٌ عليه، وروىٰ لها الجماعة سوىٰ ابن ماجه، وروى عنها ابناها حُميد وإبراهيم ابنا عبد الرحمن بن عوف.

● وممّا يعزِّزُ علْمَها ووعْيَها ومقدرتها على الحفْظ أنَّها كانت إحدى نساء قريش ممن كُنَّ يعرفْنَ الكتابةَ والقراءةَ، وهذه ميزةٌ عظيمةٌ في عصرٍ كانت المرأة فيه نسياً منسياً.

● ومن مروياتها ما أخرجه الإمام مسلم بسنده عن حُميد بن عبد الرحمن بن عوف أنَّ أمَّه أمَّ كلثوم بنت عقبة بنت أبي معيط رضي الله عنها، وكانت من المهاجرات الأوَل اللاتي بايَعْنَ النَّبيَّ ﷺ أخبرتْهُ أنَّها سمعتْ رسول الله ﷺ وهو يقول: «ليس الكذّابُ الذي يُصلحُ بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً»[1].

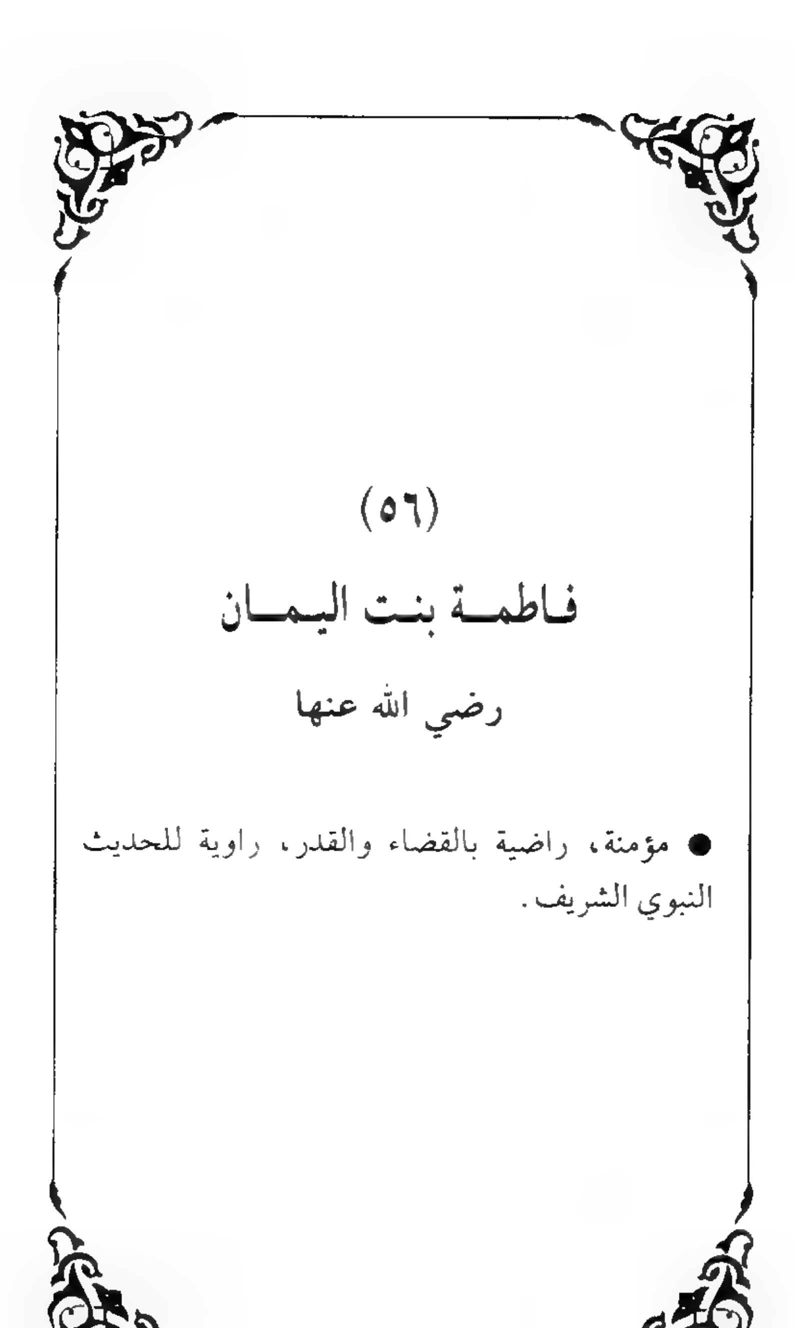
● وبعد، فهذه أمُّ كلثوم بنت عقبة صحابيةٌ صَابرةٌ مُهاجرةٌ مؤمنةٌ، جمعتْ أطراف الفضائل فكُتبَ لها الخلود، فرضي الله عنها وجعلها مع الذين قال فيهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[2] صدق الله العظيم.

* * *

---

(١) صحيح مسلم (٨/٢٨) ومختصر صحيح مسلم (١٨١٠)، وانظر تهذيب التهذيب (١٢/٤٧٧).

(٢) الآيتان (١١ و١٢) من سورة الواقعة.



(٥٦)

فـاطمــة بنـت اليـمــان

رضي الله عنها

● مؤمنة، راضية بالقضاء والقدر، راوية للحديث النبوي الشريف.

الأُسْـرَةُ اليَـمَـانـيَّـةُ:

● فطمةُ بنتُ اليمان بن جابر العبسيّة الأشهليّة الأنصارية[١]، امرأةٌ نشأتْ في أسرةٍ يُحيطُ بها نورُ الإسلام منْ كلِّ جانب.

● فأبوها اليمان واسمه ـ حُسَيل[٢] ـ صحابيٌّ جليلٌ استشهد في غزوة أحُد رضي الله عنه.

● وأخوها حُذيفة بن اليمان[٣] من نجباء أصحاب النَّبيّ ﷺ، وهو صاحب سِرِّ النَّبيّ الذي لا يعلمه أحدٌ غيره، والمراد بالسِّر، ما أعْلَمَهُ به النَّبيُّ ﷺ منْ أحوال المنافقين؛ وقد ندبه النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام ليلة الأحزاب ليجُسَّ له خبر العدو.

● وأخوها الآخر: صفوان بن اليمان صحابيٌّ شهد أحداً مع أبيه وأخيه حذيفة.

● وأختاها: أمُّ سلمة بنت اليمان[٤] من المسلمات العابدات، وأختها الأخرى: خولةُ بنت اليمان صحابية كريمة ذات فضْل.

● وأمّها الرّباب بنت كعب[٥] أسلمتْ، وهاجرتْ، وحظيتْ بدعوةٍ نبوّيةٍ

---

(١) الطبقات (٨/ ٣٢٥)، وأسد الغابة (٥/ ٥٢٨).

(٢) قال الرّواة وكتّاب السِّيرة: اليمان: لقب للحُسيل لأنَّه أصابَ دماً في قومه ـ بني عبس ـ فهرب إلى المدينة، فحالف بني عبدالأشهل من الأنصار، فسماه قومه اليمان لأنّه حالف الأنصار وهم من اليمن.

(٣) اقرأ سيرة الصّحابي النّجيب حذيفة بن اليمان في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة» الجزء الثالث، ففيه أخبار سارة.

(٤) خولة بنت اليمان أخت حذيفة رضي الله عنهما، صحابية فاضلة روت عن النّبي ﷺ، روى عنها أبو سلمة بن عبد الرحمن قالت: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «لا خير في جماعة النّساء إلا عند ميت، فإنَّهنَّ إذا اجتمعنَ قُلْن وقُلْنَ». (الاستيعاب: ٤/ ٢٨٤)، و(أسد الغابة: ٥/ ٤٤٧).

(٥) الروض الأنف (٣/ ١٧٦)، وأسد الغابة(٥/ ٤٥١).

نفعتها في الدَّارين، فقد أخرجَ التّرمذي رحمه الله بسنده عن حذيفة قال:

سألَتْني أمّي متى عَهْدُك؟ ـ تعني بالنَّبي ﷺ ـ.

فقلتُ: ما لي به عهد منذ كذا وكذا.

فنالتْ مني.

فقلتُ لها: دعيني آتي النَّبيَّ ﷺ فأصلّي معه المغرب وأسأله أنْ يستغفرَ لي ولكِ، فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ، فصليتُ معه المغربَ، فصلّى حتى صلّى العشاء، ثم انفتلَ فتبعتُه فسمعَ صوتي فقال: «مَنْ هذا، حذيفةُ؟».

قلتُ: نعم.

قال: «ما حاجتك غَفَرَ الله لكَ ولأمِّكَ».

قال: «إنَّ هذا مَلَكٌ لم ينزل الأرض قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أنْ يُسَلِّم عليَّ ويبشّرني بأنَّ فاطمةَ سيّدة نساء أهل الجنَّة، وأنّ الحسنَ والحسين سيّدا شباب أهل الجنَّةِ»[1].

● هذه هي الأسرة اليمانية، ذات التَّاريخ العريق والوثيق بالإسلام؛ فقد كان إسلامُ فاطمة مع بدء تنفس صُبْح الإسلام، وبايعتْ رسول الله ﷺ في أولى المبايعات، وانضمتْ إلى ركْب النِّساء اللاتي سطرن خلودهن في تاريخ المرأة المعطار.

ابنــةُ الشَّـهيْـد:

● في غزوة أُحُد وقفتْ فاطمة تودِّعُ أخويها حذيفة وصفوان اللذين خَرجا مع المجاهدين، بينما كان النَّبي ﷺ قد خلَّفَ والدها اليمان وثابت بن وَقْش في الآطام ـ الحُصُون ـ مع النِّساء والصِّبيان لأنَّهما كانا شيخَيْن كبيرَيْن؛ فقال أحدهما لصاحبه: لا أبالك ما ننتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منا في عمره إلا ظمء

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٨٣) في المناقب وقال: هذا حديث حسن غريب. وهذا الحديث من دلائل النبوة.

حمار[1]. أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا الشَّهادة.

● فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس، ولم يعلم بهم المسلمون. فأمَّا ثابت بن وقش فقتلَه المشركون، وأمَّا اليمانُ فاختلفتْ عليه أسيافُ المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه، وحذيفة ابنه يقول: أبي أبي؛ ثم قال: «يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الراحمين»[2].

فأرادَ النَّبي ﷺ أنْ يديَهُ ـ يعطيه الدِّية ـ، فتصدَّق حذيفة بديته على المسلمين، فزادَه ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً[3].

● أمَّا أخته فاطِمَة فكان موقفها لا يقلُّ روعةً عن موقف أخيها حذيفة، إذ تلقَّتْ نبأَ استشهادِ أبيها بنفسٍ راضيةٍ بقضاء الله، ولسان حالها يقول: كلُّ مصيبةٍ بعد رسول الله ﷺ هيِّنة.

فـي ظِـلاَلِ الهَـدْي النَّـبـوِيّ:

● ذكر كتّابُ السِّير والتَّراجم أنَّه كان لحذيفة بن اليمان أخواتٌ قد أدركنَ النَّبيَّ ﷺ.

● وأخرج ابنُ سعد وابنُ عبد البر عن أختِ حذيفة قالت: خَطَبَنا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر النِّساء أليسَ لَكُنَّ في الفضةِ ما تحلَّين؟ أمَا إنَّه ليس منكن امرأة تحلَّى ذهباً تظهره إلا عُذِّبت به»، فكانت النِّساءُ بعد ذلك يتخذن لكمّهنَّ زرّاً يخفينَ ما يبدو من الذَّهب والخواتم[4].

---

(١) «الظمء»: مقدار ما يكون ما بين الشربتين، وقال هذا لأن الحمار أقصر الدواب ظمأً، لأنه لا يصبر عن الماء، فضرب مثلاً لقرب الأجل. والإبل: أطول الدواب ظمأً. وبها يضرب المثل أيضاً.

(٢) الآية (٩٢) من سورة يوسف عليه السلام.

(٣) عن السيرة النبوية (٢/ ٨٧ و٨٨)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٢٢)، والسيرة الحلبية (٢/ ٥٢٨) بتصرف.

(٤) الطبقات (٨/ ٣٢٦)، والاستيعاب (٤/ ٣٧٣).

ولعلَّ أخت حذيفة هذه، هي بطلة ترجمتنا فاطمةُ رضي الله عنها إذ اشتهرتْ بالرِّواية عن النَّبي ﷺ.

زِيَـارَةٌ ورِوَايَـةٌ:

● فاطمةُ بنتُ اليَمان رضي الله عنها إحدى النِّساء اللاتي روينَ لحديث النَّبويِّ، فقد روتْ عن النَّبي ﷺ، وروى عنهـا ابن أخيها: أبو عبيدة بن حذيفة بن اليمان، وروى ربعي بن حراش[1] عن امرأته عنها[2].

● وقد زارتْ فاطمةُ النَّبي ﷺ في مرضه الذي توفاه الله فيه، وروى هذه الزيارة ابن أخيها عنها قالت:

عدتُ رسول الله ﷺ في نسْوَةٍ، وإذا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ وماؤه يقْطُر عليه من شدّة ما يجدُ من حَرِّ الحمّى، فقلتُ: يا رسول الله، لو دعوتَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يكشفَ عنك، فقال ﷺ: «إنَّ أشدَ النَّاس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[3].

● وبعد، فهذه فاطمةُ بنتُ اليمان، إحدى الفواطم[4] من الصَّحابيات، وقد حظيتْ بالمنزلةِ الرَّفيعةِ عند النَّبي ﷺ، كما حظيَ آلُ اليمان بالمكانة العليا بين الصَّحابة، وأسهموا جميعاً في خدمة الإسلام وأهله، فسعدوا في الدّارين.

---

(١) ربعيُّ بنُ حِراش المضري، أحدُ علماء الكوفة وعبّادها، وقد شهد خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية بدمشق. قيل عنه: إنَّه لم يكذب قطُّ، وكان قد آلى ألاَّ يضحك حتى يعلم أفي الجنّة هو أو في النَّار. قال عنه أبو نعيم: كان ثقةً، له أحاديث صالحة، توفي سنة (١٠١هـ) في خلافة عمر بن عبد العزيز رحمهما الله. (الطبقات ٦/ ١٢٧)، و(العبر ١/ ٩١).

(٢) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٥).

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد، وانظر الطَّبقات (٨/ ٣٢٥ و٣٢٦)، وأسد الغابة (٥/ ٥٢٩)، والإصابة (٤/ ٣٧٤).

(٤) «الفَواطمُ»: جَمْعُ فاطمة، والفواطم من الصَّحابيات أربع وعشرون رضي الله عنهن جميعاً.

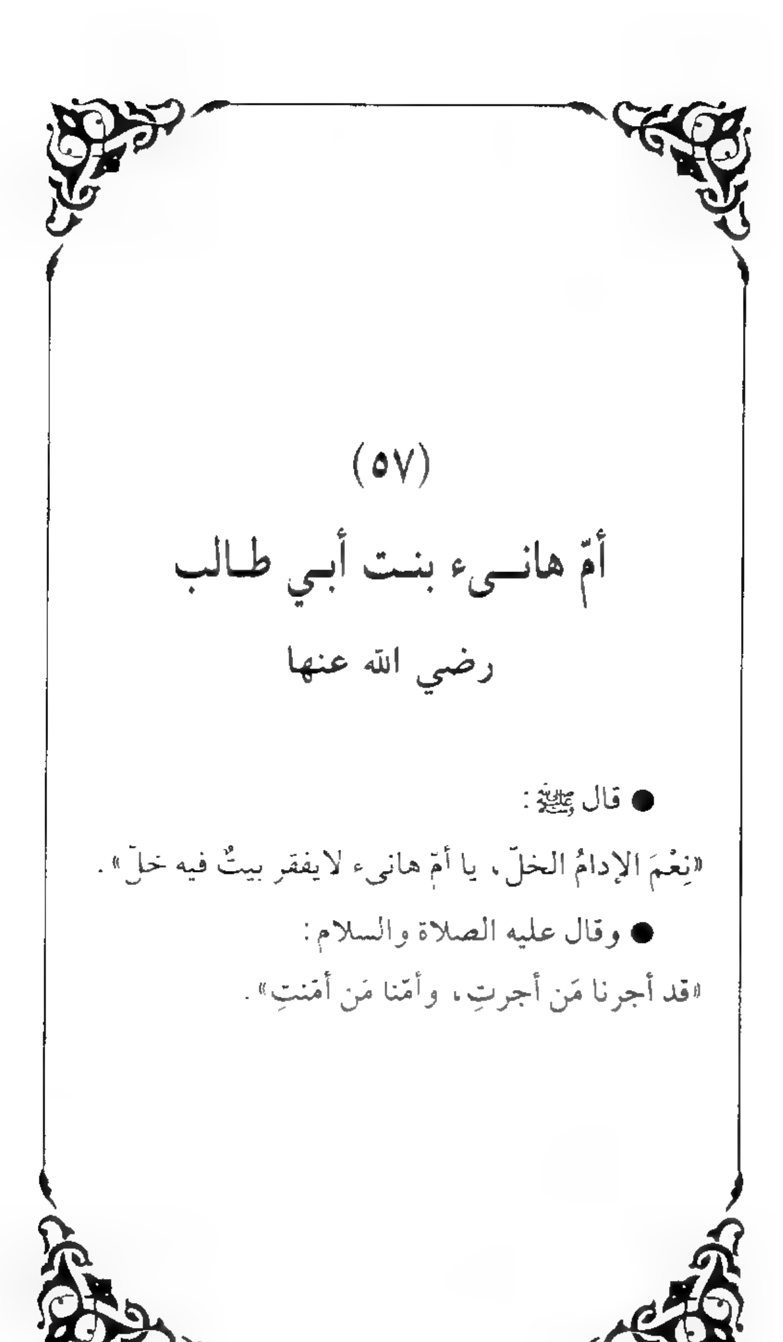
● والآن تعالوا نتلو قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾[1].

● رضي الله عن فاطمة بنت اليمان، وأسكنها فسيح الجنَان.

❊ ❊ ❊

---

(١) الآيتان (٧ و٨) من سورة البيّنة.



(٥٧)

أمّ هانىء بنت أبي طالب

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«نِعْمَ الإدامُ الخلّ، يا أمّ هانىء لايفقر بيتٌ فيه خلّ».

● وقال عليه الصلاة والسلام:

«قد أجرنا مَن أجرتِ، وأمّنا مَن أمّنتِ».

السَّيـدةُ الفَاضِلَـةُ:

● عندما تحدَّثَ الإمامُ الذَّهبيُّ رحمه الله عن أمِّ هانىء قال: السَّيدةُ الفاضلة، أمُّ هانىء بنت عمِّ النَّبيِّ - ﷺ - أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمية المكيّة[1].

● وأمّها السَّيدة الكريمة فاطمةُ بنت أسد بن هاشم، وهي من المهاجرات المبيعات، وأمُّ جميع ولد أبي طالب: علي وجعفر وعقيل وطالب وأمّ هانىء[2].

● وأمُّ هانىء - بهمزة في آخره لا خلاف فيه بين أهل اللغة - اسمها فاختة، هذا هو المشهور وقيل: هند. ولا يوجد في الصَّحابيات القرشيات من تكنى أمّ هانىء غيرها.

● اشتهرت أمُّ هانىء بمكةَ بأنَّها إحدى ذوات الرأي السديد والأدب الجمّ بين نساء قريش عامة، وبين نساء بني هاشم خاصة.

● وقد ورثت الفصاحة عن أبيها الذي كان أحد فصحاء قريش وشعرائهم وبلغائهم. ناهيك أنّها اقتبستْ أخلاق أمّها فاطمة بنت أسد مما جعلها من علية النِّساء في عالم الإسلام.

زَوْجُـهَـا وَأولادُهَـا:

● كانت أمُّ هانىء زوجاً لهبيرة بن عمرو بن عائذ المخزوميّ أحد شعراء قريش، وولدتْ له: عمرو، وجعدة، وهانئاً، ويوسف.

● ولما ظهر الإسلام، ظلَّ هبيرة على شركه ولم يدخلْ في سِلْكِ الموحدين. أمّا أمُّ هانىء فقد تأخَّرَ إسلامُها إلى يوم فتح مكةَ المكرمة. إلا أنَّ الدلائل الواضحة في سيرتها تشيرُ إلى أنَّها لم تكن ممَّنْ صدَّ أو حاربَ الدَّعوة

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١١ و٣١٢).

(٢) المعارف (ص ١٢٠)، وجمهرة أنساب العرب (١/ ١٤).

إلى الإسلام، أو ممن عارض رسول الله ﷺ، بل كانت تكنُّ له كلّ احترام وتقدير.

إسلامُهَا وفَضْلُهَا:

● أجمعتِ المصادرُ والأخبار بأنّ أمّ هانىء فتح الله على قلبها بالإسلام عام الفتح سنة ثمان للهجرة، حيث أعلنتْ إسلامها. وعن يوم الفتح يتحدث ابن القيّم ـ رحمه الله ـ بكلام قيّم فيقول:

هو الفتح الأعظم الذين أعزَّ الله به دينه، ورسوله، وجنده، وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السَّماء، وضربت أطناب عزّه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً[1].

● ولما دخل النَّبيُّ ﷺ مكةَ وقفَ وقال:

«يا معشر قريش، ما ترون أنَّي فاعلٌ بكم؟».

قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: «فإنّي أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾[2] اذهبوا فأنتم الطُّلقاء».

● وبعد هذا الموقف الآسر المؤثر، كان لأمّ هانىء رضي الله عنها يومئذ منقبة كبيرة، لم تحظ بها امرأة قطّ، فقد دخل النَّبيُّ ﷺ بيتها واغتسل وصلّى صلاة الفتح أو صلاة الشُّكر، وهذه فضيلة باهرة لها رضي الله عنها.

أمُّ هانىء وصَلاة الفَتْح:

تشيرُ الرِّوايات الموثوقة كلّها إلى أنَّ رسول الله ﷺ، قد دخلَ يوم الفتح

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٩٤).

(٢) الآية (٩٢) من سورة يوسف عليه السلام.

دار ابنة عمّه أمّ هانىء، فاغتسل، وصلى ثماني ركعات في بيتها ـ وكانت ضحى ـ.

قالت: لم أرهُ صلّى صلاة قطّ أخفّ منها غير أنّه يتمّ ركوعها وسجودها[1]. وفي رواية: ما رأيته صلاّها قبلها ولا بعدها.

وهذه الصّلاة تُسمى صلاة الفتح، وكان أمراء الإسلام إذا فتحوا حصناً أو بلداً، صلّوا عقيب الفتح هذه الصّلاة اقتداء برسول الله ﷺ، فلما فتح خالد بن الوليد رضي الله عنه الحيرة صلّى صلاة الفتح ثماني ركعات.

وكان لأمّ هانىء منقبةُ أخرى خصّها النّبيُّ ﷺ بها، حيث أكل من طعامها وامتدحه، فقد وَرَدَ أنّه ﷺ قال لها: «هل عندك من طعام نأكله؟».

قالت: ليس عندي إلا كسرٌ يابسة، وأنا أستحي أنْ أقدمَها إليك.

فقال: «هلمي بهنّ»، فكسرهن في ماء وجاء بملح فقال «هل مِنْ أدم؟».

فقالت: ما عندي يا رسول الله إلا شيء من خَلّ.

فقال: «هلميه». فصبّه على الكِسَرِ وأكلَ منه ثم حمد الله، ثم قال: «نعم الإدامُ الخل، يا أمّ هانىء، لا يفتقر بيت فيه خل»[2].

«قد أجَرْنا مَنْ أجرتِ»:

● كانتِ المرأةُ في عهد الجاهلية، تجيرُ الخائف وتفكُّ العاني ـ الأسير ـ، وجاء الإسلام فحفظ للمرأة المسلمة مكانتها، ورعى كرامتها حقّ الرّعاية؛ فأجاز لها إعطاء الأمان للرّجل والرّجلين، فقد افتكتْ زينب بنت النّبي ﷺ

---

(١) الحديث رواه الشيخان في الصّحيحين، والترمذي (٤٧٤)، وأبو داود (١٢٩١)، وانظر كذلك: السيرة النبوية (٢/ ٤١١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٨١)، وأسد الغابة (٥/ ٦٢٤)، وزاد المعاد (٣/ ١٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٣٤٦)، والسيرة الحلبية (٣/ ٤٢)، وغيرها من المصادر.

(٢) السيرة الحلبية (٣/ ٤٢).

إسار زوجها أبي العاص بن الرّبيع[1] ـ وكان من أسرى بدر ـ وأجارته.

● وقد أجارت أمُّ هانىء رضي الله عنها رجلين من أحمائها حُكم عليهما بالقتل، فقبل النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام إجارتها.

● روت أمُّ هانىء هذه الحادثة فقالت:

لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكةَ، فرَّ إليّ رجلان منْ أحمائي[2] ـ من بني مخزوم ـ، فدخل عليّ أخي عليّ بن أبي طالب فقال: والله لأقتلنَّهُما. فأغلقتُ عليهما بابَ بيتي، ثم جئتُ رسول الله ﷺ فقال: «مرحباً وأهلاً يا أمَّ هانىء ما جاء بك؟».

فأخبرته خبر الرّجلين وخبر عليّ ـ أخي ـ فقال: «قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانىء، وأمَّنَّا من أمّنتِ، فلا يقتلهما»[3].

● وبهذه الواقعة عرف الصَّحابة الكرام لأمّ هانىء فضلها في هذا الباب، فكانوا يجلّونها ويحترمونها رضي الله عنها.

---

(١) أبو العاص بن الرّبيع بن عبد العزى القرشيّ العبشميّ، زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها. أسر أبو العاص يوم بدر فمُنَّ عليه بلا فداء كرامة لرسول الله ﷺ بسبب زينب. ثم أسلم قبيل فتح مكة وحسن إسلامه. وتوفيت زينب عنده، وتوفي هو سنة ثنتي عشرة من الهجرة رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٤٩).

(٢) «أحماء»: جمع، مفردها حمو؛ وهو أبو زوج المرأة، وأبو امرأة الرجل، ويطلق على من كان قريباً للزوجين، والرجلان اللذان أجارتهما هما: عبد الله بن أبي ربيعة، والحارث بن هشام وكلاهما من مخزوم. عن تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣١١).

(٣) وردت القصة بمعان متقاربة في كتب الحديث وكتب التراجم والسير والطبقات وانظر مثلاً: المغازي (٢/ ٨٢٩ و٨٣٠)، والدرر (ص ٢٦١)، وجوامع السيرة النبوية (ص ١٨٤)، وزاد المعاد (٣/ ١٢١)، وعيون الأثر (٢/ ١٩٦)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٣)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٥٥٥)، والسيرة الحلبية (٣/ ٤١)

أمُّ هَانِيء وزَوْجُهَا:

● عندما فتح رسول الله ﷺ مكةَ، هرب هبيرة زوجها إلى نجران ـ باليمن ـ وقال حين فرّ معتذراً من فراره:

لعمرك ما وليتُ ظهري محمداً
وأصحابه جبناً ولا خيفة القَتْل

ولكنني قلّبتُ أمري فلم أجدْ
لسيفي غناء إنْ ضربتُ ولا نَبْلي

وقفتُ فلما خفتُ ضيعة موقفي
رجعتُ لعود كالهزبر إلى الشِّبلِ[1]

● وأقام هبيرة بنجران طريداً كافراً، ولما بلغه إسلام أمّ هانىء قال أبياتاً منها:

وعاذلة هبّتْ بليلٍ تلومني
وتعذلني بالليل ضلّ ضَلالها

وتزعم أنّي إنْ أطعتُ عشيرتي
سأردىٰ وهل يرديني إلا زوالها

ثم بعد عدة أبيات، قال يخاطب أمّ هانىء:

فإن كنتِ قد تابعتِ دينَ محمّد
وقُطِّعتِ الأرحام منك حبالها

فكوني على أعلى سحيق بهضبةٍ
مُلمْلَمةٍ غبراءَ يبسٍ بلالها[2]

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٤٧٩)، وأسد الغابة (٥/ ٦٢٤).

(٢) انظر الأبيات كاملة في الروض الأنف (٤/ ١٠٦)، واقرأ القصة في المصادر التالية: تاريخ الطبري (٢/ ١٦٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٦٢)، وأسد الغابة (٥/ ٦٢٤)، والاستيعاب (٤/ ٤٨٠)، وغيرها.

● وأقام هبيرة بنجران إلى أنْ مات على شركهِ كافراً.

راويــةُ الحَديْثِ النَّـبَويّ:

● روي لأمِّ هانىء رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ ستة وأربعون حديثاً، وأحاديثها في الكُتُب السِّتة وغيرها، حدَّث عنها ابنها جعدة وابنه يحيى وحفيدها هارون، وحدث عنها عدد من كبار التَّابعين والزُّهاد والعلماء منهم: عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعطاء بن أبي رباح[1]، وعروة بن الزبير وآخرون.

● ومن مروياتها، قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] قال: «يحذفون أهل الطَّريق ويسخرون منهم، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه»[2].

● وفي الشَّمائل المحمدية وصفتْ أمُّ هانىء رسول الله ﷺ فقالت: قدم علينا رسول الله ﷺ مكة قَدْمةً وله أربع غدائر[3] ـ أي ضفائر ـ.

مـنْ مَـناقِـبـهَـا:

● مناقب أمِّ هانىء رضي الله عنها كثيرة، ولا يمكن حصرها في هذه العجالة، من أعظمها؛ أنَّ الإسراءَ كان من بيتها بمكةَ روت هذا فقالت: ما أسري برسول الله ﷺ إلا من بيتنا، نام عندنا تلك الليلة بعدما صلَّى العشاء،

---

(١) عطاء بن أبي رباح المكيّ القرشيّ أبو محمّد، من كبار التّابعين. سمع العبادلة الأربعة وهم: ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وابن أبي العاص وجماعات آخرين من الصحابة. وهو مفتي أهل مكة قال الأوزاعي: كان عطاء أرضى الناس عند الناس. وحجّ عطاء سبعين حجة. واتفقوا على توثيقه وجلالته وإمامته. وأخباره مشهورة توفي بمكة سنة (١١٥هـ) رحمه الله تعالى.
(تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٣٣ و٣٣٤).

(٢) تفسير الخازن وبهامشه البغوي (٥/ ١٩٢)، ومختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥).

(٣) رواه الترمذي (٢/ ١٧٨)، وأبو داود (٤١٩١)، وابن ماجه (٣٦٣٢)، وأحمد (٦/ ٣٤١ و٤٢٥)، وانظر الطبقات (١/ ٤٢٩).

فلمّا كان قبل الفجر أنبهناه للصُّبح، فقام فلما صلى الصُّبح قال:

«يا أمّ هانىء جئت إلى بيت المقدس، فصليت فيه، ثم صليت الغداة معكم».

فقلتُ: لا تحدثِ النّاسَ فيكذبونك.

قال: «والله لأحدثنّهم» فأخبرهم فتعجبوا[1].

● وفي مكةَ ذكرت أمُّ هانىء أنّها كانت تصغي لسماع القرآن الكريم، فقالت: كنّا نسمع قراءة رسول الله ﷺ في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي[2].

● ومن مناقبها ما ذكره ابن عبّاس رضي الله عنهما عن أدبها مع النّبيِّ ﷺ فقال:

خطبها النبي ﷺ فقالت: إنّي امرأةٌ ذات صبيان وأكره أنْ يؤذوك. فسكت عنها. عندها قال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحْنَاهُ على ولد»[3].

● ومما يُضاف إلى مناقب أمِّ هانىء أنّها حضرت غزوة خيبر مع النّبي ﷺ، وأطعمها يومذاك أربعين وسقاً[4].

● عاشت أمُّ هانىء رضي الله عنها بعد أخيها عليّ رضي الله عنه، وامتدت حياتها إلى ما بعد سنة خمسين من الهجرة، وكانت محلّ احترام الخلفاء والعلماء، لمكانتها من رسول الله ﷺ. وظلت كذلك إلى أنْ لقيت الله عزَّ وجلَّ.

● رضي الله عن أمِّ هانىء، وجعلها في مستقرِّ رحمته مع الأبرار والصّالحين، والحمد لله ربّ العالمين.

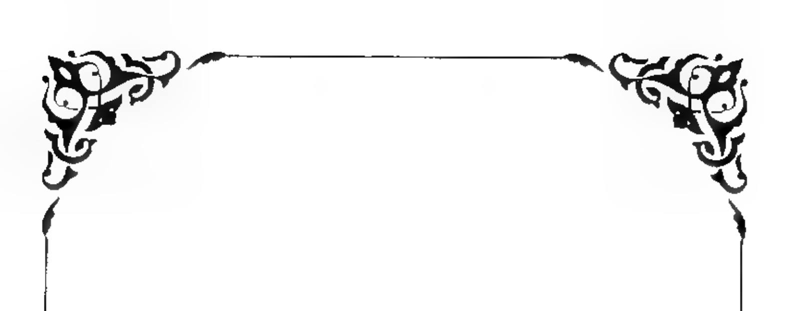
---

(١) السيرة النبوية (٢/ ٤١١)، والشفا (١/ ٣٦٥)، وزاد المعاد (٣/ ٣٠٤)، وتاريخ الإسلام (١/ ٢٧٢)، والسيرة الحلبية (٢/ ٧٢).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٢٥٧).

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٢٦٢)، والإصابة (٤/ ٤٧٩).

(٤) الطبقات (٨/ ٤٧).



(٥٨)

خولة بنت ثعلبة

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«يا خُويلة، ابن عمك شيخ كبير؛ فاتّقي الله فيه».

● وقال عليه الصلاة والسلام:

«ياخويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك ـ زوجك ـ قرآناً».

المؤمنَــةُ والبَيْــتُ المؤمِــنُ:

● هذه امرأةٌ أضاءَ الإيمانُ جوانحها، وصقل نفسها، فغدت لا ترىٰ شيئاً إلا مِنْ منظار الإسلام، حتى أمورها الخاصة، أو فيما يدورُ بحياتها الزّوجيّة. كان لا بدَّ لها من عَرْضِهِ على الدِّين ليقولَ فيه حكْمه.

● وضيفتُنا هذه، نزلتْ في حقِّها آياتٌ تُتلىٰ في المحاريب إلى أنْ يَرِثَ الله الأرض ومَنْ عليها، وتدلُّ الآيات على قصَّتها واحترامِ رأيها، وإبطال عادة جاهلية ذميمة، ألا وهي الظِّهَار[1].

● إذاً، فمن هذه التي أنْزلَ الله عزَّ وجلَّ فيها قرآناً يُتلى؟.

● هي خولةُ بنتُ ثعلبةَ بن أصْرم الأنصاريّة الخزرجيّة[2]. كان إسلامُها مبكراً، شأن الأبرار الذين هداهم الله عزَّ وجلَّ ومَنَّ عليهم بالإيمان، وقد بايعت رسول الله ﷺ حين مقدمه المدينة.

● كان أهلُها أهْل إسلام، فزوجها أوس بن الصَّامت[3] أخو عبادة بن الصّامت رضي الله عنهما، وقد ولدت له الرّبيع بن أوس.

● وكان إخوتها: بَحَاث وعبد الله ويزيد بنو ثعلبة من الصَّحابة الأنصار، الذين أسلموا منذ إشراقةِ الإسلام الأولى على المدينة.

---

(١) سيأتي معنى الظهار في الصفحات المقبلة.

(٢) الطبقات (٨/ ٣٨٧)، وأسد الغابة(٥/ ٤٤٢)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٤)، وقيل: إن اسمها خويلة بالتصغير.

(٣) أوسُ بنُ الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجيّ صحابيٌّ شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع النَّبي ﷺ، آخى النبي عليه الصَّلاة والسَّلام بينه وبين مرثد بن أبي مرثد، وأوس هو الذي ظاهر من امرأته. وكان أوس شاعراً سكن بيت المقدس، وتوفي بالرملة في خلافة عثمان سنة (٣٢هـ) وله (٧٢) سنة رضي الله عنه. (الطبقات ٣/ ٥٤٧)، و(تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٢٩).

خَـوْلَــةُ تَـشْـتَـكـي إلـى الله :

● قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أول[1] مَنْ ظاهَرَ مِن امرأته أوس بن الصَّامت، وامرأته خولة[2] بنت ثعلبة.

● وكان أهل الجاهلية، إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها: أنتِ عَليَّ كظهر أمّي. وكان الظِّهار في الجاهلية طلاقاً، بل كان أشدَّ الطَّلاق وأحْرَمَ الحرام، وإذا ظاهر الرَّجل من امرأته لم يرجعْ إليها أبداً[3].

● ولما جاء الإسلام، أرخص الله عزَّ وجلَّ لهذه الأمة، وجعل في الظِّهار كفَّارةً، ولم يجعلْهُ طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم، وهذا ما حدثَ لخولةَ إذ خشيت أنْ يكونَ ظِهار زوجها طلاقاً، فأسرعتْ إلى النَّبيِّ ﷺ تشكو زوجها، وتبكي خشية أنْ يكونَ وقع الطَّلاق، وتطلبُ الفرجَ من الله عزَّ وجلَّ على لسان رسوله الكريم ﷺ، وقد حملها ألَمُ الفِراقِ على إكثارِ الكلام مع رسول الله ﷺ، وترديد الكلام معه حتى نزل حكم الله عزَّ وجلَّ، وسُمّيتْ خولةُ رضي الله عنها «المُجَادِلة»، وبها سُمِّيت سورة كاملة في القرآن الكريم.

● وقد روت خولةُ رضي الله عنها قصَّتها فقالت:

● فيَّ ـ والله ـ وفي أوس بنِ الصَّامت ـ زوجي ـ أنزل الله صدر سورة المجادلة؛ كنتُ عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساءَ خُلُقُه وضجرَ، فدخل عليَّ يوماً فراجعته بشيءٍ فغضبَ، وقال: أنتِ عليَّ كظهْرِ أمّي. ثم خرجَ فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليَّ فإذا هو يريدني عن نفسي، فقلتُ له: كلا والذي نفسي بيده، لا تخلص إليَّ وقد قلتَ ما قلتَ حتى يحكم الله ورسوله فينا.

● وتركته وخرجت حتى جئتُ رسول الله ﷺ فجلستُ بين يديه، فذكرتُ

---

(١) المعارف لابن قتيبة (ص ٢٥٥).

(٢) «الخولة»: الظَّبية، وبه كانت العرب تسمّي المرأة.

(٣) السِّيرة الحلبية (٢/ ٧٢٢ و٧٢٣).

له ما لقِيتُ منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقهِ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة ابن عمك شيخ كبيرٌ فاتقي الله فيه».

قلت: فوالله ما برحتُ حتى نزل فِيَّ قرآنٌ، فتغشّى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه، ثم سُرِيَ عنه فقال لي: «يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً».

ثم قرأ عليَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ١ـ٤].

خولةُ وحكْمُ الله:

● نزل حكمُ الله عزّ وجلّ، فسُرِيَ عن خولةَ رضي الله عنها، وسُرَّتْ لما رأتِ النّبيَّ ﷺ يتبسم، ثم قال لها: «مُرِيهِ فليعتقْ رقبةً».

قالت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق.

قال: «فليصمْ شهرين متتابعين».

قالت: والله إنّه لشيخ كبيرٌ ما به مِنْ صيام.

قال: «فليطعمْ ستينَ مسكيناً وسقاً من تَمْرٍ».

قالت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده.

فقال رسول الله ﷺ: «فإنّا سنعينُه بِعذْق من تَمْر» ـ وفي رواية: «مريه فليأتِ أمَّ المُنْذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسْق من تمر فليتصدقْ به على ستين مسكيناً وليراجعك» ـ.

فقالت: يا رسول الله وأنا سأعينُه بعذق آخر.

قال: «قد أصبتِ وأحسنتِ، فاذهبي فتصدقي به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيراً».

قالت: ففعلتُ[1].

أوَ تَـدْري مَـنْ هَـذِهِ؟

● خولةُ بنتُ ثعلبة رضي الله عنها واحدةٌ مِنْ فصيحات نساء الأنصار، فقد أوتيتْ نصيباً من البَلاغةِ وحُسْن المنطق وفصل الخطاب، كما أنها كانت تحظى بالمكانة الكبيرة لدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من ذلك ما رُوي أنَّ عمرَ رضي الله عنه مَرَّ بخولةَ في أيامِ خلافته، ومعه الجارُود العبْدي[2]، فسلَّمَ عمرُ عليها، فردَّتِ عليه السَّلامِ وقالت: قِفْ يا عمر. فوقف لها ودنا منها، وأصغى إليها؛ وأطالتِ الوقوفَ، وأغلظتِ القولَ ووعظته؛ فقالت له:

هيهات يا عمر، عهدتُكَ وأنتَ تُسمى عُميراً، وأنتَ في سوقِ عُكَاظ ترعى الضَّأنَ بعصاك، فلم تذهبِ الأيامُ حتى سُميتَ عمر، ثم لم تذهب الأيامُ حتى سُميت أميرَ المؤمنين، فاتقِ الله في الرَّعية، واعلم أنه مَنْ خاف الوعيد قرب

---

(١) الحديث أخرجه أحمد وأبو داود. وانظر القصة بمعان واحدة في المصادر التالية: الطَّبقات (٨/ ٣٧٩ و٣٨٠)، والإصابة (٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) وشذرات الذهب (١/ ١٣٨ ـ ١٣٩)، ـ طبعة دار ابن كثير ـ وانظر أسباب النزول للواحدي (ص٣٣٧). وتفسير الخازن (٧/ ٤٢ و٤٣)، والصَّاوي على الجلالين (٤/ ١٥١ و١٥٢)، واقرأ بالتفصيل تفسير القرطبي وابن كثير لبداية سورة المجادلة من الآية (١ ـ ٤)، والسيرة الحلبية (٢/ ٧٢٣)، وغيرها من المصادر

(٢) الجارودُ بن المعلى العبديّ صحابيّ، كان سيِّد عبد القيس، قدم سنة عشْر في وفد عبد القيس الأخير، فأسلم وكان نصرانياً. فَسُرَّ النَّبيُّ ﷺ بإسلامه، فأكرمهُ وقرّبهُ وأدناه، ولما أسلم الجارود قال:

شهدتُ بأنَّ الله حقٌّ وسامحتْ ... بنات فؤادي بالشَّهادة والنَّهض
فأبلغْ رسول الله عني رسالةً ... بأنّي حنيفٌ حيثُ كنتُ من الأرضِ

استشهد الجارود بأرضِ فارس سنة (٢١هـ) في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. (أسد الغابة١/ ٢٦٠ و٢٦١)، و(الإصابة ١/ ٢١٧ و٢١٨)

عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت.

فقال لها الجارودُ: قد أكثرتِ أيتها المرأةُ على أميرِ المؤمنين.

فقال عمر: دَعْهَا، أوَتَدري مَنْ هذه؟

قال: لا.

قال عمر: هذه امرأةٌ سمعَ الله شكواها من فوق سَبْع سموات، أيسمعُ ربُّ العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟! وعمرُ ـ والله ـ أحَقُّ أَنْ يسمعَ لها: هذه خولةُ بنتُ ثعلبة، والله لو لم تنصرفْ عني إلى الليل ما انصرفتُ حتى تقضيَ حاجتها[1].

مَـعَ الأبـرارِ:

● تلكم هي خولةُ بنتُ ثعلبة، إحدىٰ نساء الأنصار المؤمنات ممَنْ أنزلَ الله فيهن قرآناً، وشُرِع منْ أجلِها جانبٌ هامٌ مِنْ جوانب الشَّريعة الإسلامية التي رفعت من شأنِ المرأة المسلمة، وحافظت على كرامتها أبد الدَّهر.

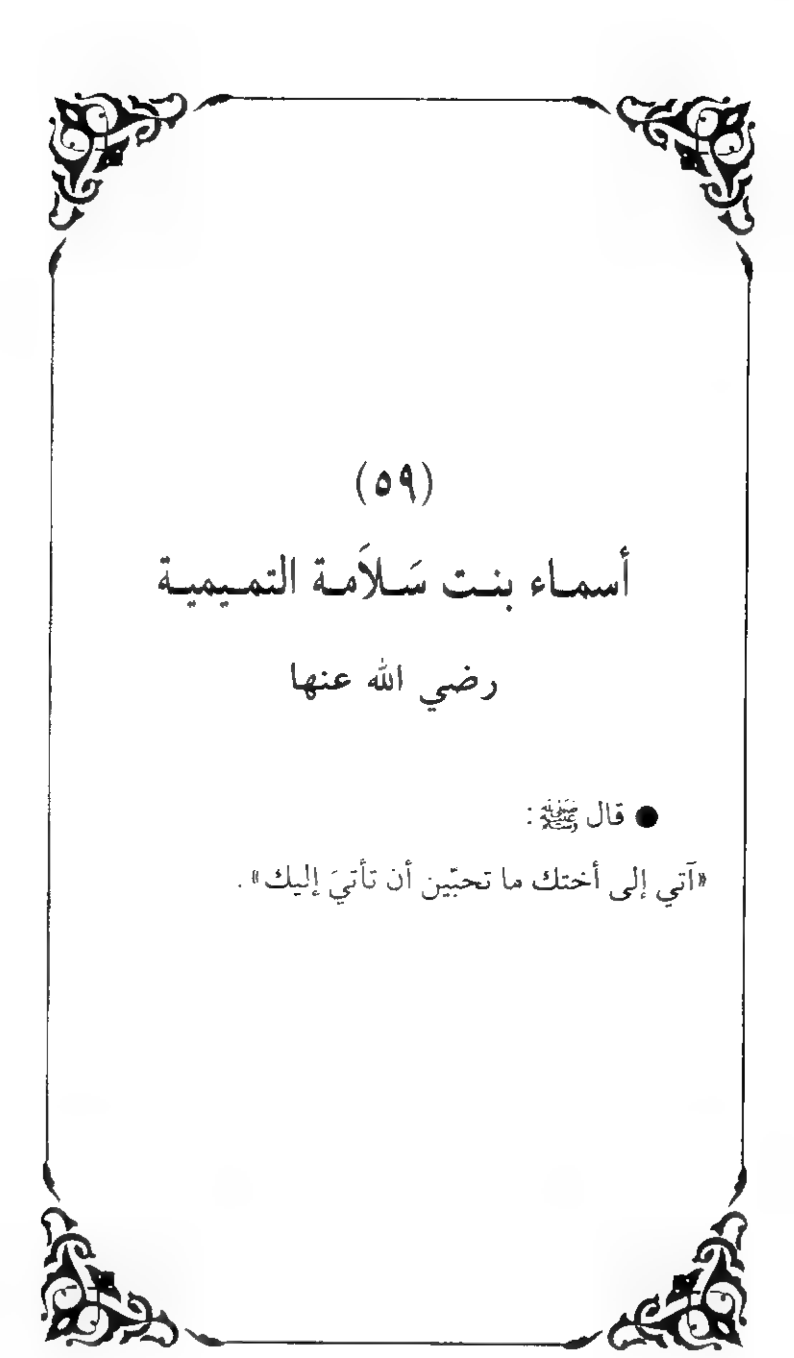
● وتدلُّ أخبار هذه الصَّحابية على أنَّ حياتَها كانت عامرةً بالمواقف الرّائعة، والوقَفَات الطَيبةِ.

● ويبدو أنَّ خولة رضي الله عنها قد عاشت معظم خلافة عمر رضي الله عنها، ويسكت التَّاريخ عن تحديد وفاتها، ولكنَّ المؤشرات تدلُّ على أنَّها توفيتْ في العهد الرّاشدي، والله أعلم.

● رضي الله عن المجادلة خولة بنت ثعلبة، ونضَّر قبرها، وأحسن نزلها مع الأبرار والصَّالحين، إنَّه سميع عليم.

* * *

(١) انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣/٣٥٨)، وتفسير الصاوي على الجلالين (٤/١٥٢)، والاستيعاب (٤/٢٨٣ و٢٨٤)، وأسد الغابة (٥/٤٤٤)، والإصابة (٤/٢٨٣)، والسيرة الحلبية (٢/٧٢٤).



(٥٩)

أسماء بنت سَلاَمة التميمية

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«آتي إلى أختك ما تحبّين أن تأتيَ إليك».

مَعَ فَجْرِ الإسْـلام:

● من بين رعيل المسلمات الأوَل، تأتي صحابية جليلةُ القَدْرِ كانت مع زوجها الذي ضرب أنْصع المثلة في الصّبر والصِّدق، إنَّه عيّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ، فهل أتاك نبأ زوجه؟.

● إنَّها أسماء بنتُ سلامة بن مخرّبة التَّميميّة الدّارمية أمُّ عبد الله بن عيّاش[1].

● أسلم عيَّاشُ قديماً عند طلوع شمس الإسلام من أفقِها، وكان إسلامه قبل أنْ يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وقبل أنْ يدعو فيها.

و ذات يوم أسرَّ عياش لزوجه بالإسلام، فسارعت بالانضمام إلى ركب الهُدَاة، فأسلمتْ وبايعتْ رسول الله ﷺ.

الصَّبرُ على الشَّدائدِ:

● تحدّث النّاس بمكةَ عن النّبيِّ ﷺ، وعن دعوته، وعن الفئة المؤمنةِ التي اتبعته، فلم يأبهوا لذلك بادئ الأمر، وظنَّ كُبَّارهم أنَّ الإسلامَ لنْ يخرجَ من طَوره الجنينيّ ولن تكتبَ له الحياة، بل حسبوا أنْ النَّاسَ عائدون إلى الدِّين الذي ألْفوْا عليه آباءهم وأجدادَهم، وظنُّوا كذلك أنَّ اللاتَ والعزّى ومناة الثّالثة الأخرى، وأنَّ هُبَل وإسافاً ونائلة[2] ستكونُ هي الغالبة، وستبقى مكاناً

---

(١) الطبقات (٨/ ٣٠١)، وأسد الغابة (٥/ ٣٩٣)، وجمهرة أنساب العرب (١/ ٢٣٠)، وقيل: أسماء بنت سلمة.

(٢) اللات والعزى ومناة وهبَل وإسَف ونائلة: أسماء أصنام بل منْ أشهر الأصنام. وكان في جوف الكعبة وفنائها ثلاثمئة وستون صنماً، وكان كبيرها عند المشركين هُبَل على بئر في جوف الكعبة، وكان أمَام البيت صَنمانِ: إساف ونائلة وموضعهما عند الكعبة، أحدهما يلصقُ الكعبة والآخر بموضع زمزم، فنقلتْ قريش الذي يلصقُ الكعبة إلى الآخر، فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما. وكان على الصَّفا صنمٌ يقال له: «نهيك مجاود الريح»، وعلى المروة صنم يقال له: «مطعم الطير». وكانت العزّى قريباً من عرفات، وهي من أعظم الأصنام عند قريش؛ وكانت الخُلصة بأسفل مكة، وكانوا يلبسونها القلائد ويهدون لها. وكانت الأصنام يطاف بها في مكة =

تُنْحَرُ عندها الإبل وغيرها من الأنْعام.

● إلا أنَّ الأمْر كان خلافَ ما توهمه هؤلاء، فقد فشا أمْرُ المسلمين بمكةَ، وظهر الحقُّ وزهق الباطل، عندئذ أعظمت قريش هذا الأمر، وأكبرتْهُ وغضبتْ له غضباً شديداً، وظهر لرسول الله ﷺ البغيُ والحسدُ، وبدت العداوةُ والبغضاء من أجلاف قريش، وفي مقدمتهم أبو جهل بن هشام، الذي راحَ يؤذي أقرب النَّاس إليهِ عيّاش[1] وزوجه أسماء.

● واستمرَّ المشركون يضطّهدون المؤمنين، ويندفعون في عداوتهم إلى حدٍّ غير معقول ليفتنوهم عن دينهم، ولكنْ أنّىٰ لهم ذلك، فعاوَدُوا لظُلم منْ جديد إلى أنْ هيّأ الله عزَّ وجلَّ للمؤمنينَ مَلِكاً عادلاً في أرضِ الحبشةِ لا يُظلم عنده أحد، فهاجرت أسماء وزوجها إلى الحبشة في الهجرة الثَّانية، وأقام هنالك يعبدان الله في حرية تامة.

● وفي الحبشة ولدت أسماء لزوجها ابنه عبد الله بن عيّاش[2]؛ فكان من أولاد المسلمين في الهجرة الحبشية.

«أومَا تَـراهُـم قَـدْ قَـدِمُـوا»:

● لم يَطُلْ مقام أسماء وزوجها رضي الله عنهما في أرض الحبشة، بل عادا إلى مكةَ ثانيةً، ثم هاجرا منها إلى المدينة.

● وتروي المصادر أنَّ عيّاشَ بنَ أبي ربيعة قد عاد إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة بصحبةِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما نزل قُباء قدم عليه أخواه لأمِّه: أبو جهلٍ والحارثُ ابنا هشام، فقالا له: إنَّ أمَّك حلفَتْ لا يدخل رأسَها

= فيشتريها أهل البادية، ويخرجون بها إلى بيوتهم يعبدونها من دون الواحد القهار.

(١) من الجدير بالذكر أن عياش بن أبي ربيعة هو أخو أبي جهل لأمه.

(٢) عبدُ الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة القرشي المخزومي، وُلِد في الحبشة، وحفظ عن النَّبي ﷺ وعن عمر وغيره، وسكن المدينة وأقام بها ومات بها، أدرك من حياة النَّبي ﷺ ثماني سنين، ومات سنة (٦٤هـ) رضي الله عنه حين جاء نعي يزيد بن معاوية. (الإصابة ٣/ ٣٤٨).

دهْن ولا تستظلَّ بظلٍّ حتى تراكَ، ولم يزالا به حتى رجعَ معهما إلى مكةَ فأوثقاه وحبساه، فكان رسول الله ﷺ يدعو له ولجماعة من المستضعفين يسمّيهم بأسمائهم في القنوت.

● وقد ورَد هذا القنوت في الصَّحيحين عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة، عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قَنَت في صلاة العتمة شهراً يقول في قنوته:

«اللهم أنْجِ الوليدَ بن الوليد،

اللهم أنْج سلمةَ بن هشام،

اللهم أنْج عيَّاشَ بن أبي ربيعة،

اللهم أنْج المستضعفين مِنَ المؤمنين،

اللهم اشددْ وطأتَكَ على مُضَر،

اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يُوسف».

قال أبو هريرة: وأصبح ذاتَ يوم فلم يدعُ لهم، فذكرتُ ذلك له فقال: «أو ما تراهم قد قدموا»[(١)].

● وبالفعلِ قدمَ المؤمنون المستضعفون. واستجاب الله عزَّ وجلَّ دعاء رسوله ﷺ، وعاد عيَّاشُ إلى زوجهِ أسماء رضي الله عنهما ليتابعا رحلة الإيمان بقربِ النّبيّ ﷺ.

ألا تُـوصِنـي؟

● كان النَّبيُّ ﷺ يزورُ بيوتَ أبي ربيعة ويسأل عن أحوالهم، فقد جاء أنَّه ﷺ دخل بعض بيوت أبي ربيعة إمَّا لعيادة مريضٍ أو لغير ذلك، فقالت له أسماء رضي الله عنها: يا رسول الله؛ ألا توصني؟ قال: «آتي إلى أختك ما تحبين أنْ تأتي إليك».

---

(١) الحديث رواه البخاري في مواضع من صحيحه، وكذلك مسلم، والنسائي (٢/ ٢٠١)، وابن ماجه (١٢٤٤)، وأبو داود (١٤٤٢)، وانظر الطبقات (٤/ ١٣٠).

● وهذا توجيه لطيفٌ لأسماء رضي الله عنها، كما أنَّه وصيّةٌ مباركةٌ فيها كلّ معاني الإيثار والبرّ والإحسان.

● مرة أخرى يكرم النَّبيُّ ﷺ أسماء وآل عياش بتوجيهاته الطَّيبة. فقد أتي إليه بصبيٍ من ولد عياش به مرض، فجعل النبي ﷺ يرقي الصَّبي ويتفلُ عليه، وجعل الصَّبي يتْفلُ ويفعل كما فعلَ عليه الصَّلاة والسَّلام، وجعل بعض أهل البيت ينهى الصَّبي عن ذلك، فيكفّهم النَّبيُّ ﷺ وينهاهم عن ذلك، ويدعوهم إلى الرَّحمةِ بالأطفالِ والرأفَةِ بهم[1].

● وفي ختام سيرة أسماء بنت سلامة رضي الله عنها نتذكر أنَّها روتِ الحديثَ عن النَّبيِّ الكريم ﷺ، وروى عنها ابنها عبدُ الله بن عيّاش. كما روتْ عنها الصَّحابية الجليلة الرُّبيِّعُ بنتُ مُعوِّذ رضي الله عنهما[2].

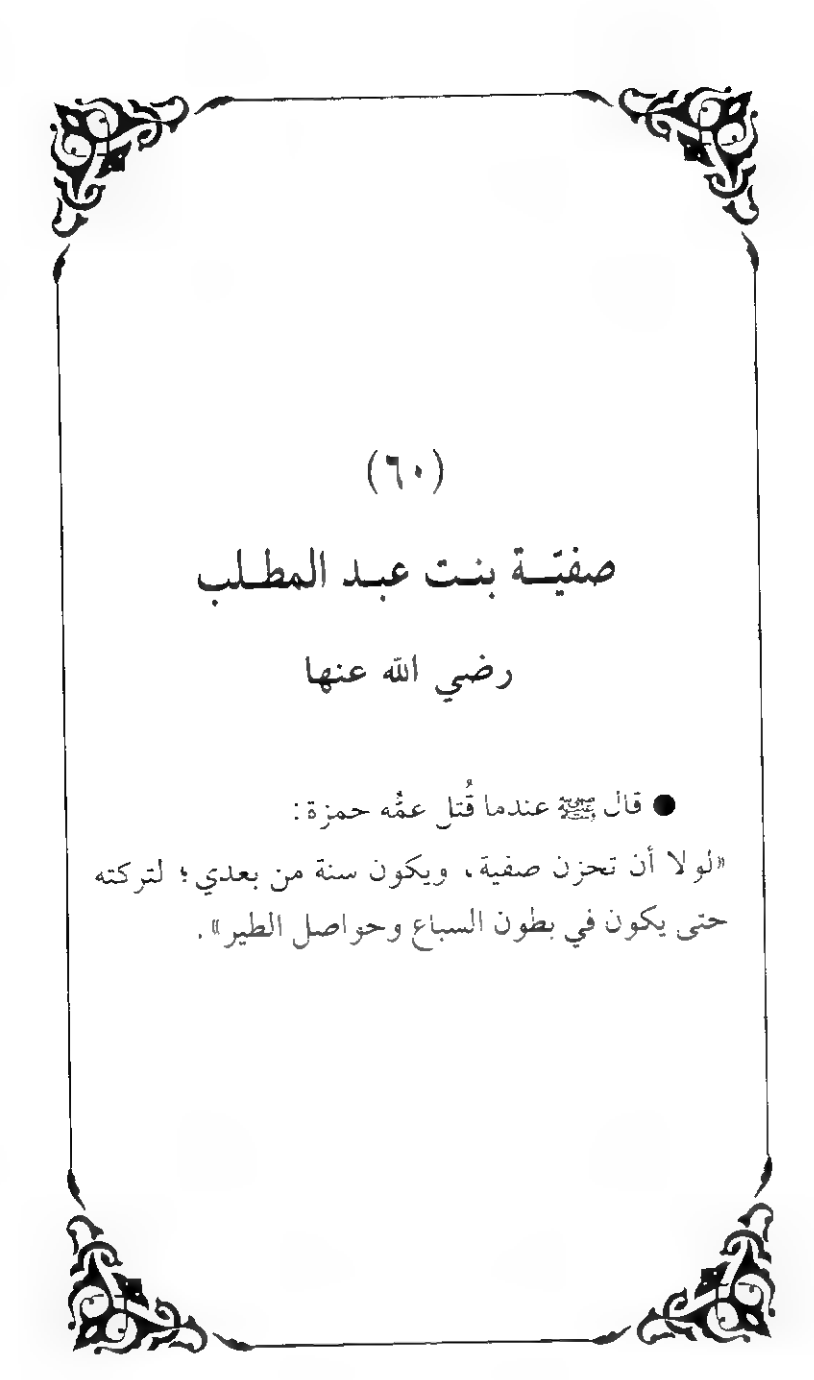
● رضي الله عن أسماء، وجعلها في مستقرِّ رحمته، مع الذين رضي عنهم ورضوا عنه، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين.

* * *

---

(١) عن أسد الغابة (٥/٣٩٣)، والإصابة (٤/٢٢٧)، بتصرف يسير.

(٢) أسد الغابة (٥/٣٩٣).



(٦٠)

صفيّة بنت عبد المطلب

رضي الله عنها

● قال ﷺ عندما قُتل عمُّه حمزة:

«لولا أن تحزن صفية، ويكون سنة من بعدي؛ لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير».

مِنْ صفْوةِ النِّسَاءِ:

● ضيفتُنا ذات تراث عتيد من تراث الإسلام، وهي منْ أرض طيّبة، وبلدٍ مبارك، والبلدُ الطَّيب ينبتُ النُّجباء، وهذه الصَّحابية من صفوة النِّساء، أنجبتْ عَلماً مِنْ أعلام الإسلام، وظلّ وأمُّه يرفدانِ المسلمين بالعطاء إلى آخر حياتهما.

● تحدَّث عنها الذَّهبيُّ رحمه الله فقال: صَفيّةُ ـ عمّةُ رسول الله ﷺ ـ بنتُ عبد المطلب الهاشميّة، وهي شقيقة حمزة، وأمُّ حواري النَّبيّ ﷺ الزُّبير، وأمُّها من بني زهرة[1]؛ واسمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة.

● كانت صفيةُ زوجاً للحارث بن حرب بن أمية ـ أخو أبي سفيان بن حرب ـ فتوفي عنها، فتزوَّجها العوَّام بن خُويلد الأسديّ أخو سيّدة النساء أمّنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، فولدت له ثلاثة بنين: الزُّبير والسَّائب[2] وعبدالكعبة بني العوّام بن خويلد.

إسْلامُـهَا وهِجْـرَتُـهَـا:

● لرسول الله ﷺ ست عمّات وهن: صفيّةُ، أروى، عاتكةُ، البيضاء، برّةُ، وأميمةُ بنات عبد المطلب. وأشار الذَّهبيُّ إشارةً مفيدةً إلى إسلام صفية فقال: والصَّحيح؛ أنّه ما أسلم مِنْ عمّات النَّبيِّ ﷺ سواها.

● وقال ابنُ الأثير وابنُ كثير والنَّوويُّ رحمهم الله: لا خلاف في إسلامها. واخْتُلِفَ في إسلام عاتكة وأروى بنتي عبد المطلب.

● ومن الطَّبيعي أنْ يكون إسلام صفيةَ مبكراً بدعوةٍ من رسول الله ﷺ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٩).

(٢) السَّائبُ بنُ العوَّام بن خويلد الأسديّ، أمّه صفيةُ بنتُ عبد المطلب، صحابيٌّ جليلٌ، مِنْ أهل بَدْرٍ وشهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقُتل يوم اليمامة شهيداً سنة (١٢هـ) رضي الله عنه (الطبقات ٤/ ١١٩)

عندما دعا عشيرته الأقربين، إذ خصَّ ابنته فاطمة وعمته صفيّة رضي الله عنهما بما أمره الله عزّ وجلّ بتبليغه، فقد أخرج مسلم رحمه الله بسنده عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، قام رسول الله ﷺ على الصَّفا فقال: «يا فاطمة بنت محمّد، يا صفيّة بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملكُ لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم»[1]، عند ذلك جاء إسلامها عقب إسلام ابنها الزُّبير رضي الله عنه.

● فالزُّبير كان رابعاً أو خامساً في سجلِّ المبكرين، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّةِ، زِدْ على ذلك أنَّه أسلم وهو حَدَث له ست عشرة سنة رضي الله عنه.

● أمّا عن هجرتها فقال النَّوويُّ وابن حجر رحمهما الله تعالى: هاجرت مع ولدها الزُّبير رضي الله عنهما[2].

جهَـادُهَـا وصَبْـرُهَـا:

● في المدينة المنورة، بدأتْ صفيّةُ رضي الله عنها تخطُّ أروعَ لوحات الجهاد في أجمل صوره، وذلك ضمن الحدود التي سمح لها الإسلام.

● ففي غزاةِ أحد، خرجت مع نسوة المدينة لتقومَ بدورها الإنساني من سقاية المجاهدين ومداواة الجرحى وما شابه ذلك، غير أنَّ ما حدث في هذه الغزوة ـ من مفاجأة ـ بانهزام بعض المسلمين بعد أنْ كانوا هم الغالبين، عند إذْ قامت وفي يدها رُمْحٌ تضرب في وجوههم وتقول: انهزمتم عن رسول الله، فلما رآها رسول الله ﷺ قال لابنها الزُّبير: «يا زبير، المرأة» ثم قال له: «الْقِهَا فأرجعها لاترى ما بشقيقها حمزة بن عبد المطلب» ـ وكان قد بُقِرَ بطنه فكره الرسول ﷺ أن تراه ـ فلقيها الزُّبير فقال: يا أمّه، إنَّ رسول الله ﷺ يأمرك أنْ ترجعي.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٣).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٩٤)، والإصابة (٤/ ٣٣٩).

● قالت: ولِمَ؟ وقد بلغني أنَّه مُثِّل بأخي وذلك في الله عزّ وجلّ فما أرضانا بما كان منْ ذلك، لأصبرنَّ وأحتسبنَّ إنْ شاء الله تعالى.

● فجاء الزُّبير فأخبر النَّبيّ ﷺ فقال: «خَلِّ سبيلَهَا»، فجاءت ونظرتْ إليه وصلَّتْ عليه واستغفرت له وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وصبرت صَبْراً عظيماً.

● ثم أمَرَ النَّبيُّ ﷺ به وبالشُّهداء فدفنوا، وأكبَرَ عليه الصَّلاة والسَّلام موقفها الذي يفيضُ صَبْراً وصَلاحاً، وخصَّها بقوله: «لولا أنْ تحزنَ صفيّةُ، ويكون سنّة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السِّباع وحواصل الطَّير»[1].

بُطُولَـةٌ نَـادِرَةٌ:

● أنْ تتصدى امرأةٌ لرجلٍ وتزجره، شيءٌ متوقَعٌ، أمّا أنْ تقْتُل رجلاً في وقْتٍ حرج كان النَّاس في فزعهم وزلزال قلوبهم فشيءٌ عظيم!.

● هذا ما حدث فعلاً مع صفيّة رضي الله عنها، وكان هذا في غزوة الأحزاب، وذلك عندما بدأتْ جموعُ الأحزابِ حول المدينة تؤجّج نيرانها مبالغةً في إدخال الرُّعب إلى قلوب المسلمين وإضعافِ روحهم، في تلك اللحظات الحرجة التي بلغتْ فيها القلوب الحناجر، بدأ المتحمسون الغادرون من يهود بني قُرَيْظة ينزلون من حصونهم إلى منازل المدينة لقريبة منهم، يريدون بذْر الإرهاب والخوف في نفوس أهلها؛ وذرّ الإرباك والفوضى في صفوف المسلمين.

وكانت صفيةُ رضي الله عنها في فَارِعٍ[2] ـ وهوحصن لحسان بن ثابت

---

(١) عن السيرة النبوية (٢/ ٩٧)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٨٦)، وأسد الغابة (٥/ ٤٩٢)، بتصرف، واقرأ القصة في تاريخ الطبري (٢/ ٧٢)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٢٠٧ و٢٠٨)، والإصابة (١/ ٣٤٠)، والعقد الفريد (٣/ ٢٣٥)، وغيرها وكلها وردت بمعانٍ متقاربة.

(٢) «فارع»: هو أحد الآطام المشهورة في يثرب، ابتناه ثابت بن المنذر بن حرام والد الشاعر حسان بن ثابت وكان غربي الحرم النَّبوي ثم أدخل فيه. وفيه يقول حسان: =

الأنصاري رضي الله عنه ـ، وكان حسان فيه مع النِّساء والصِّبيان، فمرَّ بهم يهودي يطيفُ بالحصن، فاسترابتْ به صفية وقالت لحسان رضي الله عنهما: إنَّ هذا اليهوديَّ يطيفُ بالحصن كما ترى، وإنّي والله ما آمنه أنْ يدلَّ على عورتِنا مَنْ وراءنا من اليهود، وقد شُغلَ رسولُ الله ﷺ، فانزلْ إليه فاقْتُلْه.

قال حسان: يغفرُ الله لكِ يا بنت عبد المطلب! والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا[1]، عندها أخذتْ عموداً ونزلتْ من الحصن وضربتْ به اليهوديّ حتى قتلته، فلمّا رجعتْ قالت: يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنَّه لم يمنعني من سلبه إلا أنَّه رجل.

فقال حسان: ما لي بسَلْبِه حاجة يابنة عبد المطلب.

● وهكذا أراحتْ صفية المسلمين من ريب اليهوديِّ وكيده، وأظهرتْ من البسالةِ ومنْ رباطة الجأْشِ وثبات القلب ما يدلُّ على إقدامها؛ ولا عجب في هذا أليست صفية أخت حمزة أسد الله وأسد رسوله، وأمُّ الزُّبير فارس رسول الله ﷺ ؟، وكانت صفية رضي الله عنها أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين[2].

● وعن هذه الحادثة، ذكر الشَّوكاني نقلاً عن ابن عساكر قال:

لما كان منْ أَمْرِ صفيةَ وحسَّانَ واليهوديّ ما كان، بلغَنا أنَّهم ذكروا ذلك للنبي ﷺ. قالت صفيةُ رضي الله عنها: فضحكَ رسول الله ﷺ حتى رأيت أقصى نواجذه، وما رأيته ضحك من شيءٍ قطّ ضحكه منه[3].

= أرقتُ لتوْماض البروق اللوامع ونحن نشاوىٰ بين سَلْعٍ وفارعِ
ومن الجدير بالذكر أنَّ يوم فارع هو أحد الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج في الجاهلية.

(١) قال ابن الكلبي: كان حسّان لَسِناً شجاعاً، فأصابته علة أحدثت فيه الجبن.

(٢) عن البداية والنهاية (٤/ ١١٠)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٢٩٢)، والإصابة (٤/ ٣٤٠)، بتصرف يسير.

(٣) درّالسحابة للشوكاني (ص٥٣٨).

● ولما كانت غزوة خيبر خرجت صفيّة والزُّبير رضي الله عنهما مع رسول الله ﷺ، وأبدعَ الزُّبير يومذاك أيّما إبداع، أورد الطّبري رحمه الله في تاريخه أنَّ الزُّبير خرج إلى ياسر اليهوديّ، فقالت أمُّه صفية: أيُقتل ابني يارسول الله؟.

قال: «بل ابنك يقتُله إنْ شاء الله».

ثم التقيا فقتله الزُّبير، وكبرتْ أمُّه والمسلمون فرحاً بذلك. وقد خصَّ رسول الله ﷺ صفية ونساء المسلمين ـ يومَ خيبر ـ بنصيب مما غنمه من المشركين في غزوة خيبر.

شَـاعِـرةُ الهَـاشِمِيَّـاتِ:

كما أبدعتْ صفيةُ رضي الله عنها في مضمار الجهاد وميادين الفضائل، حلَّقتْ أيضاً في سماء الفَصَاحةِ، وذُلِّلَتْ لها قطوف اللغة تذليلاً، فكانت شاعرة النِّساء الهاشميات، وكان شعرها يتدفقُ من فمها فياضاً بالمعاني الرَّائعة، ويمتاز بالجزالة، والرِّقة، وصدْق العاطفة، وروعة الحماسة، فقد ورد أنَّها كانت ترقص ابنها الزُّبير، وتشجعه بشعر يسيلُ حماسةً وبسالةً[1]، كما أَنَّ كتُبَ التَّراجم قد حفظت من شعر صفية ما يجعلها إحدى شاعرات العرب المجيدات، وخصوصاً في فن الرِّثاء ـ وإن جاز التَّعبير فإنا نطلق عليها لقب خَنْساء قريش ـ فقد رثتْ أباها عبد المطلب بقصيدة مؤثرة منها:

أرقـــتُ لصـــوتِ نـــائحـــةٍ بليـــلِ
علـــى رجـــلٍ بقـــارعـــة الصَّعِيـــدِ
ففـــاضـــتْ عنـــد ذلكـــمُ دمـــوعـــي
علـــى خـــدي كمنحـــدرِ الفَـــريـــد[2]

● كما أنَّها رثت أخاها الزُّبير بن عبد المطلب بقصيدةٍ رائعةٍ حزينةِ النَّغمات، وأبدعتْ أيضاً في رثاء أخيها حمزة، وبلغتِ الذِّرْوَة في دقةِ الحسِّ

---

(١) انظر مثلاً: كتاب المنمق لابن حبيب (ص٣٤٧)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٥).
(٢) السرة النبوية (١/ ١٧٩)، و«الفريد»: الدّر.

وصِدْقِ العاطفة عندما رثت ابن أخيها رسول الله ﷺ، حيث قالت من قصيدة:

عيـــنُ جـــودي بـــدمعـــةٍ وسهـــودِ
وانـــدبـــي خيـــر هـــالـــك مفقـــودِ

وانـــدبـي المصطفـى بحـزن شـديـدٍ
خـالـطَ القلـب فهـو كـالمعمـود[1]

كـدتُ أقضـــي الحيـــاة لمـــا أتـــاه
قـــدرٌ خُـــطَّ فـــي كتـــاب مجيـــدِ

فلقـــد كـــان بـــالعبـــادِ رؤوفـــاً
ولهـــم رحمـــة وخيـــر رشيـــدِ

رضـــي الله عنـــه حيـــاً وميْتـــاً
وجـــزاه الجنَـــان يـــوم الخلـــود[2]

ومن أبدع ما قالته في رثاء النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام أيضاً:

ألا يـــا رســـول الله كنـــتَ رجـــاءنـــا
وكنـــتَ بنـــا بـــرّاً ولـــم تـــكُ جـــافيـــا

وكنـــتَ رحيمـــاً هـــاديـــاً ومعلمـــاً
ليَبْـكِ عليـك اليوم مـن كـان بـاكيـا

فـــدىً لـــرســـول الله أمّـــي وخـــالتـــي
وعمـــي وخـــالـــي ثـــم نفســـي ومـــاليـــا

فلـــو أنَّ ربَّ النَّـــاس أبقـــى نبيَّنـــا
سَعِـدنـا ولكـن أمـره كـان مـاضيـا

عليـــك مـــن الله السَّـــلام تحيَّـــة
وأُدخلْـتَ جنّـاتٍ مـن العـدن راضيـا[3]

---

(١) «المعمود»: المريض لا يستطيع الجلوس حتى يعمد من جانبه بالوسائد.
(٢) الطبقات (٢/ ٣٣٠).
(٣) شاعرات العرب (ص٢٠٤ و٢٠٥).

«فـــي مقْـعَــد صِــدْقٍ»:

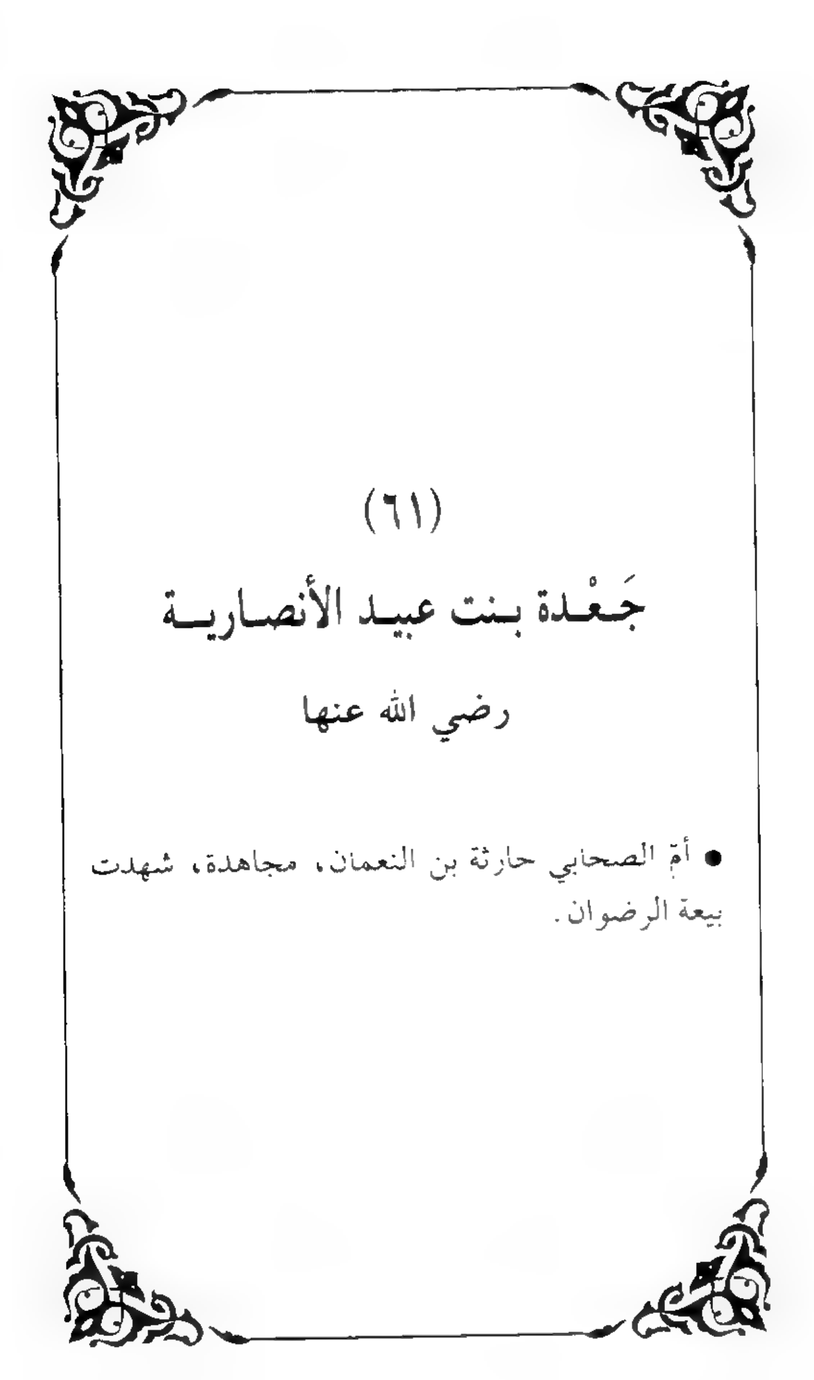
● عاشتْ صفيةُ رضوان الله عليها وهي تؤثرُ رضاءَ الله عزَّ وجلَّ على كل شيء، آخذةً على نفسها عهداً في الصَّبر والمصابرة، وهي ترنو إلى ما أعده الله لعباده المتَّقين؛ وظلتْ وفيةً بما عاهدت. حتى توفيت سنة (٢٠هـ) في خلافة عمر رضي الله عنه، عن ثلاث وسبعين سنة، ودُفنت بالبقيع[١] رضي الله عنها.

● تلكم هي عمَّةُ رسول الله ﷺ، المرأة القدوة في كل الفضائل. فرضي الله عنها، وجعلها مع المتقين في مقعد صدق.

* * *

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٠٧). وممن توفي سنة (٢٠هـ) أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، وبلال بن رباح، وأبو الهيثم بن التيهان الأنصاري، وأسيد بن حضير، وعياض بن غنم الفهري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وسعيد بن عامر الجمحي، رضي الله عنهم جميعاً ورضوا عنه.



(٦١)

جَعْدة بنت عبيد الأنصارية

رضي الله عنها

● أمّ الصحابي حارثة بن النعمان، مجاهدة، شهدت بيعة الرضوان.

دُوْرُ الأَنْصَار:

● قال رسول الله ﷺ: «خيرُ دورِ الأنصار بنو النَّجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كلٍّ دور الأنصار خير»(١).

● هؤلاء بنو النَّجار الذين شرفوا بمقام رسول الله ﷺ عندهم. وهؤلاء الأخيار هم الذين كانوا يتسابقون في إكرام النَّبيِّ ﷺ. ويتناوبون حمل الطعام إليه في بدء الهجرة الشَّريفة.

● ومن هذه البيوت الخيرة، نتحدث عن الصَّحابية جعدةَ بنتِ عُبيد بن ثعلبة الأنصاريّة النَّجاريّة(٢).

● كانت جعدةُ ممن دخل الإيمان في قلوبهن قبل الهجرة، وكانت تنتظُر بفارغ الصَّبر قدومِ رسول الله ﷺ مهاجراً، إلى أنْ جاء البشيرُ بدخول النّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام المدينة، وزاد من سعادة جعدة حينما علمت أنّ النّبيّ ﷺ قد نزلَ ضيفاً على بني النَّجار قومها.

● كانت جعدة متزوجة من النُّعمان بن نفع النّجاريّ فولدت له حارثة بن النعمان الصَّحابي المشهور ثم خلف عليها الحباب بن الأرقم فولدت له الحارث.

أسلمتْ جعدة وبايعت رسول الله ﷺ، وأخوها عمرو بن عبيد بن ثعلبة له صحبة.

وكان لجعدة أختان قد أسلمتا وبايعتا وهما: عفراء وخولة ابنتا عبيد بن ثعلبة.

جـعْـدَةُ والجِـوَارُ المُـبَـارَكُ:

● قبل أنْ ندخلَ الأجواء العبقةَ لهذه الصَّحابية، لا بدّ وأن نعرفَ بعض

---

(١) الحديث رواه مسلم (٧/ ١٧٤).

(٢) الطبقات (٨/ ٤٤٣)، وأسد الغابة (٥/ ٤١٥)، والإصابة (٤/ ٢٥٢).

المكارم التي تنضح من شخصيتها المعطاء، علماً بأنَّ اسمَها لم يكنْ له ذلك الرّنين المألوف كغيرها من الصَّحابيات اللاتي حلّقن في سماء الشُّهرة. ولكنَّ الأثرَ الطيّب الذي تركته لا يقلُّ روعةً عن باقي الصَّحابيات.

● وتدلُّ الأخبار التي وصلتنا من المَصادر عن جعدةَ أنَّها كانت تتصفُ بالأخلاق الفاضلة، والكرمِ والجود وحُسْن الجوار، فقد كانت تسكنُ قرب بيوت النَّبيِّ ﷺ، وكان عليه الصَّلاة والسَّلام يأتي إلى منزلها ويأكل عندها[1].

● وهذا ليس بمستغربٍ أنْ يزورها النَّبيُّ ﷺ، فهي أمُّ الصَّحابي الكريم حارثة بن النُّعمان الأنصاريّ، وما أدراك ما حارثة هذا؟

● إنَّه أحد الأبطال الذين شهدوا بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد المئة الصَّابرة يوم حنين الذين تكفّل الله بأرزاقهم في الجنّة.

● أتريد مزيداً من أخباره وأخبار أمّه جعدة؟.

● كانت لحارثة منازل قرب منازل النَّبيِّ ﷺ، فكان كلما أحدث رسول الله ﷺ أهلاً تحوَّلَ له حارثة عن منزل بعد منزل حتى قال عنه: «لقد استحييتُ من حارثةَ مما يتحول لنا عن منازله»[2].

وربما كانت والدته جعدة تشجعه على هذا، فأيّ شرفٍ أعظم من أنْ تكون منازلها ومنازل ابنها حارثة لرسول الله ﷺ؟!.

● ففي ميدان هذه الأخلاق، وفي مناخ هذه الفضائل، كانت جعدة تربي حارثة ابنها، حتى غدا أحد أعلام الصَّحابة وفضلائهم، فأكرمْ بها وأكرم به!

أمُّ الأَبـــرار:

● عندما ذكر الإمام الذّهبيُّ ـ رحمه الله ـ حارثة بن النُّعمان رضي الله عنه، وصفه بقوله: كان ديّناً خيراً براً بأمّه.

● وهذه الصفات العظيمة تؤهّل صاحبها أنْ يكونَ من أهل الجنّةِ، وكان

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٤١٥)، والإصابة (٤/ ٢٥٢).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٤٧١)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٠).

هذا، فعن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «نمتُ فرأيتني في الجنَّة، فسمعتُ صوت قارىء يقرأ، فقلت: مَنْ هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: كذاك البِرُّ».

● وكان أبرَّ النَّاسِ بأمِّه[1]. إنَّ امرأة يدخل ابنها الجنَّة بسببها لذات حظّ عظيم.

● ومن الأخبار التي تُضاف إلى رصيد جعدةَ رضي الله عنها أنها جَدَّةُ أمّ هشام بنت حارثة إحدى الصَّحابيات المجاهدات اللاتي بايعن بيعة الرِّضوان في الحديبية[2]. ومن أحفادها المحدث المشهور ـ أبو الرِّجال ـ محمّد بن عبد الرحمن بن حارثة بن النعمان.

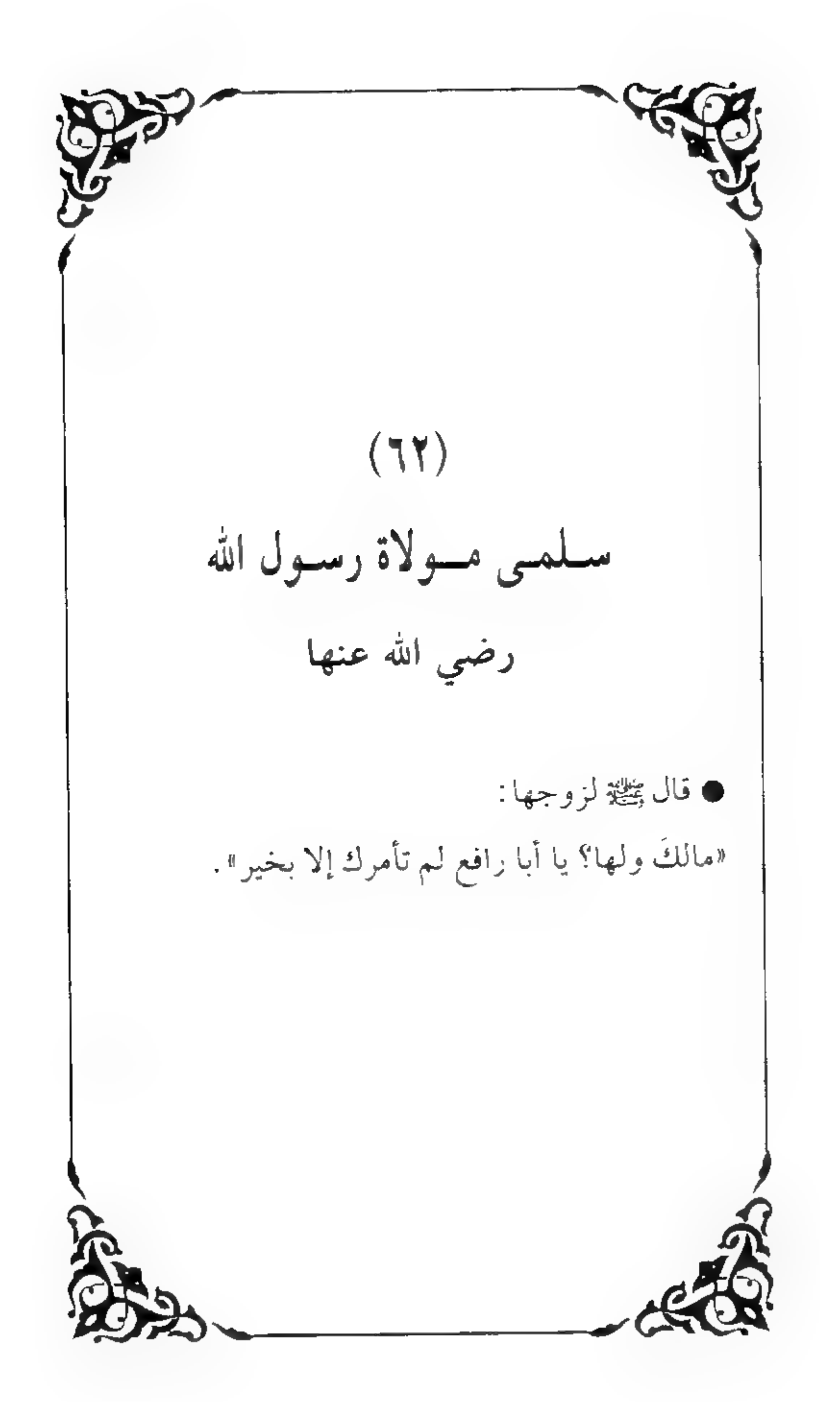
● وبعد، فهذه ومضات عن حياة صحابية قدمت أبطالاً للإسلام، وأعلاماً يُقتدى بهم إلى يوم يبعثون، وإنّي أرجو الله عزَّ وجلَّ أن أكون قد وُفقت لإبرار صورتها وبعض ملامحها وأعمالها رضي الله عنها وأرضاها، والحمد لله رب العالمين.

* * *

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٤٧٢).

(٢) «الحُديبية»: بضمّ الحاء وفتح الدال وتخفيف الياء عند الشافعي ـ رحمه الله ـ وعند أكثر المحدثين بتشديد الياء وهما وجهان مشهوران.
وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة على نحو مرحلة من مكة. وكان الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة يوم الحديبية بيعة الرضوان ألفاً وأربعمئة، قال لهم رسول الله ﷺ يومذاك: «أنتم خير أهل الأرض» رضي الله عنهم. (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٨١).



(٦٢)

سلمى مولاة رسول الله

رضي الله عنها

● قال ﷺ لزوجها:

«مالكَ ولها؟ يا أبا رافع لم تأمرك إلا بخير».

بالمـؤمنيْـنَ رَؤوفٌ رَحِيْـمٌ:

● كان رسول الله ﷺ الرَّحمـةَ المهـداة، وهو كمـا وصفـه الله عزّ وجلّ في كتابه الحكيم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

● وكانت رحمتُه ﷺ تشمَلُ المؤمنين جميعاً، أمَّا عبيده ومواليه فكان يفيضُ عليهم بالعطْف والكرم والخير ومعاني الإحسان، يلاطفهم ويجبر كسرهم، ويقبل منهم الهدية ويكافىء عليها، ويلبّي دعواتهم إذا دعوه إلى طعام، ويناديهم بلفظِ (إخوانكم) ليجعل مكانتهم في نفس السَّامع قريبة من مكانة الأحرار، وكان يُوصي بهم قائلاً:

● «إخوانُكم جعلَهُم الله تحتَ أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإنْ كلَّفتموهم فأعينوهم»[1].

● وقد حثَّ النَّبيُّ ﷺ على عَتقِ الرِّقِّ، وجعله منَ الأعمال الصَّالحات والقربات إلى الله عزَّ وجلَّ، من ذلك ما روتْهُ أسماء بنت أبي بكر الصَّديق رضي الله عنهما: كنَّا نُؤمر عند الخسوف بالعتاقة[2].

● وفي الصَّفحات التالية، نعيش مع إحدىٰ النِّساء ممن صاحبن الإسلام بمكةَ منذ انبلاج نوره، وكانت قد عاشت في البيتِ النَّبويِّ ولازمته، وحظيتْ بشرف خدمته، فأضحت من كرائم نساء الصَّحابة؛ وغبطتْ على مكانتها عند النَّبيِّ ﷺ.

● إنَّها أمُّ رافع سلمى[3] خادم النَّبيِّ الكريم ﷺ، وهي امرأة أبي

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه (٣٦٩٠).

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب العتق وفضله.

(٣) الطبقات (٨/ ٢٢٧)، وأسد الغابة (٥/ ٤٧٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٧)، والإصابة (٤/ ٣٢٦).

رافع[١] مولى النَّبيِّ ﷺ وأمُّ ولده، هذه الصَّحابية كانت ممن أعتقهنَّ رسول الله ﷺ، وقد روتْ هذا فقالت: كنتُ أخدمُ رسول الله ﷺ أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد، فأعتَقَنا رسول الله ﷺ كلنا.

سَلمَىٰ وأَسَدُ اللهِ حَمْزَةُ:

● تشير الروايات الموثوقة إلى أن سلمى رضي الله عنها كانت مولاةً لصفية بنت عبد المطلب عمّةِ رسول الله ﷺ، ثم صارت للنَّبيِّ الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام، وأسلمتْ والتحقت بركب السَّابقات؛ وفي أمِّ القرى عاشت سلمى الأحداث الجسام التي مرّت بالمسلمين، وذات مرة رأتْ أبا جهل وقد آذىٰ النَّبيَّ ﷺ وشتمه، ونال منه ما يكره، وبعد قليل يُقْبِلُ حمزة بن عبد المطلب راجعاً من صيده، فبصُرَتْ به سلمى، وهمستْ في أذنه بما رأته قبل سويعات، فقال لها حمزة وقد أخذه الغضب: أنتِ رأيتِ هذا الذي تقولين؟.

قالت: نعم.

وانطلق حمزة يبحثُ عن أبي جهل، فوجده جالساً مع أمثاله، فأقبل نحوه، ورفع قوسه، وضربه في رأسه؛ فشجَّه شجّةً منكرة، ثم قال له: أتشتمه؟ فأنا على دينهِ أقول ما يقول فردَّ عليَّ ذلك إن استطعت[٢].

● ولم يملكْ أبو جهل جواباً إلا الاعتذار والأسف، ويذهب حمزة إلى رسول الله ﷺ فيعلن إسلامه، فتقوىٰ به شوكة الإسلام، ويعزُّ به المسلمون، وكانت سلمى السَّبب في إسلام حمزة وانضمامه إلى جيش الحقِّ لإعلاء كلمة الله عزَّ وجلَّ وسمّيَ من أجل ذلك أسد الله، رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) أبو رافع مولىٰ رسول الله ﷺ من قبط مصر اسمه إبراهيم وقيل: أسلم. كان عبداً للعبّاس بن عبد المطلب فوهبه للنَّبيِّ الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام، فلما أَنْ بشّر النبي ﷺ بإسلام العباس أعتقه، شهد غزوة أحد والخندق وكان ذا علم وفضل، روىٰ عدة أحاديث، توفي في خلافة عليّ رضي الله عنه. (سير أعلام النبلاء ٢/ ١٦).

(٢) عن الإصابة (٤/ ٣٢٦)، والسيرة الحلبية (١/ ٤٧٧) بتصرف.

قَابِلَةُ آلِ النَّبيِّ ﷺ:

● لعلَّ أمَّ رافع سلمىٰ هذه، إحدىٰ النِّساء الصَّحابيات ممن برعن في معرفة بعض أمور الطِّب ومايتصل به، من ذلك أنَّها كانت تستخدم الحِنّاء في عملها الطِّبي إذا لزم الأمر، مستوحيةً ذلك من الطِّبِّ النَّبويِّ، روتْ سلمىٰ هذا فقالت: كان لا يصيبُ النَّبيَّ ﷺ قرحة ولا شوكة إلا وضع عليها الحنّاء[1].

● وكانت سلمى رضي الله عنها ذات خبرة بشؤون النِّساء، فقد كانت قابلة خديجة بنت خويلد أمّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ في ولادتها، فكانت تجهز قبل ذلك ما يلزمها وما تحتاجه من أمور الولادة؛ ثم تقوم بعملها على أكمل وجه.

● ومن الجدير بالذِّكْرِ أَنَّ سلمى كانت قابلة مارية أمّ إبراهيم بن رسول الله ﷺ، ولما ولدت مارية، خرجت سلمى إلى زوجها أبي رافع وأعلمته بولادتها، فجاء أبو رافع فبشَّر النَّبيَّ ﷺ بولادة مارية غلاماً سوياً، فوهبه عبداً على هذه البشارة، ثم إنَّ رسول الله ﷺ سمَّاه يوم سابعه إبراهيم.

● وظلَّت سلمى رضي الله عنها تقوم بهذا العمل للبيت النَّبويِّ الطَّاهر، فكانت فيما بعد قابلة فاطمة بنت رسول الله ﷺ[2]. وكان رسول الله ﷺ يكرمُ سلمى إكراماً عظيماً لإخلاصها ووفائها.

● برزتْ سلمى رضي الله عنها في فنِّ التَّمريض أيضاً، والعناية بالمرضى وما يلزمهم من أمور تخفِّفُ من آلامهم، ومما يضاف إلى أعمال سلمى رضي الله عنها أنَّها مرّضت فاطمة الزَّهراء في مرضها الذي توفيت فيه، وكانت سلمى فيمن غسَّل فاطمة رضي الله عنها وأرضاها.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي (٢٠٥٥)، وأبو داود (٣٨٥٨)، وابن ماجه (٣٥٠٢)، وانظر أسد الغابة (٥/ ٤٧٨).

(٢) الطبقات (٨/ ٢٢٧)، والمغازي (٢/ ٦٨٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٧)

بشَـــارَةٌ وهـديَّــة:

● كانت سلمى حاملة البشَارة السَّماوية النَّبوية بزواج رسول الله ﷺ من زينبَ بنتِ جحش أمّ المؤمنين رضي الله عنها، وقد سأل عليه الصَّلاة والسَّلام فقال: «مَنْ يذهب إلى زينبَ يبشّرها أنَّ الله قد زوجنيها مِنَ السَّماء؟».

● فخرجت سلمى مسرعة حتى أتتْ زينبَ فحدثتها بذلك، فأعطتها أوضاحاً ـ حلياً ـ عليها.

● وفي مجال الجهاد، كان لسلمى بعض الآثار التي تدلُّ على مشاركتها، فقد أكدتِ المصادرُ أنَّها شهدت غزوة خيبر مع النَّبيِّ ﷺ[1]. ونقل ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن مصعب الزبيري قال: شهدت سلمى وقعة حنين

سَـلْمى وطَـعَـامُ النَّبـي ﷺ:

● اشتهرتْ سلمى رضي الله عنها بجودةِ إعداد الطَّعام، وقد ورد أنَّها كانت تطبخ للنَّبيِّ ﷺ الحُريرة فتعجبه هذه الوجبة. وكان عليه الصَّلاة والسَّلام يعتمد عليها في هذا المجال، فعندما استشهد جعفر بن أبي طالب[2] رضي الله عنه في مؤتة، صنعت سلمى لآل جعفر طعاماً، وهذا شاهد من آل جعفر يتحدث عن ذلك، قال عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما:

● عمدت سلمى خادم النَّبيِّ ﷺ إلى شعير فطحنته، ثم نسفته، ثم أنضجتْهُ وأدمته بزيتٍ وجعلتْ عليه فُلفلاً، فتغديتُ أنا وأخي مع رسول الله ﷺ غداء طيباً مباركاً.

● وهذه شهادة رائعة لسلمى في إخلاصها وحسن رعايتها لضيوف رسول الله ﷺ وأقربائه. ويتبادر إلى الذِّهن سؤال: هل كان هذا الطَّعام هو المفضل عند النَّبيِّ ﷺ؟.

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٢٧)، والمغازي (٢/ ٦٨٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٧).

(٢) اقرأ سيرة الصحابي الكريم جعفر بن أبي طالب في كتابنا رجال مبشرون بالجنة (٢/ ٩٥)، ففيه ما يسر النفس إن شاء الله.

● الصَّحابية سلمى نفسها تجيبُ عن هذا السُّؤال:

● فقد أخرج الطَّبراني ـ رحمه الله ـ عنها قالت: دخل عليَّ الحسن بن علي، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم فقالوا: صنعي لنا طعاماً مما كان يعجب النَّبيَّ ﷺ أكلُه، قالت: يا بني إذاً لاتشتهونه اليوم. فقمتُ فأخذتُ شعيراً فطحنته ونسفتُه، وجعلت منه خبزة، وكان أُدْمه الزَّيت، ونثرتُ عليه الفلفلَ فقرّبته إليهم وقلت: كانَ النَّبيُّ ﷺ يحبُّ هذا[1].

«مَـالَـكَ وَلَـهـا؟»:

● لهذه الصَّحابية مكانة أثيرة لدى النَّبيِّ ﷺ، حيث كان يتفقدْ أحوالها، ويسمعُ لها، ويُطالِبُ برفْعِ الأذية عنها، روت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:

جاءت سلمى امرأة أبي رافع مولى النَّبيِّ ﷺ تستعديه على أبي رافع وقالت: إنَّه يضربُني.

فقال: «مالك ولها؟».

قال: إنَّها تؤذيني يا رسول الله.

قال: «بِمَ آذيته يا سلمى؟».

قالت: ما آذيته بشيء، ولكنَّه أحدث وهو يصلي فقلتُ: يا أبا رافع إنَّ رسول الله ﷺ قد أمَرَ المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أنْ يتوضأ، فقام يضربُني، فجعلَ يضحك ويقول: «يا أبا رافع لمْ تأمرك إلا بخير»[2].

● وهكذا كانت لسلمى رضي الله عنها مكانة خاصةً عند النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، ومنَ الجدير بالذِّكرْ أنَّه يوجد في الصَّحابيات ست عشرة امرأة كل

---

(١) حياة الصحابة (٢/ ٥٠٢)، وانظر الشفا للقاضي عياض (٢/ ٦١ و٦٢).
(٨/ ٢٢٧)، وأسد الغابة (٥/ ٤٧٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٧)، والإصابة (٤/ ٣٢٦).

(٢) أسد الغابة (٥/ ٤٧٨)، والإصابة (٤/ ٣٢٦).

واحدة منهن اسمها سلمى رضي الله عنهن جميعاً.

وداعاً أمّ رافع:

● قبل أنَ نودِّع سيرةَ سلمى العطرة، نتذكر أنَّها روتْ عن النَّبي ﷺ وعن فاطمةَ الزَّهراء، وروى عنها حفيدها عبيد الله بن علي بن أبي رافع[1].

وقد ذكرها ابن حبَّان ـ رحمه الله ـ في الثِّقات. فمن مروياتها: أنَّ رسول الله ﷺ أوصى بالهرَّةِ وقال: «إنَّ امرأة عُذِّبتْ في هرَّةٍ ربطتها فلم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض»[2].

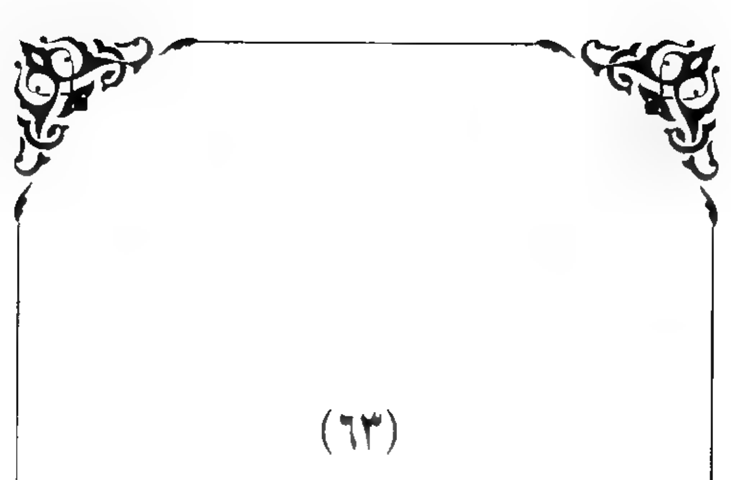
ومن مروياتها أيضاً أنَّها قالت: يا رسول الله أخبرني بشيء أفتتح به صلاتي قال: «إذا قمتِ إلى الصَّلاة فكبري سرّاً»[3].

● هذا وقد شهدت سلمى وفاة الزهراء، ويبدو أنَّها توفيت بعدها في عهد الخلفاء الرَّاشدين والله أعلم. رضي الله عن أمِّ رافع ورفعها مكاناً علياً.

* * *

---

(1) الاستيعاب (٤/ ٣٢٢)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٥).
(2) الاستيعاب (٤/ ٣٢٢).
(3) الإصابة (٤/ ٣٢٦).



(٦٣)

أم سنـــان الأسـلميـــة

رضي الله عنها

● قال ﷺ:

«اخرجي على بركة الله، فإنَّ لك صواحب قد كلّمنني، وأذنتُ لهنَّ، من قومك ومن غيرهم، فإن شئتِ فمع قومك، وإن شئتِ فمعنا».

«سَالَمَهَا اللهُ»:

● عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «قريشٌ والأنصار وجُهينةُ وأَسْلم وأشْجع وغِفَار مواليّ، ليس لهم مولىً دون الله ورسوله».

● وعن أبي هريرة أيضاً، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أَسْلم سالمها الله وغِفار غفَر لها الله، أماإنِّي لم أقلها ولكنْ قالها الله عزَّ وجلَّ»[1].

● وأسلم وغفار وجهينة وأشجع ومزينة، وقبلهم قريش والأنصار، هذه القبائل خصَّها الله عزَّ وجلَّ بمحبته، وكذلك رسوله ﷺ، وذلك لأنَّهم لم يحاربوا النَّبيَّ الكريم ﷺ، بَيْد أنَّهم أتوا للإسلام طائعين مسالمين.

● جاء وفدُ أسلم رسول الله ﷺ فقالوا: قد آمنّا بالله ورسوله، واتبعنا منهاجك، فاجعلْ لنا عندك منزلة تعرفُ العرب فضيلتها، فإنَّا إخوة الأنصار. ولك علينا الوفاء والنَّصر في الشِّدة والرَّخاء. فقال رسول الله ﷺ: «أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها»[2].

● فقد أسلمت قبيلة أسلم، وكان ممن منَّ الله عزّ وجلَّ عليه بهذا الفضل، أمّ سنان الأسلمية[3] التي كان لها مواقف عدة مع النَّبيِّ ﷺ في سِلْمِهِ وجهاده، كما أنَّها كانت قد بايعتِ النَّبيَّ ﷺ وروتْ عنه.

● ذكر ابنُ الأثير ـ رحمه الله ـ أنَّ أمَّ سنان الأسلمية رضي الله عنها قالت: جئتُ النَّبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، إنّي جئتُك على حياء، و ما جئتُ حتى أُلجئتُ من الحاجة.

فقال ﷺ: «لو استغنيتِ لكان خيراً لك»[4].

---

(١) الحديثان صحيحان رواهما الشيخان في صحيحيهما.

(٢) الطبقات (١/ ٣٥٤).

(٣) الطبقات (٨/ ٢٩٢)، والاستيعاب (٤/ ٤٤٣)، والإصابة (٤/ ٤٤٣).

(٤) أسد الغابة (٥/ ٥٩٢).

● وعملتْ أمُّ سنان رضي الله عنها على تطبيقِ أمْرِ النّبيِّ ﷺ فأعناهاالله عزَّ وجلَّ في غزوة خيبر، وأخذت تعدُّ نفسها لتكون في عداد المجاهدات من نساء الصَّحابة.

«اخْرُجي عَلىٰ بَرَكَةِ الله»:

لأمِّ سنان الأسلميّة رضي الله عنها أثرٌ رائعٌ في الجهاد والغزو، إذْ كانت ذات معرفة بشؤون المرأةِ ودورها في صفوف المجاهدين من سقاية الجرحى ومداواة المرضى، بل كانت ذات خبرة أيضاً في مجال الفروسية والقتال ـ إذا لزم الأمر ـ فقد روت أمُّ سنان رضي الله عنها هذا الأمْر فقالت:

لما أراد رسولُ الله ﷺ الخروج إلى خيبر جئتهُ فقلتُ: يا رسول الله أخرجُ معك في وجهك هذا، أخرزُ السّقاء، وأداوي المريض والجريح إنْ كانت جراح ـ ولا تكون ـ وأبصر الرَّحْل. فقال رسول الله ﷺ: «اخرجي على بركة الله، فإنَّ لكِ صواحب قد كلّمنني وأذنتُ لهنَّ من قومك ومن غيرهم، فإنْ شئت فَمَعَ قومك وإنْ شئتِ فمعنا».

قلت: معكَ ـ يا رسول الله ـ.

قال: «فكوني مع أمِّ سلمة زوجتي».

قالت: فكنتُ معها.

فكان رسول الله ﷺ يغدو من الرَّجيع كلَّ يوم عليه الدّرع، فإذا أمسىٰ رجع إلينا، فمكثَ على ذلك سبعة أيام حتى فتح الله النَّطاة[1]، فلما فتحها تحول إلىٰ الشّق[2]، وحولنا إلى المنزلة.

فلما فتح خيبر رضخ لنا من الفيء، فأعطاني خرزاً أحْمَرَ وأوضاحاً ـ حُليّاً ـ من فضة أُصيبتْ في المغنم، وأعطاني قطيفة فدَكيَّةً، وبرداً يمانياً وخمائلَ، وقِدْراً من صُفْر ـ نحاس ـ وكان رجالٌ من أصحابه قد جُرحوا، فكُنتُ أداويهم

---

(١) أسماء حصون في خيبر.
(٢) أسماء حصون في خيبر.

بدواءٍ كان عند أهلي فيبرؤون، فرجعتُ مع أمِّ سلمة ـ أمِّ المؤمنين ـ فقالت لي حين أردنا أنْ ندخلَ المدينة ـ وكنتُ على بعيرٍ من إبل النَّبيِّ ﷺ ـ: بعيرك الذي تحتك لكِ رقبته، أعطاكيه رسول الله ﷺ.

قالت أمُّ سنان: فحمدت الله عزَّ وجلَّ، وقدمتُ بالبعير فبعتُه بسبعةِ دنانير، فجعل الله عزَّ وجلَّ في وجهي ذلك خيراً كثيراً[1].

● وفي هذه الغزوة، يتزوجُ رسول الله ﷺ صفية ـ أمّ المؤمنين ـ رضي الله عنها، وكان للصَّحابية الكريمة أمّ سنان الأسلمية مهمَّةٌ في هذا الزَّواج الميمون. تقول أمُّ سنان: كنتُ فيمن حضر عرس صفية ـ رضي الله عنها ـ فمشطناه وعطَّرناها، وكانت منْ أَضْوأ ما يكون من النِّساء، فأعرس بها رسول الله ﷺ، فسألناها فذكرت أنَّه سُرَّ بها، ولم ينمْ تلك الليلة لم يزلْ يتحدث معها، وأصبحَ فأولمَ عليها رضي الله عنها وأرضاها[2].

التَّهيؤ لغَزْوَةِ تَبُوك:

كانت غزاةُ تبوك في رجب سنة تسع من الهجرة، وقد دعا رسول الله ﷺ إلىٰ قتال الرُّوم، وحضَّ المسلمين علىٰ الجهاد ورغَّبَهم فيه وأمرهم بالصّدقة، فحملوا صدقات كثيرة، وتسابق المسلمون في إنفاقِ الأموال، وبذْلِ الصَّدقات ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً، وكان في مقدمة المسلمين بل أول مَنْ جاء بماله كلّه سيّدُنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر والعبَّاس وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن عبادة[3] ومحمّد بن مسلمة وعاصم بن

---

(١) عن الطبقات (٨/ ٢٩٢)، والمغازي (٢/ ٦٨٦ و٦٨٧) بتصرف يسير.

(٢) الإصابة (٤/ ٤٤٣).

(٣) سعد بن عبادة بن دليم الأنصاريّ الخزرجيّ، السَّيد الكبير الشَّريف، والصَّحابي الجليل، كان صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان جواداً وجيهاً ذا رياسة وسيدة، وكان يحمل إلى النبي ﷺ جفنة مملوءة ثريداً ولحماً، شهد العقبة وبدراً وباقي المشاهد، روى(٢٠) حديثاً، كان سعد يكتب في الجاهلية ويحسن العوم والرمي وسمي الكامل، ومناقبه كثيرة ومشهورة توفي بحوران بالشام سنة(١٦هـ) رضي الله عنه. عن تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٢)، وسير أعلام النبلاء =

عدي، ولا تسأل عمّا فعل عثمان بن عفان في ذلك اليوم، حتىٰ قال عنه رسول الله ﷺ: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم».

● أمَّا النساء فقد بعثْنَ ما قدرنَ عليه، وساهمن في الجود والصَّدقة، وكانت أمُّ سنان شاهدة عيان، روت ما رأَتْهُ بأمِّ عينها يومذاك فقالت:

لقد رأيتُ ثوباً مبسوطاً بين يدي رسول الله ﷺ في بيتِ عائشة ـ أمِّ المؤمنين ـ رضي الله عنها فيه: مَسَكٌ، ومعاضدُ، وخلاخلُ، وأقرطةٌ، وخواتيمُ، وخدماتٌ، مما بعثَ به النِّساء يُعِنَّ به المسلمين في جهازهم[1].

● ويبدو من خلال حديث أمِّ سنان رضي الله عنها، أنَّها ساهمت في الإنفاق والصَّدقة كغيرها من النِّساء، لتفوزَ بالمثوبة والأجر من الله عزَّ وجلَّ، كما وعد عباده المتقين بذلك.

تَـوْجيـهٌ نبــويٌّ للنِّـسَــاءِ:

كان النَّبيُّ الكريم ﷺ، يوجه النِّساء ويرشدهن إلىٰ التَّحلِّي بالفضائل، والتَّخلِّي عن المظاهر التي لا تسمنُ ولا تغني، ففي مجال التَّربية النَّبوية للنِّسوة، تروي أمُّ سنان رضي الله عنها ما أشار به رسول الله ﷺ إلى فعله. فتقول: أتيتُ رسول الله ﷺ فبايعته علىٰ الإسلام، فنظر إلىٰ يدي فقال: «ما على إحداكن أنْ تغير أظفارها وتعصب يديها ولو بسير»[2].

واستجابت أمُّ سنان لهذا التَّوجيه النَّبويّ اللطيف، وآثرتْ مرضاة الله عزَّ وجلَّ ومرضاة رسوله ﷺ على كلِّ شيء.

رَاوِيَــةُ الحَـدِيْـثِ الشَّـرِيْـفِ:

من الفضائل التي تُضاف على سيرة الصَّحابية أمِّ سنان الأسلمية رضي الله عنها، روايةُ حديثِ رسول الله ﷺ وحفظه، روت عنها الحديث ابنتها

= (١/ ٢٧٠ـ٢٧٩).

(١) المغازي (٣/ ٩٩٢)، وحياة الصحابة (١/ ٦٢٥).

(٢) الاستيعاب (٤/ ٤٤٤).

ثُبيتة بنت حنظلة الأسلمية، فمن مروياتها: كنَّا نخرج مع رسول الله ﷺ إلى الجمعة والعيدين[1].

● وبعد، فهذه لمحات من سيرة صحابية كريمة، ومجاهدة جليلة، رغبت في الآخرة فتركت الأولىٰ، فكانت من الخالدات اللواتي لهن في تاريخ الإسلام نصيب وافر، فرضي الله عنها وأرضاها.

* * *

(١) المصدر السابق.



(٦٤)
أمُّ الفضل بنت الحارث
رضي الله عنها

● زوجة العباس عمّ النبي ﷺ ضربت أبا لهب فشجَّته، وهاجرت إلى المدينة، وكان ﷺ يزورها كثيراً. راوية للحديث النبوي الشريف.

أمُّ النُّجَبَاءِ:

● قال عبدُ الله بن يزيد الهلالي:

مـــا ولـــدتْ نجيبـــةٌ مِـــنْ فحـــلِ
بجبـــلٍ نَعْلمُـــه أو سَهْـــلِ

كستـــةٍ مـــنْ بطْـــن أمِّ الفَضْـــلِ
أكـــرمْ بهـــا مـــن كهْلـــةٍ وكهـــلِ

عـــمّ النّبـــي المصطفـــى ذي الفضـــل
وخـــاتـــمِ الـــرُّسْـــلِ وخيـــر الـــرسـلِ

● أمُّ الفَضْل بنت الحارث بن حَزن الهلاليّة[1] رضي الله عنها؛ قال عنها الذّهبيُّ رحمه الله: الحرّةُ الجليلةُ زوجة العبّاس عمّ النّبيِّ ﷺ، وأمُّ أولاده الرِّجال السّتة النُّجباء، اسمها لبابة[2]، وهي أختُ أمّ المؤمنين ميمونة، وخالة خالد بن الوليد وأخت أسماء بن عميس لأمها[3].

● قال الإمام النّوويُّ رحمه الله: كانت أمُّ الفَضْل من المنجبات، ولدت للعباس ستة رجال لم تَلِدِ امرأةٌ مثلهم وهم: الفضل، وعبد الله، ومعبد، وعبيد الله، وقثم، وعبد الرحمن[4]، وولدت له بنتاً اسمها أمّ حبيب.

---

(١) أسد الغابة (٥/٥٣٩)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٤)، والمعارف (ص١٢١)

(٢) «اللباب»: خالص كل شيء، يقال: فلان لباب قومه. وحسب لباب: محض. (المعجم الوسيط)

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٤).

(٤) من الجدير بالذكر أنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاء الإخوة ماتَ في بلد بعيد عن الآخر. وقد قيل: ما رأينا مثل بني أمّ واحدة أشراف ولدوا في دار واحدة أبعد قبوراً من بني أمّ الفضل.
فأما الفضل فمات بأجنادين شهيداً. وعبد الله بالطائف. وعبيد الله باليمن.=

● وعن إسلامها مع المبكرين قالوا:

إنَّ أمَّ الفضل أسلمتْ بعد أمِّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها[1]. وهناك سندٌ وثيق يؤيد هذه المقولة ذكره ابنها عبد الله رضي الله عنهما فقال: كنتُ أنا وأُمِّي ـ بمكة ـ من المستضعفين من النِّساء والولدان[2].

● وقد أسلمت أمُّ الفضل قبل زوجها العبَّاس رضي الله عنهم. ومن الطَّريف ما قاله ابن الجوزي رحمه الله: ليس في الصَّحابيات من كنيتها أمُّ الفضل إلا زوج العبَّاس[3].

مِـنْ مَـكَـارِمِهَـا:

● لما كانت أمُّ الفضل رضي الله عنها حاملاً بابنِهَا عبد الله، كان النَّبيُّ ﷺ محاصراً في الشِّعب[4] مع بني هاشم، فجاءه العبَّاس وقال: يا محمَّد أرىٰ أمَّ الفَضْل قد اشتملتْ على حَمْل، فقال ﷺ: «لعلَّ الله أنْ يقرَّ أعينكم».

● ولما ولدت أمُّ الفضل عبد الله، أتوا به رسول الله ﷺ فحنكه بريقه

= وعبد الرحمٰن بإفريقية، وقثم بسمرقند. (الطبقات ٤/ ٦)، و(البداية والنهاية ٨/ ٣٠٩).

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٨٥)، والإصابة (٤/ ٤٦١)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٩)، والسيرة الحلبية (١/ ٤٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ١٩٢)، وانظر مختصر تفسير ابن كثير (١/ ٤١٤)، وتفسير الخازن (١/ ٥٥٩).

(٣) عن السيرة الحلبية (٢/ ٤٤٤). والواقع أنه يوجد ثلاث صحابيات بهذه الكنية انظر أسد الغابة والإصابة.

(٤) «الشِّعب»: بكسر الشِّين. كان منزل بني هاشم غير مساكنهم، ويُعرف بشعب أبي يوسف، وهو الشعب الذي أوىٰ إليه رسول الله ﷺ وبنو هاشم لما تحالفت قريش على بني هاشم وكتبوا الصَّحيفة، وكان مولد سيدنا عبد الله بن عبَّاس في هذا الشِّعب قبل الهجرة بثلاث سنين عدداً. (سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٢).

الشَّريف، وفي هذا قال الإمام مجاهد رحمه الله: فلا نعلمُ أحداً حنّكه رسول الله ﷺ بريقه غير ابن عباس[1].

● وكانت أمُّ الفَضْل من فصيحات نساء قريش، فكانت ترقِّص ابنها عبد الله بن العبَّاس وتقول:

ثكلـــتُ نفســـي وثكلـــتُ بِكْـــري[2]
إنْ لـــم تَسُـــدْ فِهْـــراً وغيـــر فهـــرِ
بـــالحســـبِ العـــدِّ[3] وبـــذلِ الـــوَفْـــرِ
حتـــى يُـــوارىٰ فـــي ضـــريـــحِ القبـــرِ[4]

● وقرّتْ عينُ أمِّ الفضل بابنها عبد الله فكان حَبْر الأمة، وفقيه عصره، وإمام التَّفسير حتى كان يُسمى البحر لكثرة علمه وكرمهِ رضي الله عنه.

● ونجابة الأولاد من المكارم العظيمة على أمّ الفضل رضي الله عنها، ولله در من قال:

نِعَـــمُ الإلـــه علـــى العبـــاد كثيـــرة
وأتمهـــــنّ نجـــــابـــــةُ الأبنـــــاء

مِـنْ مَـوَاقِـفِهَـا المُـشَـرَّفَـةِ:

● لما توفيتْ أمُّ المؤمنين خديجة رضوان الله عليها، غسَّلَتْها أمُّ أيمن وأمُّ الفضل رضي الله عنهما، وكانت أمُّ الفَضْل خير عون لرسول الله ﷺ في تلك الفترة.

● وعندما هاجر النَّبيِّ ﷺ إلى المدينة بقيت أمُّ الفضل مع زوجها العبَّاس بمكةَ، ولكنَّها ظلتْ تتقصىٰ أخبار النَّبيِّ ﷺ، وكان لها موقفٌ مشرِّفٌ بمكةَ عقب غزوة بدر، إذ صدَّتْ أبا لهبٍ وضربته فجرحته، وذلك في قصة رائعة

---

(١) عن البداية والنهاية (٨/ ٢٩٨) بتصرف.
(٢) «بكري»: بكرها الفضل وبه تكنى.
(٣) «الحسب العدّ»: القديم.
(٤) شاعرات العرب (ص٣٢٠).

رواها أبو رافع مولى رسول الله ﷺ فقال:

● كنتُ غلاماً للعبَّاس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمتْ أمُّ الفضل وأسلمتُ. وكان أبو لهب ـ عدو الله ـ قد تخلّفَ عن بدر، فلما جاء الخبر عن مصَاب أصحاب بدر من قريش، كبَتَه ـ أذلّه ـ الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزّاً.

وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القِداح، أنحتُها في حجرة زمزم، وعندي أمّ الفَضْل جالسةً، وقد سرّنا ما جاء من نَصْرِ الله للمسلمين، فجاء أبو لهب، ولم يصدِّقْ أنباءَ النَّصر، وجاء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب[1]، فقال أبو لهب: إليَّ يابن أخي، ما خبر النَّاس؟.

فقال: ما هو إلا أنْ لقينا رجالٌ حتى منحناهم أكتافنا، ولقينا رجالٍ على خيلٍ بلْقٍ بين السَّماء والأرض.

فقلتُ: تلك الملائكة. فلطمني أبو لهب لطمة شديدةً، وطفَقَ يضربني، فقامت أمُّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرةِ فأخذته فضربته به ضربة فشجَّتْ رأسه شجة منكرة، وقالت: تستضعفه أنْ غابَ عنه سيِّدَهُ. فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماهُ الله بالعدَسَة فقتلته[2].

فلله درُّ موقِف أمّ الفضل هذا، فأكرم بها وبموقفها!

المَكَانَةُ العُلْيَا:

● قال الذَّهبيُّ رحمه الله: كانت أمُّ الفَضْل مِن عِلْية النِّساء[3].

وقال ابن سعد رحمه الله: إن أمّ الفضل هاجرت إلى المدينة بعد إسلام

---

(١) اقرأ سيرة الصّحابي الجليل: «أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب» في كتاب «رجال مبشرون بالجنة»(٢/ ١٨٩).

(٢) عن السّيرة النبوية (١/ ٦٤٦ و٦٤٧)، والطبقات (٤/ ٧٣ و٧٤)، وتاريخ الطبري (٢/ ٣٩ و٤٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٦٦و٦٧)، والسيرة الحلبية (٢/ ٤٤٤ و٤٤٥) بتصرف.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٥).

زوجها العبّاس، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويأتي بيتها كثيراً[١].

● وقد حظيتْ أمُّ الفضل رضي الله عنها بمكانة خاصةٍ عند النّبيِّ ﷺ، لما فيها من صفات خيّرة، وفي مقدمتها الإيمان والتُّقىٰ، كما كانت صوّامة قوّامة. قال ابنُ الجوزي رحمه الله: كانت تصومُ الإثنين والخميس.

● وكان النَّبيِّ ﷺ يزورها ويقيلُ في بيتها، وذات مرة، أخبرته بحُلمٍ رأته فقالت: يا رسول الله، رأيتُ كأنَّ عضواً من أعضائِك في بيتي.

قال: «خيراً رأيتِ، تلدُ فاطمة غلاماً وترضعيه بلبان ابنك قثم»، فولدت فاطمة الحُسين وأرضعتهما أمّ الفضل، وكان قثم أخا الحسين من الرّضاعةِ، وكان يُشَبَّه بالنَّبيِّ ﷺ.

● وممّا يضاف إلى مكانة أمّ الفضل، أنَّ كعب بنَ الأشرف اليهوديَ كان يؤذي رسول الله والمسلمين، ويحرضُ النَّاس على حربهم، وجعل يشبِّب بأمِّ الفضل[٢] وبغيرها من نساء المسلمين حتى اشتدَّ أذاه، فانتدب له رسول الله ﷺ محمَّد بن مسلمة[٣] وثلة من الصَّحابة فكفوه شرّه[٤] وبذلك قطعوا دابر فتنته، وأراحوا منه المسلمين.

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٧٨).

(٢) ذكر الطّبري ـ رحمه الله ـ في تاريخه سبعة أبيات لكعب بن الأشرف شبب فيها بأمّ الفضل وأولها:

أراحــل أنــتَ لــم تـرحــلْ لمنقبــة   وتــارك أنــتَ أمَّ الفضــل بــالحــرم

(تاريخ الطبري ٢/ ٥٣).

(٣) محمد بن مسلمة الأنصاريّ الأوسيّ الحارثيّ ـ أبو عبد الله ـ صحابيّ جليل، شهد بدراً وأُحداً، والخندق والمشاهد كلها مع النّبيِّ ﷺ، استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوة تبوك. له رواية، اعتزل الفتنةَ، وأخباره مشهورة تشهد بفضله، توفي بالمدينة في صفر سنة (٤٣هـ) رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٩٢).

(٤) انظر في هذا البداية والنهاية (٤/ ٨).

الـرَّاوِيَـةُ الفَـقِيهَـةُ:

● أسفرتِ الصُّحبةُ النَّبويَّة لأم الفضل بحصيلة حديثيةٍ رائعةٍ، إذ روت عن النَّبيِّ ﷺ ثلاثين حديثاً، أخرج لها في الصَّحيحين ثلاثة، واتفق البخاريُّ ومسلم لها على حديث واحد، وآخر عند البخاريّ وثالث عند مسلم[1]، وروى عنها جلّة الصَّحابة والتابعين.

قال الذَّهبيُّ رحمه الله: خرجوا لها في الكُتُب السّتة. ومن مروياته قالت: خرج إلينا رسول الله ﷺ وهو عاصب رأسه في مرضه فصلّى المغرب، فقرأ بالمرسلات قالت: فما صلاها بعد حتى لقيَ الله[2].

● وتدلّ أخبار أم الفضل رضي الله عنها، أنّها من فقيهات الصَّحابيات، من ذلك ما ثبت في الصَّحيح من حديثها أنَّ أناساً تمارَوْا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقفٌ على بعيره بعرفة فشربه[3]. وهذا الحديث يشير إلى فقهها وسعة إدراكها وفهمها رضي الله عنها.

● وقبل أن نقولَ وداعاً أمَّ الفضل، فقد ذكرتِ المصادر أنَّها ماتت قبل زوجها العبّاس، وكانت وفاتها في خلافة عثمان، وقد صلى عليها رضي الله عنهما. هذه هي أمُّ الفضل، التي كانت ترجو الفضل من الله عز وجل فأدركها الله بفضله، فرضي الله عنها وأرضاها.

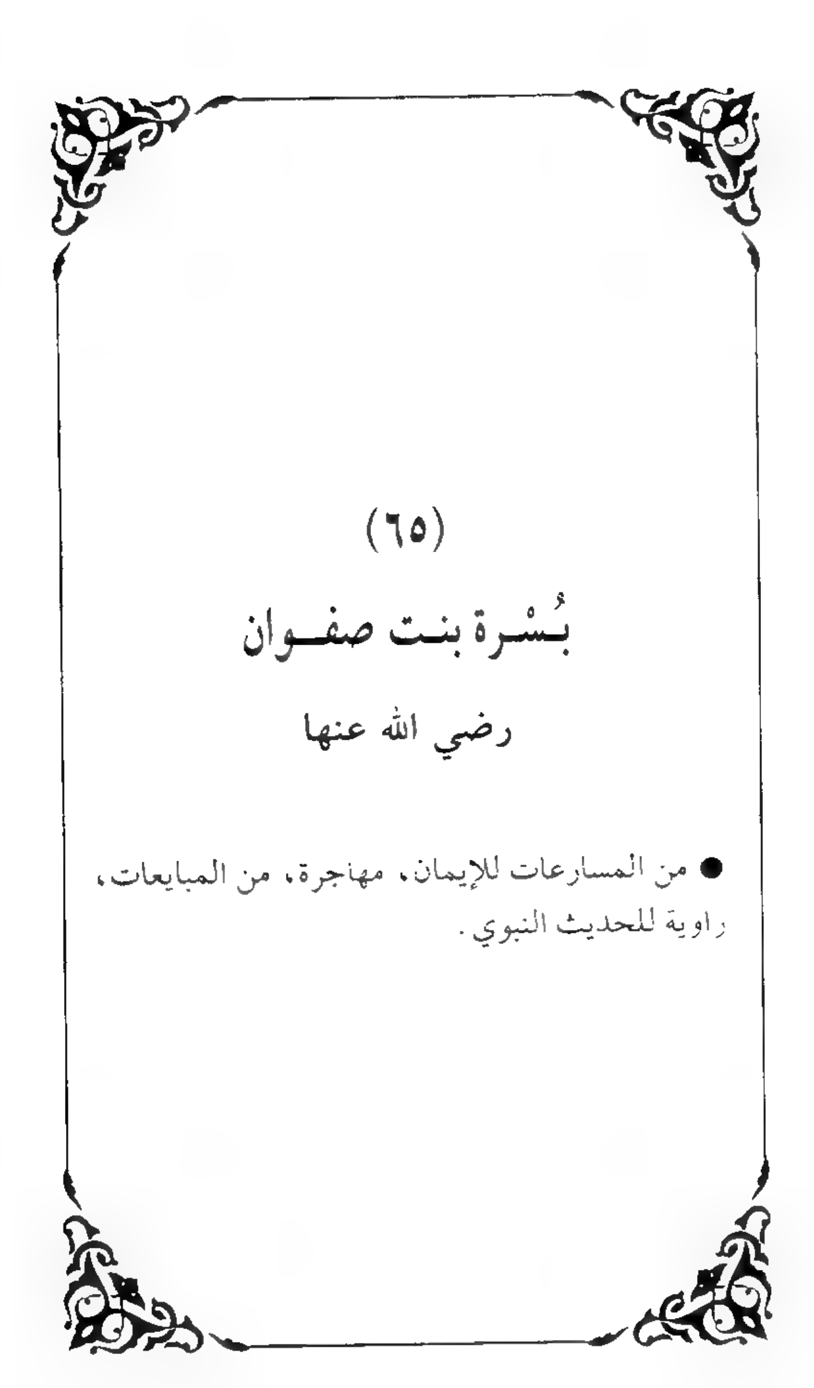
* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٥).

(٢) هذا الحديث أخرجه الأئمة الستة، وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٨٩)، وأسد الغابة (٥/ ٥٤٠).

(٣) زاد المعاد (١/ ٦١)، وانظر فيه تخريج الحديث.



(٦٥)

بُسْرة بنت صفوان

رضي الله عنها

● من المسارعات للإيمان، مهاجرة، من المبايعات، راوية للحديث النبوي.

مَـعَ نِسَـاءِ قُـرَيْـش:

● اشتهرت المرأةُ القرشيّة ـ قبل الإسلام ـ بفضائلَ جعلتها تعيشُ في جوٍّ يعترفُ بمكانتها.

ولما جاء الإسلام نَعِمَتْ بنعيمه وتوثقت مكانتها أكثر من ذي قبل، فأثْرتِ التَّاريخ في جلال حياتها، وسناء منزلتها، وعظم تضحيتها وأصبحت ذات مكانة لا تسامى، وكرامة لا تمارى. فقد رفع الإسلام عنها دياجير الظُّلم في عامة أحوالها، ومختلف أطوارها، و سجّلت نساء قريش سبْقاً مرموقاً في مجال الفضائل، فاشتهر منهن كثيرات، وفي مقدمتهن: خديجة بنت خويلد أمُّ المؤمنين، عليها سحائب الرضوان، وفاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت أسد، وأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما[1]، وغيرهن.

● وهذه امرأة قرشيّة، أخذتْ مكانتها بين نساء الصَّحابة، وحظيت بشرف الصُّحبة النَّبوية، فنالتِ السَّعادة في الدَّارين.

● فهلمّ ـ عزيزي القارىء ـ نتعرف بطاقة هذه الصَّحابية؛ إنّها بُسْرةَ بنتُ صفوانَ بنِ نوفل بن أسد القرشيّة الأسديّة[2] وهي ابنة أخي ورقةَ بن نوفل، وأمُّها سالمة بنت أمية بن حارثة السُّلميّة.

وذكر ابن حبَّان رحمه الله: أنَّ لبسرةَ هذه صلة قرابة بخديجة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها فقال: خديجةُ بنت خويلد زوج النَّبيِّ ﷺ عمَّة أبيها.

---

(١) اقرأ سير هؤلاء الصَّحابيات وغيرهن في كتابنا: «نساء مبشرات بالجنة» جزء (١ و ٢) طبعة دار ابن كثير، ففيه ما يدخل السرور إلى النفس ـ إن شاء الله ـ.

(٢) الاستيعاب (٤/ ٢٤٢)، وأسد الغابة (٥/ ٤١٠)، والإصابة (٤/ ٢٤٥). ونسب قريش (ص١٧٣).

● هذا؛ وقد اشتهرت بسرة[1] بين نساء مكة بمعرفتها بعض شؤون النِّساء، إذ كانت ماشطة تزينهنّ بمكة.

إسْـــلامُـهَـــا وهِجْـرَتُـهَـــا:

● عندما سطعَ الإسلام بنوره، كانت بسرةُ ممن سارعن إلى حلبة التَّسابق الإيماني إلى ساحة الإسلام، ورأت بثاقب عقلها ما يدعو إليه رسول الله ﷺ، ولعلَّها عرفتْ بموقف عمّها ورقة منَ النَّبيِّ ومن الدَّعوة والإسلام، فأدركتْ حقيقة هذا الدِّين، لا سيما وأنَّ عمها ورقة كان ذا معرفة واسعة بالشَّرائع و اللغاتِ، وورقة نفسه راح يشدُّ أزْر النَّبيِّ ﷺ، فأسلمتْ وصدقت، وبايعتْ قال عنها الشَّافعي رحمه الله: بسرة لها سابقة قديمة وهجرة.

● وقال ابن حبَّان رحمه الله: كانت بسرةُ بنتُ صفوان من المهاجرات.

● وقال مصعب الزُّبيري رحمه الله: كانت بسرةُ من المبايعات[2].

مِـنْ أَخْـبَـــارِ أُسْـرَتِـهَـــا:

● كانت بسرةُ زوجاً للمغيرة بن أبي العاص، فولدت له معاوية وعائشة.

● أمّا أخوها لأُمِّها فهو عقبة بن أبي معيط أحد أعداء رسول الله ﷺ، وأحد قساة الأكباد من المشركين ممن تفنّنوا وقسوا في إيذاء النَّبيِّ ﷺ؛ ولم يَرْعَوا فيه قرابة أو صلة رحم، وتخطوا حدود الإنسانية، من ذلك ما ورد في الصِّحاح وفي كتُب الطَّبقات والسير والتَّاريخ من سوء طوية عقبة هذا وخبثه ولؤمه وشدة أذيته لرسول الله ﷺ.

تقول المصادر: بينا النَّبيُّ ﷺ ساجدـ ذات يوم ـ في المسجد، وحوله ناس من قريش، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور[3] فقذفه على ظهر

---

(١) «البُسْرة»: بضم الباء وسكون السين، النبتة أول ظهورها. (المعجم الوسيط).

(٢) عن الإصابة (٤/ ٢٤٥).

(٣) «السلا»: هو اللفافة يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان ـ وهي قذرة ـ، وهي من الآدمية المشيمة.

النَّبي ﷺ فلم يرفع رأسه، فجاءت ابنته ـ فاطمة رضي الله عنها ـ فأخذته من ظهره، ودعت على مَنْ صنع هذا، ودعا عليهم النَّبي ﷺ[1].

● ولم يكن معاوية بن المغيرة ـ ابنها ـ بأرحم من خاله عقبة، إذ كان هو الآخر شديد الأذية للمسلمين.

صِـــدْقُ إيـمَـانِـهَـــا:

● ضربتْ بسرةُ رضي الله عنها مثلاً شروداً في صدق إيمانها ووقوفها بجانب الحق مهما كانتِ الظُّروفُ، فلا رَحِمَ ولا قرابة إذا كان ذلك يخالف شَرْعَ الله عزَّ وجلَّ.

● ففي غزوة بدر، وقع عقبة بن أبي معيط ـ أخوها لأمِّها ـ أسيراً في يد المسلمين، وقُتل كافراً يومذاك مع مَنْ قُتِلَ من المشركين.

● وفي معركة أحد، خرج ابنها معاوية مع صفوف الكفار لقتال المسلمين، ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يومذاك، كان من الذين مثّلوا به وبغيره من شهداء المسلمين، فأوقعه الله عزَّ وجلَّ في أيدي المسلمين، فقتله النَّبيُّ ﷺ صَبْراً مُنْصَرفَه من أحد[2]، ولحق بطائفة المشركين إلى جهنم وبئس القرار، ولما وصل الخبر إلى بَسرة لم تكترث بما حدث، بل حمدت الله سبحانه الذي خلّص المسلمين منه ومن أمثاله. وبهذا التَّصرف الإيماني ضربت بسرة أعلى أنواع الأمثلة في صفائها مع الإسلام.

بُـسْرةُ تَـــروي الحَـديْـثَ النَّبـويّ:

● اقتربت بسرة رضي الله عنها من البيت النَّبويِّ الطَّاهر، وراحت تسمع وتحفظ ما يقوله النَّبيُّ ﷺ في مجالسه، فوعتِ الحديث، وأضحت راويةً من راوياته، فقد روت عن رسول الله ﷺ أحد عشر حديثاً[3].

---

(١) الحديث صحيح رواه البخاري رحمه الله، وانظر نساء مبشرات بالجنة (٢/ ٦١ و٦٢).

(٢) نسب قريش (ص١٧٣)، وجمهرة أنساب العرب (١/ ١١٠): «صبراً»: حبساً.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٣).

● روى عنها من الصحابة: أمّ كلثوم بنت عقبة، وعبد الله بن عمرو بن العاص[1]، وروى عنها من التابعين: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزُّبير[2]، ومروان بن الحكم وغيرهم.

● وبسرةُ هي التي روتِ الحديثَ المشهور: نقض الوضوء من مسِّ الذَّكرَ، أخرج ابنُ سعد رحمه الله بسنده عن مروان بن الحكم قال: سمعت بسرةَ بنتَ صفوان قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا مسَّ أحدكم ذكره فليتوضأ»[3].

● وعن حياة بسرة رضي الله عنها، يذكر ابن حجر أنّها عاشت ولاية معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما.

● ومع وداع سيرة بسرة نقرأ قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ صدق الله العظيم.



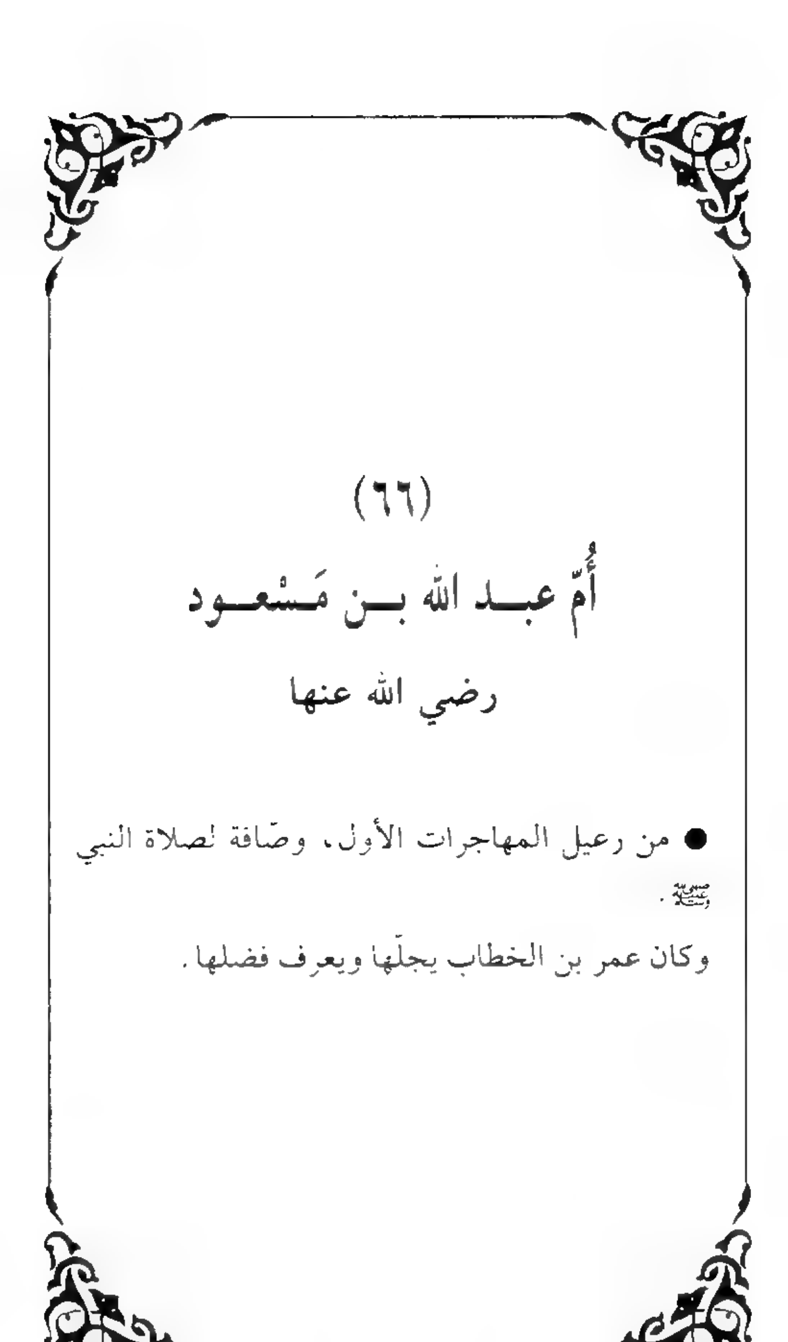
---

(١) الاستيعاب (٤/ ٢٤٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٢ و٣٣٣)، والإصابة (٤/ ٢٤٥)

(٢) عروةُ بنُ الزُّبير بن العوام القرشيّ الأسديّ المدنيّ التابعيّ الجليل، أحد الفقهاء السّبعة بالمدينة المنورة. وأمُّه: أسماءُ بنتُ أبي بكر الصِّديق، وخالته أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنهما. كان عروة بحراً في العلم. وكان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً ثبتاً. وأخباره كثيرة مشهورة؛ وهو مجمع على جلالته وعلو مرتبته ووفرة علمه. توفي سنة (٩٤هـ) رحمه الله. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٣١ و٣٣٢).

(٣) ذكر الإمام النووي رحمه الله حديثها فقال: وحديثها هذا حديث حسن صحيح قاله الترمذي.

ورواه أبو داود (١٨١)، والترمذي (٨٢)، والنسائي (١/ ١٠٠)، وابن ماجه (٤٧٩)، وهذا الحديث أخرجه كذلك الإمام مالك (١/ ٤٢)، والإمام أحمد (٦/ ٤٠٦).



(٦٦)

أُمّ عبد الله بن مَسْعود

رضي الله عنها

● من رعيل المهاجرات الأول، وصّافة لصلاة النبي ﷺ.

وكان عمر بن الخطاب يجلّها ويعرف فضلها.

أمُّ النَّجِيْبِ:

● من العناصر الطيِّبة في عصبة المؤمنين، امرأةٌ جليلة القَدْر، قديمة الإسلام، عالية الهمَة، قريبة من البيت النَّبويّ، ومن فضليات النِّسوة وعقلائهن.

● هذه الصَّحابية أمُّ أحدِ أسياد الصَّحابة ونجبائهم، سيدنا عبد الله بن مسعود الهذليّ، أول مَنْ جهر بالقرآن بمكةَ بعد رسول الله ﷺ، كان من السابقين الأولين، ومن النُّجباء العالِمِيْنَ، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، ومناقبه غزيرة، وروى علماً كثيراً؛ كان لطيفاً فطناً، تقيّاً، ورعاً، وكان معدوداً في أذكياء العلماء، وكان كثيرَ الولوج على رسول الله ﷺ.

● وأمُّه: أمُّ عبد بنت عبد ودّ بن سُويّ الهذليّة[1]، أسلمت قديماً مع المبكّرين، فهي صحابية وأمُّ صحابي جليل أسلم قديماً مع بضعة رجال، وقال في ذلك: لقد رأيتني سادس ستة ما على الأرض مسلم غيرنا.

● وأمُّ عبد الله رضي الله عنها من رعيل المهاجرات الأول[2]، وممن تركن بصمات واضحة في تاريخ نساء الإسلام.

مِنْ أَهْلِ البَيْتِ:

● كانت أمُّ عبد كثيرة التَّردد والدخول على البيت النَّبويِّ ـ وهي وابنها ـ حتى كانت تُعدّ وتُحسب من أهل النَّبيِّ ﷺ؛ فقد وَرَد في الصَّحيح من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

قدمتُ أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً لا نرىٰ ابن مسعود وأمّه إلا من أهل بيت رسول الله ﷺ؛ لما نرى من كثرةِ دخوله ودخولِ أمّه على رسول الله

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٨٩)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٨٨).

(٢) جمهرة أنساب العرب (١/ ١٩٧).

ﷺ ولزومِهِ له[1]. وفي رواية: لكثرةِ دخولهم وخروجهم عليه.

● إنَّ شهادة أبي موسىٰ الأشعري هذه، تزيد من رصيد أمِّ عبد في عالم الصَّحابيات، فأكرمْ بها!.

«إنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ»:

● اقتعدتْ أمُّ عبد هذه المكانة الرَّفيعة للمؤهلات العظيمة التي توفَّرت فيها من صدق وصفاء ونَقَاء وأدب.

● ولإسلامِ ابنها قصة شائقة تدلُّ على حسن تربيتها له، كما تشير إلى فطنته وأمانته.

● أخرج ابن سعد رحمه الله بسنده عن زِرّ بن حُبيشٍ[2] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت غلاماً يافعاً أرعىٰ غنماً لعقبة بن أبي معيط، فجاء النَّبيُّ ﷺ، وأبو بكر وقد فرّا من المشركين فقالا: يا غلامِ هل عندك مِنْ لَبَنٍ تسقينا؟.

فقلت: إنّي مؤتمنٌ ولسْتُ ساقيكما.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «هل عندك من جذعةٍ لم ينْزُ عليها الفحل؟».

قلت: نعم. فأتيتُهما بها، فاعتقلها النَّبيُّ ﷺ، ومسح الضَّرع، ودعا فحفَّل ـ امتلأ ـ الضّرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعرة، فاحتلبَ فيها فشرب أبو بكر، ثم شرب، ثم قال للضّرع: «اقْلِصْ» فقلص[3]. فأتيته بعد ذلك

---

(١) الحديث أخرجه الشيخان في الفضائل، والترمذي (٣٨٠٨)، في المناقب، وانظر الجامع للأصول (٣/ ٣٦٧ و٣٦٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٨٩).

(٢) زِرّ بن حُبيش بن حباشة الأسديّ الكوفيّ، تابعيّ كبير مخضرم، أدرك الجاهلية، وسمع عمر وعثمان وعلياً وابن مسعود وآخرين من كبار الصحابة، روى عنه جماعات من التابعين منهم الشعبي والنخعي وعدي بن ثابت، واتفقوا على توثيقه وجلالته توفي سنة (٨٢هـ) وهو ابن (١٢٠) سنة رحمه الله. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٩٦ و١٩٧).

(٣) وإلى هذه الحادثة أشار الإمام السبكي رحمه الله في تائيته المشهورة بقوله: =

فقلتُ: علمني من هذا القول ـ يعني القرآن ـ.

فقال ﷺ: «إنَّكَ غلامٌ معلَّمٌ».

فأخذتُ من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد[1].

«ابـــنُ أمِّ عَـبْــد»:

● ومكانة أمِّ عبد ذات سِمَة خاصَّة عند النَّبيِّ ﷺ، حيث كان يذكرها وابنها بقوله: «ابن أمِّ عبد»، فمن إكرامه لهما ما قاله في عبد الله: «مَنْ أحبَّ أنْ يقرأ القُرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أمِّ عبد»[2]، وقوله ﷺ: «تمسّكوا بعهد ابن أمِّ عبد»[3] وقوله أيضاً: «قد رضيتُ لكم ما رضي لكم ابن أم عبد»[4].

● ومن الأخبار الذَّهبية في هذا المجال، ما أخرجه الطَّبراني رحمه الله من حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: إنَّ رسول الله ﷺ أَمَرَ ابن مسعود أنْ يخطبَ فقام وقال:

● يا أيُّها الناس، إنَّ الله عزَّ وجلَّ ربّنا، وإنَّ الإسلامَ ديننا، وإنَّ القرآن إمامنا، وإنَّ البيتَ قبلتنا، وإنَّ هذا نبينا ـ وأومأ إلى النَّبيِّ ﷺ ـ رضينا ما رضي الله تعالى لنا ورسوله.

● فقال النبي ﷺ: «أصاب ابنُ أمِّ عبد، أصاب ابن أمِّ عبد وصدق، ورضيتُ بما رضي الله تعالى لي ولأمتي وابن أمِّ عبد، وكرهتُ ما كره الله تعالى لي ولأمتي وابن أمِّ عبد»[5].

فطوبىٰ لابن أم عبد هذا الثَّناء، وهذه الشَّهادة النَّبوية الزَّكية.

= وربَّ عناق ما نزا الفحل فوقها مسحتَ عليها باليمن فدرَّتِ

(١) الطبقات (٣/ ١٥٠ و١٥١)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٦٥) بلفظ قريب، وشذرات الذهب (١/ ١٩٥)، طبعة دار ابن كثير، والسيرة الحلبية (١/ ٤٤٩).

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ٧)، وابن ماجه (١٣٨)، وانظر سير أعلام النبلاء (١/ ٤٧٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٧٨ و٤٧٩)

(٤) المصدر السابق

(٥) عن درّ السحابة للشوكاني (ص٣٥٣).

أمُّ عَبْدٍ تَصِفُ صَلاةَ النَّبيِّ ﷺ:

● كان ابن مسعود رضي الله عنه شديدَ الحرص على معرفة صلاة الوتر عند النَّبيِّ الكريم ﷺ، وكان سبيله إلى ذلك أمّه رضي الله عنها، فكان يرسلها إلى بيت رسول الله ﷺ لتشهد صلاة الوتر، ومن ثم تأتيه بالخبر اليقين، وتصف له هذه الصَّلاة كأنَّه يراها، فقد روى ابن مسعود عن أمّه أنَّها قالت: رأيت رسول الله قَنَتَ في الوتر قبل الرُّكوع[1].

● لهذا بعثَ عبد الله أمَّه رضي الله عنهما إلى بيت النَّبيِّ الكريم ﷺ لتخبره كيف يوتر. ذكر ابنُ مسعود هذا فقال:

● أرسلتُ أمي ليلة لتبيتَ عند النَّبيِّ ﷺ، فتنظر كيف يوتر، فباتتْ عند النَّبيِّ ﷺ، فصلّى ما شاء الله أنْ يصلي حتى إذا كان آخر الليل وأراد الوتر قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ في الرّكعة الأولى، وقرأ في الثانية: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ثم قعد، ثم قام، ولم يفصل بينهما بالسَّلام، ثم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ حتى إذا فرغ كبّر، ثم قنتَ فدعا بما شاء الله أنْ يدعوهُ ثم كبّر وركع[2].

أمُّ عَبْدٍ والمُهَاجِراتُ الأُوَل:

● للمهاجراتِ الأول مكانةٌ عالية، وخصوصاً عند سيدنا عمر بن الخطاب عليه سحائب الرّضوان، فقد فرض لكل واحدة منهن ألفي درهم، ومن هؤلاء النِّسوة، صفيّة بنت عبد المطلب، وأسماء بنت عُميس، وأمُّ كلثوم بنت عقبة، وأسماءُ بنت أبي بكر الصديق[3]، وأمُّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنهن جميعاً.

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٤٥٠ و٤٥١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) اقرأ سيرهن في هذا الكتاب.

● وكان عمر رضي الله عنه يعرف فضلهن ويوصي بهن، ويحرص على البرِّ بهن، من ذلك أنَّ أمَّ عبد لما توفي ابنها عتبة بن مسعود[1] انتظرها عمر حتى جاءت فصلَّتْ عليه[2] وهذا يدلُّ على أنَّ سيدنا عمر كان يجلّها ويعرفُ مكانتها ومكانة ابنها عبد الله عند النَّبيِّ ﷺ.

● وأخيراً تشير هذه الحادثة إلى أنَّ أمَّ عبد قد عاشت إلى خلافة عمر رضي الله عنهما، ثم يسكت التَّاريخ فلا يحدثنا عن تاريخ وفاتها، ولكنَّه لم يسكتْ عن فضْلِها ونشْرِ فضائلها.

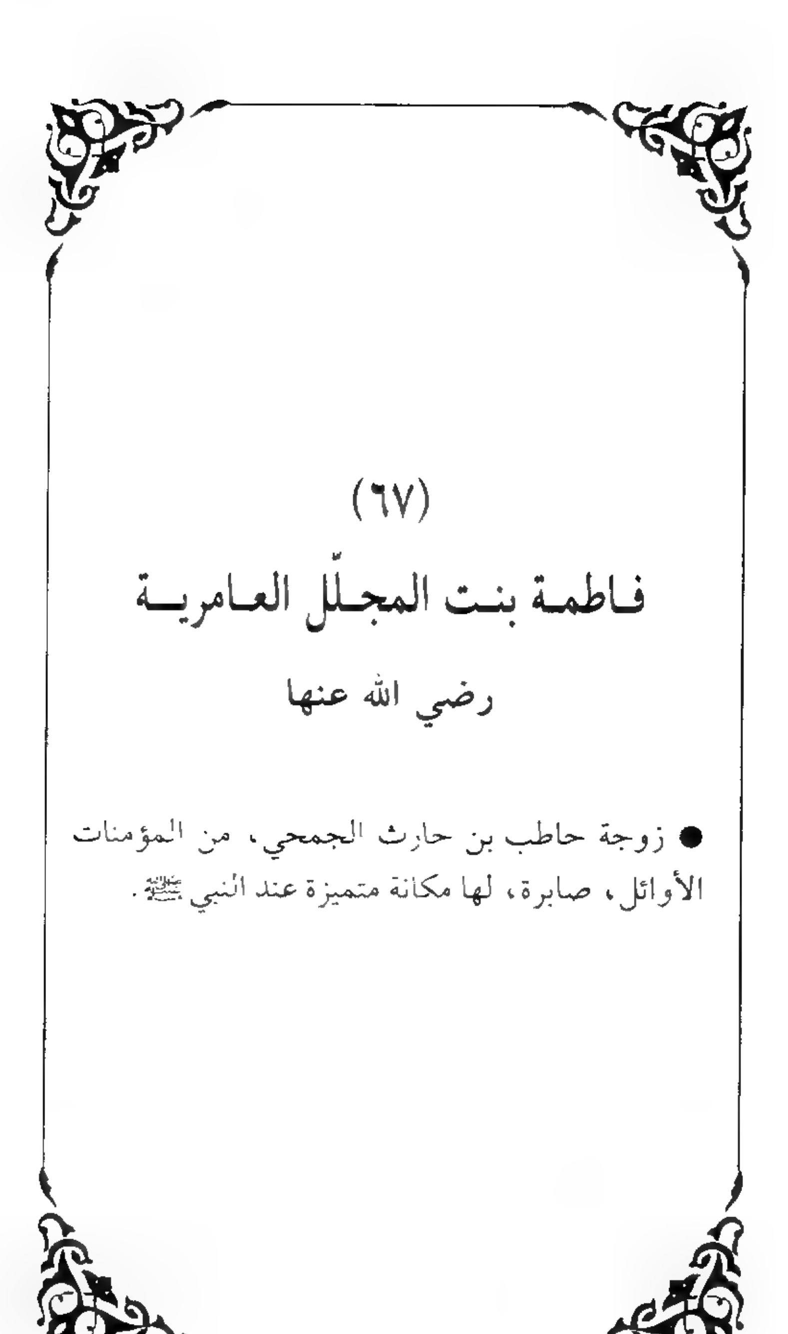
● رضي الله عن أمِّ عبد، وجعلها في الأولين في جنَّات النَّعيم، مع الفائزين.

* * *

---

(١) عتبة بن مسعود، أخو عبد الله بن مسعود، صحابي كنيته أبو عبد الله، هاجر مع أخيه عبد الله إلى الحبشة الهجرة الثانية، وقدم المدينة، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد مع النبي ﷺ، توفي عتبة في خلافة عمر رضي الله عنه، وبكاه أخوه عبد الله، وكان عتبة عالماً فقيهاً فاضلاً. وهو والد أحد فقهاء المدينة السبعة عبيد الله بن عبد الله بن عتبة. (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣١٩ و٣٢٠).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (١/ ٥٠٠).



(٦٧)

فاطمة بنت المجلّل العامرية

رضي الله عنها

● زوجة حاطب بن حارث الجمحي، من المؤمنات الأوائل، صابرة، لها مكانة متميزة عند النبي ﷺ.

مــعَ الأخْــيـــــار:

● منْ قريش تأتي هذه الصّحابية الخيِّرة.

تأتي لتأخذ مكانتها في عالم النّساء ممن خلّفنَ آثاراً وضيئة في تاريخ المرأة.

● فاطمةُ بنتُ المجلّل بن عبد الله القرشيّة العامريّة[1]، زوج حاطب بن الحرث بن معمر الجمحيّ القرشيّ المكيّ.

● وذات يومٍ سرت همساتُ الإسلام فلامست سمعَ حاطب، فاستقرّتْ حلاوته في نفسه، وداعبت شغافَ قلبه فأسلم، ثم أسلمتْ زوجه فاطمة سرّاً، فكان هذان الزّوجان من زمرة المصطفين الأخيار.

● وكان النّبي ﷺ يسرُّ إلى أصحابه تعاليم الإسلام، ويأمرهم بالاحتراز من قريش لئلا تصدّ عن ذكرِ الله وعن الإسلام. لذا كان المؤمنون يستخفون بعبادتهم عن عيون القوم خيفة أنْ يراهم أحد. إلا أنَّ أنباء الدعوة تسربتْ إلى قريش، فاندفعتْ في عداوتها إلى غير حدّ، وأسرفت في الإساءة إلى المسلمين.

● ونال الزّوجان المؤمنان نصيبهما من الأذى، وصبرا مع المؤمنين صبراً جميلاً، إلى أن أشار رسول الله ﷺ على أصحابه بالهجرة إلى بلاد الأمن ـ الحبشة ـ، فملكها لا يُظلم عنده أحد.

«والصَّـابِـريـــنَ عَلـى مـا أَصَـابَـهُــم»[2]:

● انطلقتْ فاطمة وزوجها إلى الحبشة مع ركبِ المهاجرين، وأكرم النَّجاشي ـ ملك الحبشة ـ مثواهم، وأحسن لقاءهم، فوجدوا عنده من الأمن

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٥٢٧)، والإصابة (٤/ ٣٧٣).

(٢) من الآية ٣٥ من سورة الحج.

والطّمأنينة ما فقدوه بمكةَ بين أهليهم وعشيرتهم الأقربين، فأقاموا عنده في خير مقام.

● وفي الحبشة ولدتْ فاطمة رضي الله عنها ولديها الحارث ومحمّداً ابني حاطب[(١)].

● ولم تطل حياة الصَّحابي المهاجر حاطب بن الحارث، فلحق بالرّفيق الأعلى غريباً هنالك، فحزنتْ عليه زوجه فاطمة حزناً شديداً، وكنت مثل الزَّوجة الصَّابرة، فرضيتْ بقضاء الله عزّ وجلّ، واستودعت زوجها عند الله حيث لاتضيع ودائعه، وعكفتْ على تربية ولديها الحارث[(٢)] ومحمد[(٣)]، فكانا من أبطال الإسلام، وأقامت معهما في الحبشة إلى أن عاد المهاجرون إلى المدينة المنورة سنة سبع من الهجرة.

● ومما هو جدير بالذِّكرْ في هذا المقام أنَّ أخا حاطب وهو حطاب بن الحارث الجمحي، كان من مهاجري الحبشة مع زوجه فكيهة بنت يسار، وقد توفي حطاب في الطَّريق، ولم يصلْ إلى أرض الحبشة، وتابعتْ زوجه فكيهة هجرتها إلى الحبشة، ثم هاجرت إلى مكة ثم إلى المدينة المنورة رضي الله عنها.

---

(١) وقيل: هاجر معها ابناها من مكة وكان صغيرين.

(٢) الحارث بن حاطب بن الحارث القرشيّ الجمحيّ المكيّ. الصّحابيّ بن الصّحابيّ والصّحابية، ولد بأرض الحبشة، هو وأخوه محمد، وكان الحارث أسن من أخيه، وقدم المدينة بعد غزوة بدر وهو صبيّ، واستعمل عبد الله بن الزّبير الحارث على مكة ست سنين، وكان يلي المساعي أيام مروان بن الحكم. كم كان أميراً على المدينة لمعاوية. (أسد الغابة ١/ ٣٢٢)، و(تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٠).

(٣) محمّد بن حاطب بن الحارث الصّحابي بن الصّحابي والصّحابية رضي الله عنهم، قيل: هو أول مَن سُمي في الإسلام محمداً، ولد بأرض الحبشة في الهجرة، وأرضعته أسماء بنت عميس بلبن ابنها عبد الله بن جعفر فكانا يتواصلان لذلك حتى ماتا، شهد محمد بن حاطب مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين والنهروان، وتوفي بمكة سنة (٧٢هـ). (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٩ و٨٠). و(الإصابة ٣/ ٣٥٢).

هَـذَا ابْـنُ أَخِـيْـكَ:

● للصّحابية الصّابرة فاطمة بنت المجلل مكانة متميزة عند النّبي ﷺ فقد دعا لابنها بالبركة والشّفاءِ.

● روى ابنها محمّد بن حاطب محدِّثاً عن أمِّه فاطمة قالت:

خرجتُ بك من أرض الحبشةِ، حتى إذا كنتُ من المدينة على ليلة أوليلتين، طبختُ لك طعاماً، فَفَنِيَ الحطب، فذهبتُ أطلبُ بعض الحطب، فتناولتَ القِدْر فانكفأتْ على ذراعِكَ فأصابها الحرقُ، فقدِمْتُ المدينة، فأتيتُ بك رسول الله ﷺ فقلت:

يا رسول الله، هذا محمّد بن حاطب ـ ابن أخيك ـ وهو أول مَنْ سُمي بك، وقد أصابه هذا الحرقُ فادعُ الله له.

قالت: فتفلَ رسول الله ﷺ في فمِكَ، ومسح على رأسك، ودعا لك، ثم تفل على يدك ثم دعا فقال: «أذهب الباس ربّ الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، اللهم اشف شفاء لا يغادر سقماً» أي لا يترك.

قالت: فما قمتُ بك من عنده حتى برئتْ يدُكَ[1].

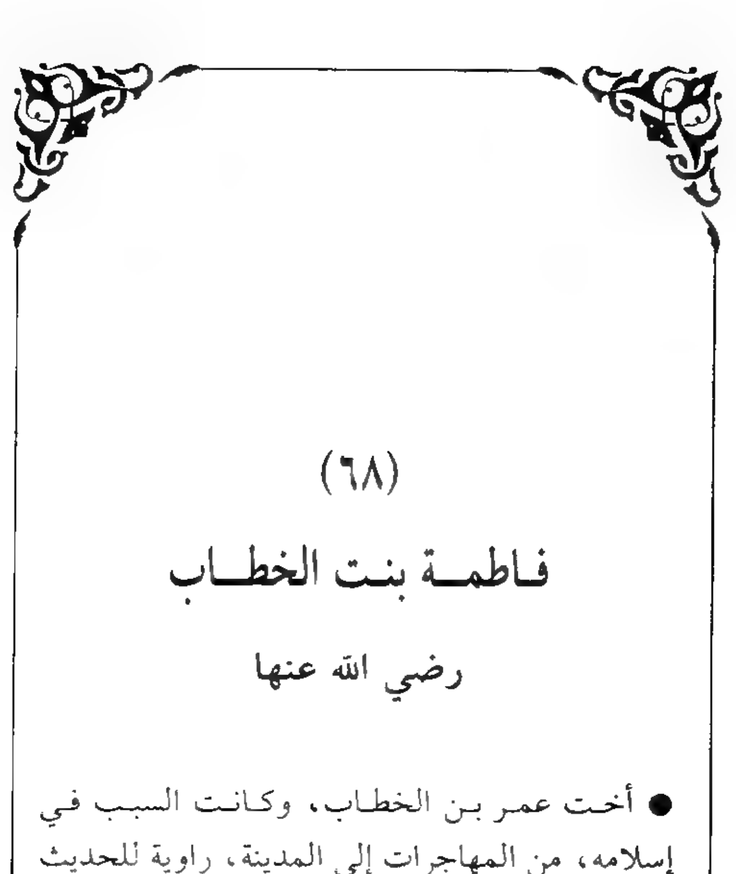
● وهكذا كان رسول الله ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، فدعا لهذه الصّحابية الصّبرة بالشّفاء لابنها وأكرم مثواها، وعرف قدرها وسابقتها في الإسلام.

● رحم الله فاطمة بنت المجلل، ورضي الله عنها وأرضاها، فقد عرفتِ الحقَّ، ومشت في طريقه، فعاشت في زمرة السُّعداء، وكتِبَ لها الخلود.

* * *

---

(١) عن أسد الغابة (٤/ ٣١٤)، والإصابة (٣/ ٣٥٢)بتصرف يسير. وانظر هذه القصة في دلائل النبوة للأصبهاني (٢/ ٦٠٢). وللحديث: «أذهب الناس...» أصل في الصحيحين، فقد رواه البخاري في الطب، باب: رقية النبي ﷺ ومسلم في السلام، باب: استحباب رقية المريض.



(٦٨)

فـاطمــة بنـت الخطــاب

رضي الله عنها

● أخـت عمـر بـن الخطـاب، وكـانـت السبـب فـي إسلامه، من المهاجرات إلى المدينة، راوية للحديث النبوي الشريف.

المُصْطَفونَ الأَخْيَار :

● السّابقون الأولون رعيل عظيم نضوا عن أنفسهم غرور الحياة الدُّنيا، وتهيّؤوا لرسالة الإسلام الكبرىٰ التي وجدوا فيها الحياة الحقيقية. وهؤلاء السَّابقون لم يكونوا من الرّجال فحسب، بل كانتِ النِّساء من السابقات أيضاً إلى الاستجابة لله عزَّ وجلَّ ولرسوله محمَّد ﷺ.

● وقد قرن الله سبحانه بين الرِّجال و النِّساء في حسن المثوبة، وادخار الأجر، وارتقاء الدّرجات العلىٰ في الآخرة، فقال عزَّ من قائل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٧٩].

● ومن بين الثُّلةِ المبكِّرة، صحابية جليلةُ القَدْرِ أسلمتْ مع تنفُّسِ صبح الإسلام قبل دخول النَّبيِّ ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه، إنَّها فاطمةُ بنت الخطاب بن نفيل القرشيّة العدويّة[1]، أخت عمر بن الخطاب، وزوجة سعيد بن زيد[2]، وأمها حنتمة بنت هاشم بن المغيرة القرشية المخزوميّة.

«أُولَـٰئِكَ المُقَرَّبُونَ»:

● اتصفتْ فاطمةُ رضي الله عنها برجاحة العقلِ، وبعد النَّظَر في الأمور، ونقاء الفطرة، وطهارة القلبِ، لذلك كان إيمانها إيماناً لا مثار فيه للريب،

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٧٠)، وأسد الغابة (٥/ ٥١٩)، والإصابة (٤/ ٣٧٠)، وتكنى فاطمة بأم جميل رضي الله عنها.

(٢) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشيّ، ولد بمكة سنة (٢٢) قبل الهجرة ـ هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها إلا بدراً عندما كان غائباً في مهمة أرسله بها النبي ﷺ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان من ذوي الرأي والبسالة، وشهد اليرموك وحصار دمشق، له ٤٨ حديثاً، توفي بالمدينة سنة (٥١) من الهجرة، وامرأته فاطمة هي ابنة عمه. (الأعلام ٣/ ١٤٦)، و(سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٤).

فقد أشربت الإيمان منذ أول عهدها به، فوجدت الله عزَّ وجلَّ ملء سمعها وبصرها، ووجدت في تصديق النَّبيِّ ﷺ الأمل الذي أخرجها من الظُّلمات إلى النُّور، لذلك كانت من المسلمات الأول، فقد ورد أنَّه أول مَنْ أسلم من النِّساء بعد خديجة رضي الله عنها، أمُّ الفضل زوج العباس بن عبد المطلب، وأسماءُ بنت أبي بكر، وفاطمةُ بنت الخطاب رضي الله عنهن[1]. وناهيك بفضيلة السَّبْق إلى الإسلام.

● وكان مشركو قريش يذيقون مَنْ آمن ألواناً من العذاب تنوء عن حمله الجبال، وكان عمر بن الخطاب يعذِّبُ أخته فاطمة على الإسلام[2]، وطالما لقي المسلمون الأذية منه، ولكنَّ فاطمة كانت من الأسباب التي غيَّرتْ مسار أخيها عمر الذي غدا أحد أسياد الصَّحابة رضي الله عنهم جميعاً.

فَاطِمَةُ وإسْلاَمُ عُمَر:

● لا يكاد الباحثُ يمرُّ على أخبار فاطمة رضي الله عنها إلا وأن يعرِّج على تلك الحادثة العظيمة التي كانت من فواتح الخير على الإسلام والمسلمين - إسلام عمر -.

ففي إسلام عمر ذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السَّمْع وهو شهيد.

● وقد بسطتِ المصادر الموثوقة قصة إسلام عمر في طياتها، وخلاصة تلك الرِّوايات - مع الجمع بينها - أنَّ عمر كان معروفاً بحدةِ طبعه وفرط عداوته لرسول الله ﷺ فخرج يوماً متوشحاً سيفه يريدُ القضاء على النَّبيِّ ﷺ، فلقيه نُعيم بن عبد الله النّحام[3]، فقال: أين تعمد يا عمر؟.

---

(١) عن السيرة الحلبية (١/ ٤٤٥).

(٢) جمهرة أنساب العرب (١/ ١٥١).

(٣) نُعيمُ بنُ عبد الله بن سيِّد القرشيّ العدويّ، صحابيّ جليل، والنحام وصفٌ له للحديث المشهور أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «دخلتُ الجنَّة فسمعتُ نحمة نعيم» و النَّحمة: السَّعْلَةُ. أسلم نعيم في أول الإسلام وكان يكتمُ إسلامه، وكان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم، وكانت له مكانة كبيرة عند النبي ﷺ. استشهد يوم اليرموك سنة =

قال: أريد أنْ أقتل محمّداً.

قال: كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة وقد قتلتَ محمّداً؟!

فقال له عمر: ماأراك إلا قد صبوت وتركتَ دينك الذي كنتَ عليه.

قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر! أنَّ أختك وختنَك ـ صهرك ـ قد أسلما، وتركا دينك الذي أنتَ عليهِ.

فمشى عمر مغضباً حتى أتاهما، وعندهما خبَّابُ بن الأرت رضي الله عنه معه صحيفة فيها ﴿طه﴾ يقرئهما إياها. فلما سمعوا حِسَّ عمر، توارىٰ خبَّاب في البيت، وأخفتْ فاطمة الصّحيفة. وكان عمر قد سمع حين دنا من البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل عليهما قال: ما هذه الهينمة[1] التي سمعتُها؟.

فقالا: ما عدا حديثاً تحدّثناه بيننا.

قال: فلعلكما قد صبوتُما. فقد أخبرتُ أنّكما تابعتما محمّداً على دينه!

فقال له صهره سعيد: يا عمر أرأيت إن كان الحقُّ في غير دينك؟.

فلم يتمالك عمر نفسه، ووثبَ على صهره فوطئه وبطش به، فقامت فاطمة فرفعَتْه عن زوجها، فنفحها بيده نفحةً فدمّىٰ وجهَها.

فقالت فاطمة: يا عمر إن كان الحقُّ في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمّداً رسول الله.

فلما رأىٰ عمر ما بأخته من الدَّم، ندم واستحى[2] وقال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه ـ وكان عمر يقرأ ويكتب ـ، فقالت له أخته وقد طمعت في إسلامه: إنَّك رجسٌ ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام فاغتسل ثم أخذ الكتاب فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

= (١٥هـ) رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٣٥ و١٣٦).

(١) «الهينمة»: الصوت الذي يسمع ولا يفهم المراد منه.

(٢) يقول الشيخ محمد الغزالي عن عمر رضي الله عنه: ما إن يثور حتى يخور.

فقال: أسماء طيبة طاهرة. ثم قرأ: ﴿طه﴾ حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! دلوني على محمد.

● وفي هذه اللحظات الصَّافية بزغ خبّاب بن الأرت من مخبئه، وأسرع نحو عمر وقال: أبشرْ يا عمر، فإنّي أرجو أنْ تكونَ دعوة الرَّسول ﷺ لك ليلة الخميس: «اللهم أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام»[1] ورسول الله ﷺ الآن في الدَّار في أصل الصَّفا.

● واتخذ عمر سبيله إلى الصَّفا حيث دار الأرقم، وهناك بين يدي النّبيّ الكريم ﷺ يعلن إسلامه، ويكبِّر المسلمون تكبيراً تهتز لها مكة. فقد أثار إسلامه ضجةً بين المشركين بالذلةِ والهوان، وكسا المسلمين عزَّةً وشرفاً وسروراً[2].

● وقرّتْ عينُ فاطمة بإسلام عمرَ الذي انتقل من أقصى مجاهل الوثنية، إلى أقصى رحاب الهدى ودين الحقّ، واكتسى بسربال الإسلام، وكان إسلام عمر في ذي الحجة سنة ست من النّبوةِ بعد ثلاثة أيامٍ من إسلامِ حمزةَ بن عبد المطلب رضي الله عنه وعن عمر.

● ومن الطَّريف أنَّ أحمد شوقي قد نظم نظماً جميلاً دور فاطمة بنت الخطاب في إسلام أخيها عمر رضي الله عنهما، نقتطف بعضاً منه:

ثـــارَ إلـــى حيـــثُ النبـــيُّ مُـــوعِـــدا
ومُبْـــرِقـــاً بسيفـــهِ ومُـــرْعِـــدا

---

(١) وقد ربح الإسلام أحبَّ الرجلين إلى الله عزَّ وجل.

(٢) انظر القصة بصور متقاربة في المصادر التالية: سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣ و٣٤٤ و٣٤٥)، وعيون الأثر (١/ ١٥٩-١٦٠)، والسيرة الحلبية (١/ ٤٠-٤١)، وانظر الطبقات (٣/ ٢٦٧ و٢٦٨)، وأسد الغابة (٤/ ٥٢ و٥٣)، وصفة الصفوة (١/ ٢٦٩ و٢٧٠ و٢٧١)، والبداية والنهاية (٣/ ٧٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ١٧٤ و١٧٥)، وغيرها من المصادر.

فجـــاءه مُـــوحِّـــدٌ[1] مـــن الـــزُّمـــرْ
وقـال جـيءْ أهلـكَ فـانظـرْ يـا عمـرْ

وحَّــــدت الله ابنــــة الخطــــابْ
وآمــن السعيــدُ فــي الأخطــاب[2]

فجـــاءهـــا معتـــزمَ الشِّـــراسِ
وكـــان صلبـــاً خشـــنَ المِـــراسِ

فـــراعـــه مـــن الخبـــاءِ هينمـــةْ
وصـــوتُ مستخفيـــة مـــرنِّمـــهْ

فقـال: مـا أسْمَـعُ؟ قـالـت: ﴿طه﴾
فلـــم يصـــوِّبهـــا ولا خطَّـــاهـــا

وقـال وعـرفـانُ الصَّـوابِ مكْـرُمـهْ:
فـاطـمُ هـذا مَنْطـقٌ مـا أكـرمـهْ!

وانســـتْ سكينـــةُ الحـــواري
مِـــنْ رجـــلٍ فـــي صحـــوه سَـــوَّار[3]

كحمَـــلٍ مـــدلَّـــلٍ صـــار الأســـدْ
والصَّـارمُ المسلـول عـاد كـالمَسَـدْ[4]

فجـــاء نـــادي النَّبـــيِّ فـــاهتـــدىٰ
وكبَّـــر الهـــادي وهـــلَّ المنتـــدى[5]

فَـاطِمَـةُ فـي شِعْـرِ عُـمَـرَ:

كان للقرآن الكريمِ كبير الأثَرِ في نفْسِ سيِّدنا عمر رضي الله عنه، فقد

---

(١) «الموحِّد»: المقصود به نعيم بن عبد الله النحام.

(٢) «الأخطاب»: جمع خاطب، وهو الذي يخطب المرأة، والمراد به سعيد بن زيد بكونه خطب فاطمة أخت عمر.

(٣) «السوّار»: ذو الحدة والشدة.

(٤) «المسد»: حبل من ليف.

(٥) انظر دول العرب وعظماء الإسلام (ص٣٩ و٤٠).

توقَّفَ مليّاً عند آياته التي هي شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين، وبالقرآن تتحلىٰ المسامع والأفواه، وفيه ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، إذ رقَّتْ ألفاظه وراقتْ معانيه فأزالتِ الغوامضَ التي كانت تعتملُ في نفس عمر، فصفَتْ نفسه وأشرقتْ بمعانيه الغرّاء، وقال عندما تلا صدراً من سورة﴿طه﴾: لا ينبغي لمن هذه آياته أن يكون له شريكٌ يُعْبَدُ معه.

● وذكر السُّهيلي ـ رحمه الله ـ أنّ سيدنا عمر قال حين أسلم هذه الأبيات، وفيها يذكر أخته فاطمة وكيف مَنَّ الله عليه بالإسلام:

الحمــدُ لله ذي المــنِّ الــذي وجبــتْ
لــه علينــا أيــادٍ مــالهــا غيــر

وقــد بــدأنــا فكــذّبنــا فقــال لنــا
صــدق الحــديــث نبــيٌّ عنــده الخبــر

وقــد ظلمــتُ ابنــةَ الخطّــابِ ثــم هــدىٰ
ربــي عشيــةَ قــالــوا: قــد صبــا عمــر

وقــد نــدمــتُ علــى مــا كــان مــن زلــلٍ
بظلمهــا حيــن تُتلــىٰ عنــدهــا السُّــور

لمــا دعــت ربَّهــا ذا العــرش جــاهــدة
والــدّمــعُ مــن عينهــا عجــلان يبتــدر

أيقنــتُ أنَّ الــذي تــدعــوه خــالقهــا
فكــاد تسبقنــي مــن عبــرة درر

فقلــت: أشهــد أنَّ الله خــالقنــا
وأنّ أحمــد فينــا اليــوم مشتهــر

نبــيُّ صِــدْقٍ أتــى بــالحــقِّ مــن ثقــةٍ
وافــي الأمــانــة مــا فــي عــوده خــور[1]

---

(١) انظر الروض الأنف على هامش السيرة النبوية (٢/ ١٠٠).

«ولنِعْمَ دارُ المتَّقِيْنَ»:

● لما بدأتْ طلائعُ المسلمين تهاجر إلى المدينة المنورة، كانت فطمةُ بنت الخطاب بصحبة زوجها سعيد بن زيد رضي الله عنهما في عداد المهجرين الأولين؛ وفي المدينة ظلتْ فاطمة تتابع الأحداث الإسلامية يوماً بعد يوم وتشارك في بناء صرح الإسلام ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، كما أنَّها ظلتْ تنهلُ من المعين النَّبويِّ الصَّافي شيئاً كثيراً.

● ذكر ابنُ الجوزي رحمه الله أنَّها روت عن رسول الله ﷺ، ولا يُحصى قَدْر ما روت، ولم يُذْكَرَ لها شيء في الصَّحيح.

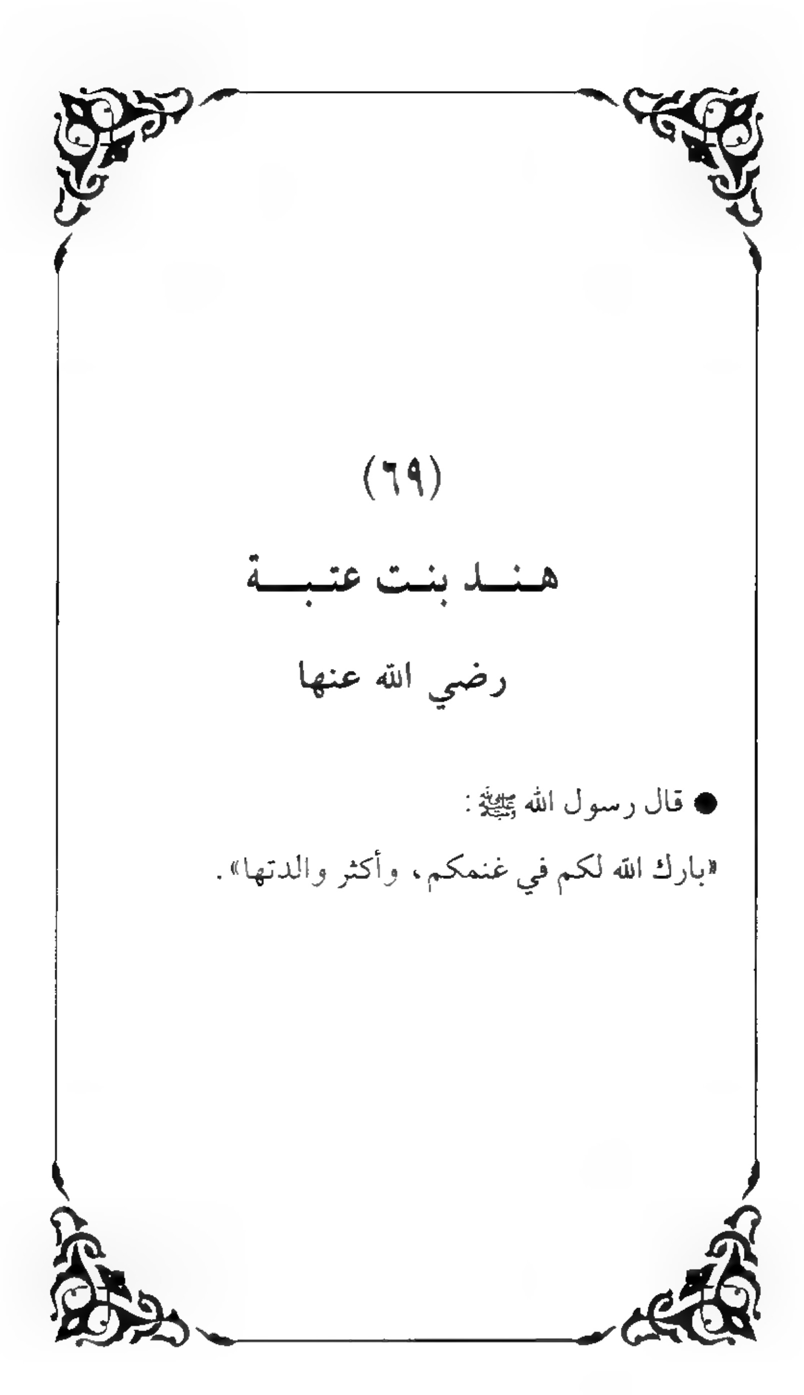
● غير أنَّ ابن حجر رحمه الله قد أورد في الإصابة حديثاً لفاطمة بنت الخطاب أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزالُ أمتي بخير ما لم يظهر فيهم حبّ الدُّنيا في علماء فسّاق وقرّاء جهّال وجبابرة، فإذا ظهرت خشيتُ أن يعمهم الله بعقاب»[١].

● رضي الله عن فاطمة وعن أخيها وزوجها، وجعلهم في مستقر رحمته في الجنة، ولنِعْمَ دار المتقين.

* * *

---

(١) الإصابة (١/ ٣٧٠).



(٦٩)

هـنـد بنت عتبـة

رضي الله عنها

● قال رسول الله ﷺ:

«بارك الله لكم في غنمكم، وأكثر والدتها».

«وجَـــاءَ الحَـــقُّ»:

● عشرون عاماً لم يخشعْ قلبها لذكرِ الله وما نزل منَ الحقِّ.

● عشرون عاماً قضتْها هذه المرأةُ في عداوة مفرطة لرسول الله ﷺ وللإسلام والمسلمين، لم تتوقفْ مرّةً خلالها عن إظهار العداوة، كانت تجودُ بحليِّها وذهبها في سبيل الصّدّ عن الإسلام، فهل رأيتم امرأة تجودُ بأثمنِ ما تملكه من متاع وزينة ـ وهي ضنينةٌ بهذا ـ لتصدَّ عن سبيل الله عزَّ وجلَّ بكلِّ ما أُوتيتْ من حيلة؟ حتى إنَّ رسول الله ﷺ أهدر دمها!.

● هذه المرأة نفسها فازت مع الفائزين لما جاء الحقُّ وزهقَ الباطل، وكان شرْكُها نَسْياً مَنْسياً، وكانت من أصنامها في غرور.

● وهذه المرأة هي هندُ بنتُ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية القرشية[1]، إحدى نساء العرب اللاتي كان لهن شهرة عالية قبل الإسلام وبعده؛ وهي أمُّ الخليفة الأمويَ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

● كانت هند زوجةً للفاكه بنِ المغيرة المخزوميّ، أحد فتيان قريش، فعانتْ من سوء رأيه ما حملَها على فراقه، وذلك في خبرٍ طويلٍ طريفٍ من أخبار الجاهلية[2]. ثم خلَفَ عليها أبو سفيان بن حرب[3]،

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٤٠٩)، وتاريخ دمشق (ص٤٣٧) تراجم النساء، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٧)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٢٩٨)، والإصابة (٤/ ٤٠٩).

(٢) انظر الخبر بطوله في: تاريخ دمشق (ص٤٤٠ و٤٤١)، والعقد الفريد (٦/ ٨٦ ـ ٨٨)، ومجمع الزّوائد (٩/ ٢٦٧ و٢٦٨)، والسيرة الحلبية (٣/ ٤٤ و٤٥)، وغيرها من المصادر.

(٣) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية القرشيّ الأمويّ المكيّ، أسلم زمن الفتح، وكان شيخ مكة إذ ذاك ورئيس قريش، وشهد حُنيناً، وأعطاه النّبيُّ ﷺ من الغنائم مئة بعير وأربعين أوقية، وشهد الطّائف وفُقئت عينُه، ثم شهد اليرموك. روى له البخاريُّ ومسلم حديث هرقل من رواية ابن عباس. وكان أسنّ من رسول الله ﷺ بعشر سنين، توفي بالمدينة سنة (٣١هـ) وله نحو تسعين سنة رضي الله عنه. (تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٣٩ و٢٤٠)، و(تاريخ الإسلام للذهبي =

فولدت له معاوية وعتبة.

مَـلاَمِـحُ مِـنْ شَـخْـصِـيّتِهَـا:

● كانت هند[1] إحدىٰ فرائد قريش رأياً وحزماً، وبُعْدَ همّةٍ، وحُسْنَ بيان؛ وكانت فصيحة جريئة صاحبة رأي وأنفة، قال عنها الذّهبي: كانت هند من أحسنِ نساء قريش وأعقلهن[2].

● أضفْ إلى ذلك أنّها كانت تقول الشّعر الجيّد، وأكثر ما عُرف من شعرها مراثيها لقتلىٰ بدر، وفيهم أبوها عتبة بن ربيعة سيّد من سادات قريش وذوي آرائهم، وأخوها الوليد بن عتبة، وعمّها شيبة بن ربيعة وغيرهم.

● ومما يُعْرَفُ من صفات هند، ما أُثر من حديث مروءتها في جاهليتها ـ رغم ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ ـ؛ إذ إنّها لما علمتْ بعزم زينب بنت رسول الله ﷺ على الهجرة إلى المدينة المنورة، ذهبتْ إليها في هدأةٍ من الليل، وعرضتْ عليها مساعدتها كابنةِ عمٍّ تحفظُ عَهْد القرابة، وأظهرتْ لها كلَّ مروءة وقالت: يابنة محمّد، بلغني عزمُك على الرّحيل. فحاولتْ زينب رضي الله عنها أنْ تخفيَ خبرَ هجرتها عن هند.

فقالت لها هند: لا تكذبيني فإنَّ ما بين الرِّجال لا يتعداهم إلى النِّساء[3]، فإنْ أحوجَكِ معونة من مال أو عمل، فإنَّ أولىٰ بإسعادك ابنة عمّك ـ تريد نفسها ـ.

● ولما علمتْ هند أنَّ قريشاً عرضوا لزينبَ في هجرتها، خرجت إليهم تؤنبهم على عملهم الشّائن وتهجوهم؛ وقالت لهم:

= ٣/٣٦٩ و٣٧٠).

(١) هند وهنيدة: اسم للمئة من الإبل خاصة. وهند اسم امرأة يصرف ولا يصرف؛ إن شئت جمعته جمع تكسير فقلت: هنود، وإن شئت جَمْع السلامة فقلت: هندات. وهند من أسماء الرجال والنساء. (لسان العرب مادة هند).

(٢) تاريخ الإسلام (٣/٢٩٨).

(٣) أي ما بين الرّجال من العداوة القائمة، لا شأن لنا بها نحن النساء

أفـي السّلـم أعيـاراً جفـاءً وغلظـةً

وفـي الحـربِ أشبـاه النِّسـاءِ العـوارك[1]

هِـنْـدُ ومَقْـتـلُ الأحِبَّـة:

● خرج المشركون من مكةَ، وعلى رأسهم أشرافُها، وصفوة رجالها للدِّفاع عن تجارتهم، وللقضاء على المسلمين، بعد أنْ يقيموا ببدر ثلاثاً ينحرون الإبل، ويشربون الخمر، وتسمع بهم العرب فتهابهم أبد الدَّهر، ـ هذا بزعمهم ـ.

● وكان في جيش المشركين من أقرباء هند: أبوها وأخوها وعمّها وزوجها؛ أمّا في جيش المسلمين فكان أخوها أبو حذيفة بن عتبةَ رضي الله عنه بصحبةِ مولاه سالم، وكان لأبي حذيفة موقفٌ عَطِرٌ يوم بدر، حيث دعا أباه إلى المبارزة، فقالت أختُه هند:

الأحْـولُ الأثْعَـلُ المـذمـومُ طـائـره

أبـو حـذيفـة شـرُّ النّـاس فـي الـدِّيـنِ

أمـا شكـرْتَ أبـاً ربّـاكَ مِـنْ صغـرٍ

حتـى شببـتَ شبـابـاً غيـرَ محجـونِ[2]

● وفي الحقيقةِ، فهنا موضعٌ نديٌّ لوقفةِ إعجاب بوفاء المسلمين، وعظيمِ محبتهم لرسول الله ﷺ، وإيمانهم برسالته. فها هو أبو حذيفة يتصدى لأبيه، بل وعمّه وأخيه في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

● وفي بدْءِ المعركة قُضيَ على عتبةَ وأخيه وابنه، ثم أسفرتِ المعركةُ عن مَقْتَلِ سبعين وأسْرِ سبعين، وولّى أهلُ الشِّركِ الأدبار كاسفاً بالهم، خاشعة من

---

(١) «السلم: الصّلح. «الأعيار»: جمع عير، وهو الحمار. و«النساء العوارك»: النساء الحائضات.

(٢) سير أعلام النبلاء(١٦٦/١)، و«الأثعل»: مرادف الأسنان. «المحجون»: يقال حجن العود: عطفه، والمحجن: العصا المعوجة.

الذُّلَّ أبصارُهم، لا يكاد أحدهم يلتقي نظرهُ بنظرِ صاحبه حتى يواري وجهه خجلاً وحَسْرةً وأسفاً، من سوء ما حلَّ بهم جميعاً، وكان في مقدمة المهزمين زوج هند ـ أبو سفيان ـ.

● وفرح المسلمون بنصر الله عزَّ وجلَّ، وما أفاء عليهم من المغانم، بينما أُخْبِر أهل مكة بهزيمةِ قريش ومصابها في كبرائها وأشرافها وسادتها.

● وقد ذُهِلَ المشركون هنالك أول الأَمْر، فلم يصدقوا الخبر، إلى أنْ جاءتْ فلولُ المنهزمينَ تؤكدُ صِدْقَ الخبر، فخرّوا صعقين لهول ذلك، حتى لقد حُمَّ أبو لهب، ومات كمَداً بعد سبعة أيامٍ، بينما ناحتْ نساءُ قريش ـ بعد فترة ـ شهراً كاملاً على قتلاها، فجززْنَ شَعْر رؤوسهن، وفَعَلنْ ما فعلن، فكن يُؤتى براحلةِ الرَّجل أو بفرسه فيَنُحْنَ حولها، ويندبْنَ صاحبها؛ ولم يخالف النّساء في هذا إلا هند بنت عتبة، فقد مشىٰ نساء منهن يوماً إليها فقلن لها:

ألا تبكينَ على أبيك وأخيك عمِّك وأهلِ بيتك؟.

فقالت: أنا أبكيهم فيبلغ محمّداً وأصحابه فيشمتوا بنا، ويشمت نساء بني الخزرج، لا والله حتى أثأَرَ من محمّدٍ وأصحابه! والدُّهْنُ عليَّ حرامٌ حتى نغزوَ محمّداً! والله لو أعلم أنَّ الحزنَ يذْهبُ من قلبي لبكيتُ، ولكن لا يذهبُ إلا أنْ أرىٰ ثأري بعيني من قَتَلَةِ الأحبَّةِ.

● ومكثتْ هندُ لا تقرب الدُّهن، ولا تقربُ فراشَ أبي سفيان، وتحرِّضُ النَّاس حتى كانت وقعةُ أُحُدٍ. وكانت خلال ذلك ترثي قتلاها في بدْر، فممّا قالَتْهُ في ذلك:

أبكي عميدَ الأَبْطحَيْن كليْهما
وحاميهما من كلّ باغٍ يريدُها

أبي عتبة الخيرات ويحكِ فاعلمي
وشيبة والحامي الذِّمار وليدها

أولئــك آل المجــد مــن آل غــالــب
فــي العــزِّ منهــا يُنمــى عــديــدهــا[1]

التَّهيُّـؤُ لأُحُـــدٍ:

● لم يهدأ ـ منذ بدر ـ لقريش بالٌ، فما تزال نساؤهم تذكرُ كلّ منهن في القتلى لها ابناً أو أباً أو زوجاً أو حميماً، فهي تتوجعُ له، فقرّرَ المشركونَ أَخْذَ الثَّأر، وأصرتِ النِّسوةُ من قريش على أنْ يسِرْنَ مع الرِّجال، في حين عارض بعض فرسان قريش ورجالهم منْ خروج النِّساء ومنهم صفوان بن أمية، فصاحتْ هندُ بنتُ عتبة بمَنْ يعترض خروج النِّساء، وقالت تخاطبُ صفوان:

● إنّك والله سلمت يوم بدر فرجعت إلى نسائك؛ نعم نخرج فنشهدُ القتال، ولا يردّنا أَحَدٌ كما رُدَّتِ الفتياتُ في سفرهم إلى بدر حين بلغوا الجُحْفَةَ ـ موضع ـ فقُتلتِ الأحبَّةُ يومئذ.

● وخرجتْ قريش ومعها نساؤها وعلى رأسهن هند[2] ـ وكنَّ خمس عشرة امرأة ـ وهي أشدهن على الثَّأْرِ حرقة، وسار المشركون باتجاه المدينة، وكانت هند قد وعدتْ وأغْرتْ وحشياً الحبشيَّ خيراً كثيراً وذَهَباً وحلياً، إنْ هو قتلَ حمزة بن عبد المطلب لأنّه قتل أعزَّ النَّاس عليها.

● وفي أُحُد التقى الجمعان، واستعدَّ الفريقان للقتال، فأمّا قريش فتذكر بدراً وقتلاها، وجعلتْ نساؤهن يمشين خلال صفوفهم يضربن بالدُّفوف و الطُّبول وعلى رأسهن هند بنت عتبة، ويقلن:

---

(١) شاعرات العرب(ص٤٦٨)؛ وقد ورد أن هند بنت عتبة التقت الخنساء وتذاكرتا مصيبتهما، وقالت هند هذه القصيدة تجيب بها الخنساء على قصيدة لها من الوزن والروي نفسه

(٢) من النساء اللواتي خرجن إلى أحد: برزة بنت مسعود الثقفي امرأة صفوان بن أمية، وسلامة بنت سعد امرأة طلحة بن أبي طلحة، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة امرأة الحارث بن هشام، وهند بنت منبه امرأة عمرو بن العاص وغيرهن. انظر أسماءهن في المغازي(١/ ٢٠٢و٢٠٣).

نحـــنُ بنـــات طـــارق نمشـــي علـــى النّمـــارق
إنْ تُقبلـــوا نعـــانـــق أو تُـــدبـــروا نفـــارق
فراق غير وامق

● وأمَّا المسلمون فيذكرون الله عزَّ وجلَّ ونصره، وكان النَّبيُّ ﷺ قد وضع عدداً من الرُّماة فوقَ الجبلِ، ورتَّبَ الجيش بطريقةٍ تضمنُ له النّصر ـ بإذن الله ـ مالم يخالف ذلك أَحَدٌ.

● وبدأ القتال، وبدأتِ الدائرةُ تدورُ على المشركين بادىء الأمر، فأمَّا المؤمنون حقاً ـ وكان عددهم لا يزيد على سبعمئة ـ يقاتلون ثلاثة آلاف، ورجحت كفة المسلمين، وتمزقتْ قريش، وأوشكتْ نسوتها أنْ يؤْخَذْنَ أسرىٰ ذليلات؛ وشُغِلَ بعض المسلمين بجمْعِ الغنائم. وخالف بعض الرُّماة الذين على الجبل أَمْرَ النَّبيّ ﷺ، فتبدَّلَ وَجْهُ المعركة، فاهتبل المشركون هذه الفرصة، وانقضُّوا على المسلمين الذين تركوا ما بأيديهم من الأسلاب وبدؤوا يقاتلون مرة أخرى؛ وكثُرَ القَتْل فيهم حتى بلغ السّبعين، واستشهد حمزة بن عبد المطلب وقُتِل غدراً بيد وحشي.

● وطارت قريش فرحاً بنصرها، وحسبت أنّها انتقمتْ لبدر أشد الانتقام، وكانت هند من أشدِّ القوم سروراً، فلم يكفها قَتْل حمزة رضي الله عنه، بل انطلقتْ هي والنّسوة اللاتي معها يمثّلنَ بالقتلىٰ من المسلمين أبْشعَ تمثيل، وأشنع فعْلَة، مما جعل زوجها أبو سفيان يبرأُ من تبعتِها، وأعلن أنّه لمْ يأمرْ بذلك، وإن كان قد اشتركَ فيه وقال يخاطب أحد المسلمين: أنَّه كان في قتلاكم مَثْلٌ، والله ما رضيتُ وما سخطتُ، وما نهيتُ وما أمرتُ.

● وبعد هذا عَلَتْ هندٌ على صخرة مشرفةٍ فصرختْ بأعلىٰ صوتها:

نحـــنُ جـــزينـــاكـــم بيـــومِ بـــدر
والحـــرب بعـــد الحـــرب ذات سعـــرِ
مـــا كـــان عـــن عتبـــة لـــي مـــن صبـــر
ولا أخـــي وعمّـــه وبكـــري

شفيـــتُ صـــدري وقضيـــتُ نـــذْري

شفيـــتَ وحشـــيٌّ عليـــلَ صـــدري[1]

● وانصرف المشركون عن أُحدٍ وهم مسروورون بما زال عنهم من عار بدر، وقالت هند حين انصرافها عن أحد:

رجعــتُ وفــي نفســي بــلابــل جمَّــة[2]

وقــد فــاتنــي بعــض الــذي كــان مطلبــي

ولكنّنــي قــد نلــتُ شيئــاً ولــم يكــن

كما كنتُ أرجو في مسيري ومَطْلبي[3]

إسْــلاَمُــهَــا وبَــيْــعَــتُــهَــا:

● أجمعت الروايات أنَّ إسلامَ هند بن عتبة كان يوم الفتح، بعد إسلام زوجها أبي سفيان بليلة، وحَسُن إسلامها.

● أمَّا عن قصة إسلام هند فتقول المصادر ـ مع الجمع بينها ـ: إنَّ هنداً قالتْ لأبي سفيان: إنّما أُريدُ أَنْ أتابعَ محمّداً.

قال: قد رأيتُكِ تكرهينَ هذا الحديث أمس.

قالت. إنّي والله ما رأيتُ أَنْ عُبِدَ الله حقَّ عبادتهِ في هذا المسجد قبل الليلة، والله إنْ يأتوا إلا مُصلِّينَ قياماً وركوعاً وسجوداً.

قال: فإنَّكِ قد فعلتِ ما فعلتِ فاذهبي برجلٍ من قومك معك.

فذهبتْ إلى عثمانَ ـ وفي رواية عمرَ ـ ومعها نسوةٌ ممن أسلمنْ، فذهبَ فاستأذن لها، فدخلتْ متنقّبةً متنكرةً لحَدثِها، وما كان من صنيعها بحمزةَ، فهي تخاف أَنْ يأخذَها رسولُ الله ﷺ بحَدَثِها ذلك.

فقالت: يا رسول الله، الحمدُ لله الذي أظهر الدِّينَ الذي اختاره لنفسه

---

(١) تاريخ الإسلام(٢/ ٢٠٥).

(٢) «البلابل»: الأحزان. «جمة»: كثيرة.

(٣) السيرة النبوية(٢/ ١٦٨).

لتَنْفَعَني رَحمُكَ يا محمّد، إنّي امرأةٌ مؤمنةٌ بالله مصدّقةٌ برسوله. ثم كشفتْ عن نقابها وقالت: أنا هندُ بنت عتبة.

فقال رسول الله ﷺ: «مرحباً بكِ».

فقالت: والله ما كان على الأرض أهل خباء أحبّ إليّ من أنْ يذلّوا من خبائِك، ولقد أصبحتُ وما على الأرض أهل خباء أحبّ إليّ من أنْ يعزّوا من خبائك.

فقال رسول الله ﷺ: «وزيادة».

وقرأ عليهن القرآن وبايعهن وقال: «تبايعْنني على ألاَّ تشركنْ بالله شيئاً».

فقالت هند: والله إنَّك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرِّجال وسنؤتيكَهُ.

قال: «ولا تسرقن».

قالت: والله إنْ كنتُ لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة، وما أدري أكان ذلك حلالاً لي أم لا.

فقال أبو سفيان وكان شاهداً لما تقول: أمَّا ما أصبتِ فيما مضى فأنتِ منه في حِلّ.

فقال رسول الله ﷺ: «وإنَّكِ لهند بنت عتبة».

فقالت: أنا هند بنت عتبة، فاعفُ عما سلفَ عفَا اللهُ عنك.

قال: «ولا تزنين».

قالت: يا رسول الله هل تزني الحرّة؟![1].

قال: «ولا تقتلن أولادكن».

قالت: قد ربيناهم صغاراً، وقتلْتَهُم يومَ بدر كباراً فأنتَ وهم أعلم.

---

(١) يعود استغراب هند لهذا، لأن الإماء هن اللاتي كن يُعرفن بالبغاء. وفيهن وفي ساداتهن أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[النور: ٣٣] راجع في هذا تفسير هذه الآية في تفسير القرطبي والخازن وابن كثير وغيرها من التفاسير وأسباب النزول.

فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرب.

قال: «ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن».

قالت: والله إنّ إتيان البهتان لقبيح، ولبعض التّجاوز أمثل.

قال: «ولا تعصينني في معروف».

قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أنْ نعصيَك في معروف.

فقال رسول الله لعمر: «بايعهن واستغفر لهنّ الله».

فبايعهن عمر، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النِّساء، ولا يمسّ امرأة ولا تمسّه امرأة إلا امرأة أحلّها الله أو ذات مَحْرَمٍ منه[1].

● ثم إنّ رسول الله أقرّ أبا سفيان وهنداً على نكاحِهما.

نِـعْـمَـةُ الإسْــلاَم:

● لهند بنت عتبة رضي الله عنها شخصية متميزة في عالم النِّساء، فعندما فتح الله عليها بالإسلام انمحت معالمُ الأدْران من قلبها، وأظهرتْ على أنّها امرأة من طِراز فريد في عالم الصَّحابيات؛ ففي سبيل الله عزَّ وجلَّ، وفي سبيل دينه ما غسل الدّم، وزالت الوحشة، وأُتْلفتْ نوافِرُ القلوب، وطهَّرَ الله نفسها من نزعةِ الحقدِ، وأبرأ قلبها من قرحة الغِلّ، وحسَر عن عقلها حجاب الجهل، ونزع عن إدراكها غشاء الأباطيل، فلم تعُدْ تخضعْ لعقيدة فاسدة، وطبَّقتْ هذا عمليّاً، فلمّا أسلمتْ جعلتْ تضربُ صنماً لها في بيتها بالقدّوم

---

(١) انظر الطبقات (٨/ ٢٣٦ و٢٣٧)، وتاريخ الطبري(٢/ ١٦١ و١٦٢)، والاستيعاب (٤/ ٤١١)، وتاريخ دمشق (ص٤٤٩ و٤٥٠ وما بعدها)، وأسد الغابة (٥/ ٥٦٢)، والإصابة (٤/ ٤٠٩)، والسيرة الحلبية (٣/ ٤٦ و٤٧)، وللحديث أصل في الصحاح، فقد أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: في البيوع والنفقات والأحكام، وأخرجه مسلم في الأقضية، وأبو داود (٣٥٣٢)، والنسائي (٨/ ٢٤٦)، وأحمد (٦/ ٣٩ و٥٠ و٢٠٦)، وكذلك ابن ماجه.

فلذة فلذة وهي تقول: كنّا منك ـ أو معك ـ في غرور[1].

● ويبدو أنَّ هنداً فُطِرتْ على الكرم، فبعد أنْ أسلمتْ وصدّقت، أرسلتْ بهديةٍ إلى النَّبيِّ ﷺ فدعا لها؛ فقد أورد ابنُ عساكر رحمه الله هذا فقال:

لما أسلمت هندُ بنت عتبة أرسلتْ إلى رسول الله ﷺ بهديةٍ ـ وهو بالأبطح ـ مع مولاة لها بجديَيْنِ مشويَّيْنِ وسِقَاء من جلد، فانتهتِ الجاريةُ إلى رسول الله ﷺ فسلَّمت وهو بين نسائه أمّ سلمة وزوجته ميمونة ونساء من نساء بني عبد المطلب فقالت: إنَّ مولاتي أرسلت إليكَ بهذه الهدية وهي معتذرة إليك وتقول:

إنَّ غنمنا اليوم قليلة الوالدة.

فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكم في غنمكم وأكثر والدتها»

فرجعتِ المولاةُ إلى هندٍ فأخبرتها بدعاء رسول الله ﷺ، فسُرّتْ بذلك، وكانتِ المولاةُ تقول: لقد رأينا من كثرة غنمنا ووالدتها ما لم نكنْ نرى قبْلُ ولا قريب.

فتقول هند: هذا دعاء رسول الله ﷺ وبركته، فالحمدُ لله الذي هدانا للإسلام، ثم تقول:

لقد كنتُ أرىٰ في النَّوم أنِّي في الشمس أبداً قائمة، والظّلّ مني ولا أقدر عليه، فلما دنا رسول الله ﷺ منا رأيتُ كأنّي دخلتُ الظِّلَّ[2].

مِـنْ فَـرَائِـدِ أَقْـوَالِهَـا:

● لهند رضي الله عنها أقوال جميلة قد رقَّتْ ورَاقَتْ، ساحرةُ اللفظ، آسرةُ المعنى، تدلُّ على رجاحة عقلها وحُسْن تفكيرها، وتشيرُ إلى خبرتها في ميدان الحياة، وإلى جزالة رأيها وموافقته للصَّواب، ولهذا وصفها ابنُ الأثير رحمه الله بقوله: كانت امرأة لها نفس وأنفةٌ ورأيٌ وعقلٌ.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٧)

(٢) تاريخ دمشق (ص٤٥٦و٤٥٧) بتصرف يسير.

● فمن أقوالها في المرأة: المرأةُ غلٌّ ولا بدَّ للعنقِ منه، فانظرْ مَنْ تضعه في عنقك[1].

وقالت: إنّما النِّساءُ أغلالٌ فليتخذِ الرَّجلُ غِلاً ليده.

● وكانت هند رضي الله عنها تحترم سيدنا عمر رضي الله عنه، وتنظر إليه نظرة إجلال، فلمّا ولى عمر ابنها معاوية رضي الله عنهما الشَّام قالت لمعاوية: والله يا بني إنّه لقلّما ولدتْ حرة مثلك. وقد استَنْهَضَك هذا الرَّجل. فاعتملْ بموافقتِه أحببتَ ذلك أمْ كرهته.

هنْد ومُعَاويَةُ رضي الله عنهما:

● فطَمتْ هند ابنها معاويةَ على حبِّ الفضائل وعلى الشَّهامةِ والحزْم والأنفة، وقد وصفته وهي ترقصه وهو صغير فقالت:

إنَّ بنـــيَّ معـــرقٌ كـــريـــمْ
محبَّـــبٌ فـــي أهلــهِ حليـــمْ
ليـــس بفحـــاشٍ ولا لئيـــمْ
ولا بطَخْـــرورٍ ولا شـــؤوم[2]
صخْـــرٌ بنـــي فهـــر بـــه زعيـــم
لا يخلـــفُ الظَّـــنَّ ولا يخيـــم[3]

● ومعاوية هذا نظر إليه رجلٌ وهو صغير فقال: إني أظنُّ هذا الغلام سيسود قومه!.

فقالت: ثكلتهُ إنْ كان لا يسود إلا قومه[4].

ولله درّ مَنْ قال:

---

(١) الأعلام(٨/ ٩٨).

(٢) «الطخرور»: الرجل لا يكون جلداً ولا كثيفاً، و«الطخرور»: الغريب.

(٣) «خام»: جبن ونكص.

(٤) عيون الأخبار (١/ ٢٢٤)، والعقد الفريد(٢/ ٢٨٧).

وإذا كـــانـــتِ النُّفـــوسُ كبــــاراً
تعبـــتْ فـــي مـــرادِهـــا الأجســـام

● ووصفَ معاوية أمَّه رضي الله عنهما فقال: أمَّا هند: فكانتِ امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخَطَر، وفي الإسلام كريمة الخبر.

● ومعاوية رضي الله عنه أريبُ العرب، وألمعيُّهَا، ورثَ عن أمّه هند، ما لم يرثْ عن أبيه، وكان معاوية إذا نُوزعَ الفخر بالمقدمة، وجْذب المباهة بالرأي انتسبَ إلى أمِّه، فصَدَعَ بذلك أسماع خصمه، وكثيراً ما كان يقول في سِجَالِ الفخر: أنا ابنُ هند[1].

خــاتِمَــةُ الـمَطَــاف:

● تابعتْ هند رضي الله عنها حياتها، محافظة على ما بايعتْ عليه رسول الله ﷺ؛ ولما كانت معركة اليرموك شهدتْها وحرَّضتْ على قتال الرُّوم يوم إذ[2]، وقَدِمَتْ على ابنها معاويةَ في خلافةِ عمر رضي الله عنه.

● وفي ميدان الفضائل كان لها الأثر المحمود، فقد روتْ عن النَّبيّ ﷺ، وروىٰ عنها ابنُها معاوية وعائشةُ[3] أمُّ المؤمنين رضي الله عنهما، ومما روته أنَّها قالتْ:

---

(١) أولئك هن الأمهات اللواتي انبلج عنهن فجر الإسلام، وسمت بهن عظمته، وعنهن ذاعت مكارمه، ورسخت قوائمه، فإن كان مما يذل الرجل في عصرنا أن يقال له: تربية امرأة، أو تربية أمه. أما في عصور الإسلام الزاهية، وأيامه الخالية. فكان مهبط الشرف الحر، والعز المؤثل، والمجد المكين، وقد رأينا فضليات خرجن رجالاً ملؤوا الدنيا وشغلوا الناس بأعمالهم وعلومهم ومآثرهم العظيمة. اقرأ سيرهن في هذا الكتاب من مثل: أسماء بنت أبي بكر وابنها عبد الله، وفاطمة بنت أسد وابنها علي، والنوّار بنت مالك وابنها زيد بن ثابت، وصفية بنت عبد المطلب وابنها الزبير، وأم سليم وابنها أنس بن مالك، وأسماء بنت عميس وابنها عبد الله بن جعفر، وأم أيمن وابنها أسامة، وغيرهن كثيرات رضي الله عنهن وأرضاهن.

(٢) تاريخ دمشق (ص٤٣٧)، والأعلام (٨/ ٩٨).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٧).

● قلتْ للنّبيّ ﷺ: إنَّ أبا سفيان شحيحٌ وإنَّه لا يعطيني وولدي إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلم، فهل عليّ من حَرَجٍ؟.

قال: «خُذي ما يكفيكِ وولَدكِ بالمعروف»[1].

● أمَّا عن وفاةِ هند بنت عتبة فتذكر الرّوايات أنَّها توفيتْ سنة(١٤هـ)[2] في خلافة عمر؛ في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد الصِّدِّيق رضي الله عنهما[3].

● وبعد، فهذه شذرات من سيرة هند التي قضت بضعة أعوام في ظلِّ الإسلام، ولكنَّها تركت أثراً كريماً على مدىٰ الأعوام، فرضي الله عنها وأرضاها، وأكرم مثواها، وأدخلها في رحمته إنَّه غفورٌ رحيمٌ.

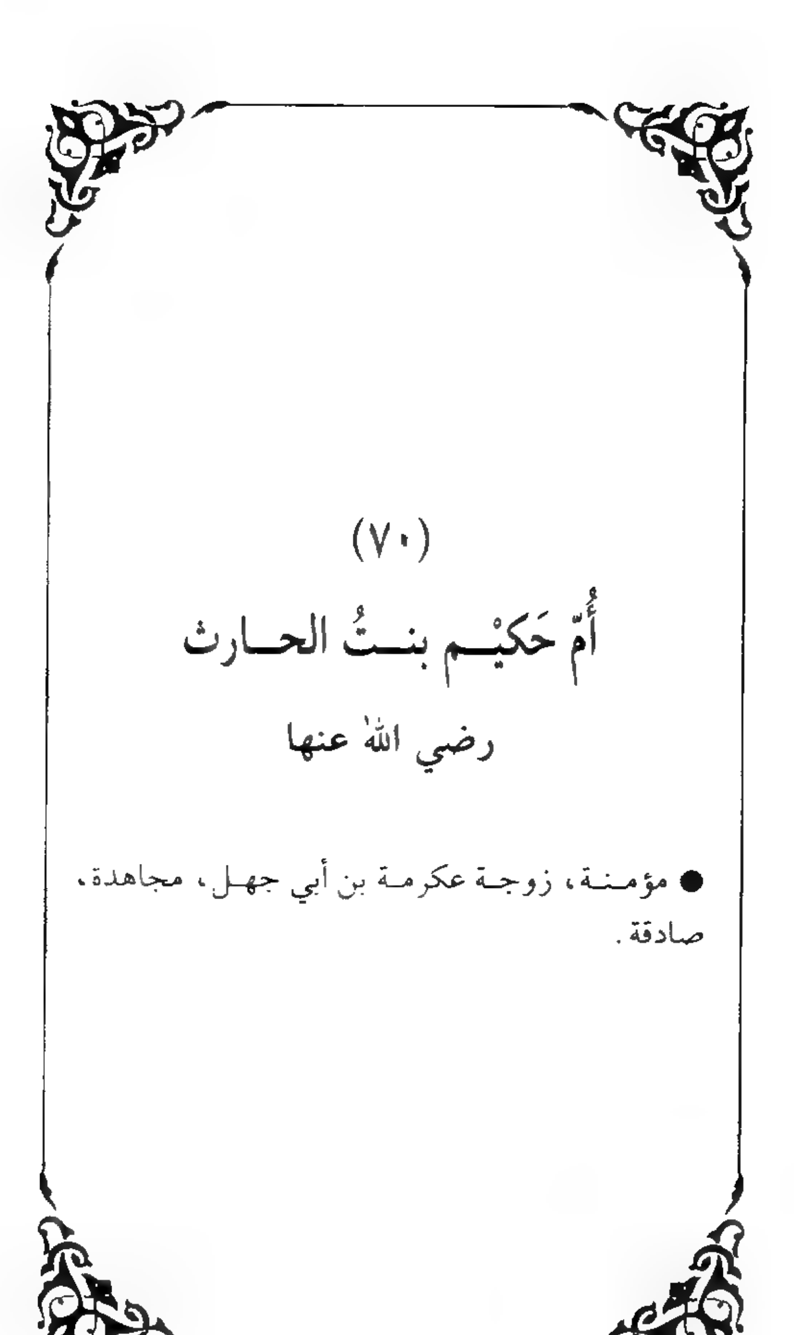
* * *

---

(١) الحديث رواه الخمسة إلا الترمذي، وانظر المسند (٦/ ٣٩)، والطبقات (٨/ ٢٣٧)، وتاريخ دمشق (ص٤٣٨).

(٢) هذه السنة توافق عام (٦٣٥م).

(٣) أسد الغابة (٥/ ٥٦٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٧).



(٧٠)

أُمّ حَكيْـم بنـتُ الحـارث

رضي الله عنها

● مؤمـنـة، زوجـة عكرمـة بن أبي جهـل، مجاهدة، صادقة.

الفَتْحُ المُبِيْن:

● ظل رسول الله ﷺ نيفاً وعشرين عاماً يَنْشُد الخير لقريش وللنّاس جميعاً، ويحاول بكلِ وسيلة أنْ يوجههم إليه، ويرغِّبهم فيه، بَيدَ أنّهم عَمُوا وصمُّوا، ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فُصّلَت: ٥].

● وبادئوه عداوةً بمودةٍ، وإساءة بإحسان، ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ [القمر: ٣]

● وقاطعوه وأخرجوه وحاربوه وألَّبوا عليه، وظلُّوا دهرهم يتربصون به الدّوائر، ويتحيّنون الفرص.

● فلما أظهره الله عزّ وجلّ عليهم، وأمكَنَه من رقابهم، عفا عن كلِّ ما سلف من مساءاتهم وعداواتهم، وكافأهم بالصَّفح الجميل والعفو الشَّامل، فكان هذا العفو فتحاً آخر، فتح الله عزّ وجلّ به أغلاقَ القلوبِ المنكرة، وطوىٰ به عنان النُّفوس المستكبرة، فغدت تفيضُ بالحبِّ والإخلاصِ، وتدينُ بالطَّاعة والولاء، وتنضوي تحت لواء رسول الله ﷺ طائعة مستسلمة، وتدخلُ في دينه راضيةً مطمئنة أفواجاً أفواجاً، وكان من بين تلك الأفواج، فوجٌ شريف الحسب والنّسب سَعِدَ بالإسلام وشرّف به، وألقىٰ مقاليدَ أموره إلى النَّبيِّ الكريم ليخرجه ـ بإذن الله ـ من الظُّلمات إلى النُّور، وتمثَّلَ هذا الفوج في صحابية كريمةٍ أسلمت يوم الفتح هي وزوجها وأبوها وأمّها.

● ومن الجدير بالذِّكرِ أنّ هؤلاء الأربعة ظلّوا يحاربون رسول الله ﷺ أكثر من عشرين سنة، إلى أنْ منّ الله عليهم بالإيمان، ومِنْ هؤلاء أمُّ حكيم بنت الحارث بنِ هشام بنِ المغيرة المخزوميّة القرشيّة[1]، إحدىٰ نساء قريش حَزْماً وفهماً.

---

(١) الطبقات (٨/ ٢٦١)، والاستيعاب (٤/ ٤٢٤)، وتاريخ دمشق (ص٥٠١) تراجم النساء، وأسد الغابة(٥/ ٥٧٧).

أُسْرَةٌ فَرِيْدَةٌ:

● أمُّ حكيمٍ من أسرة عُرفتْ بالشَّرف والسِّيادة في قريش؛

● فأبوها: الحارث بنُ هشام بن المغيرة المخزوميّ أبو عبد الرحمن، أخو أبي جهل، أسلم يوم فتح مكة، وكان سيّداً شريفاً، تألَّفَه النَّبيُّ ﷺ لحسبه بمئةٍ من الإبل من غنائم حُنَين ثم حَسُن إسلامه، ولما خرج من مكة إلى الجهادِ بالشَّام، جزع لذلك أهل مكةَ، وخرجوا يشيّعونه ويبكون لفراقه، ومات في الطَّاعون رضي الله عنه[1].

● وأمُّها: فاطمة بنتُ الوليد بنِ المغيرة المخزوميّة، أخت خالد بن الوليد، أسلمتْ يومَ الفتح، وبايعتْ ولها صحبة، وروت حديثاً واحداً عن النَّبيِّ ﷺ، وخرجت مع زوجها الحارث إلى الشَّام، واستشارها خالد في بعض أمرِهِ، وقد ولدت للحارث عبد الرحمٰن وأمّ حكيم[2] ـ ضيفتنا اليوم ـ.

● أمّا زوجُها فهو عِكْرمة بن أبي جهل بن هشام المخزوميّ القرشيّ، أبو عثمان. كان من رؤوس الجاهلية، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامه ـ وكان إسلامه بعد الفتح ـ، وقدم على النَّبيّ ﷺ فقال له: «مرحباً بالرَّاكبِ المُهَاجر».

خرج إلى الشَّام مجاهداً، وكان محمود البلاء في الإسلام، وقُتل شهيداً في أجنادين ـ وقيل باليرموك ـ سنة(١٣هـ) رضي الله عنه[3].

● وأمّا خالها فهو سيفُ الله خالد بن الوليد، وما أدراك ما خالد رضي الله عنه!.

● بين هؤلاء الأعلام وفيهم نشأتْ أمُّ حكيم، وتزوّجت ابن عمّها عكْرمة، ولما أرسل الله عزَّ وجلَّ رسوله بالهدىٰ ودين الحق، وقفتْ هذه الأسرة

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (٢/١٨٣و١٨٤).
(٢) تاريخ دمشق (ص٣٠٥ـ٣٠٧).
(٣) اقرأ سيرته بتوسع في كتابنا «رجال مبشرون بالجنة».

بمجموعها في وجه الدَّعوة الإسلامية من أول يومٍ بزغ فيه نورُ الإسلام، إلى أنْ أذِن الله عزّ وجلّ لها بالإسلام يوم الفتح، فما مِنْ معركةٍ ضدَّ رسول الله ﷺ إلا وشارك فيها هؤلاء.

● ففي أُحُد خرج الحارثُ وزوجه فاطمة، وعكرمةُ وزوجه أمُّ حكيم، وخالد بن الوليد ومجموعة من فرسان قريش، فلم يتركوا وسيلة ضد المسلمين إلا وشاركوا فيها، حتى إنَّ رسول الله ﷺ أهدر دَمَ تسعة من أكابر المجرمين، وأمَرَ بقتلهم وإنْ وُجِدوا تحت أستار الكعبة منهم زوجها عكرمة بن أبي جهل(1).

إسـلامُـهَـا وكَرَامَـتُـهَـا:

● عندما فتحَ رسول الله ﷺ مكة وقفَ موقفاً فريداً في التَّاريخ، إذْ حلَّتِ الرَّحمةُ حيثما حلَّ فشملت الصَّديقَ والعدوَّ، والمؤمنَ والكافرَ، فأخذ كلٌّ بحظِّهِ منها، كما تأخذ بقاع الأرض على اختلافها من بركات المطر، فيثمر خصبها وتلين قسوتها.

● ونزل هذا العفو الكريمُ برداً وسلاماً على تلك القلوبِ القاسية، التي طالما اضطرمتْ بالعداوة لهذه النَّفسِ الخيّرة، ولكنَّها تنبّهتْ من سباتها، واستيقظتْ على تلك اليدِ الحانيةِ التي أخرجتها منْ غرقها في موج الضَّلالاتِ، وعندما لمستْ أمُّ حكيم هذا العفو الشَّامل جاءتْ رسولَ الله ﷺ، وأعلنتْ إسلامها وبايعتْ مع نسوةٍ أُخرياتٍ جئْن معها منهن أمُّها فاطمة بنت الوليد وهندُ بنت عتبة، وفاختةُ بنت الوليد زوج صفوان بن أمية وغيرهن.

---

(1) الذين أهدر رسول الله ﷺ دماءهم: عبد العزى بن خطل، وعبد الله بن أبي سرح، وعكرمة، والحارث بن نفيل بن وهب، ومقيس بن ضبابة، وهبَّار بن الأسود، وقينتان كانتا لابن خطل كانتا تغنيان بهجو النَّبيِّ ﷺ، وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب وهي التي وجد معها كتاب حاطب بن أبي بلتعة. هذا وقد ذكر ابن حجر رحمه الله في فتح الباري(٨/ ١١ و١٢) عدداً آخر من الرجال والنساء ممن أهدر النبي ﷺ دماءهم.

● ومنذ أنْ أسلمت أمُّ حكيم حظيتْ بالتكريم من رسول الله ﷺ، وكان لها كرامتها ومكانتها المتميزة بين النِّساء.

«صَـــدَقَــتْ فــأَنْــتَ آمِـــنٌ»:

● كانت أمُّ حكيم سبباً في إسلام زوجها عكرمة الذي فرَّ إلى اليمن، فأتتْ أمُّ حكيم رسول الله ﷺ فاستأمَنَتْه لعكرمة فأمنَهُ. ثمّ استأذنَتْه في طلبه فأَذِنَ لها، فخرجتْ في طلبه حتى أدركته باليمن، فقالت: يابن عم، جئتُك من عند أول النَّاس، وأبرِّ النَّاس، وخيرِ النَّاسِ، لا تهلِكْ نفسك؛ ثم قالت: إنِّي قد استأمنتُ لكَ رَسول الله ﷺ.

قال: أنتِ فعلتِ؟.

قالت: نعم، أنا كلمتهُ فآمَنَكَ.

فرجع معها، فلمّا دنا عكرمةُ من مكةَ قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «يأتيكُم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً، فلا تسبّوا أباه فإنَّ سبَّ الميِّتِ يؤذي الحيّ ولا يبلغ الميّت».

وجعل عكرمةُ يطلب امرأته يجامعها فتأبىٰ عليه وتقول: إنَّك كافرٌ وأنا مسلمةٌ.

فيقول: إنَّ أمراً منعكِ مني لأمرٌ كبير.

فلما رأى النَّبي ﷺ وثبَ إليه، وما على النَّبيِّ ﷺ رداء فرحاً بعكرمة. ثم جلس رسول الله ﷺ، فوقف بين يديه ومعه زوجته متنقِّبة.

فقال: يا محمّد، إنَّ هذه أخبرتني أنَّك آمَنْتَنِي.

فقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَتْ فأنْتَ آمِنٌ».

فقال عكرمة: أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله.

● وطأطأ عكرمةُ رأسه من الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسألني اليوم شيئاً أعطيهِ أحداً إلا أعطيتُكَه».

قال عكرمة: فإنّي أسألك أنْ تستغفرَ لي عن كلِّ عداوة عاديتكها.

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر له كلَّ عداوة عادانيها أو مركب أوْضَعَ فيه يريد أنْ يصدّ عن سبيلك».

وردّ رسول الله ﷺ عليه امرأته بالنِّكاح الأولِ، ثم قال عكرمة: أمَّا والله يا رسول الله، لا أدعُ نفقة كنتُ أنفقها في الصَّدِّ عن سبيل الله، إلا أنفقتُ ضِعْفَهُ في سبيل الله، ولا قاتلتُ قتالاً في الصَّدِ عن سبيل الله إلا أبليتُ ضعفه في سبيل الله[1].

وحَسُنَ إسلام عكرمة وزوجه أمّ حكيم رضي الله عنهما، وعاشا في الإسلام يقومان بواجبهما على أتمِّ وجْهٍ حتى توفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم.

جهادها وبسالتها:

● خرجت أمُّ حكيم مع زوجها عكرمة رضي الله عنهما إلى الشّام لغزو الرُّوم، وفي اليرموك اقتتلَ النَّاس قتالاً شديداً، فقاتل نساء من قريش بالسُّيوف منهن أمُّ حكيم ـ بطلة ترجمتنا ـ حتى سابَقْنَ الرِّجال، وفي هذه المعركة قُتل عكرمة شهيداً[2]، ووقع أجْرُه على الله عزَّ وجلَّ، فاعتدَّتْ عليه أربعة أشهر وعشراً، ثم تزوجها خالدُ بن سعيد بن العاص، فلما كانت وقعة مرج الصّفر[3] جنوبي دمشق، أراد خالد أنْ يدخلَ بها فقالت: لو تأخرتَ حتى يهزمَ الله هذه الجموع.

فقال: إنّ نفسي تحدثني أنْ أُصابَ في جموعهم.

---

(١) انظر القصة بمعان متشابهة في تاريخ الطبري (٢/ ١٦٠)، وتاريخ دمشق (ص٥٠٢ و٥٠٣)، والمغازي (٢/ ٨٥٠ و٨٥١)، وأسد الغابة (٥/ ٥٧٧)، وزاد المعاد (٣/ ٤١٣)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٩٧)، وتاريخ الإسلام(٢/ ٥٣٤ و٥٣٥)، ومجمع الزوائد (٩/ ٣٨٨)، والسيرة الحلبية (٣/ ٣٩ و٤٠)، والأعلام (٢/ ٢٦٩)، وغيرها من المصادر.

(٢) نسب قريش (ص٣٠٣)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٤)، والإصابة (٤/ ٤٢٦).

(٣) كانت هذه الموقعة في المحرم سنة أربع عشرة من الهجرة في خلافة عمر رضي الله عنه.

قالت: فدونك.

● فأعرس بها عند القنطرة التي بالصّفر، وبها سُمّت قنطرة أمّ حكيم، فلمّا أصبحَ أولمَ عليها، فدعا أصحابه على طعام، فما فرغوا من الطّعام حتى وافتهم الرُّوم، ووقع القتال، فاستشهد خالد، وشدّت أمُّ حكيم رضي الله عنها عليها ثيابها وتبدَّتْ، وإنَّ عليها أثر الخلوق ـ نوع من الطّيب ـ فاقتتلوا أشدّ القتال على النَّهر، وفي ذلك اليومِ أظهرتْ أمُّ حكيم من البسالة والشجاعة ما عجز عنه فرسان الرُّوم، حيث قَتَلتْ منهم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي أعرس بها خالد فيه[1].

● وبعد ذلك تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فولدت له فاطمة بنت عمر، وتزوج فاطمة هذه ابن عمها زيد بن الخطاب[2].

● وتدلُّ أخبار أمّ حكيم رضي الله عنها أنَّها توفيتْ في خلافة زوجها عمر رضي الله عنهما. بينما حدَّدَ الزِّركلي[3] رحمه الله وفاتها سنة(١٤هـ).

● رضي الله عن أمّ حكيم، وجعلها في جنَّات النّعيم.

* * *

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٤٢٥)، وتاريخ دمشق (ص٥٠٦)، وأسد الغابة (٥/ ٥٧٧)، والإصابة (٤/ ٤٢٦).

(٢) نسب قريش (ص٣٠٣)، وتاريخ دمشق (ص٥٠٣)، وتاريخ الطبري (٢/ ٥٦٤)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٢٧٤ و٢٧٥).

(٣) الزركلي: خيرُ الدِّين بن محمود بن محمّد الزِّركلي الدمشقيّ ولد سنة (١٣١٠هـ) التي توافق عام (١٨٩٣م)، وهو أديبٌ، شاعرٌ، مؤرخٌ، من رجال السّياسة، طاف البلاد: مصر، ولبنان والحجاز، والأردن وغيرها، له آثار جليلة في عالم التراث وفي السّياسة، وقام برحلات إلى الخارج إلى إنكلترة، وفرنسا، وأمريكا، وأثينا وقد أفادته هذه الرّحلات. توفي بالقاهرة في ٢٤ ذي الحجة ١٣٩٦هـ الموافق لـ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٦م وخلف آثاراً عظيمة منها: الأعلام وهو قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. وديوان شعره، وما رأيتُ وما سمعتُ، وعامان في عمان، وشبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز. وغير ذلك. (معجم المؤلفين ـ المستدرك ص٢٣٧ و٢٣٨)، والأعلام (٨/ ٢٦٧ـ٢٧٠).

المصادر والمراجع[1]

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ أسباب النُّزول:

للواحدي ـ تحقيق د. مصطفى البغا ـ دار ابن كثير ـ دمشق ط١ ـ ١٩٨٨م.

٣ ـ الاستيعاب ـ بهامش الإصابة ـ:

لابن عبد البرّ القرطبيّ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٤ ـ أُسْدُ الغابة في معرفة الصَّحابة:

لابن الأثير ـ دار إحياء التُّراث العربي ـ بيروت.

٥ ـ الإصابة في تمييز الصَّحابة:

لابن حجر العسقلاني ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٦ ـ الأعلام:

لخير الدِّين الزّركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط٦ ـ ١٩٨٤م.

٧ ـ أعلام النِّساء:

لعمر رضا كحالة ـ المطبعة الهاشمية ـ دمشق ط٢ ـ ١٩٥٨م.

٨ ـ أنساب الأشراف:

البلاذري ـ تحقيق د. محمّد حميد الله ـ دار المعارف ـ بمصر.

---

(١) اعتمدنا على أكثر من ثلاثمئة مرجع، ولكن اكتفينا بذكر أهمها في هذا الفهرس، وستجد أسماء المصادر منثورة في ثنايا الكتاب.

٩ ـ البداية والنِّهاية:
لابن كثير ـ تحقيق د. أحمد أبو ملحم ورفاقه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط٣ ـ ١٩٨٧م.
١٠ـ التَّاج الجامع للأصول:
لمنصور علي ناصف ـ مطبعة البابي الحلبي ـ مصر ط٤ـ.
١١ ـ تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام ـ أربعة أجزاء ـ:
للذَّهبي ـ تحقيق د. عمر تدمري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ط ١ ـ ١٩٨٧م.
١٢ ـ تاريخ الأمم والملوك:
للطَّبري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط٢ـ١٩٨٨م.
١٣ ـ تاريخ دمشق ـ تراجم النِّساء ـ:
لابن عساكر ـ تحقيق سكينة الشِّهابي ـ دار الفكر ـ دمشق.
١٤ ـ تفسير الخازن وبهامشه البغوي:
مطبعة البابي الحلبي ـ مصر ط٢ ـ١٩٥٥م.
١٥ ـ تفسير القرآن العظيم:
لابن كثير ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٦ ـ تفسير القرطبي:
دار إحياء التّراث العربي ـ بيروت ـ ١٩٦٧م.
١٧ ـ تهذيب الأسماء و اللغات:
للنّووي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٨ ـ تهذيب التَّهذيب:
لابن حجر العسقلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٩ ـ جمهرة أنساب العرب:
لابن حزم الأندلسي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ـ ١٩٨٣م.
٢٠ ـ جوامع السِّيرة النَّبوية:
لابن حزم الأندلسي ـ تحقيق المرحوم الشَّيخ نايف العباس ـ دار ابن كثيرـ دمشق ط٢ـ١٩٨٦م.

٢١ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:
لأبي نعيم الأصبهاني ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ط٢ـ ١٩٦٧م.
٢٢ ـ حياة الصّحابة:
لمحمد يوسف الكاندهلوي ـ بعناية نايف العبّاس ورفيقه ـ دار القلم ط١ـ١٩٦٨م.
٢٣ ـ الدُّرر في اختصار المغازي و السِّيَر:
لابن عبد البر القرطبي ـ تحقيق د. مصطفى البغا ـ مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ط٢ـ١٩٨٤م.
٢٤ ـ دَرُّ السّحابة في مناقب القرابة والصَّحابة:
لمحمَّد بن علي الشّوكاني ـ تحقيق د. حسن العمري ـ دار الفكر ـ دمشق ط١ ـ١٩٨٤م.
٢٥ ـ دلائل النُّبوّة:
لأبي نعيم الأصبهاني ـ تحقيق محمّد روّاس قلعه جي وعبد البر عباس ـ دار التّراث ـ حلب ط١ـ١٩٧٠م.
٢٦ ـ دلائل النُّبوّة:
للبيهقي ـ تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ ـ ١٩٨٥م.
٢٧ ـ رجال مبشّرون بالجنّة:
لأحمد خليل جمعة ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ ط١ـ ١٩٩٠م.
٢٨ ـ الرّوض الأُنُف ـ بهامش السِّيرة النَّبوية ـ:
للسهيلي ـ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ مصر ـ ١٩٧١م.
٢٩ ـ الرّياض النَّضرة في مناقب العشرة:
للمحب الطَّبري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ـ١٩٨٤م.
٣٠ ـ زاد المعاد:
لابن قيّم الجوزية ـ تحقيق شُعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط٢ ـ ١٩٨٢م.

٣١ ـ الزّهـد:
لأحمد بن حنبل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ـ ١٩٨٣م.
٣٢ ـ سنن ابن ماجه:
تحقيق فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٩٧٥م.
٣٣ ـ سنن أبي داود:
إعداد وتعليق محمّد محيي الدِّين عبد الحميد ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٣٤ ـ سنن التّرمذي:
إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس ـ حمص ط١ـ ١٩٦٦م.
٣٥ ـ سنن النّسائي:
بشرح السّيوطي وحاشية السّندي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٣٦ ـ السّمط الثّمين في مناقب أمّهات المؤمنين:
للمحبّ الطّبري ـ مكتبة التراث الإسلامي ـ حلب.
٣٧ ـ سير أعلام النّبلاء:
للذهبي ـ تحقيق ثلة من أفاضل العلماء ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط٣ـ ١٩٨٥م.
٣٨ ـ السِّيرة الحلبية:
لعلي بن برهان الدّين الحلبي ـ مطبعة البابي الحلبي ـ مصر ط١ـ ١٩٦٤م.
٣٩ ـ السِّيرة النّبوية:
لابن هشام ـ تحقيق السّقا ورفاقه ـ مطبعة البابي الحلبي ورفاقه ـ مصر ط٢ـ ١٩٥٥م.
٤٠ ـ السِّيرة النّبوية:
لأحمد بن زيني دحلان ـ الأهلية للنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٨٣م.
٤٠ ـ شاعرات العرب:
جمع وتحقيق عبد البديع صقر ـ المكتب الإسلامي ـ ط١ ـ ١٩٦٧م.

٤٢ ـ شذرات الذَّهَب:
لابن العماد الحنبلي ـ تحقيق محمود الأرنؤوط ـ دار ابن كثير ـ دمشق ط١ـ ١٩٨٦م.
٤٣ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى:
للقاضي عياض ـ تحقيق محمد أمين قره علي ورفاقه ـ مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ط٢ـ ١٩٨٦م.
٤٤ ـ صحيح مسلم:
دار الفكر ـ طبعة مصورة قديمة.
٤٥ ـ صفة الصَفوة:
لابن الجوزي ـ تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي ـ دار المعرفة ـ بيروت ط٢ـ ١٩٧٩م.
٤٦ ـ طبقات الحفّاظ:
للسّيوطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ـ ١٩٨٣م.
٤٧ ـ الطَبقات الكبرىٰ:
لابن سعد ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت.
٤٨ ـ طبقات المفسّرين:
للدّاودي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٤٩ ـ العبر في خبر من غبر:
للذهبي ـ تحقيق محمد زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ـ ١٩٨٥م.
٥٠ ـ العقْد الفريد:
لابن عبد ربّه ـ بعناية أحمد أمين ورفيقه ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ مصر ط٢ـ ١٩٦٥م.
٥١ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والسِّير:
لابن سيِّد الناس ـ مؤسسة عز الدين.
٥٢ ـ عيون الأخبار:
لابن قتيبة ـ مصورة عن دار الكتب ـ١٩٦٣م.

٥٣ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري:
لابن حجر العسقلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت.
٥٤ ـ الفرج بعد الشّدة:
للقاضي التّنوخي ـ تحقيق عبود الشالجي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٧٨م.
٥٥ ـ الفصول في سيرة الرّسول:
لابن كثير ـ تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو ـ دار ابن كثير ـ دمشق ط٤ ـ ١٩٨٥م.
٥٦ ـ القاموس المحيط:
للفيروز آبادي ـ مطبعة البابي الحلبي ـ مصر ط٢ ـ ١٩٥٢م.
٥٧ ـ لسان العرب:
لابن منظور الإفريقي ـ دار صادر ـ بيروت.
٥٨ ـ مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد:
للهيثمي ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٨٦م.
٥٩ ـ المسند:
لأحمد بن حنبل ـ دار الفكر ـ بيروت ط٢ ـ ١٩٧٨م.
٦٠ ـ المعارف:
لابن قتيبة ـ تحقيق د. ثروت عكاشة ـ دار المعارف ـ مصر ط٤ ـ ١٩٧٧م.
٦١ ـ معجم البلدان:
لياقوت الحمويّ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٦٢ ـ المعجم الوسيط:
أخرجه د. إبراهيم مصطفى ورفاقه ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ط٢.
٦٣ ـ معجم المؤلفين:
لعمر رضا كحالة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٦٤ ـ المغازي :
للواقديّ ـ عالم الكتب ـ بيروت .
٦٥ ـ مِنَح المِدَح ـ أو شعراء الصّحابة ـ :
لابن سيّد الناس ـ تحقيق عفت وصال حمزة ـ دار الفكر ـ دمشق ط١ـ ١٩٨٧م .
٦٦ ـ المنمّق في أخبار قريش :
لمحمّد بن حبيب البغداديّ ـ تحقيق خورشيد أحمد فاروق ـ عالم الكتب ـ بيروت ط١ـ ١٩٨٥م .
٦٧ ـ نساء مبشرات بالجنّة :
لأحمد خليل جمعة ـ دار ابن كثير ـ دمشق ط١ـ١٩٩٠م .
٦٨ ـ نسب قريش :
لمصعب الزّبيري ـ دار المعارف ـ مصر ط٣ .
٦٩ ـ نوادر المخطوطات :
تحقيق عبد السلام هارون ـ مطبعة البابي الحلبي ـ مصر ط٢ـ ١٩٧٢م .
٧٠ ـ وفاء الوفا :
للسّمهودي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ط٤ـ ١٩٨٤م .



فهرس الموضوعات